موسوعة العلوم الإسلامية







تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة

أنور الجندي

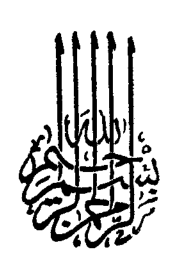
دار الاعتصام

موسوعة العلوم الإسلامية



أنور الجندي

دار الاعتصام



مدخل إلى البحث

تأصيل اليقظة الإسلامية

كانت حركة اليقظة الاسلامية هى الضوء الكاشف للخروج من الازمة التى صنعتها حركة الالتفاف حول العالم الاسلامى ، والسيطرة عليه عسكريا وسياسيا ثم محاولة تذويبه فى بوتقة الحضارة الغربية بحيث يفقد هويته الاسلامية الخاصة ويماع فى القطيع .

هنالك اعلنت حركة اليقظة الاسلامية اننا لا يمكن ان ننصهر او نذوب فى حضارات الامم : انما تذوب الامم التى ليس لها منهج حياة أو اسلوب عيش خاص بها فما بالك اذا كان هذا المنهج ربانيا فى منطلقه انسانيا فى وجهته يتفوق على جميع المناهج التى طرحت على طريق البشريةحيث يتميز بالاصالة والثبات والمرونة والقدرةعلى مواجهة الاحداث والمتغيرات والعصور والبيئات ومن هنا انطلقت صرخة الاصالة والعودة الى المنابع لتواجه هذا الفكر الوافد فى مختلف مجالاته : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية وتكشف عن وجهة نظر الاسلام ومنهجه الاصيل ازاء ما تقدمه المناهج الوافدة والايدلوجيات البشرية .

واليوم ، فى العقد الاول من القرن الخامس عشر الهجرى ، نستطيع أن نعلن صيحة ((تأصيل اليقظة)) و ((ترشيد الصحوة)) وقد استطاعت حركة اليقظة أن تكشف تلك التيارات الخطيرة التى تريد ان تفسد اجواء الفكر الاسلامى وان تحجب الطابع الاسلامى المميز عن الثقافة والفكر والادب والفن وان تفصل بين المعاصر وعقده الممتد منذ مطلع الاسلام ، وان تفصل بين العناصر على النحو الذى عرفه الفكر الغربى فى انشطاريته ، حيث نفصل بين العلم والدين ، وبين العقل والقلب ، وبين الدنيا والآخرة

وكان من تأصيل اليقظة مواجهة هذين الخطرين ، وكان لابد من أن ترتبط الثقافة والفكر والادب والفن فى حاضره بحلقاته المتصلة ، وان تتكامل العناصر فلا يستعلى عنصر منها او ينفصل .

ومن هنا ظهرت تلك المحاولات الجادة من انشاء علم نفس اسلامى وعلم اجتماع اسلامى وعلم اقتصاد اسلامى وظهور الدعوة الى الادب الاسلامى .

كذلك فقد عملت خطة تأصيل اليقظة الى الكشف عن مجموعة من الحقائق فى مقدمتها :

أولا : ان الاسلام قد وضع قاعدة الابنعاث من الداخل فى ابان الازمات وهى قدرة على العطاء من سننه الاصيلة فما ان يعود المسلمون الى الاسلام حتى تنكشف عنهم الازمات .

ثانيا : فهم القانون الاساسى للحركة والتطور وهو قانون يربط بين عنصر الثبات وعنصر الحركة ويعادل بين القيم الموروثة والقيم المكتسبة ، ويقيم العلاقة بين الثبات والتغيير ومن هنا كان على المسلمين ان يضبطوا ظاهرة التغيير المندفعة حتى لا تقضى على الجوهر الثابت والتوقف عن الجرى وراء أهواء الداعين الى التطور المطلق دون ضوابط لان ذلك من شأنه ان يؤثر على الثوابت التى قدرها الاسلام وجعل الحركة من داخلها .

ثالثا : ان يفهم المسلمون هدف اعدائهم ومخططاتهم وان يكونوا قادرين على الافلات من مصايدها : وان يحرروا مواريثهم الحضارية من محاولات الاعداء الذين يريدون ان يردوا المسلمين الى مفاهيم الوثنية والاباحية وذلك من منطلق قول الحق تبارك وتعالى ((ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم)) .

رابعا : على المسلمين أن لا ينسوا مخططات السيطرة والامتداد التى يواجهونها نتيجة الغزوة الصهيونية وان تكون حركة بيت المقدس وفلسطين مستمدة من مفهوم الاسلام الاصيل للجهاد والذى هو

شرعة الله الماضية الى يوم القيـامة ، وان لا يعتمدوا اساليب القومية والوطنية منطلقا لتحقيق هذا الهدف لانها تعجز عن ذلك بل وتؤخره ، وليكن الفداء منبعا لا يتوقف ، يصدر عن عقيدة المسلمين ومن ايمانهم بمفهوم الدفاع عن الارض والحفاظ على العرض .

خامسا : ان يوقـن المسـلمون ان اى اصـلاح اجتماعى أو سياسى أو اقتصادى لا يمكن أن يقوم بدون أمرين : الايمان والاخلاق وانه لا بد من التمسك بقيمنا المعنـوية والروحية والاخـلاقية فى مواجهـة صيحة الاستمتاع المادى فهذه الصيحة هى التى دمرت مجتمعات الاستهلاك ولان تلك القيم هى السمات الاصيلة لحضارتنا

سادسا : ان تقـوم حضار ة الاسـلام على عدم الاسراف فى ثمرات الارض او توجيه العلم وجهة الغدر والاستعلاء والظلم ، وأن الالتزام الاخـلاقى هو الشرط الاساسى لنمو الحضـارة وسلامة التقدم وابتعادها عن سنن الله فى ضرب الحضارات الباغية ولا بد من انكار الذات واتساع العطاء .

سابعا : لا بد من انقاذ الاقتصاد الاسلامى من براثن الربا والفوائد ، هذا الربا الذى حرمه الله تبارك وتعالى والذى يدمر المجتمعات وان يتحـول النظـام الاقتصادى الاسلامى الى نظام المشاركة والمضاربة .

ثامنا : ان يعى المسلمون سنن الله تبارك وتعالى وقانونه فى الحضارات والمجتمعات فان الترف والتحلل هو مصدر انهيارها حين تخرج عن أمر الله وتقوم على الظلم والفساد وقبول الاباحيات .

وان الحضارات الاسلامية تستطيع ان تجدد شبابها على مفهوم منهج الله لتؤدى دورها فى جولة جديدة بعد ان فشلت الحضارة العالمية اليوم فى العطاء العادل .

تاسعا : على المسلمين ان يعـوا ان المعركة اليوم هى معركة (تأكيد الذات) المحافظة على الذات ، حماية الذات (الاسلامية) التى كونها القرآن الكريم خلال أربعة عشر قرنا من الانهيار : من التدهور ، من الجمود ، من الانصهار فى الفـكر البشرى العـالمى الامى وليعـلم المسلمون ان المحافظة على الذات الاسلامية فريضـة من فرائض العقيدة والامة فى نفس الوقت : ذلك انه قد تبين ان الهدف الحقيقى وراء المؤامرة التى تقودها القـوى العالمية هى (تذويب المسلمين) فى الكيان الامى والعالمى عن طـريق عبارات خادعة : (الانفتاح الثقافى ، التلقيح الثقافى ، اثراء الفكر .) وكل كلمة من هذه الكلمات فى حاجة الى الكشف عن اخطارها واعماقها مما يغيب عن الغافلين المخدوعين .

عاشرا : ان يحـذر المسلمون من مؤامرة يسمونها (التبـادل الثقافى والمنح الدراسية) ، ذلك انها تستهدف ازالة الهـوية الاسلامية وصهر الاجيال الجديدة فى بوتقة الفـكر الامى تحت اسـم التقدمية والعصرية ، ذلك ان التغريب هـو المرحلة الخطيرة من مراحل الصراع مـع القـوى الغربية وهى القائمة وراء كل مخططات الفكر والثقافة والتعليم والصحافة .

* * *

منطلقـــــات تأصيـــــل اليقظـــــة

لقد تحقق لليقظة الاسلامية خلال معركتها مع الغزو الفكرى والتغريب أمر خطير هو مدخل لمرحلة التأصيل ذلك هو كشف ذلك الغشاء الخادع الذى ظـل يغشى الابصار أمام اخطاء التبعية ، فى ظل ضوء الانهيار الذى استسلم أمامه الكثيرون : هذا الذى تحقق هو انجاز كبير على طريق الاصالة والعودة الى المنابع .

وفى مقدمة ذلك اختلاف الوجهة والطريق والعقائد والثقافات ومنطلقات النظر الى الكون والحياة والمسؤلية الفـردية وهو ما يكذب دعاوى القائلين بوحدة الثقافة العالميـة .

كذلك فقـد كشفت النقطة فساد التبعية للحضارة الغربيـة : هذه الحضارة الزائفة المـادية الاباحية التى لا تستطيع أن تعطى المسلمين الا الانحلال والاســتهلاك والجرى وراء الاهواء .

لقـد سقطت مدرسة التبعية للحضـارة الغربية وكشفت حروب النكبة والهزيمة والنكسة جميعها فساد دعاوى الدراســة المضلة التى خـدعت المسلمين بأنه لا طريق للتقدم الا للتبعية لاسلوب عيش الغرب .

لقـد قدموا لنا الليبرالية ، وقـدموا لنا الماركسية ثم لما سقطت كل منهما عادوا يقدمون لنا ذلك الخليط الذى يدعو اليه البعض من الجمع بين التراث والمعاصرة ومن قبلسقطت الفرويدية والوجودية لانها جميعها لمتنطلق من روح الامة الاسلامية ، ومن وجدانها الاصيل الذى رسمه القرآن ولانها لم تصدر من كلمـة التوحيد التى رسمت للمسلم رسالته فى الحياة ، لقد اعادوا صناعة الفكر الوثنى القديم فى اخوان الصفا والباطنية والحلول والاتحاد وفكر اليونان الوثنى المتمثل فى علم الاصنام والفكر الغنوصى وحاولوا نقل ذلك الى المسلمين بل جددوا فكر الاساطير والسحروتجارة اليهود القديمة المتجددةفى نظريات داروين وفرويد وماركس وسارتر وكان من ابرز ما يؤكد دخول اليقظة مرحلة التأصيل انهـا ردت ذلك كله (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) .

لقد تحرر المســلمون من عقدة الاجنبى وشعور التخلف : بالتماس التبعية للاجنبى وعرفوا ان مصـدر الضعف وسبب التخلف هو الغفلة عن المنبع الاصيل .

لقـد ســقطت كل المسلمات الباطلة التى جاهد التغريبيون فى طرحها فى أفق الاسلام ، وعرف المسلمون انهم أمنوا الخادعين الذين ضللوهم عنالوجهة الحقيقية .

هـذا الوعى الذى حققته حركة اليقظة فى اتجـاه « التأصيل » يتطلب منا عملا كبيرا وجهدا مبذولا لتثبيته وترسيخه وبناء القواعـد الاساسية التى يتحقق بهـا الدخول فى مرحلة النهضة .

أولا : المحافظـة على عناصر التميز الذاتى التى رسمهاالاسلام والانطلاق بها لاعادة غرس القيمالاسلامية والعودة الى اعراف الاصالة والفطرة التى غلبت عليها القيم الوافدة والاعراف غير الاسلامية .

ثانيا : ان نقطة الانطلاق هى ان يعترف المجتمع بانتمائه الى الاسلام وما يتطلبه هذا الانتماء من التزام وسلوك ومسئولية فردية مع اخلاقية الحركة .

ثالثا : ان نتمسك بمايقرره الاسلام فى النظر الى امور الثقافة واللغة والتاريخ ، وهى تختلف اختـلافا واضحا عن تلك المفاهيم الوافدة والمثبوتة الآن فى الاعلام والصحافة والتى يبثها التغريب بهدف الاحتواء والانصهار فى بوتقة الاممية .

رابعا : ضرورة التخلص من المصطلحات الاجنبية التى تعبر عن تصورات وغايات اجنبية ، غريبة عن كيان الامة الاسلامية ومصالحها مع تأكيد الالتزام بمصطلحات نابعة من عقائد الامة وتاريخها وتراثها وجـوهر فكرها وشخصيتها الاسلامية .

خامسا : الايمان بأن روح الامة اعظـم من روح العصر : وان فكرة الاستسلام لروح العصر هى محاولة

للاحتواء فى دائرة الوافد والغريب والخاطىء والفاسد وما طرحته الحضارة الغربية والفكر الغربى فى مجتمعنا لاحتوائنا .

سادسا : الوقوف بقوة فى وجه محاولات الهدم :

١ — محاولة هدم مشروعية الجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٢ — محاولة هدم ترابط الدين والدولة .

٣ — محاولة انتقاص الشريعة الاسلامية والتشكيك فى اللغة والتاريخ .

٤ — محاولة تمزيق الوحدة الاسلامية بالقوميات والاقليميات .

٥ — اخطر الدعوات هى الدعوة الى نبذ الماضى وتسلسل التاريخ والادب والثقافة وترابط حلقاتها منذ فجر الاسلام الى اليوم واحياء الفلكلور والتراث الوثنى القديم الذى قضى عليه الاسلام .

٦ — مهاجمة الشعر العربى ومذهب الخليل ومهاجمة الفصاحة العربية والخطابة .

٧ — مهاجمة القرآن من خلال احياء لغة وسطى واحياء العاميات .

سابعا : خطأ التقسيم الغربى للعصور التاريخية واعلاء شأن النهضة الغربية ومحاولة تفسير تاريخ العالم من خلال تاريخ أوربا وتقسيم شعوب العالم الى فئات وأجناس وديانات .

ثامنا : خطأ اعتماد الغرب بوجود حضارة واحدة هى الحضارة الغربية المتصلة بحضارة الرومان وانكار ذاتية الحضارة الاسلامية .

تاسعا : خطأ التفسير المادى للتاريخ الاسلامى واحياء مؤامرات القرامطة والزنج والباطنية واحياء علاقات ما قبل الاسلام ومحاولة تفسير التاريخ الاسلامى وفق مفاهيم وافدة ، وتصور الفتح الاسلامى على أنه كان من أجل الطعام ، ومحاولة القول بأن العرب كانوا مستعدين للنهضة قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وتصوير الاسلام بصور الخلاف والصراع والتضارب بين القادة والحاكمين .

عاشرا : أن نكون على وعى بأن الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، وان عدد المسلمين فى العالم اليوم يزيد على الف مليون مسلم موزعين على سبعين دولة وان المجتمع الاسلامى مطالب بأن يقيم المنهج الربانى الاصيل فى بلاده حتى يستطيع أن يقوم بواجب تبليغ الاسلام للبشرية الحائرة وان نكون على يقين من أن الحضارة الغربية قد دخلت مرحلة المحاق وانها تتساقط وتتهاوى تحت ضربات المادية والاباحية ، وان الاسلام والاسلام وحده هو القادر على أن يقدم للبشرية بديلا ايجابيا وعطاءا مشرقا .

وان نكون على وعى بأن المسلمين استطاعوا خلال القرن الرابع عشر ان يكشفوا شبهات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى التى تحاول تغريب المجتمع الاسلامى وتزييف الفكر الاسلامى لاخراجه من أصالته ومنهجه الربانى .

وانه قد تبين للمسلمين بعد التجربة المريرة ان كلا الايدلوجيتين الرأسمالية الغربية ، والماركسية الشيوعية لا تستطيع ان تعطى النفس المسلمة مطامحها واشواقها وان التجربة فيهما جميعا قد سقطت .

***

ترشيـــد الصحـــــوة الإسلاميـــــة

أمـــا الزبـــد فيذهـــب جفـــاء

تلك آية قرآنية كريمة وحقيقة علمية فكل ما يكتبه الماركسيون والعلمانيون والماديون الآن تحت اسم تفسير التاريخ ، أو دراسة العصر أو مواجهة الصحوة الاسلامية بضرب التراث والمعاصرة أو التحدث عن علاقات التقدم وارتباطها بالمنهج الاسلامى ، كل هذه الكتابات المعقدة المضطربة التى تعتمد منهج التفسير المادى أو الهمجية المنتمية فى (الجدلية المادية) والتى تحور الالفاظ وتقعر المفاهيم وتنكر العبارات المبتذلة ، كل هذا لا يجد من المحيط الاسلامى القائم على بلاغة القرآن وبيان السنة المطهرة التى تعيش فى اعماق المسلمين : لا يجد الا رفضا كاملا واشاحة تامة وازدراء وسخرية واحتقارا لمن طلبوه لانه لا يمثل شيئا جديرا بالنظر أو التقدير ولانه يصدر أساسا عن احقاد تنطوى فى الضلوع ورغبة فى تزييف الحقائق وفى تشويه القيم ، وفى السخرية والاستهانة بالتيار الاسلامى الضخم العميق الممتد الذى تجرى المحاولات لافساد مجراه ولتشويه منابعه ولتغيير مساره وطريقه .

ان هذه الكتابات لا تساوى ثمن الحبر الذى كتبت به ولانها لا تتحرى الحق ولا تنطلق من منطلق الايمان بهذه الامة وقيمها وعقيدتها فهى بضاعة مزجاة وعروض زائفة وكلمات لا قيمة لها .

واذا كانوا يرغبون فى ادخال هذا الاسلوب فى الجدل والبحث الى الفكر الاسلامى فهم واهمون ، فان اقل ما يواجه به هذا الاسلوب هو الازدراء .

ولن يستطيع هذا الاسلوب ان يخلقَ له مجرى ومسارا مهما تكاثرت هذه الكتابات وتعددت واتصلت سواء على صفحات بعض الصحف أو عن طريق الدراسات المطبوعة أو المؤتمرات المفقودة .

وهم يعلمون تماما ان الوجوه تشيح عنهم ، وان كتاباتهم بطابعها العلمى الكاذب واسلوبها البارد ، ولفها ودورانها وخداعها وتآمرها ودعواها المضللة فى انها تصطنع المنهج العلمى كل هذا لا تقبله الروح الاسلامية العربية ولا الوجدان العربى المسلم : ولذلك فهم لن يستطيعوا أن يصلوا الى قلوب المسلمين والعرب لان المسلمين والعرب لا يؤمنون بهذا الاسلوب فى عرض الفكرة ولا مناقشة القضايا .

ولو كانوا يعرفون حقا اصالة النفس العربية الاسلامية والعقل العربى الاسلامى ، الذى تربى فى احضان القرآن والسنة ، ووفق منهجها النقى الصحيح المنفتح المضىء الذى يتميز بالصدق والبساطة والسماحة والامانة فى العرض والنقد ، لو كانوا يعرفون ذلك لوفروا على انفسهم هذه المطروحات المعقدة المضطربة التى تلوى الكلمات وتنكر المصطلحات .

والا فما معنى كلمة (اشكالية) وكلمة (اشتقائية) النهضوى ، التراثية ، السلطوى ، الدوجمانية ، المرجعى .

ان تجاوز الاسلوب العربى والبيان العربى فى ادائه الصحيح هو جزء من مخطط الهدم وهو المدخل الحقيقى للغزو التغريبى فى المضمون فهم فضلا عن ضرب القيم يعملون على تحطيم أدوات الاداء فضلا عن أن هذا العرض من خلال الاداء الذى تقدمه الماركسية بعباراتها المضطربة ، الفوقية والتحتية : وعطاءاتها الايدلوجية والمنظور البرجمانى ، كل هذا شىء تضيق به الصدور ولا يفهمه الا المتخصصون ، فكيف يمكن أن يكون نافعا فى تقديمه للقارىء العربى والمثقف المسلم .

وهناك تلك الدعوى العريضة بمنهجية العلم أو علمية المنهج وهذه عبارة مضللة كاذبة فان قياد البحث كله ينطلق من أهواء حاقدة ذليلة .

وهم فى عرضهم يفرضـــون دائما ان هناك تيار ماركسى الى جوار التيار الليبرالى وهما فى الاعلى بينما التيار الاسلامى الذى هو مغفل دائما .

واذا كانوا يريدون اقناع المسلمين بآرائهم فلماذا يقدمون الشواهد من كتابات المكروهين والمنبوذين من المضللين الذين كشفت عنهم الاحـداث والذين كانوا ولا يزالون يحاولون القضاء على الصحوة الاسلامية وابراز الصيحة العصرية أمثال محمد عايد الجـابرى ، وطيب نيرينى ، وصادق جلال العظم ، عبد الله العروى وهشام شرابى وهؤلاء وغيرهم فى تقدير المثقف المسلم هم مجموعـة من العلمانيين والماديين والشعوبيين .

وهذه المصطلحات مادخل المثقف المسلم بها ؟! ان هى الا أسماء سميتموها وما انزل الله بها من سـلطان . ولقـد وقف الاسلام فى عصر نهضته الاولى ازاء هـذه المصطلحات فلم يقبلها ولم يعتنقها بل ردها الى أصولها وبين موقف الاسلام من صحيحها وخطأها .

ونحن لا ندرى ماذا يريدون من تفسـير الصحوة الاسلامية من خلال هذه المذاهب المادية ، التى تختلف بين علمانية ومادية وجدلية وحتمية منطقية وما الصحوة الاسلامية فى حقيقتها الا عـودة الى المنابع وتحرر من الزيف الذى حاولوا وضـعه فى طريق الفكر الاسـلامى ليخرجوه من اصـالته وقيمه ومفاهيمه وخطه المستقيم الممتد من ظهور الاسلام الى اليوم ، وقد كانوا يظنون ان هذه المطروحات التى القوها امامـه بعـد سيطرة النفوذ الاجنبى قادرة على ان تجعله يفقد طريقه الاصيل الى الابد وأن ينصهر فى بوتقة الغرب وان ينحرف مجراه وان تسيطر عليه الفلسفات الوافدة وتحتويه المذاهب الجديدة : وكانوا حين ارادوا ذلك جاهلين بطبيعة الفكر الاسلامى القادرة على الخروج من الازمات والعودة الى المنابع ، وفى صميم اعماقها روح الاسلام الذى لا يمكن ان تذهب أو تضيع .

انهم يحاولون اليوم حصار الاسلام بقوى ثلاث :

١ ــ العلمانية .

٢ ــ القومية .

٣ ــ الفصـل بين الروح والمـادة وبين المنهـج والتطبيق .

وهذه المحاولات الثلاث قد فشلت تماما وقد جربها المسلمون حين جربوا الليبرالية الغربية مرة والماركسية الاشتراكية مرة أخرى ، وتبين لهم عجـز المنهجين عن العطـاء .

فهم يحاولون بطرح هـذه المفاهيم والمصطلحات اخراج الفكر الاسلامى من أصالته ، وفى ترديدهم لهذه المفاهيم والمصطلحات تذهب جهـودهم عبثا ولو انهم عرفوا ان الجسـم الاسلامى (القائم على الاصـالة والمنابع) يرد كل غريب عنه ولا يقبله وان كل ما يغرس فى التربة الاسـلامية من هـذه المذاهب الفرويدية والماركسية والوجودية ومذهب المنفعة (البرجماتية) قد تجاوزها الزمن ، ولم تعد صالحة فى بيئتها فكيف يمكن أن تكون صالحة فى أرض الاسـلام المتميزة بروح التوحيد الخالص ؟ .

ان هـذه المحاولات تطرح مصطلحات وافدة لن تجـدى فالخطـة مكشوفة وهدفها واضح ، وهو ضرب الاصالة وضرب اللغـة العربية التى هى أولا وآخرا الفصحى لغة القرآن .

* * *

ان هـذا الهجوم الذى تقـوم به هذه القـوى المتسربلة بكلمات التقدمية واليسار والعصرية والحداثة من أول الخط الـذى يبدأ بتوفيق الحكيم وزكى نجيب محمود الى نهايته قد عرفت غايتها ، انها تريد ان تدخل المسـلمين والعرب فى (التيه) وان تبعد بهم عن معالم الاسس الاسـلامية الحقيقية وفى كل يوم ينكشف أمر جديد خفى وراء هذه الكلمات البراقة اللامعة ، ونحن اذا نظرنا مثـلا الى من يلوكون هذه الكلمات ظننا اننا نلاقى ذوى علم جديد ولو تأملنا لوجدنا أن هذه الكلمات وضعت على الشـفاة لتخلق (عـرفا) يخالف عرف الاسـلام ولتدخل (زيا) يخالف زى الاسـلام ولتزيل واجهـة الاصالة والمنابع ولتحول ملامح الصورة الى تلك الجهامة الضالة .

اننا نعرف أن هناك حربا غير معلنة على الصورة الاسلامية الاصيلة المتمثلة فى اللغة العربية الفصحى ، وفى الاداء العلمى القـائم على منهج القرآن وفى كل يوم

تتكشف خفايا يحال بينها وبين الظهور حتى لا يعرف المسلمون قيمة العطاء الذى قدموه للبشرية .

ولقد دهشنا لهذه الحيلة الضارية على التراث وكنا نعجب لها ، فان حجم الحرب حولها لا توحى بالخفى عنها ولكنا حين عرفنا اخيرا من أبحاث علماء الاجتماع المسلمين فى أمريكا ان النهضة الاسلامية المرتقبة والتى يقوم عليها عطاء الحضارة الاسلامية المتجدد بعد أن توقفت ثمة عن البث : لا بد أن تعتمد أصلا على كتب التراث المختفية الآن فى مكاتب الغرب والتى تحوى تصورا لم يطلع عليه المسلمون حتى الآن عن القدر الذى قدموه للاسلام ، وانه يجب عليهم عندما يستأنفون نهضتهم أن يبدأو من النقطة الاخيرة التى وقف عندها علماء المسلمين فى التجريب والاجتماع والنفس والاخلاق والتربية ومن هنا فان « التراث » هو حجر الاساس فى هذا البناء ، أما الذين يريدون ان نبنى على أحجار الغير ، وان نأخذ ما وصل اليه الغرب اليوم ثم نبنى عليه فهؤلاء مضللون ، والذين يدعون الى بناء نهضة اسلامية على غير فكر قانونى وعلمى ومنهجى منبثق من الاسلام أساسا ومن مفهوم تكوين المجتمع الاسلامى وقضاياه وأزماته هم واهمون : ليست دعوتنا هذه جمودا أو نكرا لحركة الاجتماع والحضارة العالمية ولكنها تصحيح لها فكيف يقبل المسلمون هذا الانطلاق المجنون على طريق الترف والاستهلاك والانحلال وتبديد الثروات الكونية المذخورة فى سبيل اهواء هذه الحضارة الغارقة فى اللهو والفساد ؟ والقائمة على انكار الله تبارك وتعالى والاستطالة والاستعلاء بقدرتها وهو جل شأنه معطيها مفاتيح العلم وهو تبارك وتعالى الذى اذن بها .. هذه الحضارة التى تنكر العنصر الاول للحياة الحقة وهو الربانية وتتجاهل هذه الوجهة تماما بل وتسخر فلسفاتها من الدين والوحى واليوم الآخر والحساب والجزاء ، نحن المسلمين لا نقبل هذه الوجهة ونحن قد اخرجنا الله تبارك وتعالى لتعديل مسار هذه الحضارة وهذا المجتمع وتحريره من العبودية لغير الله ورده الى مساره الاصيل فى اسلام الوجه لله والاذعان لحكمه واقامة منهجه الربانى على الارض .

***

رسالة الإسلام مدعوة لإنقاذ العالم

●● رواد جدد من الغرب يرون ان العالم يتطلع الى افق جديد من الفكر الربانى بعد أن فشل الفكر البشرى بحثا عن سكينة النفس وطمانينة القلب .

●● تأكد فساد النظريات الفلسفية الغربية لنظرية دارون . وفرويد . وسارتر . ودوركايم . وبدأ الاعتراف بدور الاسلام العظيم فى بناء الحضارة والعلوم .

●● الصيحة الرشيدة فى الغرب تدعو الى عودة المرأة الى البيت والى القام الام ثديها لطفلها وتبين فساد مؤامرة تحرير المرأة فى الشرق .. وهى التى انصفها الاسلام .

رسالة الاسلام مدعوة لتنقذ العالم مرة أخرى .. بعد أن سقط ببراثن الوثنية المادية . والانهيار الخلقى

كان السؤال الغالب على الندوة فى اجتماعها الاول بعد وقفها هو : **هل الصحوة الاسلامية حقيقة واقعة . أم انها ظاهرة لا تلبث أن تغلبها الاحداث ؟**

وخير ما يؤكد أن هذه الصحوة هى مطلع فجر جديدللامة الاسلامية والعرب ذلك الحديثالشريف الذى رواه الامام أحمد بن حنبل فى مسنده عن تميم الدارى قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **ليبلغن هذا الامر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر الا ادخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا .. عزا يعز الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر .. أما الذين يعزهم الله فيجعلهم من أهلها .. وأما الذين يذلهم الله فيدينون لها** » .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونحن الآن على أبواب هذه الصحوة . عندما نرى ونسمع

فى قارات العالم الست ، وارتفاع مآذنه ، وتردد ندائه ، وتلك الوجوه الكريمة التى تؤمن به ، وتقبل حدوده وضوابطه مما رواه الذين شاهدوا هذه البذور الجديدة فى الغرب ، وكيف يتمسك المسلمون الجدد بحقائق الاسلام وتقاليده . لان ايمان هؤلاء المؤمنين أعمق من ميثاق المسلمين الجغرافيين ، وأشد صلابة وقوة . وهذه المجتمعات الجديدة التى ينشؤها الاسلام فى قلب العالم الغربى ، وهذه المساجد المتواضعة والاحياء الخاصة التى تلتزم بالاسلام فلا تأكل الخنزير ، ولاتشرب الخمر ، وتقف متواضعة أمام قبلتها ، ثم تضع جبهتها على الارض اقرارا بالعبودية لربها . مما يثير الفكر الغربى اليوم ، ويهزه هزا عنيفا حتى تكتب احدى الصحف النصرانية الفرنسية أن خمسين الف فرنسى اشهروا اسلامهم فى السنوات القليلة الماضية ، وان هؤلاء الفرنسيين الذين دخلوا الاسلام هم من مختلف الطبقات الاجتماعية والثقافية فى فرنسا . وقد تعددت تعليقات ذوى الرأى هناك مع حدث سبقهما هو اسلام العالمين الكبيرين الطبيب موريس بوكاى والفيلسوف المنظر جارودى . وتدهش الصحف لهذه الظاهرة ويبحثون عن الاسباب التى دفعت خمسين الف فرنسى لاعتناق الاسلام وكيف يترك الناس دينهم فى أوربا وأمريكا ويعتنقون الاسلام . والحقيقة ان الحضارة الغربية افلست ولم تعد مفاهيمها تقنع القلوب الظامئة الى أشواق الروح فى هذا المحيط المادى الذى تعلو فيه صيحات الجنس والتحلل والفساد والحرمان والتمزق النفسى .

وقد فتحت طاقة صغيرة من النور ليطل منها الاسلام على الغرب فأدهش المثقفين ذلك التواضع والسماحة التى تحفل بهما مظاهرهم ومجتمعاتهم ونظافة اليد والقلب واللسان وجدوا هذه المجتمعات فى قلب بلادهم حيث دخل الاسلام سلما بعد أن أخرج من الاندلس ومن البلقان وها هو ذا يعود لينشر الضياء وليهز القلوب الغافية كل هذا هو الذى كشف للمثقفين هذا الضوء الجديد : وجاءت كتابات « جارودى » لتكشف عن فساد الحضارة وانحرافها . فأين البعد الالهى لها ؟ . انها تتصدع الآن وتنهار لغفاتها عن نقطة البدء وعن صانع الكون ، وعن خالق كل شىء . وجاء من يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم عن مائة من زعماء العالم ، وقال ذلك من قبل أمثال برناردشو وجوستاف لوبون وكارليل . ان الاسلام يغزو الغرب بدون غزاة : يقول الكاتب : ان هناك اتجاها متزايدا فى شعوب الدول الغربية لاعتناق الاسلام . اتخذ هذا الاتجاه شكل الظاهرة اللافتة للانظار فى الوقت الراهن حيث يلجأ أفواج متتالية الى المراكز الاسلامية فى مختلف الدول الغربية وتطلب اشهار اسلامها ، وتزايد هذه الظاهرة يوما بعد يوم . انهم يبحثون عن مخرج . ولما كانت وسائل الاعلام تعمد الى تشويه الاسلام وكذلك الكتب فقد نقل الله تبارك وتعالى المجتمعات الاسلامية الى قلب الغرب حيث يعيش اكثر من عشرة ملايين من المغاربة والأتراك حتى يرى الغربيون تلك الصورة على حقيقتها

لقد وجد فيها المثقفون الصورة الغائبة عن بصرهم وانظارهم ، وقد رأت السيدة صافيناز كاظم هذه الصورة فى بعض المؤتمرات الاسلامية . وجوه مسلمة محجبة المانية ونمساوية وانجليزية وسويسرية جاءت من قارتها البعيدة لتتزوج من مسلم تعارفا بالمراسلة تقول : (والحظ عندهن شدة الالتزام بالقواعد الاسلامية فى المأكل الحلال ، والملبس المحتشم ، مع الوعى العميق بالعقيدة فكرا وسلوكا وموقفا) وتقول واحدة منهن فى حوار معها .

— هذا الزى الاسلامى . الا يزعجك فى الحر ؟

— لا يزعجنى . ولكنى أسألك : وماذا لو أزعجنى ؟..

— الم تشعرى أنه بامكانك أن تكونى مسلمة دون ارتداء الزى الاسلامى ؟

— ليس بامكانى عدم ارتدائه . لان الامر بارتدائه واضح فى نص القرآن الكريم .

وواضح فى حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا معنى عندى أن أقول : اعتنقت الاسلام ثم ارتدى ثوبا مخالفا لاوامر الاسلام . اننى عرفت الواجب فى زى المسلمة قبل اعتناق الاسلام وقبلت الاسلام بكل شروطه

هذه هى الصورة الجديدة التى تعطى اصدق اجابة عن حقيقة الصحوة الاسلامية .

الحضارة الغربية أفلست ولم تعد مفاهيمها تقنع القلوب الظامئة الى أشواق الروح فى هذا المحيط المادى الذى علت فيه صيحات الجنس والتمزق النفسى .

فاذا ذهبنا نسأل : هل هذه الصحوة حقيقية ؟ هل هى صادقة ؟ ونقول بملء الفم : نعم . أنها نتاج العمل الكبير الذى قامت به حركة اليقظة الاسلامية منذ

سقوط الخلافة الاسلامية الى اليوم من اجل العودة الى منهج الله بعد أن غلبت على المسلمين القوانين الوضعية والنظام الاقتصادى الربوى ، والمنهج التعليمى العلمانى المفرغ من الاسلام ..

* * *

● وهناك ارهاصات كثيرة للصحوة الاسلامية :

أولا : قــرب انهيار الحضارة الغربية وهزيمــة فلسفتها ــ المــادية ، وعجزها بأيدلوجيتها الليبرالية والماركسية عن العطــاء وعــدم قدرتها بالرغــم من التوسع العلمى التكنولوجى البارع على اعطاء البشرية منهجا يحقق أشواقها الروحية ، وينظم حياتها المادية .

ثانيا : تكشف فساد عديد من النظريات الفلسفية الغربية كنظرية دارون وفرويد ، وسارتر ودوركايم ، وغيرهــــــا .

ثالثا : بدأ الاعتــراف بدور المسلمين فى بنــاء الحضارة والعلوم ، واعلان أن المنهج العلمى التجريبى من صنع المسلمين : وظهور رواد من الغرب يرون أن العالم يتطلع الى أفــق جديد من الفكر الربانى بعد أن فشــل الفكر البشرى . بحثــا عن سكينة النفس ، وطمأنينة القلب .

رابعا : الرجوع عن كثير من تقولات الاستشراق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام وعن اللغة العربية .

خامسا : الصيحة الرشيدة الى عودة المرأة الى البيت والقام الأم ثديها لطفلها فى الغرب ، وتبين فساد مؤامرة تحرير المرأة فى الشرق وأنه لم يحررها فى الشرق أو الغرب سوى الاسلام العظيم .

سادسا : ترشيد الادخــار على أساس المضاربة عن طريق المصارف الاسلامية الاصيلة .

سابعا : تصحيح موقف الفكر الاسلامى الربانى المصدر من الفكر الغربى الانشطارى الوثنى المادى .

ثامنا : تصحيح المواقف التاريخية بالنسبة للدولة والسلطان عبد الحميد وبدء النهضة الغربية بدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب وليس بالحملة الفرنسية .

واذا كانت الصحوة الاسلامية تواجه تحــديات كثيرة وتآمرا واضحا من الغرب والماركسية على السواء فانما يدعــونا ذلك الى ترشيد النهضة ، والتمــاس الأسلوب النبــوى الكريم القائم على الحكمة والموعظة الحسنة والاعتــدال ، وســد الثغرات ، والالتقاء على الأصول العامة ، وقطع الطريق على خصوم الاســلام بانجاز مشروعات تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتطبيق المنهج الجامــع بين التعليم والتربية الاسلامية ، المنهج الاقتصادى الاسلامى وتحرير الاعــلام من الانحراف حماية للمجتمع الاسلامى ، وحفاظ المراة المســلمة على حدود الله ، وحماية مسئوليتها الكبرى . أما وزوجــة ، وبانية للأسرة وللأجيال الجديدة ، والايمان بالاســلام منهج حياة ، ونظــام مجتمع ومسئولية فردية والتزاما اخــلاقيا وايمانا بالبعث والجــزاء . وقــد أقام الاسلام منهجا جامعا بين الثوابت والمتغــيرات : والثوابت هى الحدود التى يلتزم بها المسلم ولا يتجاوزها ، والمتغيرات هى التى تصدر عن حركة المجتمعات .

وقــد أعطانا الله تبارك وتعالى : منهجا ربانيا وتاريخا حافلا ، ولغة عربية خالدة هى لغــة القرآن وتراثا من عمــل الفقهاء والمفكرين يضىء الطــريق . كل هذا نحن مدعوون الى الاحتفاظ به وحمايته والدفاع عنــه .

(وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

وبالجملة .. فان رسالة الاسلام مدعوة اليــوم لتنقذ العالم كرة أخرى بعد أن سقط فى براثن الوثنية المادية والانهيار الخلقى .

* * *

ألا فلتملأ روح الثقة نفوس المسلمين لعدالة قضيتهم وإيمانهم بالمنهج الربانى الأصيل

وسوف تمضى حتماً سحابة اليأس والتشكيك من سماء الإسلام

نحن نؤمن بأن الحضارة الغربية تمر بالمراحل الأخيرة من تطورها وهى مرحلة الانحلال والانحراف ونحن نؤمن بأن هذه الحضارة الصناعية بنظاميها : الليبرالى والماركسى قد وصل كل منهما الى طريق مسدود ونحن نؤمن بأن عقلاء الغرب ينادون الآن بنظام يشتمل منهجه على البعد الربانى الذى جاء به الاسلام ونحن نؤمن بأنهم يقدمون لنا الآن اسلاما زائفا محصورا فى مفهوم العقيدة والمسجد لا نظام مجتمع ومنهج حياة ونحن نؤمن بأنهم حاولوا صهر المسلمين فى بوتقة الاممية الغربية والحضارة المنهارة والانتقاص من الاسلام ونظامه وتاريخه وتراثه ولغته وقرآنه ونحن نؤمن بأنهم حاولوا أن يفصلوا بين الدين والدولة وبين الأدب العربى والفكر الاسلامى وأن تكون الغلبة القانون الوضعى على التشريع السماوى ونحن نؤمن بوعد الله تبارك وتعالى بحفظ دعاته وحماية جنده وسيادة دستوره وشرائعه ونصرة دينه وبأن يظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

***

كان السؤال عن تلك المحاولات التى يثيرها بعض الكتاب من الأسماء اللامعة فى الصحف من أجل تشويه مفاهيم الاسلام من ناحية ،و ادخال روح اليأس على نفوس المطلعين الى الفجر الجديد الذى أشرق بالصحوة الاسلامية بهدف اجهاضها أو تفريغها من الداخل من ناحية أخرى . وذلك بصرف النفوس عنها عن طريق التشكيك فى معطيات الاسلام ، أو ادخال مفاهيم منحرفة مغايرة لمفهوم الاسلام الاصيل سواء فى قضايا الشريعة أو المرأة ، أو الاجتماع .

والواقع أننا نحن المسلمين نعتقد بحق وبصدق أن الاسلام سوف ينتصر فى النهاية على محاولات تعويقه أو تأخيره أو تحريفه ، ايمانا صادقا عميقا بوعد الله تبارك وتعالى بأن يظهره على الدين ، وبأن تقوم له قائمة حقيقية فينشر العدل والرحمة . ونحن نؤمن بأن الحضارة العالمية اليوم تمر بالمراحل الاخيرة من تطورها وهى مرحلة الانحلال ، وأن نظامها الليبرالى والماركسى قد وصل كل منهما الى طريق مسدودة ، وان العقلاء فى الغرب ينادون بالمطالبة بنظام عالمى جديد ، وأن كثيرا من مفكرى العرب الكبار يقترح على الغرب اليوم تعديل مسار الحضارة بمعنى أن تعدل الحضارة الغربية طريقها المندفعة فيه اليوم ، وأن تدخل على منهاجها « البعد البانى » الذى ينقصها والذى يقدمه الاسلام .

ولا ريب أن صحوة الاسلام القائمة الآن هى نتيجة طبيعية لليقظة الاسلامية التى بدأت منذ اكثر من قرنين من الزمان ، والتى عاكستها حركة الغزو العسكرى الغربى الذى سيطر على معظم أجزاء العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر ، وحاولت أن تنال منها وقد جاهد المجاهدون لمقاومة هذا الغزو ، واستطاعوا أن يتحرروا منه . ولكن البلاد الاسلامية وقعت بعد ذلك فى الغزو الثقافى الذى أراد أن يسيطر فكريا وثقافيا بتغيير القيم والعقائد ، ثم كانت الغزوة الصهيونية على فلسطين والتى كانت ممتدة ومؤثرة ، ومن ورائها الماسونية وبروتوكولات صهيون ..

ولا ريب أن قوى النفوذ الأجنبى تعمل من وراء المناهج والجامعات ، والثقافات والصحافة من أجل

حصر حركة اليقظة فى حيز ضيق ، وتحويل مسارها ، والعمل على تقديم أسلوب زائف للاسلام يخرجه عن حقيقته ، ويحصره فى مفهوم العقيدة والمسجد ، ويباعد بينه وبين أن يكون منهج حياة ونظام مجتمع .

ومن هنا بدأت حـركة التغريب التى ترمى الى فرض العلمانية على المجتمعات الاسلاميـة ، وفرض المناهج المعربة على التعليم . وفرض النموذج الغربى على المجتمعات .. ومن ذلك الدعـوة الى العامية ، وانتقاص الفصحى ، والحملة على الاسلام بدعوى الجمود والتراث والتزمت والسلفية . ومن هنـا تجـرى المحاولات الى دعاوى تطوير الاسلام وتفسير الشريعة الاسلامية تفسيرا زائفا ، والتشكيك فى السنة النبوية وادخال المفاهيم الاجتماعية الفردية التى تختلف عن مفاهيمنا وقيمنا عن طريق المسرح والمسلسلات .

ولقد حاولت حركة التغريب أن تفرض مفهـوم القومية العربية على العلاقة بين العروبة والاسلام : كما حاولت أن تفصل بين الدين والدولة ، وأن تفصل بين الأدب العربى والفكر الاسلامى ، وأن تعلى مفاهيم الاقتصاد الربوى ، والتجربة الغربية والقانون الوضعى كل هذا فى سبيل صهر المسلمين فى بوتقة الاممية الغربية والحضارة المنهارة ، وخلق روح الكراهية للاسلام ، ونظامه ولغته ، وقرآنه وتاريخه .

ونحن لا ندهش لهذا ، ولا نعتبره شيئا غريبا .. وانما هى محاولات ترمى الى تأخير النهضة ، وعدم امتلاك الارادة ، والابقاء على السيطرة الاجنبية على بلادنا .

ولكن المسمين حين ينظرون الى مدى التطور الذى حققته حركة اليقظة منذ فجرها الى الآن يجدون أنها قطعت مراحل واسـعة وانتقلت خطوات عريضـة . فقد تصحح مفهوم الاسلام ولم يعد هناك مسلم واحد لا يقر بأن الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع : ثم بدأ هذا التقارب بين الهيئات العاملة فى الميدان الاسـلامى ، واقتربت المفاهيم ، وسدت الفجـوات بين الدعاة الى الأخلاق وتزكية النفس الروحية وبين الدعاة الى التوحيد « أهل السنة » واصبحت تتجمع القوى كلها حول مفهوم الايمان بالعودة الى الاسلام كاملا .

وقد قطعت بلاد الاسلام مراحل واسعة فى سبيل تقنين الشريعة ، واعداد الموسوعات الخاصة بمصطلحات الفقه الاسلامى فى مصر ، والأردن ، والامارات ، وطبقت الشريعة الاسلامية فعلا فى السودان ، والباكستان .. وكانت المملكة العربية السعودية قد سبقت الى تطبيق الحدود الاسلامية منذ وقت بعيد .

كذلك فقد قطعت الدول الاسلامية مراحل واسعة فى التقارب والالتقاء تحت راية الوحدة الاسلامية ، ونشأت منظمات متعددة للاقتصاد والاعلام والتضامن على هذا الطريق .

كل هـذا يملأ النفس المسلمة ايمانا وثقـة بأن المسلمين على الطريق نحـو تحقيق مجتمعهم الربانى الاصيل الذى هو مقدمة لوحدتهم الجامعة بعد أن فشلت محاولات التمزيق والاقليمية ومفاهيم القوميات الواحدة

كذلك فقـد اتسع الوعى الثقافى والفكرى فى مواجهة حملات التشكيك ، وشـبهات الاستشراق : والتغريب والغزو الثقافى ، واصبحت كتـابات دعاة العلمـانية والتغريب تواجـه بالنقص العلمى . لمـا تتضمنه من شبهات وسموم .

ولقد جرت مراجعات واسعة للمناهج الفلسفية المبثوثة فى المناهج من امثال « نظرية دارون » و « نظرية فرويد » و « الماركسية » و « الوجودية » و « نظرية ديوى » وغيرها . وانحسرت موجـة الفكر المـاركسى التى استشرت فى السـتينات . ولا شـك أن هـذه الصحوة الاسلامية فى حاجة الى ترشيد ، ودعوة الى الله بالحسنى . بعيدا عن العنف والتطرف ، والتماس أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواجهـة الامـور . وقد آن للمسلمين أن يتحرروا من نفـوذ نظريات الغرب المادية والاباحية ، ومن أسلوب العيش الغربى الذى يختلف مع أسلوبهم القائم على أمور :

١ ــ على اخلاقية القيم ، و تغليب الأخلاقية على الجمالية فى الفن .

٢ ــ على المسئولية الفردية ، والايمان بأن سعى الانسان يكون فى سبيل البناء والتعمير ، وأن فى الآخرة حسابا وثوابا وعقابا .

٣ ــ الايمان بتكامل القيم ، نروحا ومادة ، دينا ومنهج حاية دنيا وآخرة : لا انفصال بينهما مع ارتباط المنهج بالتطبيق .

٤ ــ الايمان بأن للمسلمين منهجا فى النهضة ،

وفى الحكم على الأمور ، وفى السعى فى الحياة ، وفى التعامل مع الآخرين يختلف اختلافا عميقا عن منهج الغرب الانشطارى المادى .

٥ — ان للمسلمين تاريخا ضخما مليئا بالبطولة والمثابرةوالجهاد ، ومقاومة الغاصب ، وعدمالاستسلام أمام الغزو الخارجى بحال .

٦ — ان الاسلام هو الذى أعطى العالم كله فهم حركة التاريخ . وليس ماركس كما يحلو للبعض أن يقول ، وان الاسلام هو الذى أعطى البشرية « المنهج التجريبى » ومنهج المعرفة ذا الجناحين ، ومفهوم الثوابت والمتغيرات المختلف عن مفهوم النسبية والتطور المطلق يعرفه الغرب ، وأن العدالة الاجتماعيةالاسلامية مختلفة تماما عن «الاشتراكية» وان الشورى الاسلامية تختلف عن « الديمقراطية » وان الاسلام منهج ربانى أصيلمتميز لا يمكن أن يوقففى مقارنة مع الايديولوجيات البشرية التى تحتاج الى الاضافةو الحذف ، وأن يؤمن المشتغلون بالثقافة والفكر أنه لا يمكن قيام مشروع حضارى عربى الا على أساس الاسلام الذى صبغ الثقافات السابقة عليه : وليؤمن شبابنا المسلم بأن أضواء الصحوة الاسلامية سوف تعم البشرية كلها فتحررها من عبادة غير الله ، وان كلمة الحق سوف تصك أسماع العالم كله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

***

فلنحذر أن ننصهر فى بوتقة الأممية

يجب أن تكون الفوارق بين الاسلام والفكر الغربى واضحة فى عول المثقفين المسلمين حتى لاتخدعهم شعارات الادب العالمى ، الضارة الانسانية ، وحدة الأديان ، وحدة الثقافة ، الهومتزم (وحدة البشرية) عالمية الحضارة .

ان كل هذه المصطلحات انما ترمى الى صهر المسلمين فى الحضارة العالمية التى تمر الآن فى مرحلة السقوط والانهيار بعد أن فقدت اخلاقيتها وربانيتها .

كذلك فان علينا أن ننظر بحذر الى محاولة خلط الأوراق التى تجرى اليوم بأقلام كتاب لها دعوى عريقة بأنهم مسلمون ، وذلك فى ادعاء التقارب بينالديمقراطية الغربية والشورى الاسلامية ، أو بين العدل الاجتماعى وبين الاشتراكية ، او بين القومية والعروبة او القول بما يسمى عقلانية الاسلام ، فكل هذه محاولات يائسة للخلط بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى ولكل منهما وجهته ومقوماته وقيمه وعقائده وتقاليده التى تختلف فى الجذور والأساس اختلافا عميقا لا سبيل الى الالتقاء فيه .

ولقد تحدد منذ وقت بعيد الفارق العميق بين العلم والمعرفة من ناحية وبين الثقافة ، فالعلم عالمى والمعرفة عالمية اما الثقافة فهى خاصة بكل أمة لأنها تستمد وجودها من العقائد والقيم .

انهم حين يخلطون الاوراق ويحاولون اذابة الفوارق انما يرغبون فى القضاء على التميز الواضح الذى يفرق بين المسلم وغيره : فاذا ذهب هذا التميز ضاعت هوية المسلمين ضياعا كاملا ولم يعد لهم وجود خاص ، أو كيان متميز ومن ثم يفقدون مسئوليتهم ورسالتهم وامانتهم التى حماهم اليها القرآن الكريم وهى تبليغ الاسلام للعالمين بعد اقامة المجتمع الربانى والحضارة القائمة على منهج الله .

ان كل هذه الدعاوى تهدف الى ازالة الهوية من المسلمين وصهرهم فى بوتقة الأممية العالمية ، والقضاء على الذاتية الاسلامية القامة على اساسين هما الجهاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

***

ومن هنا تبدأ المحاولة بالدعوة الى فصل الدين عن الدولة ووحدة الاديان ، وان يحتفظ المسلمون بالقدرة على الردع واسترداد الارض المغتصبة .

ولما كانت هناك خطة مرسومة لاخراج المسلمين من الاسلام ولو فى خلال مائة عام فاننا يجب أن نكون على وعى بالمكر الذى ينطوى على المراحل والتدرج ، وعلى بث المفاهيم المسمومة التى قد تتشربها الاجيال القائمة اليوم ثم تصبح بعد ذلك مسلمات ومن هنا لا بد

من التوعية الى المفاهيم الاصلية الحقيقية المستمدة من القرآن والسنة والمتجهة دائما الى التماس المنابع (مع الوعى الكامل بفوارق العصور واختلافها) .

ومن هنا كان لا بد من التواصى بالحق ، وهو فى هذه المرحلة التصدى للكاذبين المدعين الذين يحاولون النيل من الاسلام والحط من قدره وتصويره على غير حقيقته والاعتماد على أمرين خطيرين : التأويل ودعوى الرخص فى أزمنة الضعف ، ولما كانت كل المطروحات والأيديولوجيات التى طرحت فى افق الاسلام قد سقطت تماما وأن ما يجرى الآن هو تقديم بدائل عن طريق دعاة كذبة يتسمون باسم الاسلام التقدمى واليسارى وغير ذلك من أسماء ، فانه لا بد من اليقظة ازاء ذلك والعمل المستمر الذى لا يتوقف للمراجعة والدحض وابراز مفهوم القرآن فى كل صغيرة وكبيرة ومقاومة مفاهيم الفلسفة المشوهة والتأويلات المضللة والجدليات المذهبية واحياء الفرق القديمة ، ومحاولة استغلال المذاهب الحديثة كاللسانيات الغربية التى يحاولون استعمالهافى تأويل القرآن أو اعلاءشأن العاميات لدحض الفصحى لغة القرآن أو قبول البدائل الفكرية ذات الولاءات الغربية فرنسية وانجليزية وأمريكية وروسية أو قبول الافساد الأخلاقى المنظم من خلال عروض مسرحية ومسلسلات ورقصات الشعوب والفلكلور أو اعادة كتابة تاريخ الصحافة على نحو ملىء بالتجريح وتصويرهم بصورة السياسيين المحترمين أو وصف الأمة الاسلامية بأنها كانت موئلا للصراع والفساد على النحو الذى يقدمه بعض الكتاب الماركسيين اليوم وتفتح له صدرها الصحف الكبرى ، وليعلم شبابنا المسلم المثقف ، أن دخول الصحوة الاسلامية فى مرحلة الترشيد من شأنه أن يغرى أعداء الامة الاسلامية بالامعان فى المتاعب وخلق أساليب جديدة للافساد .

فلنكن اكثر وعيا واصرارا على الثبات على موقفنا مما كنا فى المرحلة السابقة .

ومن المؤامرات التى تدبر اليوم دعوتهم الى بناء منهج فكرى ملفق ، تحت اسم الخلط بين تراث الاسلام وجديد الغرب وهو مطلب مرفوض تماما ، لانه منهج زائف لا يرمى الا الى سيطرة الفكرة الغربية وهزيمة الفكرة الاسلامية وهو تكرار لمحاولات الدعاة الخبثاء سلامة موسى وطه حسين وعلى عبد الرازق وهو ليس أصيلا ولا مستمدا من تراث هذه الأمة أو ميراثها .

ذلك لأن هذه الأمة قد أقامت من القرآن والسنة دليلها ومدخلها الى كل فكر سواء الموروث أو الوافد فما وافق القرآن والسنة كان مقبولا ومن عارضها كان مرفوضا .

ونحن نعرف أن الغرب المسيطر اليوم ليس له فكر مصلح للامة الاسلامية الا الفكر التجريبى الذى يأخذه المسلمون ليصهروه فى دائرة التوحيد واللغة العربية ، اما تلك المواريث الزائفة مما يطلق عليه (روائع الفكر الغربى) فنحن لسنا فى حاجة اليها لأنها تقوم على الشهوات والأباحيات والكشف ونحن لنا منهجنا الاجتماعى والأخلاقى القائم على العفاف والرحمة والأخاء ونبالى القصد .

اننا لن نخدع مرة أخرى بدعاوى ان الاقتباس من الغرب هو مصدر القوة لامتنا : فقد كذبت وقائع التاريخ هذه الدعوى وفشل المنهجين الغربى والماركسى فى العطاء للنفس المسلمة التى شكلها الاسلام ، بل ان علماء الغرب اليوم اعترفوا بعطاء الاسلام وبعجز الحضارة الغربية وقصورها لمعارضتها لمنهج الله أننا أمة شكلها القرآن وأنشأ لها مقاييس ومناهج تنظر من خلالها الى الفكر البشرى ، وتختلف اختلافا واضحا من الانشطارية الغربية والمادية والاباحية ، وهى مفاهيم مستقاة من الفطرة الأصيلة والقيم الربانية التى شكلت وجود الانسان نفسه . وقد علمنا الاسلام أن نستفيد من تجارب الآخرين دون ان تحتوينا مناهجهم أو ننصهر فى بوتقتهم .

ولقد كنا وسنكون وسنظل المعمين للانسانية ، وسوف تتكسر المناهج الوافدة على قاعدتنا الأساسية وقد تكشفت هزائم الفكر الغربى ، فى مجال القومية والعلمانية .

ومفاهيم فرويد وماركس وسارتر ودوركايم ومازال أصوات الكسس كاريل وشبنجلر وجارودى وموريس بوكاى تعلن فساد الحضارة الغربية وفشل المنهج الغربى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله) .

***

الباب الأول

التاريـــخ الإسلامـــى والتـــراث

أولا : مدخــل الى البحث

قبل أن نتحدث عن تأثير الاستشراق فى التاريخ الاسلامى علينا أن نتساءل أولا : لماذا حاول الاستشراق التأثير على صورة التاريخ الاسلامى الحقيقية وعمد الى تزييفها أو التشكيك فى حقائقها .

ذلك سؤال يعتبر بمثابة مدخل الى البحث كله .

فنحن نعرف أن التاريخ هو ذاكرة الأمة وهــو ميراثها القــوى البعيد المدى فى تكوين الأجيال ، وفى اشاعة روح الثقة وفى خلق القوة والايمــان واليقين بصلابة هذه الأمة وقدرتها على الاستمرار ، وهو القادر فى ابان المحن على كشف الغمة ، سواء بايجابياته التى تملأ القلوب بالضياء الباهر أو سلبياته التى تكشف عن تجديد الوسائل للوصول الى اسباب النصر الحقيقية ، ولمــا كان المسلمون يواجهون تحديا قائما مستمرا هو (الغزوة الخارجية) منذ أن قال رسولهم صلى الله عليه وسلم بأنهم فى رباط الى يوم القيامة ، ومن حيث انهم يمثلون القــارة الوسطى التى يمر بها العالم مشرقا ومغربا ، والتى تحتوى من الثمرات والثروات ماهــو مطمع لكل الامبراطوريات وأصحاب القوى العالمية ، لذلك فهــم معرضون للمواجهة مع القــوى الخارجية ومطالبون بالاعداد « واعدوا » وبالمرابطة فى الثغور يا أيها الذين آمنوا أصبروا « صابروا ورابطوا » وان لهم من عقيدتهم التى تحمل طابع المقاومة والموت دون الأرض والعرض ما يدفعهم الى بذل الروح فى سبيل الله خالصة ، لحماية الزمار وحفظ البيضة ، وشحن الثغور، فقد كان لهم من عقيدتهم دافعــا قويا على التضحية والفداء وكان لهم من تاريخهم العبرة الماثلة للدور الذى قــام به الأجداد فى المقاومة والبذل ومن هنا فان القوى الغازية الطامعة حين زحفت لاحتلال الوطن الاسلامى كانت تظن فى أول الأمر أن مسألة السيطرة على هذه الأمة واحتلال هذا الوطن مهمة يسيرة ، ولكن القوى التى استجاشت مستمدة من العقيدة الصلبة لتدفع عن نفســها والتضحية التى بذلت قد فاقت كل خيــال ، وكشفت للغزاة أن أمر الغــزو العسكرى للسيطرة أمر مقضى عليه بالفشل ، لأن التصميم الحقيقى لهــذه العقيدة يقيم فريضة الجهاد فى سبيل الله سدا منيعــا يحول دون اختراق القوى المعادية لقلب هذه الامة ومن ثم انكفئت هذه القوى تبحث وتفكر حتى وصلت الى هدفها بما أسموه (حرب الكلمة) قبل حرب السيف ، وهــذه عصارة التجربة التى وصلت اليهــا الحروب الصليبية بعد قرنين من الحرب وبعد هزيمة قديسهم لويس فى الحملة الصليبية السابعة ، ومن ثــم بدأت الحــرب موجهة الى ثلاث قواعد أساسية فى الفــكر الاسلامى هى العقيدة والتاريخ والتراث .

العقيدة من اجــل تزييف مفهوم الجهاد فى سبيل الله وتأويله على النحو الذى دعت اليه من بعد : فرق القاديانية والبهائية وغيرها .

والتاريخ من حيث تشويه صورة البطولة المعجزة التى عرفت عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتوح وفى حروب المقاومة ازاء التتــار والصليبية والاستعمار الحديث .

والتراث من حيث تزييف صورة الأعلام الذين جاهدوا فى سبيل حماية الفكرة وحماية الغــاية .

وهكذا جاءت فكرة التأثير على تاريخ الاسلام بما يحقق هذا الهدف المدبر الخفى المكتوم ، الرامى الى ان يبدو التاريخ مشبوها قميئا تقتحمه العيون ولا يملأ القلوب و يبهر النفوس ، بينما يزين تاريخ الأمــم الاخــرى ويجملّ وتقدم بطولاته الى شباب الاسلام فتبهر عيونهم وتحولهم عن امجــادهم وقيمهم ، وهــذا ما يفعــله الاستشراق اليوم على مستوى الثقافــة العامــة وعلى مستوى الدراسات الجامعية والصحافة .

ان هذه المحاولات التى تجرى من أجل اعادة كتابة تاريخ الاسلام بأقلام العلمانيين والتغريبيين وغلمان المستشرقين ، وهذه الحملة المثارة على البطولة الاسلامية ، وعلى تغذية عقول وقلوب شبابنا بتلك الصور الباهرة للمقاومة والثبات فى وجه العدو ، انما تهدف الى خلق روح الاستهانة والتحلل ، التى تفسح المجال فى المستقبل أمام تقبل القوى الغازية لتثبت أقدامها ولتحقق هدفها فى خلق روح من الانتقاص لتاريخ أمتنا أولا ثم قيمنا وعقيدتنا على الأثر ، واعلاء بطولات الامم التى ما قامت فى سبيل الله وانما فى سبيل المطامع والاهواء ، واعلائها على تاريخنا ومزاحمتها له ، وخلق ما يسمونه تخفيف روح العداء مع الغير تحت عنوان سماحة الاسلام ، فى نفس الوقت الذى يقدم تاريخنا مع الغير تحت عنوان سماحة الاسلام فى نفس الوقت الذى يقدم تاريخنا فيه لشباب الغرب مشوها زائفا مليئا بالحقد والتعصب ، حافلا بالسخرية بالاسلام فيه لشباب الغرب مشوها زائفا مليئا بالحقد والتعصب حافلا بالسخرية بالاسلام ونبيه وصحابته وتاريخه ولغته

وما تزال بين أيدينا تجربة « الحوار » بين الاسلام والمسيحية تكشف هذه المؤامرة اذن فمحاولة الاستشراق التأثير فى تاريخ الاسلام هى جزء من خطة هدم الاسلام نفسه فى قلوب أبنائه وعقولهم والحيلولة دون أداء التاريخ لرسالته الحقة فى بناء الثقة ببطولة الآباء الذين جاهدوا فى سبيل حماية العقيدة والزود عن أرض الاسلام على النحو الذى دعانا الاسلام اليه .

هذا هو المدخل الحقيقى الأول لهذا البحث ..

وهناك السؤال الثانى عن الاستشراق نفسه ومهمته :

ومهما تعددت الآراء حول هذا العمل وغايته فاننا نتصور أن الاستشراق مؤسسة « صناعة الافكار » وان التبشير بمؤسساته هو محلات بيع هذه الأفكار فالاستشراق هو المصنع والتبشير هو المتجر والعمل كله متصل وممتد الى غايته الأساسية وهى « تغريب الاسلام وأمة الاسلام » والغزو هو اداة هذا التغريب والتغريب يعنى اخراج الكيان الاسلامى كله من اسلاميته وعروبته وشرقيته .

٣ — وتكامله الجامع بين الروح والمادة .

ونظرا للحملات المتصلة التى كشفت هذا المخطط الذى يتستر بالعلم وباصطناع أسلوب الخداع الخفى فقد عدلت هذه المؤسسات من خطط عملها ، لا من أهدافا وغاياتها على حد التعبير المعروف ، تغيير فى التكتيك وليس فى الاستراتيجية ان الهدف الحقيقى هو اخضاع هذه الأمة فكريا لتقبل النفوذ الغربى ، الوسيلةهى تهديم القيم التى تحول دون ذلك، والقضاء على المعالم التى تميز الفكر الاسلامى بذاتيته الخاصة وطابعه المفرد الذى ينصهر ولا يحتوى ، والهدف هو تذويب الاسلام فى الأممية العالمية والحضارة الغربية حتى تنهار هذه الذاتية ويقضى على هذا التميز ، ويصبح المسلمون وقد ضاعت الغاية التى وجدوا من اجلها ، والرسالة التى حملوا أمانتها والأمانة التى قام عليها بتكليف الله تبارك وتعالى لهم وهى اقامة المجتمع الربانى فى أرض الله وتبليغ الاسلام للعالمين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وامضاء فريضة الله فى سبيل الله الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . كان لابد أن نقول كل له هدفه وغاياتهبالنسبة الىتفسير التاريخ الاسلامى الاسلام ولما كانت المطامع الخارجية متعددة فقد تأثر الاستشراق فهناك استشراق غربى وماركسى وصهيونى، كل له هدفه وغاياته بالنسبة الى تفسير التاريخ الاسلامى فهناك التفسير الذى يهدف الى تفريغ التاريخ الاسلامى من جانبه المعنوى الروحى تماما وذلك بتعليل الوقائع الحاسمة التى انتصر فيها المسلمون بالاعداد والعدد القليلة تفسيرا ماديا خالصا ، وهناك التصور الذى يرمى الى أن اندفاع المسلمين للفتح انما كان بدافع من هذا المطمع المادى وحده ، وكل هذه المحاولات انما تهدف الى تزييف حقائق التاريخ لأن تفسير تاريخ الاسلام لا يكون فى الحقيقة الا بالمنهج الاسلامى للتاريخ

ولم يتوقف تزييف التاريخ الاسلامى والتأثير عليه الى هذا وحده بل ذهب الى أبعد من ذلك .

أولا : الى احياء ركام الفكر المعتزلى والصوفى الفلسفى والفلسفى اليونانى والغنوصى واحياء الشخصيات الضالة المهزومة والباسها ثوب البطولة ، ومحاولة تصوير الانتفاضات التى قامت ضد دولة الاسلام على أنها حركات عدل وحرية .

ثانيا : ماقام به اتباع المستشرقين من التغريبيين من تزييف كتابة التاريخ الاسلامى والهجوم على الرسول وصحابته على النحو الذى قام به طه حسين والماركسيون وما يجرى اليوم على الساحة .

ولعل أخطر مافى ذلك كله ما طرحه النفوذ الغربى تحت ستار التبادل الثقافى من سموم عن طريق الصحافة

والتعليم وخاصة ما قدمه الغرب من موسوعات سيطرت على المجال العلمى الجامعى والعام سيطرة تكاد تكون كاملة اليوم وفى مقدمة ذلك قاموس المنجد والموسوعة الميسرة ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمان وديورانت وكلها اعمال كتبها مستشرقون متعصبون بأهداف واضحة ترمى الى وضع تصورات غربية ومسيحية وصهيونية أمام الشباب المسلم المثقف وكأنها حقائق أساسية أو مسلمات صحيحة .

ان اخطار المراجع الزائفة والمصادر المسمومة هو العمل الكبير الذى استطاع التغريب والغزو الثقافى عن طريق الاستشراق بثه على نحو ضخم وواسع وعميق وخطير فى أفق الفكر الاسلامى وخضع له المثقفون الذين لم يكن لهم رصيد اسلامى أصيل أو مراجع عصرية بالاضافة الى الابتعاث الى جامعات الغرب دون حصانة وحماية من مضمون اسلامى سليم ومن فهم عميق للتحديات والأخطار التى تواجه المجتمع الاسلامى ومن مؤامرة حرب الكلمة .

***

ولذلك فان هناك محاذير كبيرة تواجه الشباب تمثلت سموم الاستشراق فى التاريخ الاسلامى فى عدة مجالات :

أولا : النظريات التى طرحت فى أفق الفكر الاسلامى لتفسير التاريخ الاسلامى .

ثانيا : ابتعاث الكتب القديمة وطرحها كمراجع تاريخية من امثال الأغانى ورسائل اخوان الصفا وعدد من الكتب منها كتاب الامامة والسياسة والف ليلة وليلة

ثالثا : ترجمة عدد من الكتب الغربية المشبوهة بالاضافة الى هذه الموسوعات مثل يقظة العرب ، (جورج انطونيوس) وقصة الحضارة (ديورانت) والحركات الفكرية فى الاسلام (بندلى جوزى) .

رابعا: احياء عدد من الشخصيات القديمة واعطائها طابع البروز والبطولة امثال ابن عربى والحلاج والسهروردى وابن الراوندى وأبو نواس وبشار ويوحنا الدمشقى ونصير الدين الطوسى .

خامسا : غمط عدد من أعلام النقد الاسلامى والخلافة والبطولة ومن ذلك ما يوجه الى الغزالى والمتنبى والسلطان عبد الحميد وعمر الخيام .

سادسا : تشويه عدد من الوقائع التاريخية ووصفها بالازدراء مثل اطلاق اسم عصر الانحطاط على عصر الموسوعات ، وفتنة ١٨٦٠ فى لبنان ، ووصف التوغل الاستعمارى باسم الكشف الجغرافى واتهام العرب بتحريق مكتبة الاسكندرية ومحاولة القول بأن الحملة الفرنسية أيقظت البلاد العربية مع أن العرب كانوا قد استيقظوا قبل ذلك بأكثر من خمسين عاما بعامل من عقيدتهم وليس من الخارج وهو دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : دعوة التوحيد .

القضية الأساسية

تمثلت سموم الاستشراق فى التاريخ الاسلامى فى عدة مواقع :

أولا : فى الاسلام كعقيدة ونظام ومنهج حياة :

كان موقف الاستشراق من الاسلام موقفا متحيزا ، فقد استمد مادته من أمرين : احدهما الفهم الدينى الغربى المختلف تماما مع مفهوم الاسلام وثانيهما الغرض والهوى فاذا سلمنا جدلا بأن ذلك غير موجود عند بعض المستشرقين كان القصور عن فهم البلاغة العربية واسرار القرآن والسنة عاملا حاجزا دون الفهم الصحيح والحكم السقيم . ومن هنا كان الفهم الغربى للاسلام محدودا قاصرا ومغلوطا فى نفس الوقت لانه مأخوذ من التفسيرات التى قام بها الأحبار والرهبان لدين الله وهى تفسيرات تحول دون فهم الاسلام دينا خاتما للاديان السماوية أو مصدقا لما بين يديه من التوراة والانجيل ، ذلك لأن هذه التفسيرات فصلت نفسها عن الحلقات المتتالية للدين الالهى المتصلة الى الدين الخاتم ، بينما جاء الاسلام فى كتب الأديان السابقة مرحلة تالية لها وجاءت رسلها مبشرين به وبنبيه ، ونظرا التفسيرات التى كتبها رؤساء الاديان والتى حولت كل دين الى عصبية قومية وحجبته عن الاعتراف بالدين التالى له وقبوله واعتناقه ، فقد نظر الغربيون الى الاسلام على أنه شىء معارض لما يعتقدون ، وما هو بمعارض فى الحقيقة ، كما

نظروا الى أن بعض ما فيه مأخوذ من كتبهم وماهو كذلك وانما التفسير الصحيح هو أن الاديان كلها من عند الله ، وهى متكاملة كالمراحل يسلم بعضها الى بعض حتى تصل البشرية الى مرحلة الرشد الفكرى الذى يمكنها من تقبل دين عام عالمى انسانى للبشرية كلها فيكون الاسلام ختامها ورسوله خاتم النبيين وكتابه خاتم الكتب والمهيمن عليها فالأصول العامة لدين الله تبارك وتعالى فى العقيدة واحدة ، ولذلك فلا عجب أن تلتقى فيه الاديان كلها وأن اختلفت فى الشرائع والنظم ومن هنا يثير المستشرقون الشبهات : شبهات مصدرها هذا الالتقاء فى الاصول وأن تبين أن وجه المقارنة مفقود من حيث أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من الكتب المنزلة الذى نجا من التحريف

ثانيا : يذهب المستشرقون الى فهم الاسلام فهما ماديا خالصا ، فهم ينكرون الوحى وينكرون الدعوة وينكرون المصدر الربانى للقرآن وهم فى ذلك يصدرون عن مفهومهم المحدود للاديان الأخرى حيث يوصف الانجيل بأنه من كلام الرسل وحيث تختلط المفاهيم لديهم فى العلاقة بين الألوهية والنبوة ، ويحاول المستشرقون صدورا من عقائدهم ومن خصومتهم للاسلام تعليل معجزة الاسلام الكاسحة فى الانتشار السريع فى العالم وفى الجزيرة العربية بتعليل يخالف الحقيقة ، ويقلل من حقيقة ذلك الاثر الذى أحدثه دين الله الحق فى البشرية : وخاصة فى الشعوب المغلوبة التى حررها الاسلام من ظلم الرومان فيصورون ذلك بأن العرب كانت ناهضة ، ولها حضارة وأنها كانت مستعدة للنهوض فلما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم قادها الى النهوض فنهضت ، وهذا التعليل لا يصور الحقيقة أساسا فضلا عن أنه يقلل من اهمية الرسالة الاسلامية التى أخرجت الناس من الظلمات الى النور ، وبين أيدينا تاريخ الدعوة الاسلامية وكيف قاومها العرب ثلاثة عشر عاما كاملة حتى اضطر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البحث عن بيئة أخرى تكون أكثر تلبية لدعوة الله وقد وجد ذلك فى يثرب بعد أن عانده أهل مكة عنادا شديدا وعارضوا صورة من صور الاستعداد للنهوض ، والحقيقة أن الاسلام هو الذى أعانهم على النهوض فقد كانوا يعبدون الأصنام ويأكلون الميتة ويئدون البنات ويشربون الخمر ويزنون فلم يكونوا على اى وجه على صورة من صور الاستعداد للنهوض ، ولكن الاسلام هو الذى نقلهم هذه النقلة السريعة الخطيرة الى الايمان بالله ورباهم على التضحية والبذل حتى اذا ما انطلقوا فتحت امامهم أبواب الممالك وتقبلهم أهلها رضاء بهم وثقة فى عدلهم ورحمتهم ، كذلك فقد أولى الاستشراق اهتماما كبيرا للجاهلية وحياة البداوة قبل الاسلام ، واهتم بالوثنية العربية ، وحاول أن يتخذ منها منافذ للدس فى مختلف المجالات وخاصة فى مجال الشريعة ، فحاول أن يصور الجاهلية بأنها عصر البطولة ، كما عبر عن ذلك هاملتون جب مستهدفا اظهار بعض جوانب القوة والغنى فى حياة الجاهلية ، ولا عجب أن تكون فى الحياة الجاهلية جوانب قوة هى بقية مما تركته الحنيفية السمحة من آثار خلقية واجتماعية : دين ابراهيم واسماعيل الذى ظلت بقاياه قائمة فى نفوس كثير من العرب حتى جاءت الرسالة الخاتمة . ولقد حاول الاستشراق اعلاء الجاهلية واعتبار الاسلام اقتباسا منها وخاصة ما حاولوا التشكيك فيه مما يتصل بآثار صلة المسلمين باليهود فى المدينة : كما أولى الاستشراق اهتماما كبيرا بالأديان السابقة للاسلام وبالغساسنة والمناذرة بالذات عن طريق الادعاء بأن المسلمين عرفوا عن طريقهم شيئا من الكتب القديمة .

ثالثا : من أخطاء الاستشراق ما يذهب اليه هاملتون جب فى كتابه : (بنية الفكر الدينى فى الاسلام حين يقول أن الاسلام جاء ليضفى الصفة الدينية على تلك الاحيائية العربية القديمة التى نسجتها الأعراف والبيئة ، ويقصد بالاحيائية القديمة تلك العقائد الروحية الخرافية كالسحر والتنجيم والكهانة ، ولا ريب أن المستشرق جب قد اتخذ نفس طريقة الاستشراق التقليدية فى أن يقدم فرضيات مسبقة ثم يحاول البحث عن نصوص وقرائن لكى يضعها موضع القبول لا يبالى فى ذلك تزييف الادلة أو نقضها أو نقل شطر منها وترك شطر آخر كما فعل فيما نقل فى تأييد رأيه هذا من كتاب (حجة الله البالغة) لشاه ولى الله الدهلوى بينما لم تبعد السطور بعد ذلك عن نفى ما ذهب اليه وقد ذهب جب الى هذه الاراء من خلال افتراضه أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن نبيا وأن ما كان لدى العرب من بقايا عصر ابراهيم عليه السلام انما هو من مخترعاتهم وتقاليدهم التى ابتدعوها من عند انفسهم وقال أن تقديس الكعبة ليس أثرا من آثار دعوة ابراهيم وانما هو شىء نسجته البيئة العربية فكان تقليدا وفرض أن الجان ليست الا آخلوقات وهمية وان ما جاء عنها فى القرآن والأخبار مجرد وهم ، وتعمد تحريف الكلم عن مواضعه فنقل عبارة مغمورة من كلام طويل ، وتبدو غلبة الهوى على الاستشراق فى معارضته الحقائق الكبرى البارزة وحيث ينتصر المسلمون فى جميع معاركهم واعدادهم وعددهم أقل من عددهم بمراحل كثيرة يجىء مثل الجنرال جلوب فى كتابه (الفتوحات العربية الكبرى) ليثير شبهة تخلف المسلمين من ناحية الفن العسكرى بينما عن المسلمون بالاقتدار فى مجال العسكرية

واساليب الحرب وقد اعترف لهم المنصفون بالتبريز فى الفن العسكرى المتطور والقيادات الاستراتيجية والتكتيكية على أعلى مستوى ، بل لقد انفردت الحروب التى خاضها المسلمون والعرب أيام الفتوحات الأولى بمزايا سبقت أوانها بعصور (راجع علم الحرب لمنير شفيق وكتابات اللواء محمود شيت خطاب واللواء محفوظ) فقد قفز المسلمون فى العصر الأول بفن الحرب قفزة علت على اية قمة سبقتها وقد بقيت أرقى من أى قمة بعدها حتى جاء نابليون ، ولم يكن الجهاد الاسلامى ممثلا فى جانب الفن العسكرى وحده وانما كان الى جانب ذلك الايمان والحماسة التى تقوم على الرغبة فى الاستشهاد .

رابعا : ويحاول بعض المستشرقين أن يثير شبهة الترابط بين الدنيا والآخرة فى الاسلام بأنه انصراف عن الدنيا فيقول فون جرونبارم : أن الاسلام يدعو المسلمين الى الانصراف عن الدنيا ومظاهرها ويدعوهم الى تركيز الحياة يكون كل ما فيها عرض زائل بما فيه من العلم والأدب والسياسة والاقتصاد ، أما الجوهر فهو عبادة الله من صوم وصلاة ويرد هذا الدكتور ابراهيم احمد زرقانه فيقول : ان هذا التفسير لتخلف المسلمين لا يتفق مع روح الاسلام : فالاسلام لايغلب العبادة على العمل ولا يغلب العمل على العبادة، والمسلمين كانوا قادة العلم وكان وراء النهضة الاوربية الحديثة من زودوها بالزاد العلمى الذى لولاه لما قامت هذه النهضة ، ثم كان رد الجميل أن استعمرت أوربا العالم الاسلامى وعملت على تخلفه ومنعه بالقوة العسكرية من ان يساير الركب العلمى والاقتصادى ، فالتخلف فرض على المسلمين من اعدائهم وليس من دينهم ، ولعل المسلمين فى المستقبل القريب يقدمون الدليل على أن التخلف ليس من صفات دينهم ، بل ان دينهم هو دائما سبب كل تقدم ، ذلك ان الاسلام يدعو الى الربط بين التمسك بالدين وبين القوة الدنيوية برباط وثيق ويعتبر التمسك بالدين دعامة التقدم فى العلم والعمل والاقتصاد والسياسة واذا كان هناك انحراف فى التطبيق ، فليس معنى ذلك أن العيب كامن فى المسلمين أو أن التخلف أصبح نمطا حضاريا ثابتا عند المسلمين كما أراد جرونبارم ان يقول ، بل ان تخلف المسلمين هو عرض تاريخى لا يلبث ان يزول بزوال اسبابه ، واكبر دليل على ذلك أن المسلمين شاعرون بتخلفهم ولو كان التخلف نمطا من انماط حضارتهم لما شعروا به ، والمسلمون فى مختلف انحاء العالم يتكلمون عن التخلف ويكادون يقفون على سببه الرئيسى بانصرافهم عن الاسلام وهو الانصراف الذى اغراهم به الاستعمار الغربى ومدى استعداد المسلمين للنقل من الحضارات الغربية وقد حرص كتاب الغرب على دفع المسلمين الى النقل من الحضارات الاخرى وتباكيهم على أن المسلمين لا ينقلون قبل أن يستوثقوا من أن ما ينقلوه لا يتعارض مع أصول دينهم .

خامسا : تحت جناح الهوى ومن وراء مشاعر التعصب عالج المستشرقون مستقبل الاسلام وحاول الكثير منهم القول بأن الاسلام لا مستقبل له . اعلن ذلك مرجليوث منذ عام ١٩٠٤ ولامنس منذ عام ١٩٣٠ وكذبتهما الاحداث وتدفق الاسلام فى قوة فاتسع نطاقه فى افريقيا وجنوب شرق آسيا : وظهرت دول اسلامية جديدة فى باكستان وافريقيا وغيرها ، وعاش الاسلام بعد أن ذهبت الخلافة وكانوا يتنبئون انه سيسقط مع سقوط الدولة العثمانية وكانوا يدعون أن الاسلام لا يبقى واذا ترك لنفسه واذا ما احتك بالتمدن فانه يموت لامحالة، واتصل الاسلام بالحضارة الحديثة طويلا وتحداها وكشف عن زيفها وتحرر من كثير من محاولات احتوائها له وسيطرتها عليه وتجددت الفكرة الاسلامية مستمدة قوتها من منابعها الاولى ، وقالوا ان التبشير المسيحى الغربى سوف يقضى على الاسلام وقد عجز التبشير بكل قوته وماله وموارده أن يخرج مسلما واحدا من دينه الا من كان بطبيعته غير صادق الايمان بالله ، ودخل المسلمون افواجا فى دين الله فى بلاد لم يكن لدولة الاسلام فيها نفوذ وفى نفس المناطق التى ينفق فيها التبشير المسيحى الملايين ويبنى المؤسسات وليس للمسلمين فيها نفوذ ، ولكن الاسلام كان دائما هو القادر على كسب النفوس بالفطرة والبساطة وبالرغم مما ذهب اليه المستشرق جب من أن (التغريب) غالب على الكيان الاسلامى فان آثار هذا الاستغراب قد اخذت تتناقص ، وقد تنبه المسلمون الى منابعهم الأولى والى شريعتهم يطالبون بتطبيقها وان الاسلام يتصاعد الآن بحيث يكشف عن جوهره فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية بعد ان انكشفت المناهج الغربية عن فساد كبير وتخلف كبير وعندما كان مرجليوث يتحدث عن الاسلام كان يرد قول برايس السياسى المؤرخ من أن الاسلام لم يبق من عمره الا قرنان وان عدد أهله لا يزيدون عن مائتى مليون نفس ، وقد تضاعف عدد المسلمين حتى بلغ الف مليون فى أصدق التقديرات ، وقد اتسع مجال الاسلام خلال هذه الفترة بالحسنى والاقناع والقدوة ومن تحت حراب الاستعمار ومن خلف مدافعه فعاد كرة أخرى الى أوربا واقتحم أمريكا واستراليا ولم يبق مكان فى القارات الخمس لم يرتفع فيه منارة ويهتف باسم الله أكبر .

يقول مرجليوت المستشرق اليهودى : لايخلو قول القائلين بسرعة ذهاب الاسلام من وجه يستدعى النظر » وجهلوا انه هو الحق الباقى على وجه الأرض وأن البشرية تتقدم الآن يوما بعد يوم على طريق معرفة الله تبارك وتعالى وتتحطم كل الأساطير والأوهام والتفسيرات الباطلة . وقد تحرر عالم الاسلام من النفوذ العسكرى والسياسى وبقى يقاوم نفوذ الغرب الاقتصادى والثقافى .

وحين يرى (لامنس) ان الخلافة الاسلامية وسقوطها سيكون بعيد الاثر على مستقبل الاسلام تكشف الاحداث عن زيف هذا التوقع وان المسلمين قد أقاموا بعد سقوط الخلافة قوائم وحدة ولقاءات تجمع ومؤتمرات تضامن كما تساقطت كل الدعوات الاقليمية والقومية والتفرقة العنصرية وتكشف فساد وجهتها وقد وجد المسلمون حلولا صحيحة لمعضلات الخلاف بين العروبة والاسلام وبين الفرعونية والعروبة وبين الفينيقية والاسلام قد كشفت التقديرات عن زيادة عدد المسلمين فى السنوات الأخيرة زيادة كبرى على نحو يجعل لهذا التفوق البشرى آثارا بعيدة المدى فى بناء قوتهم ونمو مستقبلهم ، كذلك فقد عاد التعليم القرآنى يتوسع من جديد بعد أن توقف تحت تأثير المناهج الدراسية الغربية والعلمانية وقد تأكدت للمسلمين حقيقة لا سبيل الى تجاوزها وهى أن التقدم فى عالم الاسلام لن يكون الا فى اطار الشريعة الاسلامية وفى محيط مفهومها الجامع بين العلم والدين والروح والمادة والدنيا والآخرة .

* * *

ثانيا : فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم :

لما كانت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هى محور المخطط المسموم الذى حمل لواءه الاستشراق فى مراحله المختلفة سواء فى مرحلة التعبير الجارح أو فى مرحلة المداراة الكاذبة ، فقد ظل الأوربيون منذ العصور الوسطى وحتى القرن السابع عشر يتناقلون اسخف الأساطير عن الاسلام ويوجهون الى مؤسسه أبشع المسبات والشتائم : ثم ما لبث الاستشراق ان اعلن تظاهره بالتحرر من التعصب الدينى وادعى انه يريد معرفة سيرة النبى كما يرويها المسلمون ، وفى هذه المرحلة اخذ بعض الكتاب الغربيين منذ القرن الثامن عشر يتحاشون التهجم على شخص الرسول ويحاولون التزام العدل والانصاف فى الحكم عليه ، ولكن بشهادة المنصفين لم ينفذوا هذا الالتزام ويقول الأستاذ كامل عياد انه لابد من الاعتراف بأن أكثر المستشرقين ظلوا دوما يقصدون تشويه الدقيقة وطمسها ، ونجد من يعرض حياة الرسول من وجهة النظر المسيحية (غليوم بوستل) ومنهم من يستقى معلوماته من المصادر الكنائسية (ميشيل بوديه) ومنهم من يقصد الى التبشير بالمسيحية من خلال عرض سيرة الرسول (هوينجر) ومنهم من اختار ما يعتقد أن فيه مجالا للطعن ثم أضاف اليه الأساطير السخيفة والمزاعم الوقحة ، وفى الاستشهاد بالآيات وجه اهتمامه الى الآيات التى فيها ذكر للمسيحية فادعى مخالفتها لما ورد فى الكتاب المقدس .

(٢) وقد ركز المستشرقون على جملة مواقف فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم منها التقائه بالراهب بحيرا وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وقد زعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم التقى ببحيرا الراهب وتلقى منه التعاليم الدينية مدة من الزمن ، والمعروف أن لقاء النبى صلى الله عليه وسلم بالراهب بحيرا كان فى سن التاسعة أو الثانية عشرة ، وهذه سن لا تسمح بتلقين أو تعليم ، فضلا عن انها لا تمكن من استيعاب المسائل الدينية بحيث يمكن أن يلقيها الرسول من بعد على الناس ، وعمه الذى صحبه فى هذه الرحلة لم يكن يفارقه البتة فكيف تسنى لبحيرا أن ينفرد بالطفل ليعلمه ؟ وبالرغم من ان هذه الحادثة لا أهمية لها فان المستشرقين يركزون عليها ويجمعون على معرفته بورقة بن نوفل ويصورون ورقة كداعية الى النصرانية مع أن ورقة كان موحدا وهو الذى تنبأ للرسول بأنه النبى المنتظر الذى بشر به المسيح عيسى بن مريم ، ولو كان محمد قد اخذ من ورقة لروج ذلك أعداؤه من المشركين ولسار خبره فى الناس جميعا ، أما قس بن ساعده فقد كان موحدا ومؤمنا بالبعث .

(٣) يتعرض المستشرقون لتعدد زوجات الرسول كى ينفذوا الى الطعن فى شخصية الرسول والتشكيك فى رسالته الخالدة وتصويره بصورة الميل الى اشباع الجنس مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعدد زوجاته الا بعد الاربعين لغايات تتعلق بالدعوة : اما فى الفترة الأولى من عمره فانه صلى الله عليه وسلم قد اقتصر على زواج واحد هو زواجه من السيدة خديجة رضى الله عنها .

(٤) ويتعرض المستشرقون للوحى ويصورونه بصورة الأمراض النفسية والعقلية وهم فى ذلك عاجزون عن تصور هذه العلاقة التى تقوم بين النبى المبشر المرسل وبين سيدنا جبريل الملك الذى يحمل الوحى من الله تبارك

وتعالى الى قلب النبى ، فعجزوا عن فهم هذه الاحاديث التى تكلم فيها النبى عن حالة الوحى وما يكون له من أثر عليه وصوروها على ذلك النحو الباطل .

(٥) يحاول بعض المستشرقين الادعاء بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قادرا على معرفة حاجة عصره وتحديات بيئته وانه صورها على صورة منهج اصلاحى ، فهو عندهم مصلح أو داعية الى الحرية أو العدل الاجتماعى أو غير ذلك مما يوصف به الزعماء والمصلحون ويقوم هذا التصور على عجز عن فهم حقيقة الوحى ورسالة السماء أو انكار له ويرجع ذلك الخطأ الى عدة أسباب ابرزها :

١ — حرص بعض المستشرقين على تحريف النصوص وتشويهها والتلاعب بالعبارات الطعن فى العرب والمسلمين .

٢ — عدم القدرة على التجرد من التعصب الدينى .

٣ — القصد الى الدس والتضليل (ومن أشد هؤلاء تعصبا وانحرافا (مرجليوت ولامنس) وقد اخذ على مرجليوت انه هو الذى الف كتابا ضخما عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم كما أشار الباحثون الى أن أكثر اخطائه ترجع الى التحكم فى الاستنباط والقياس الجزئى وبيان أسباب الحوادث وضعف فهم اللغة والبيان العربى ، كما أخذ عليه عدم فهم النبوة ، أما (لامنس) فقد عمل على تحريف النصوص وحرف تاريخ ميلاد الرسول ، وحاول أن يرسم صورة مشوهة عن السيدة فاطمة الزهراء دون أى مستند تاريخى موثوق .

وقد أجمعت أبحاث الباحثين عن أن أغلب المستشرقين قد حاولوا اعطاء صورة خاطئة تماما عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

أولا : بايراد أحاديث غير ثابتة أو موضوعة .

ثانيا : بعرض الاخبار الثابتة بطريقة تعطى عكس المراد .

ثالثا : ايراد مواضيع مشكوك فيها أو آراء من كتب بعض رجال الدين المحدثين .

رابعا : إسقاط أجزاء من الاحاديث لتصويرها بصورة محرفة مثال ذلك ما أورده مرجيوث فى حديث (انما حبب الى فى دنياكم الطيب والنساء) واخفى بقية الحديث (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) حتى يظهر شخصية الرسول مشغوفة بأمور الدنيا .

***

ثالثا — فى تاريخ الاسلام :

جرت محاولات الاستشراق حول تزييف تفسير التاريخ الاسلامى واخضاعه لمناهج وافدة تفسره ماديا أو اقتصاديا أو جغرافيا لتخرجه عن منهجه الأصيل ومفهومه الأساسى ، وبذلك تبدو صورة التاريخ الاسلامى ممزقة مضطربة ، فتفتقد الهدف الاصيل من دراسته والغاية المثلى من التعامل معه ولما كان التاريخ عاملا هاما من عوامل بناء الامم وتربية الافراد فقد كان حرص الاستشراق على افساد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية وصور التناقض والخصومة وكلها صور ضئيلة ليست ذات قيمة فى بحر التاريخ الاسلامى العريض الجياش المليء بصور البطولة والتضحية والحيوية والقوة ، والذى كان قادرا — ولا يزال — على العطاء الدائم للاجيال المتجددة ، ويستهدف عرض الاستشراق للتاريخ الاسلامى أساسا الى اثارة الالتباس بين القيم المتكاملة بين العرب والاسلام وبين الموجات العربية التى خرجت من الجزيرة العربية الى الآفاق تحت أسماء مختلفة كالبابلية والفينيقية والآشورية حتى تصطرع هذه الدعوات مع العروبة والاسلام وكذلك العمل على تمجيد الحضارات القديمة السابقة للاسلام مع التركيز على الحركات المضادة للاسلام والتوسع فى دراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ ويقوم هذا العمل على أساس دراسة الروايات المختلفة والنصوص المتعارضة وضرب بعضها ببعض لاثارة الشبهات .

ولا ريب أن الهدف من بعث هذه الدعوات القديمة كالفرعونية والفينيقية والبربرية وغيرها انما يستهدف تمزيق وحدة المسلمين والغض من شأن الاسلام وهكذا تبدو صورة الاسلام فى كتابات الاستشراق مليئة بالسموم والالتباسات العقلية والتاريخية ، فهم يدينون كل الحركات الاسلامية الصحيحة ويعلون من شأن الزنج والقرامطة والباطنية أو يصورون التاريخ الاسلامى على انه سلسلة متصلة من الحكام الطغاة : والقول بأن التاريخ الحضارى للاسلام كان تكرارا مسجلا للاخبار وأن التاريخ الدينى كان بقايا متحجرة متجمدة تناقلتها

الاجيال بعضها عن بعض ، وهناك الغمز بصلاح الدين والتكلم عن شجاعة الصليبيين ، والقول بأن المصريين لم يعرفوا الاستقلال وكانوا خلال تاريخهم كله خاضعين للرومان والفرس والعرب (أى نعم أنهم ينظرون الى العرب كمستعمرين ويتابعهم فى ذلك رجال منا) وكذلك اتهامهم بحرق مكتبة الاسكندرية .

ويحاول الاستشراق أن يصور الاسلام وقد قام بالسيف وان المسلمين الذين اندفعوا الى الجهاد خارج الجزيرة العربية كانوا يطمعون من وراء الحرب الى الارتزاق أو الى الغنائم .

وهناك محاولة القول باعلاء الجاهلية واعتبار عصر الاسلام امتدادا لها والتشكيك فى عالمية الرسالة الاسلامية واثارة الشكوك حول الكتب التى بعث بها النبى عليه الصلاة والسلام الى الملوك والزعم بأنها وضعت فى صورتها الأولى بعد قرن من حياة النبى .

ولقد عرفت كتابات الاستشراق باصطناع المنهج العلمى فى دراساتها ظاهرا ، لاخفاء الأحقاد وراء الكلمات والسخريات والتشكيك واقتطاع النصوص وتوجيه الاحداث الى اهوائهم وغاياتهم .

وهم يقولون العرب ولا يقولون الاسلام ، حين يتحدثون عن التاريخ والحضارة بل يرون أن الحروب الصليبية حروب بين العرب وأوربا وينكرون الخلفية الأساسية الواضحة التى قامت بها الكنيسة البابوية .

ويقوم التفسير الغربى التاريخ على أساس الانشطارية الواضحة فى الفكر الغربى والتى تعتمد المذهب المادى ونظرية التفسير المادى والاقتصادى للتاريخ بينما لا يفهم تاريخ الاسلام الا فى ضوء المفهوم الاسلامى الجامع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل والدنيا والآخرة وعالمى الغيب والشهادة وهكذا نجد أن التفسير الغربى للتاريخ الاسلامى عاجز عن فهم ابعاد التاريخ الاسلامى أما التفسير المادى للتاريخ فانه يعتبر أن تاريخ البشرية هو تاريخ البحث عن الطعام ، فهو لا يرى أن هناك قيما لها اثرها فى تحريك التاريخ وفى البطولة وفى البذل وفى الفداء كالدين والخلق والايمان واعلاء كلمة الله ، هذه الدوافع كلها يتجاهلها التفسير المادى والغربى ومن ثم فان التاريخ الاسلامى لا يمكن فهمه فهما صحيحا الا فى ضوء النظرة الاسلامية الجامعة المتكاملة للحياة الانسانية ومع الأسف فان بعض العرب يطبقون هذه المذاهب ليفسروا بها تاريخ أمتهم فيخطئون أشد الخطأ ذلك أن روح الاسلام وتاريخه وحضارته وعقيدته تقوم أساسا على وحدة الكون وانسجام الطبيعة ذلك على أساس أن الاسلام هو النظام الجامع المتكامل ، الوحيد الذى يحقق هذا الانسجام لانه يجمع بين الروح والجسد فى نظام الدين ، والسماء والأرض فى نظام الكون ويسلكها فى طريق واحد : هو الطريق الى الله .

ومن هنا فان تطبيق منهج المستشرقين فى فهم التاريخ الاسلامى — على النحو الذى يقوم به بعض باحثينا — يحول دون التعرف على الحقيقة ويحمل البحث نتائج غامضة مضطربة .

وليس أدل على صدق ذلك من قول الدكتور تريتون: اذا صح القول بأن التفسير المادى يمكن أن يكون صالحا فى تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها فان هذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب فى أن يعلل وحدة العرب وغلبهم على غيرهم الا ان ينظروا الى العلم الصحيح لهذه الظاهرة الفردية : هذه الظاهرة هى الاسلام .

ويقول اليان وايد غراى : أن نظرة المسلمين الى التاريخ نظرة بناءة فهم يرون ان البشرية اذا اعتنقت تعاليم الوحى (القرآن) فان ارادتها تتطابق مع ارادة الله .

ويقول وليفرد كانتول سميث : ان المسلم يحس بالتاريخ احساسا جادا فهو يؤمن بتحقيق ملكوت الله فى الارض فالمسلم يضحى بنفسه لانه لا يريد أن تمر عجلة التاريخ الخاطئة وهو سامح لها بالمرور فان المسلم حين يضحى بنفسه ففى سبيل ان هناك نظاما الهيا يراد أن يطبق فى واقع الارض وهذا قائم فى حسه وهو يضحى حتى يدفع عجلة هذا النظام خطوة الى الامام .

رابعا — استخلاص النتائج :

هذا ويمكن القول أن المؤامرة على تاريخ الاسلام قد عملت فى حقول عديدة اهمها :

أولا : التركيز على المناهج الدراسية وافسادها .

ثانيا : اثارة الشبهات حول الخطط والمواقف والدول والحكام .

ثالثا : تحريف النصوص واعلاء الروايات الضعيفة

رابعا : تجـــديد الاسرائيليات القديمة واعـداد اسرائيليات جديدة .

خامسا : افساد مفهوم فريضة الجهاد وتأويله .

سادسا : الدعوة المسمومة الى تحرير التاريخ من ارتباطه بالأمة الاسلامية ومقوماتها .

سابعا : اثارة التعارض والتضـــارب بين القيم المتلاقية كالعروبة والاســلام والفرعونية والاشـورية والفينيقية وبين العروبة .

ثامنا : ابتعاث الاساطير واعادة صياغتها فى داخل التاريخ الاسلامى وسيرة الرسول .

تاسعا : محاولة تمزيق التاريخ الاســلامى الموحد (مصدرا وحركة وغاية) الى تواريخ مســتقلة لاقطار مختلفــة .

عاشرا : اذكاء روح الاقليمية والقومية بمفاهيمها الضيقة والعنصرية للقضاء على الروح الاسلامية .

حادى عشر : محاولة تصوير المؤامرات التى قامت بها الفرق الضالة كالقرامطة والزنج والباطنية على انها دعوات عدل وحرية .

ثانى عشر : محاولة اعتبار التاريخ الحـديث فى الاقطار العربية تاريخا مصريا أو سوريا أو عراقيا أو مغربيا منفصلا عن أصوله العربية والاسلامية .

ثالث عشر : افساد الرابطة العميقة بين الحنيفية دين ابراهيم وبين الاسلام سواء من الناحية التاريخية او العقدية او الارتباط بين الموجات العربية التى خرجت من الجزيرة العربية الى الشام والعراق ومصر والمغرب .

رابع عشر : محاولة احياء علاقة مقطوعــة بين ما قبل الاسلام وما بعده عن طريق احياء الفكر الوثنى القديم ، سواء فى الفرعونية أو الفينيقية و اليونانية أو الفارسية .

خامس عشر : محاولة تفسير التاريخ الاســلامى والمعاصر وفق مذاهب غربية وافدة كالتفسير الغــربى المسيحى والتفسير الماركسى الاشتراكى .

سادس عشر : محاولة تصوير القرن الثانى الهجرى على انه عصر شك ومجون عن طريق اعتبـــار بعض الشعراء المجان وهم قلة معزولة ممثلين لعصرهم فيمـــا يتجاهل الباحث عشرات العلماء والفقهاء والاصــوليين والمفكرين .

سابع عشر : انكار وجود شخصية عبد الله بن سبأ هدما لأثره الواضح فى تمزيق وحدة المســلمين وتزييف وقائع الفتنة الكبرى وتبرئة اليهود منها .

ثامن عشر : محاولة تفسير البطولة الاسلامية وفق المذاهب الغربية اعتمادا على موروثات البيئة والعرق .

بينما يقاس ابطال الاسلام على مفاهيم الاســلام نفسها التى شكلتهم من جديد .

تاسع عشر : اتهام الدولة العثمانية بانهـــا دولة مستعمرة استعمرت بلاد العــرب واتهـــام الســلطان عبد الحميد بالاستبداد بينما وقف السلطان عبد الحميد موقفا مشرفا فى مواجهة مؤامرات الصهيونية ومحاولتها الاستيلاء على فلسطين .

عشرون : محاولة القول بأن نهضة العرب لم تبدأ الا بوصول الحملة الفرنسية الى مصر بينما المعروف أن النهضة العربية الاسلامية قد بدأت قبل ذلك بأكثر من خمســين عاما بدعــوة الامام محمد بن عبد الوهاب من الجزيرة العربية وعلماء الازهر الذين دعوا الى التوحيد والتماس المنابع فى القرآن والسنة .

وتتشكل خطة المؤامرة فى عدة عوامل أساسية :

أولا : تحامل الغرب وخصومته للاسلام من حيث الخلاف بين المسيحية والاسلام من حيث سيطرة الغرب السياسية والعسكرية عن طريق الاستعمار على أرض الاسلام ومحاولة استدامة هذه السيطرة بتشويه تاريخ الاسلام .

ثانيا : محاولة القول بأن تاريخ الاسلام لم يستطع أن يحقق مفهوم الاسلام ومنهجه وهــذا يعنى عجز الاسلام عن اقامة مجتمعه الاصيل

ثالثا : خلق « عملية تمزيق »لوحدة الفكر الاسلامى **والأمة الاسلامية والتاريخ الاسلامى الى قوميات وأقاليميات** تختلف فيما بينها وتتضارب .

رابعا : القضاء على ذاتية الاسلام والأمة المتميزة التى انشأها والعمل على صهرها فى بوتقة العالمية واتون الأممية حتى لا يكون للامة الاسلامية ذلك الوجود الواضح المستقل القائم بنفسه .

خامسا : الحيلولة دون انتفاع المسلمين والعرب بتاريخهم : ايجابياته وسلبياته من حيث هو عامل القـوة وايجاد الثقة فى ايجابياته والتعرف على الاخطاء لتفاديها بالنسبة لسلبياته .

سادسا : محاولة تصوير المسلمين بصـورة الامة العاجزة عن أن تحمل لواء الحضارة وقيادة البشرية ، وايجاد الخلاف بينها وبين الأمم الغربية وافساد العلاقات باثارةشبهات ترمى الى تصويرالمسلمين بصورة التعصب أو دعاة العنف أو الحرب .

هـذا وبالله التوفيق

***

التـــــراث الإسلامـــــى

ماذا يحدث اذا اكتشف المسلمون المذخور من تراثهم الاســلامى

تتابع الحملات على الفكر الاسلامى ، معركة بعد معركة ، وقضية بعد قضية وكلها تحمل اسماء مجهولة ، أو ذات قناع خادع ، وتخفى من وراءها الهدف المبيت الخطير ، وقد علمتنا التجربة ان الحملة على (القديم) انما تعنى الاسلام وان الحملة على اللغة العربية انما تعنى القرآن ، ولقد ركزت الحملات فى الفترة الاخيرة على (التراث) وتناولته كتـابات التغريبيين بشىء من الاستهانة والاستخفاف على أنه شىء لاقيمة له الا من ناحيةواحدة انه يحملصورة الماضى وكلما أمعن التغريبيون فى الحملة على التراث تبين لنا مدى خطر هذا التراث وأهميته ، ولقد قرأت فى الفترة الاخيرة بحثا يوحى بمدى الابعاد الخطيرة لهذا التراث الاسلامى وأهميته الكبرى فى استئناف المسلمين لحضارتهم ومنهجهـم العلمى ، وضرورة البدء من نقطة التوقف التى امتدت الى اوائل القرن التاسع عشر عندما كان الازهر يدرس العـلوم التجريبية ويخرج العلماء التجريبيين أمثال ابن النفيس الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى والذى استفاد (هرفى) من ابحاثه فنسبت هذه افكرة له وضاع فضل عالمنا المسلم .

***

ومن هنا فهمنا هدف التغريب من الحملة على التراث الاسلامى : وذلك هو قطع الصلة بين حاضرنا وبين هذا الميراث العظيم فى مجـال العلوم التجريبية والاجتماعية (ابن خلدون وابن حزم) والعلوم السياسية والاقتصادية وما قدمه المسلمون فى مجالها من انجازات حقيقية هى من العمد الحقيقية الآن للفكر العالمى . وقد جرت عمليـة الفصلبين المسلمين وتراثهم منذوقت بعيد عندما ابتدعت عبـارات الفكر العربى ، والفكر المصرى ، والحضارة العربية ، والثقافة المصرية والثقـافة العربية واختفت طوابع الاسلام من الفكر والثقافة والحضارة جميعا من منطلق خطير هو أن النهضة المعاصرة بدأت بالحمـلة الفرنسية **وقد جرى كثير من العمالقة والشوامخ** هـذا المجرى ففصلوا الادب العربى لحديث عن سياقه ومنطلقه وكذلك فعلوا بالنسبة للفكر والثقافة بينما الحقيقة الماثلة ان كلا من الادب والفكر والثقافـة المعاصرة المسـماة بالعربية كانت فى حقيقتها ذات انتماء واضح واصـيل وعميق للفكر الاسلامى لم تنفك عنه هـذه المؤامرة التى تراد بالتراث اليوم فهى ترمى الى تجاهـل دور المسلمين وحجب تلك المخطوطات الاسلامية التى تذخر بها مكتبات الغرب عن أصحابها المسلمين وهى ما يجرى الآن بعد أن تكشفت بعض الحقائق بالنسبة لنظريات ومقررات علمية متعددة تبناها الغرب ونسبها لنفسه ثم جاءت المخطوطات فكشفت عن دور المسلمين الحقيقى فيها ومنذ وقت طويل أعلن علماء الالمان تنازلهم عن نظرية (حرمة المنازل) بعد أن كانوا يتيهون فخرا بهذا القانون حينما كشف أحد الباحثين المسلمين انه مأخوذ من القرآن الكريم (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها) الآية .

***

ونظريات اخرى أخذت من فكر الشاطبى الفقيه الاسلامى ، كما كشف أثر كتاب (المنقذ من الضلال)

للامام الغـــزالى على نظــرية ديكارت التى أودعهــا كتابه (مقال عن المنهج) .

واليوم نجد أن حدثا جديدا يتكشف هو نسبة فكرة فرنسيس بيكون فى تقعيد العــلم الحديث وقد أخــذت بتمامها من رسالة الامام الشافعى كما تحدث عن ذلك المستشار عبد الحليم الجندى فى كتابه (القرآن والمنهج العلمى الحديث) .

ويخف ديكارت وفرنسيس بيكون صمت رهيب ، أما ديكارت فقد وجدت فى مكتبته نسخة من كتــــاب المنقذ من الضلال للغزالى وعليها اشارة الى نقل هـــذه المادة فلما عرفت اختفت النسخة تماما وأصبح من الممنوع اطلاع العرب عليها .

أما فرنسيس بيكون فقــد تجاهل المصادر التى اخذ منها بينما كان سميه (روجر بيكون) قد اعترف فى وضوح انه تلميذ المسلمين وتلميذ الأندلس ، ولكن سرعان ما بدا عصر التجاهل وبدات مؤامرة الصمت ازاء المصادر الاسلامية .

ويكشف الدكتورفؤاد سيزسكين حقيقة هذه الخطة فى كثير من دراساته وابحاثه التى يقوم بها لتسجيل هذا التراث والكشف عنه فى عمل دائب متصل منــذ بضعة عشر عاما .

واذا نظرنا الى ثبت صغير للمخطوطات الاسلامية فى الغرب لاذهلنا الامر :

الفاتيكان ــ ٦٠ الف مخطوط .

الاسكوريال ــ ٣ آلاف مخطوط .

بريستون ــ عشرة آلاف .

مكتبة باريس ــ سبعة آلاف .

مكتبة برلين ــ عشرة آلاف .

مكتبــة درسون ، مدريد ، ليدن ، امستردام ، الوف كثيرة .

فاذا جئنا الى مكتبة اونسالة فى الســـويد وجــدنا (اربعون الف مخطوط) .

هذا كله ما زال سرا مكتوما على المسلمين أصحابه وما زال الغربيون ينشرون التراث المضطرب الذى يدخل الى المسلمين الفرقة والخلاف والحديث عن الصراعات والفرق والباطنية والشعوبية والزندقة !

أما الاضافات الحقيقية التى قدمها الفكر الاسلامى الى النهضة الاوربية الحديثة فهذا ما زال محجــوبا ، ولذلك فان سؤالنا الخطير الذى نوجهه الآن : هل هذا الذى يكتبه المؤرخون عن أثر الاسلام فى الحضارة العالمية والفكر البشرى هو الحقيقة : أو نصف الحقيقة أو ربع الحقيقة ، اننا نشك فى انه يمثل قدرا صحيحا للدور أو الأثر الذى قدمه الاسلام فى الفكر العالمى والحضــــارة البشرية ، والغربيون يعرفون ذلك ولذلك فهم يحجبون هذا التراث لامرين : لكى لا يكشفوا ما اقتبسوه : ولكى يحولوا بيننا وبين استئناف المسيرة الحضارية والثقافية بالتماس « حجم » العطاء الذى قدمه المسلمون ، واذا تحدثوا عن ذلك تحدثوا فى استهانة وسخرية ، وقالوا كاذبين : ان المسلمين لم يقدموا شيئا ذا بال .

ولقد تكشفت فى السنوات الاخيرة حقائق كثيرة حول معطيات التراث الاسلامى فى مختلف مجالات القــانون والاقتصاد والتربية والسياسة وما كشفه علماء الفلك والجغرافيا والطب والكيمياء وباقى العــلوم التجريبية ولا ريب أن المنهج الاسلامى أساسا هو الذى غير تفكير أوربا وقلبه رأسا على عقب واخرج الغرب من ظلمات القرون الوسطى الف عام ومن الرهبانية ومن مفهــــوم ارسطو فى الثبات ومن نظرية التأمل الوثنية الاغريقية ، وان المنهج التجريبى أساس الحضارة المعاصرة كان من معطيات الاسلام وكان مصدره هو القرآن الكريم الذى وضع قاعدة البرهان ، والنظر ، والتجريب :

(قل انظروا ماذا فى السماوات والارض)

(قل هاتوا برهانكم)

وجاءت رسالة الدكتور توفيق الطويل (فى تراثنا العربى والاسلامى) لتعمق هذا الاتجاه ولتكشف لنــا ذلك الجانب الأثير : وهو جانب دور علماء المسلمين فى تصحيح النظريات السائدة فى عصرهم والتى ورثوها عن علماء اليونان والفرس والفراعنة والهنود وغيرهم ، وكيف كشفوا أخطاء جالينوس وابقراط وبطليموس بعد أن ظل سنوات طويلة لا يجرؤ أحد على معارضته وكيف كشفوا فساد نظرية ارسطو فى الثبات وفى الرق ، وقد قــدم العلماء المسلمون هـــذه التصحيحات فى اهاب الخلق الاسلامى ادون ارفيع ودون ان يجرحوا العلماء السابقين كما

أعلنوا ذلك المبدأ الكريم وهو أن يأخذ العالم المسلم ما عند العالم غير المسلم دون حرج ما دام هذا العلم قائما على الحقيقة والتجربة وبعيدا عن الهوى كذلك فقد دحض الدكتور توفيق الطويل فرية المستشرقين الغربيين الذين ادعوا صلفا وغرورا بأن حضارة أوربا لا تدين الا اليونان والرومان وان المسلمين لم يخلقوا للفكر الاصيل والمبتكر وتلك أول مراحل مؤامرة الصمت التى شنها الغرب على معطيات الاسلام .

وقال ان بقاء المخطوطات العربية العلمية دفينة فى المكتبات الغربية ما زال يساعد على بقاء جانب من التنكر للتراث الاسلامى ودوره فى خدمة الحضارة الانسانية وأن على المسلمين أن يستردوا تراثهم حتى يستطيعوا أن يستأنفوا دورهم فى العطاء من جديد ان المسلمين حين يستطيعوا التعرف على أبعاد معطيات المذخور من تراثهم الاسلامى فى خزائن الغرب سوف يغير حقائق التاريخ المكتوب الآن ويكشف ابعادا جديدة ويعين على مواصلة الفكر الاسلامى للعطاء بل لعل هذا الكشف سيكون بمثابة قنبلة موقوتة تندك لها معاقل التغريب والغزو الثقافى ويسترد بها شباب الاسلام اليوم ثقتهم فى أن الحضارة العالمية الآن ليس لها الا مصدر واحد هو القرآن الكريم .

* * *

الباب الثانى

التغـــريب والغـــزو الثقـافـــى

اولا : كيف يواجه الشباب المسلم التغريب والغزو الثقافى ٠

ثانيا : حذار من الانصهار فى بوتقة الغـــرب ٠

كيف يواجه الشباب المسلم :

التغريب والغزو الفكرى
وأداتيهما الاستشراق والتبشير

منذ كانت البشرية والفكر الربانى فى صراع مع الفكر البشرى وعلى مدى التاريخ والى أن يرث الله الارض ومن عليها ولما جاء القرآن الكريم نسف هذا الفكر كله وصيره ركاما وكشف زيفه وضلاله وفساده ودعا البشرية من جديد الى التوحيد الخالص بوصفه المنطلق الوحيد الى اقامة المجتمع الربانى الامثل ، فهزم الاسلام العبودية البشرية والالحاد والاباحية والوثنية التى ورثتها حضارات اليونان والفرس والهند والفراعنة وأقام « العدل والرحمة والاخاء البشرى » وجعل عبودية الانسان لربه وحده وهزم العبودية الوثنية لغير الله وحرر العقل البشرى ، غير ان محاولات الهدم والغزو لم تتوقف وفى العصر الحديث تجددت مرة أخرى من خلال القوى الراغبة فى السيطرة على قارة الاسلام من خلال هدم مقومات القوة والكرامة والتميز الخاص الذى تفردت به الشخصية الاسلامية وما تزال قضية المسلمين الحقيقية هى الحفاظ على ذاتيتهم من الذوبان فى الحضارات أو احتوائها فى الأممية والجهاد فى سبيل ذلك مقدم على كل عوامل النهوض بل المنطلق الحقيقى للتقدم ، ذلك أن المسلمين لا ينهضون الا من خلال منهجهم الاصيل ، الذى اذا انصرفوا عنه تعرضوا للخطر واذا عادوا اليه اقاموا المجتمع الربانى وجددوا عطاء الحضارة الربانية وهو ما نتطلع اليه بأن نلتمس اصالتنا وحين نعود الى المنابع ولا طريق غيره .

ان الموضوع الذى نتحدث عنه جد خطير ، وهو أمانة يجب أن تحملها القلوب المؤمنة وتعيش فى سبيل الدفاع عنها وتموت دونها ، وهو المنطلق الوحيد لكى تعود هذه الامة الى مجدها تمتلك ارادتها وان علينا لكى نفهمه ان نعالجه على مستويين :

المستوى التاريخى : والمستوى المنهجى

أما المستوى التاريخى فلا بد أن نعرف كيف بدأت هذه المؤامرة التى اطلقوا عليها اسم : « التغريب » ، وهى مؤامرة دبرت بليل لم تكشف صفحتها الا فى الثلاثينات من هذا القرن الميلادى ، حين ، أصدر المستشرق جب وأربعة معه كتابهم (وجهة الاسلام) الذى كشفوا فيه عن مخطط خطير يقوم به الاستشراق والتبشير ويرمى الى (تغريب) الامة الاسلامية وتغريب الاسلام نفسه بتفريغه من مضامينه الحقيقية فاذا أرجعنا ذلك الى مصادره الحقيقية فان علينا أن نعود من ١٩٣٠ ميلادية الى الحملة الصليبية السابقة قبل ثمانمائة عام حيث نجد الخيط الاول من المؤامرة ، فقد هزم القديس لويس وسجن فى المنصورة ليفتدى نفسه ، وهنالك فى دار ابن لقمان فى انتظار الفدية ارسلوا احضارها من فرنسا فكر لويس وقدر ، ما بال هذه الحملات المتصلة التى تحمل راية الصليب وتزحف تجاه قلب العالم الاسلامى بيت المقدس ومصر ، لا تحقق مطامح الغرب ، وماذا بعد هذه المقاومة الاسلامية والاستشهاد فى سبيل الدفاع عن الارض والعرض ، ان سر ذلك هو الاسلام نفسه ، القرآن الذى دعا المسلمين الى حمل لواء الجهاد ، ولذلك فان على الغرب بعد أن انهزم فى حرب السيف أن يوجه الى الاسلام وعالمه حربا أخرى هى حرب الكلمة وان يعمل على اخراج الاسلام من مقرراته وقيمه ، وأن يخرج المسلمين من الاسلام بتفريغ مفهومه من الجهاد ومقاومة الغزاة : وذلك حتى يقبل المسلمون الانصهار فى الفكرة الغربية وتحتويهم الحضارة الغربية فيذوبون فيها وقد بدا ذلك فعلا من خلال المؤسستين المعروفتين : التبشير والاستشراق ، وقد كان الغزو الثقافى هو منطلق التغريب

هـذه واحـدة ، أما الأخـرى فهى ذلك المـوقف الذى وقفه « غلادستون » رئيس وزراء بريطانيا فى مجلس العموم وهو يحمل المصحف فى يده ويقول : (ما دام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلا أمل لنا فى اخضاع المسلمين بل نحن فى خطر على وجودنا ذاته) .

أما الثالثة فهى مؤتمر ١٩٠٧ المسمى مؤتمر كامبل بنرمان الذى عقد فى لندن على أثر صدور كتاب (سقوط الامبراطورية الرومانية) وذلك للبحث عن الوسائل التى تعوق سقوط الامبراطورية البريطانية وقد اشتركت فى هذا المؤتمر لجنـة من كبار علماء التـاريخ والاجتماع والاقتصاد تمثل كل الامبراطوريات الاستعمارية ومن بين اعضائها مؤلف هذا الكتاب ، ولوى ومادين مؤلف كتاب (نشوء وزوال امبراطورية نابليون) والبروفسور ليستر ولنسج وغيرهم وقد انتهوا الى ذلك التقرير الذى يعتبر الاســاس الذى تقوم عليه استراتيجية الاسـتعمار والسيطرة ، هذا التقـرير الذى ما زال من أهم الوثائق التى تحافظ بريطانيا على سريتها التامة ، وقد أشار هذا المؤتمر الى أن الحضارة الاستعمارية المعـاصرة ستسقط آجلا او عاجلا ، وان الذين يرثون هذه المكانة العالية هو ذلك الشعب المتماسك الذى يشغل المنطقة المتصـلة بين آسيا وافريقيا . هذه التى أطلق عليهـا نابليون (قارة الاسلام) وكان السؤال : هـل لديكم وسائل وأسباب تحول دون سقوط الحضارة أو تؤخر مصير الاستعمار الأوربى الذى بلغ الذروة واصبحت أوربا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما عالم الاسلام لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهيـة وقـد أشـار التقـرير الى أن هناك من يهددهذه الحضارة وهذا النفوذ الاستعمارى متمكن فى البحر المتوسط بالذات باعتباره همزة الوصـل بين الشرق والغرب : هذا الخطر يتركز فى شواطئه الجنوبية والشرقية بصفة خاصة حيث يوجد شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة وكل مقـومات التجمع والترابط وكانت الاجابة هى :

ضرورة اقامة حاجز بشرى قـوى وغريب على الجسر الذى يربط أوربا بالعالم القـديم ويرتبط معـا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقةوعلى مقربةمن قناة السويس قوة عدوةلشعب المنطقة وصديقة للدول الاوربية ومصالحها ، فاذا انتقلنا الى نقطة أخرى فى الاستعراض التاريخى للتغريب والغزو الثقافى وجدنا الخنجر الذى طعن به المسلمون وهـو التعليم العلمانى المفـرغ من الدين والأخـلاق والتربية الذى فرضتـــه الارساليات التبشيرية ومنها انتقل الى المدارس الوطنية فى جميع البلادالاسلامية والذى حرص على اقصاء العقيدة الاسلامية : أو تقديمها على أن الاسلام دين عبادى ، وليس بمفهومه الاصيل الجامع : منهج حياة ونظـام مجتمـــع .

وقد تبين من كتاب (وجهة الاسلام) انهم يعملون منذ وقت بعيد على تغريب الاسـلام من ناحية فكره وتعليمه وقانونه ايمانا بان العالم الاسلامى سيكون بعد فترة قصيرة (لا دينيا) فى كل مظاهر حياته وقد كذبت الاحداث نبـوءة المستشرقين وجاءت حركة اليقظـة الاسلامية فوقفت من هذه المحاولة موقفا حاسما .

ما هو التغريب : ان معنى تغريب الاسلام هـو اخراجه من تميزه الخاص الى ان يكون ديناالاهوتيا متغربا بغير هوية مميزة يتقبل التفسيرات الغربية والماركسية وعندئذ يمكن أن تخضع الامة الاسلامية للاحتواء وتنصهر فى بوتقة الحضارة الغربية والأممية ويستسلم المسلمون للمناهج الربوية والاباحية والالحادية ، وللايدلوجيـات البشرية المتصدعة التى ثبت فسادها وتهدمها ولا ريب ان التغريب هو المنطلق لقبول فكرية الغرب والانصهار فيه بحيث لا يصبح للمسلمين وجود ذاتى وبذلك يستتم الغرب سيطرته الاقتصادية والسياسية والعسكرية على على العالم الاسلامى .

هذه هى المحاولة البديل عما عجزت عنه الحروب الصليبية والغزو الاستعمارى وهى تجرى فى ثلاثقنوات منفصلة ولكنها جميعها تهـدف الى ضرب « الذاتية الاسلامية » النفوذ الغربى والماركسى والصهيونى .

***

أما الغزو الثقافى فهو تلك القذائف المسمومـة الممتدة الى قلب الفكر الاسلامى لتحقيق هـدف واضح هو التغريب ، وعملية الغزو : تجربة قديمة قامت بهـا قوى معادية للاسلام فى القرن الثالث الهجرى بعـد ترجمـة الفلسفات اليـونانية والفارسية ، وقد واجهها علماء المسلمين مواجهة قوية واضحة فدحضوا زيفهـا وكشفوا سمومها وضربوها فى الصميم وتحـرروا من عوامل افسادها وأقاموا مفهوم أهل السنة والجماعـة فانصهرت فى اطار الاسلام جميع المعطيات وكانت آية الاصالة وقوة الذاتية الاسلاميةهى : انشاء المنهج العلمى التجريبى الذى هو عطاء الاسلام للحضارة المعـاصرة والذى يختلف عن مناهج اليونان والفـرس والرومان القديمة ، وهذا المنهج الاسلامى مستمد من القـرآن الكريم (قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض) .

واذا كان الهدف هو تغريب الاسلام والمسلمين والوسيلة هى الغزو الفكرى فان الاداة التى قامت بهذه المؤامرة تتمثل فى : مصنع الشبهات والسموم وهو مؤسسة (الاستشراق) ومحال بيع هذه السموم وهو (التبشير) عن طريق مدارسه ومعاهده ومستشفياته واذا كان التبشير لا يظهر فى افق بعض البلاد الاسلامية اليوم ظاهرا فليس معنى ذلك انه انتهى ، بل الحقيقة انه قد غير جلده واختفى من وراء المسرح والمسلسلات والصحافة والقصة والثقافة والمدرسة .

لقد كان عمل مؤسسة الاستشراق هو تزييف مفهوم الاسلام الاصيل ، واثارة الشبهات حول عقيدته ونبيه وتاريخه ولغته بقصد ازالة العوامل الاساسية التى تميز بها الاسلام والتى تشكل الشخصيةالاسلامية الخاصة .

والمستشرقون لا يستطيعون ان يقدموا الاسلام صحيحا لامرين : فهم اما متعصبون (لكنيسة أو لدوائر الاستعمار) وأما غير قادرين على فهم الاسلام لعجزهم عن فهم البيان العربى ثم كانت حركة التبشير التى استخدمت هذه المعطيات والتى تحولت فى السنوات الاخيرة الى حركة التنصير بعد ان عقدت عدة مؤتمرات تحت اسم تنصير العالم الاسلامى ونحن نرى أخطارها وتحدياتها فى الفيلبين واندونيسيا وارتيريا ومناطق كثيرة من افريقيا .

ونحن نواجه اليوم اخطارا شديدة من المراجع الكبرى التى بين أيدينا والتى تحوى عديدا من السموم . ومن اخطر ذلك دائرة المعارف الاسلامية : والمنجد ، والموسوعة الميسرة التى هى دائرة معارف كولومبيا الواضحة الاتجاه الصهيونى فلنكن على حذر من هذه المراجع المسمومة ، ومن كتب كثيرة أحياها الاستشراق وهى مشبوهة منها كتب الاغانى ، ورسائل أخوان الصفا وانساب الاشراف للبلاذرى التى طبعت فى اسرائيل بغرض مبيت ، ومن المصادر المشبوهة كتاب الامامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة الذى وصف بأنه كتاب لقيط وكتاب المضنون به على غير اهله والمنسوب الى الامام الغزالى ، اما الكتب المترجمة للمستشرقين فهى فى حاجة الى يقظة ودولها جميعا تحفظات ولا يؤخذ ما فيها قضايا مسلمة ، ذلك ان اغلب هذه الكتب يتصل بقضايا مجتمعات أخرى غير مجتمعاتنا وفى ظروف تختلف .

اما التراث الذى احياه الاستشراق فقد كان اغلبه متصلا بالفرق والخلافات التى حدثت بين المذاهب ، أو قضايا التصوف الفلسفى كوحدة الوجود والحلول والاتحاد أو الفلسفات اليونانية المترجمة وابن سيناء ، او مايتصل بابن‌عربى والحلاج والسهروردى وابن سبعين واليوم يدعو البعض الى احياء هذا الركام ، لاعادة الصراع الذى توقف : واحياء القضايا التى فصل فيها علماء المسلمين ، وتلك مؤامرة ماكرة من الاستشراق ان يبتعث تراث الحلاج فقضى ماسينيون اربعين عاما فى جمعه ، بينما يضيق المستشرقون بالغزالى وابن تيمية ويحرصون على جمع تراث أبى نواس وبشار بن برد ويكرهون المتنبى .

وقد اجمعت دوائر المعارف الاجنبية : البريطانية والامريكية ولاروس الفرنسية على تصوير الاسلام ونبيه وكتابه بصورة تحمل التعصب والحقد ، وفى السنوات الاخيرة راينا كيف وضع اليونسكو مجلدا ضخما عن الاسلام ملأه بالسموم والشبهات هذا بالاضافة الى فساد مواد الاسلام والنبوة والوحى والقرآن فى جميع دوائر المعارف الغربية وفساد مفاهيم: العرب ، بيت المقدس ، ابراهيم ، اسماعيل ، المتصلة بحق العرب المسلمين الثابت والحقيقى فى فلسطين منذ آلاف السنين وتزييفه لحساب الصهيونية وقد طرح الاستشراق فى افق الفكر الاسلامى كثيرا من الدراسات الزائفة حول الوجودية وفلسفات فرويد ودوركايم وسارتر ومذاهب الماركسية والشيوعية والاباحية بالاضافة الى القصص الجنسى المكشوف وذلك بهدف تغريب مفاهيم الاسلام فى قضايا الاجتماع والاقتصاد والتربية ، كما قدمت كتب الاستشراق تفسيرات غربية وافدة التاريخ الاسلامى قوامها التفسير المادى للتاريخ، ومن المعروف انه قد عقد فى بلتيمور منذ سنوات مؤتمرا حضره عدد من المستشرقين ركز على هدف واحد هو اثارة الشبهات فى محيط الفكر الاسلامى والتاريخ الاسلامى واعلاء شأن القرامطة وفتنة الزنج والمؤامرة الباطنية وقد ظهرت على اثر ذلك دراسات متعددة تصور هذه المؤامرة على انها حركات عدل وحرية .

ولا ريب أن ميدان الترجمة الذى كان المسلمون هم القوامون عنه فى عصر الترجمة الاول ، لم يعد اليوم ملكا لهم : وبذلك استطاع نفوذ التغريب ان يدخل فى مجال الترجمة مترجمات فاسدة من أهمها القصص الاغريقى الفاسد ، والقصة الاوربية المكشوفة والشعر المكشوف ومذاهب الاباحية التى قدمها سارتر وبودلير ونيتشه ومذاهب الفلسفة المادية ومن وراء ذلك كله مخططات الماسونية التى ترمى الى تدمير أمرين فى محيط المسلمين :

الدين والاخلاق ومنذ أن ظهرت بروتوكولات صهيون وقد تأكدت حقيقة نسبتها اليهم فان جانبا كبيرا مما خطط له قد تحقق فعلا فقد سقطت الكنيسة الارثوذكسية الروسية وسقطت الخلافة الاسلامية ودخلت اسرائيل القدس .

كذلك فقد عمل الاستشراق مدخلا الى التغريب باحياء دعوات البهائية والقاديانية وكلاهما تدعو الى انكار الجهاد فى سبيل الله وتؤوله تأويلا يرمى الى أن يلقى المسلمون سلاحهم: ومن ناحية أخرى فقد فتحت عليهم أبواب الاباحة والجنس والانطلاق لهدم هذه الاجيال وتمييعها وصهرها فى بوتقة التحلل والفساد والترف الكاذب حتى تصبح عاجزة عن حماية مقدرات الامة الاسلامية وحماية الثغور وتحللا من تحذير القرآن الكريم للمسلمين (وخذوا حذركم) (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

لقد كان الهدف كما جاء فى مؤتمر ١٩٠٧ : تأخير النهضة الاسلامية وليس القضاء عليها فالنهضة الاسلامية لن تموت وكانت خطتهم التى ما تزال هدفا واضحا صريحا على الجبهات الثلاث : الغربية والماركسية والصهيونية هو القضاء على الذاتية الاسلامية واسقاط التميز الاسلامى الذى صنعه القرآن وتشكل عليه المسلمون منذ أربعة عشر قرنا وكان العامل الاول فى حماية كيانهم من الانصهار أو الذوبان فى اى حضارة أو قوة كبرى .

وقد تكفلت حركة التغريب بهذه المهمة : واستطاعت القوى الغربية ــ الى حد ما ــ ان تعزل هذه الامة عن منهجها الاصيل فالاسلام ــ كما حاولوا أن يعلمونا منذ قرن من الزمان ــ دين عبادة ، أما المنهج الذى يشكل الحياة والمجتمع فقالوا أنه لا علاقة له بالاسلام فوقعت البلاد تحت سيطرة النظام الربوى الذى حطم اقتصادنا ونظام التعليم العلمانى المفرغ من الاخلاق والقيم وفرضت علينا المناهج فرضا والقوانين الوضعية ، وحجبت الشريعة .

ولكن اليقظة الاسلامية استطاعت أن تكشف الحقائق : وان تعود الى المنابع .

أما كشف الحقائق فقد تبين اليوم ان مؤامرة الصمت ازاء الدور الذى قام به المسلمون فى مجال الحضارة كان دورا عظيما رائدا كانت ترمى الى أن يظل المسلمون فى غفلة عن العمل الذى قدمه الاسلام للبشرية ، سواء أكان ما اعترف به رجال القانون العالمى من عظمة الشريعة الاسلامية ، أم ما اعترف به رجال العلوم التجريبية من اثر المنهج العلمى التجريبى الذى قدمه المسلمون ، أم ما اعترف به رجال علوم الاجتماع من اثر المفهوم الاسلامى لسنن الحضارات والامم، وقوانين قيامها وتخلفها وعودتها مرة أخرى وهو ما كشف عنه ابن خلدون وغيره ، كل هذا كانت هناك محاولة اخفائه تمشيا مع الهدف الذى يرمى اليه التغريب والغزو الثقافى وهو خلق الاحساس بالنقص والقصور والتشاؤم فى نفوس المسلمين وعقولهم ازاء منهجهم الربانى واثاره البعيدة المدى على الحضارة الانسانية والعلوم الانسانية وهو ما استطاعت حركة اليقظة الاسلامية الكشف عنه وابرازه ، وهو ما نطالب الآن بأن يكون مقدمة ومدخلا الى دراسات جميع العلوم فى الجامعات ، التى تدرس الآن الطب والفلك والقانون والاجتماع والاقتصاد من نقطة العلوم الغربية مع ان المسلمين هم الذين وضعوا أحجار الأساس لكل هذه العلوم ولذلك فمن الضرورى أن تبدأ دراسات هذه المناهج بدور المسلمين حتى يعرف ابناؤنا أن آبائهم هم الذين قاموا بهذا الدور وانهم فى مجال العلوم الآن ليسو عالة ولا متسولين من الغرب .

وكذلك فان حركة اليقظة ماتزال تدعو الى أن يكون مفهوم الاسلام واضحا فى كل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بجوار مفهوم الراسمالية والماركسية وأن يفسح له الطريق لانه الاحق بذلك لسبقه التاريخى ولانه صاحب البيت الحقيقى فكيف تغلبه المناهج الوافدة فى عقر داره ولانه المستمد من روح هذه الامة وضميرها .

ان محاولة صياغة العقل الاسلامى على أساس علمانى أو وفق مفهوم الفلسفة المادية هى محاولة مقضى عليها بالفشل والسقوط : وان على مفكرى المسلمين اليوم العمل ما وسعهم العمل فى سبيل الحفاظ على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الخاص ، والتعرف على ابعاده ومعالمه حتى لا تسقط الأمة الاسلامية فى هوة الاحتواء والانصهار فى بوتقة الاممية العالمية ، ولنعلم أن صولة الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى انما يستمدها من ضعفها ووجودها جميعا مشروط بعجز العالم الاسلامى عن معرفة ذاته وحماية كيانه .

وفى مقدمة ما ندعو الى الحذر منه تلك (المصطلحات) التى يقدمها التغريب ويرمى بها الى صهرنا فى بوتقة الغرب المعاصر ، وعلينا أن نفرق دائما بين المعاصرة والتغريب وبين التحديث والتغريب) وأن نؤمن بأن المعاصرة لاتفرض علينا التخلى عن قيمنا ،

وكذلك التحديث لا يردنا عن اصولنا وانما الخطر فى أن يسيطر التغريب على المعاصرة والتحديث وهناك أمم لا تملك مثل منهجنا ومع ذلك وصلت فى المعاصرة والتحديث الى المدى ، دون أن تفقد جوهر اصالتها ، وامامكم تجربة اليابان — لقد دفع الاستشراق الى أفق الفكر الاسلامى أطروحات القومية والاقليمية والعلمانية والديمقراطية والليبرالية والاشتراكية وتدفشلت جميعها واحدة بعد واحدة وتبين ان الجسم الاسلامى قادر على أن يرفض العضو الغريب ونحن مطالبون اليوم برد كل اطروحة مضللة والعودة الى المنابع : والى مفهوم الاسلام الجامع .

ان الشبهات التى يثيرها الاستشراق اليوم هى نفس الشبهات التى آثارها قبل مائة عام ، ووقف لها المصلحون بالمرصاد وكشفوا زيفها وأهمها : انكار الوحى والنبوةوالتقليل من عظمةالاحداثالاسلامية ووصفالفتوح بالمطامع والاسترزاق وعدم القدرة على تصوير الجانب المعنوى للعقيدة واثره فى الاحداث ، محاولة تشويه مكانة المراة فى الاسلام : التشكيك فى فريضة الجهاد الماضية الى يوم القيامة ، والادعاء بأن الاسلام يتعدد بتعدد شعوبه .

ولكى نفهم كتابات الاستشراق علينا أن نعلم أن ان هناك ثلاث عوامل تحكم كتابات المستشرقين :

أولا : الوجدان المسيحى واختلافه مع مفهوم الاسلام ..

ثانيا : طبيعة الاستعلاء الغربى على الامم نتيجة ما يسمونه الجنس الابيض الذى لا يهزم .

ثالثا : العجز عن الاستيعاب وجهل البيان العربى والبلاغة العربية وهم فى ثلاث مجالات للاستشراق : الغربى واليهودى والماركسى يعملون على تحقيق غايات خاصة .

فالاستشراق الغربى يصور الاسلام بمفهوم العبادة ويعمل على تحطيم أجنحته التى يقوم بها نظام المجتمع ، ويفصل الدين عن الدولة ، ويقر الربا والقانون الوضعى والتعليم المفرغ .

والاستشراق اليهودى يشكك فى رحلة ابراهيمعليه السلام واسماعيل الى الحجاز ويضع وعد الله لابراهيم فى ابنه اسحق وحده ، ويدعو الى هدم اللغة العربية لتفكيك وحدة الامة العربية التى تجمعها الفصحى والقرآن وينكرون دور اليهود فى غزوة الخندق (مونتجمرى وات) وينكرون وجود عبد الله بن سبأ (طه حسين) وهم يعملون على اعطاء القارىء فكرة ان فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام ويشوهون الفتح الاسلامى ويعطون الصهيونية حقا مزعوما باطلا فى العودة الى فلسطين .

أما الاستشراق الماركسى فهو يعتبر حركات الانتقاض على الاسلام كالباطنية والسبئية والقرامطة والزنج والنصيرية حركات عدل اجتماعى وحرية وهو يحاول أن يفسر التاريخ بالمعدة والطعام ويوقع بين ابناء الامة الواحدة بالصراع الطبقى وحرب الطبقات .

وهم فى مجموعهم يقدمون البهائية والقاديانية ودعاوى توحيد الاديان والحوار واحياء مفاهيم ما قبل الاسلام والاهتمام بالفلكلور والتراث الفلسفى والصوفى المحرف (الحلاج وابن عربى وابن سبعين) والاهتمام بالشعر الاباحى والادعاء بأن القرن الثانى الهجرى كان عصر شك ومجون واحياء الشعر المنسوب الى الخيام واحياء جبران واخوان الصفا والزنج والقرامطة والاغانى والف ليلة .

واذا كانت الصحوة الاسلامية حققت شيئا ذا بال فهو انكشاف مخططات المؤامرة التى ترمى الى صهرنا فى بوتقة الأممية وقد أخذ الاسلام يهز العالم من جديد ويثبت قدرته على العطاء بعد أن نضبت منابع الغرب وتبين للناس فى الشرق والغرب حاجتهم اليه لقيادة البشرية وانه البديل الحقيقى للنظامين اللذين يترنحان الآن لانهما خرجا عن أمر الله : بعد أن شهد بذلك عظماء الغرب ومفكروه انفسهم واليومنجد تحولاكبيرا ، نحو رجالظهروا فى عدة مجالات اعترفوا بالقرآن والاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم واعترفوا بدور المسلمين فى بناء الحضارة ومنهم من اعتبر محمدا (صلى الله عليه وسلم) على راس مائة عظيم فى التاريخ وكشفوا دور المسلمين فى بناء الحضارة وكشفوا زيف الكتب القديمة ، وبرءوا المسلمين من التبعية للفكر اليونانى أو النظم الفارسية والرومانية القديمة ، كما كشفوا مؤامرة تحرير المراة ومخطط اذابة المسلمين فى بوتقة الاممية العالمية واخراجهم من ذاتيتهم الخاصة وكشفوا عن ان الحضارة الاسلامية حضارة مستقلة عن الحضارة العالمية وان الشريعة الاسلامية مستقلة عن القانون الرومانى وغيره وأن الاسلام دين متميز بذاتيته الخاصة كما ظهرت نظرية الانقطاع الحضارى الذى يؤكد انه من المستحيل العودة الى ماقبل الاسلام .

ان صيحة أمتنا فى هذا العقد الاول من القـــرن الخامس عشر ، ليست فى السبق الحضارى أو امتلاك الادوات المادية وانما هى (الاصالة) ان الطريق الوحيد الى النهضة باعتراف عشرات من المفكرين الغـــــربيين انفسهم هو امتلاك ارادتنا وتطبيق مناهجنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية التى نبتتشخصيتها عليها منذ قرون طويلة والتى لا يمكن ان تحقق النصر بعد مرحلة التخلف الا بالتماسها والعودة اليها .

والحقيقة أن امتنا تمتلك مناهج اصيلة فى الاقتصاد والاجتماعوالسياسة والتربية والقانون شهد بها اساطين الفكر فى الغرب (والحق ما شهدت به الاعداء) فضلا عن أن منهجنا الاسلامىالربانى المصدر الانسانى الوجهة لايحول بيننا وبين التقدم ولا العصرية ولا التماس متاع الحياةالدنيا ولا بلوغ الغايات فى مطامح الانسان فى الحياة ولكنه ينظم هذه الحياة بالضوابط والحـــدود التى تحمى الشخصية المسلمة من الظلم أو الاستسلام لظلم الاخرين وانه ليس فى ديننا شىء ما يحـــول دون التقدم والعصرية بمفهومهما الاسلامى بل ان منهجنا هو الذى سيوجــــــه الانسانية الى طريق الله : بالالتزام الاخلاقى وبالمسئولية الفردية والايمان بالجزاء الاخروى وبان موارد الارض جميعها هى للناس جميعا تحت لواء الاخــاء الانسانى والعدل والرحمة .

ان البشرية تطالب بنظام اقتصادى جديد وليس غير الاسلام ان العالم كله يتطلع الى فجر جديد وليس غير الاســـلام .

أن الامم التى تخوض فى محيطات الفساد والاباحة تتطلع الى بر النجاة .

وليس غير الاســـلام .

هذا وبالله التوفيق .

* * *

حـــــــــــذار ..!

من الانصهـــار فى بوتقـــة الغـــرب

يحتاج الاســــلام من الدعاة الى الله « التعريف بالاسلام والدفاع عنه » فان الاســـلام ما زال محتاجا للدفاع عنه بالرغم من قول القائلين بأنه لم يعد قاصرا واننا نضعه دائما فى قفص الاتهام أو اننا يجب أن ننطلق من منطلق الهجوم ، والحقيقة أن رسالة التعريف بالاسلام والدفاع عنه رسالة خالدة مدى الدهر ما بقى الاسلام لأن هناك محاولات دائبة لا تتوقف للنيل منه واثارة الشبهات حوله هذه المحاولات ترمى الى عدة اهداف :

أولا : الى تهوينه فى نظــر أهله وتشكيكهم فيـــه واخراجهم منه وذلك بانقاص قيمه ومقوماته .

ثانيا : اثارة الغبار حوله فى وجه زحفـــه السلمى الى مختلف المجتمعات العالمية اليوم بعد أن أصبحت له جاليات عريضة فى مختلف أنحاء أوروبا وامريكا واستراليا تقدمه كنموذج تطبيقى حى لاهـــل المناطق . وقـــد تعلمون أن هناك محاولات تجرى اليوم للتقـــارب بين الاديان بعض هذه المحاولات من صنع الصهيونية العالمية بهدف اضعاف الاسلام وبعضها الآخر يرمى الى «التمويه» والخداع بينما قوى التبشير ما تزال تعمل فى قـــوة فى مناطق مختلفة من افريقيا وجنوب شرق آسيا ولعـــل القضية الكبرى هى الحيلولة دون وصول الاسلام الى الامم الغربية المتعطشة الآن الى منهج حياة ونظــــام مجتمع بعد أن فسدت الديمقراطية والاشتراكية جميعا ويتطلع العالم الى نظام جديد ، ولما كان هذا النظـــام الجديد الذى تتطلع اليه البشرية ، فى القـــرن الخامس عشر ليس سوى الاسلام ، فان هناك محاولات لحجب الاسلام بدعاوى الحوار والحوار يهـــدف الى حقيقة الحصول على اعترافات اسلامية من علماء مســـلمين لامعين بأنه لا توجد خلافات حقيقية بين الاســـــلام والمسيحية ، وان الخلافات بينهما هى خلافات اكاديمية وذلك لتقديمها الى الغـــربيين لاقناعهم بأن تطلعهم الى الاسلام لا يفيد بعد أن تبين لهم — كذبا وزورا — انه لايوجد خلاف بينه وبين المسيحية ولذا عليهم الا يلتفتوا الى الاسلام ، ونحن نعرف ان محاولة حجب الاسلام عن اهل الغرب هى رسالة التبشير والاستشراق الاساسية وأن هـــذه الرسالة بدأت بعـــد عودة المحاربين فى الحروب الصليبية الى الغرب معلنين سماحة الاسلام ومتحدثين عن عدل صلاح الدين وعفوه ، وأن القضية الكبرى التى قامت من أجلها الحروب الصليبية هى تخليص بيت المقدس كانت الخديعة الكبرى حيث لم يكن هذا فى الحقيقة مؤامرة حقيقية ولكنها كانت محاولة صد أوروبا عن الاسلام .

ان القوى التى ترغب فى استدامة السيطرة على عالم الاسلام تخطط فى مكر شديد فى سبيل تعويق نهضة هذه الامة وذلك عن طريق اذابة شخصيتها وصهرها فى بوتقة (الاممية العالمية) واحتوائها حتى لا تستطيع أن تظهر بذاتيتها الخاصة التى تميزها : ذاتية التوحيـــــد والعدل والرحمة والاخاء البشرى الذى عرفت به الذاتية الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا وكانت علامة واضحة على طابعـــه . .

ان الاسلام صديق للاديان وللامم والحضارات يود أن تقوم علاقته معها جميعا على أساس التعارف والالتقاء واقتباس الصالح ، ولكنه حريص على أن لا يفقد ذاتيته فى هذه الجولة من جولات الالتقاء الثقافى والحضارى فهو ليس عدوا مقاتلا ولا خصما مصارعا ، ولكنه بحكم آياته المحكمة يستطيع أن يلتقى مع الاديان فى مواجهة التحديات التى تواجه البشرية : دون أن يخضع للمحاولات التى تريد أن تحتويه أو تذهب بذاتيته الخاصة . ولن تكون حضارة الاسلام المتجددة معارضة أو مصارعة للحضارة القائمة ولكنها ستقدم للبشرية ذلك اللون الربانى الخالص الذى عجزت عنه هذه الحضارة المادية .

***

الباب الثالث

الإســـــلام فى عالـــــم الغــــــرب

أولا : الاسلام فى الغرب مدخل الى حضارة المستقبل

هذا السؤال الذى يتردد اليوم ، لماذا هذا الاهتمام بالاسلام فى المجامع الدولية وهذه المؤتمرات المتعددة التى تعقد هنا وهناك لدراسة الصحوة الاسلامية ، وظاهرة اعتناق الغربيين للاسلام ، والعقبات التى تواجه هـــذا التيار ، أن أبرز هذه الظواهر هى أن هنـــاك كتاب فى الغرب اليوم ، متحررون من سيطرة النفوذ الاستعمارى والنفوذ الكنسى ، وأن هناك محاولت أخرى لكسب ود المسلمين والعرب ومن ذلك ما نراه من التحول نحـــو الاعتدال فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحف الغرب ونحن هنا لا ننبهر بهذا الاتجاه ولكنا نسجله فقط ليكون بين يدى الباحثين عن تطور التوسع الاسلامى العالمى ويرى البعض أن هذا التطور بدأ بعد الملتقى الاسلامى فى قرطبـــة ، وذلك التقارب الذى بدأ بالتخلص من الاحكام المسبقة فى الغـــرب وفى المسيحية الغربية ضد رسول الاسلام الكريم وبدا النظر لشىء اكبر من الموضوعية والتقدير ونجد بعضهم يرد عـــدم التقدير الحقيقى لرسول الاسلام الى الجهل والعداء الســـياسى والمبادىء الوثنية المسيحية .

وهناك دعوة الى ازالة الاحكام المسبقة السلبية التى تحتفظ بها المسيحية الاوربية ضد بعض جزئيات أو أحداث سيرة الرسول الكريم .

والمسلمون يتقبلون ذلك بصدر سمح ، ولكن هناك بعض التحفظات التى تقول ان هناك محاولة للاستفادة من كتـــابات المســـلمين عن المسيحية لخدمـــة هدف يرمى الى الحيلولة دون دخول المستنيرين الغربيين فى الاســـلام .

ومن ناحية أخرى فاننا نجد مجلة الحقيقةالواضحة وهى مجلة مسيحية تطبع خمسة ملايين نسخة وتوزع فى أنحاء العالم تقول :

لقد أصبح الاسلام قوة فعالة فى العـــالم ، ينتشر انتشـــارا سريعا حيث يزداد عدد من يعتنقه يوميـــا فى أنحاء المعمورة ، فعلى سبيل المثال يوجد مسلم واحد من بين كل خمسة أشخاص من سكان العالم ، ويبلغ عـــدد المسلمين اليوم فى العالم ألف مليـــون موزعين فى خمسة وسبعين قطرا من اقطار العـــالم ، ويردد المراقبون ان انتشار الاسلام يفوق انتشار المسيحية فى الاقطـــار الافريقية فيما وراء الصحراء بنسبة عشرة أضعاف .

وقد حان الوقت أن يطرح غير المسلمين الخرافات والافكار الخاطئة التى حملوها سابقا عن الاسلام الذى لم يعد مجرد مبادىء وأفكار وعقائد روحية فحسب بل غدا الغرب يعانى منها بشكل ملحـــوظ بحيث أصبحت لها وزنها الذى لا يمكن غض النظر عنها فى تفسير مقادير وأمور العالم حاضرا ومستقبلا .

ان الاسلام بالنسبة لمعتنقيه فى جميع أنحاء العالم انما هو نظام حياة يومية كاملة لا يتجزأ وبينما لا يعرف المسيحيون الطريق الى كنائسهم الا أيام الاحاد لفترة وجيزة ، فان الوضع يختلف بالنسبة للمسلمين الذين هم على اتصال روحى دائم بالخالق الاعلى ، يوميا ، من خلال اداء فرائض الصلوات الخمس اليومية وصـــلاة الجمعة التى تعتبر مؤتمرا أسبوعيا لمسلمى العـــالم يجتمعون فى الصلاة وتناول الاراء حول ما يهمهم فى حياتهم اليومية من قريب أو بعيد .

ان نسبة الجريمة فى العالم الاسلامى اقل منهـــا بكثير مما هو فى العالم الغربى الأمراض الاجتماعية التى غدا الغرب يعانى فيها بشكل ملحـــوظ بحيث أصبحت تهدده بالانحلال والتفسخ كالمســـكرات والمشروبات الروحية بأنواعها وتعاطى المخدرات رغم محاولات وضع التشريعات والانظمة والقوانين الوضعية : وانفاق مبالغ مالية هائلة لهذا الغرض ، نرى العكس بالنسبة للعالم الاسلامى حيث أن الاسلام قد سبق المشرعين الغربيين منذ القرن السابع الميلادى عنـــدما جاءت التشريعات

والانظمة والقوانين الاسلامية السماوية بالحلول الناجعة لمثل تلك الامراض ونجحت فيها .

وذكرت المجلة حقيقة واضحة يتجاهلها المسيحيون ورجال الدين المسيحى ، والكنيسة بمؤسساتها وتنظيمها وهى أن العهد الجديد وان كان قد اتم واكمل وضعه قبل ميلاد الرسول محمد الكريم صلى الله عليه وسلم بخمسة قرون زمنية الا أنه لم يهمل مستقبل الاسلام ، فالانجيل يشير ويظهر بوضوح الى قيام اتحاد عربى اسلامى فى الشرق الاوسط سيكون له دور حاسم فى مجرى التاريخ » .

ولا ريب ان هذه الكلمة فيها من الانصاف ما فيها ، وما اعتقد أنها ترمى الى هدف من أهداف التآمر على نهضة المسلمين ، بل هى توحى بأن يتخذ الغرب طريقا كريما فى التعايش مع هذا التيار الجديد دون احتوائه او القضاء عليه ، وهذا صوت بدا يرتفع فى الغرب ويجد له صدى واسعا لولا بعض المحاولات التى تجرى من أعداء الاسلام نفسه .

فاذا اضفنا الى هذا التيار ما يتحدث عنه بعض مفكرى الغرب كذلك الذى جاء فى كتاب (لمن) فى محاولة للتعرف عن مستقبل الحضارة ، بعد أن اخذت الحضارة الغربية تمر بمرحلة الازمة والانهيار ويقول الباحث ان الحضارة تخضع لقانون التناوب التاريخى ، فوجد أن أصلح وريث للحضارة الغربية هو فى المشرق وبالتحديد فى البلاد الاسلامية وقد ذهب البحث الى ان الامة العربية الاسلامية سليمة فى جسدها البشرى غنية فى مواردها الطبيعية وما ينقصها هو توظيف هذه العطاءات :

وهى عطاءاتها الطبيعية فى باطن الارض وعطاءاتها البشرية على ان الشيخوخة لا تشكل النسبة الكبرى من السكان كما هو فى غيرها من الامم المتحدة الى جانب عطاءاتها التاريخية من قيم العدالة والكفاية ومن الممكن بما للأمة الاسلاميةمن عطاء بشرى متزايد وعطاءتاريخى عظيم تستطيع أن ترث حضارة المستقبل » ..

وبالرغم من هذا أصبح مفهوما ومقررا فان هناك محاولات ضخمة لدحضه او لتأخيره ولقد تحدث عنه المؤرخون الاوربيون منذ ١٩٠٧ عندما اعلنوا فى مؤتمر ضخم ، ان أهل هذه المنطقة العربية الاسلامية هم ورثة الحضارة الغربية التى لم تكن قد تهاوت ولكن كل علامات انهيار الحضارة الرومانية كانت قد بدت على الحضارة الغربية : اقول بالرغم من هذا فان محاولات تأخير امتلاك المسلمين والعرب لارادتهم واستئناف حضارتهم وبناء مجتمعهم الربانى ، ومن هذا محاولة احتواء المسلمين والعرب فى اطار الحضارة الغربية ، أو الاقتصاد الغربى أو ما يسمونه قبول العرب والمسلمين لطابع الحضارة الحالى بكل ما فيه من أخطاء وبما يخالفه أو يناقضه من مفهوم الاسلام للمجتمع والحضارة والاقتصاد والواضح تماما ان هذه المحاولات كلها لا تلقى قبولا من النفس العربية الاسلامية التى صدمتها محاولات فرض المذهبين الليبرالى والاشتراكى عليها ثم فشل هذه التجارب واحدة بعد أخرى ، فالمسلمون اليوم يعرفون طريقهم ويرون ان منهجهم هو وحده القادر على بناء مجتمعهم وحضارتهم وأنهم غير راغبين فى الانصهار فى حضارة العصر وهى فى مرحلة الانهيار والازمة ، وكل ما يتطلعون اليه هو الحصول على انجازات العلم والتكنولوجيا منفصلة عن النظام الغربى لتطبيقها وتطويرها ، وذلك ان لهم منهجهم الاصيل فى التعامل مع الحضارة وفق مفهوم ربانى أمدهم به القرآن ودعاهم اليه الاسلام وطبقوه على مدى ألف سنة قبل هجمة النفوذ الغربى للسيطرة عليهم وليس معنى هذا انهم يرفضون منطق العصر والعودة الى منطق الماضى ولكنه دعوة الى التماس المنابع والتحرك من داخل منهج الاسلام نفسه الذى يختلف كثيرا عن منهج الحضارة الغربية فى أمور اساسية فى مقدمتها النظام الربوى ، والاستعلاء العنصرى ، واذلال المستضعفين ، والاستئثار بالثروة والمكانة . وتهديد العالم المستمر بالحرب النووية .

وأن مشعل الحضارة العالمية حين انتقل الى الغربيين واخذوا مادة علومهم من المسلمين ، لم يقبلوا ان يتحركوا من خلال مفاهيم الاسلام بل أخذوا ذلك وصاغوه فى اطار فكرهم اليونانى الرومانى المسيحى .

ومعنى هذا أنه ليس صحيحا ما يتآمر به المستشرقون والتغريبيون من ضرورة حصول المسلمين على الحضارة بفكرها وعقائدها فذلك مالا يقبله عقل ، وما يتجاوز المنطق : وان الحضارة والعلم هما بمثابة أوعية ومادة خام من حق كل أمة أن تمتلكها وتصوغها فى دائرة عقيدتها وتصهرها فى اطار مزاجها النفسى والاجتماعى ، وانه ليس فى قدرة أحد أن يفرض على المسلمين هذه الفكرة المسمومة .

* * *

الحضــــارة في مرحـلـــــة « المـــــأزق »

يقول العلامة السيد أبو الحسن الندوى :

ان الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار وآذنت بالافول والزوال انها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد الذاتية ، بل لانه ليست هناك فى هذا المجال حضارة تحل محلها وتسد فراغها والعالم الاسلامى مدعو بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذى سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة وانسحابها من مسرح الحياة ، عندما يرد اليه منصب قيادة الجنس البشرى وتوجيه الشعوب المعاصرة مرة ثانيةوالمسلم معه رسالةعالمية وعنده ارتباط بين الوسائل والغايات ، الذى حرمه الغرب والشرق على السواء »

والحقيقة أن العالم يسعى منذ وقت طويل فى البحث عن بديل عن حضارة الغرب ، ولا يوجد الا الاسلام ، الذى يتميز منهجه على المناهج البشرية تلك « الاداة » التى فقدتها الحضارة الغربية المعاصرة وهى الربط بين القيم التى ظن الغرب انها متعارضة ، فالاسلام يربط بين الالهى والبشرى وبين المادى والروحى ، وبين العقـــل والقلب وبين الوسائل والغايات ومنذ فصلت الحضارة الغربية فى مطالع عصر النهضة بين هذه القيم ، وهى تسير فى تيه مظلم مدمر ، حيث تنمو فيها معطيات المـــادة وتنكمش فيها معطيات الروح : ومن هذا الانفصام نشأت كل المحاذير والمخاطر ولعلّ أبرز مثل تصور به الفلسفة المادية الغربية المعاصرة هو :

منازعة الفطرة ومشادتها ومعاكستها والسبح ضد التيار العنيف فحيث يوجه الله تبارك وتعالى الانسان الى مهمته فيصنع له خلايا جسمه وعقله وتكوينه النفسى والوجدانى على نحو يتفق مع مهمته كرجل والمراة كزوجة ولهذا،نرى الفلسفة الماديةتصر علىمساواة المراةوالرجل فى كل شىء وتغلو فى ذلك غلوا شديدا حتى انها تجعل ذلك أساسا لحركة المجتمع والحضارة ومن هنا تأتى الاضطراب والازمات وعمليات الصراع وما يسمونه ازمة الانسان الحديث : القلق والتمزق والغربة النفسية .

ومهما فتح العـلم من آفاق فان الفلسفة المادية لا تزال صماء فالعلم يقول اليوم من خلال الكرموسات انه لا تماثل مطلقا بين الذكر والانثى ، وان ملايين الملايين من الخلايا توضح لك الحقيقة الفاصلة بين الجنسين ، خلايا الجلد ، خلايا الشعر ، خلايا الفم ، خلايا الدم ، حتى خلايا المخ والعظام تنبئك بالحقيقة التى يريد بعض الناس اليوم تجاهلها وادعاء مساواة الجنسين : وهم بذلك يصادمون الفطرة فى كل خلية من خلايا الجسم الانسانى وفى كل ذرة من ذرات تكوينه ، وفى هرموناته المختلفة ، بين الذكورة والانوثة ، وفى تشريحه الجسمانى المختلف فليس الخلاف فى الجهاز التناسلى فحسب : بل فى تكوين العظام وهيأتها ، وتكوين العضلات والاوتار وشدتها ثم ترتفع الفروق من الجسم الى النفس ، ومن الخلية الى السلوك ، ومن العظم الى الفكر ، ومن الجلد الى المنزع والرغبة والتوجه » .

ولكن هل تغير الحضارة طريق سيرها ؟ .

كذلك من حيث يكون الانسان بفطرته ربانيا فى عمله ودوافعه وحركته وتعامله مع المجتمع والناس ، يختفى هذا البعد الربانى اختفاءا تاما من المجتمعـــات والحضارة على نحو يغلو فيه الانسان غلوا شديدا حيث يعتبر نفسه صاحب القدرة والمتصرف فى الامور ، ويعتقد أن الطبيعة خلقت نفسها وانها تدير نفسها ، وانهلاصانع وراء هذا الكون الهائل ثم تأتى الازمات الشداد التى تهز المجتمعاتالتى تخالفعن أمر ربها،والتى تعارضنواميس الكون وسنن المجتمعات : فتوغل فى اسرافها الشديد فى الشهوات والتحلل والمتع والانحراف حتى تسقط سقوطا مدمرا ، وما تزال الحضارات المادية تكرر نفسها دون الاعتبار بما حدث للحضارات السابقة حين اندفعت وراء الترف والشهوات والفاحشة .

(أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) ومن حيث النظرة الى الامور نجـــد الاهواء تحيط بما يسمى اعتدادا بالمنهج العلمى وتسيطر عليه وسائل التبرير والتأويل الهروب من الحقيقة وتغليب المطامع وأهواء النفس والظنون دون الحقائق الدامغة .

(أن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) .

ثم يأتى استعلاء العنصروالجنس ، الجنس الابيض الذى لايغلب،صانع الحضارة، وهو ترديدلما كان‌يقال‌من قبل (روما سادة وما حولها عبيد) وما تزال هى‌الحقيقة وان غلفت بعبارات جديدة اقل خشونة مع أن البشرية كلها لآدم وآدم من تراب .

ثم تأتى الموجة الجارفة موجة العقلانية واعـلاء العقل الى حد يجعله يفوق فى قدرته ومهمته حقيقته ، وتصل المغالاة الى حد تقديسه وانكار كل ما سواه من عواطف ومشاعر .

مع أن الانسان مكون من عقل وروح ، وأنه مزيج منهما وان اعلاء شأن جانب منهما على الجانب الاخر هو خطر كبير ، كل هذا يوحى بفساد الوجهـة فى الحضـارة الغربية القائمة ويكشف عن انحرافها حتى اننا نجـد الباحثين من العلماء الغربيين يقررون ذلك فيقول دكتـور ماكس تريش العالم الالمانى :

اننا نعيش فى فراغ ايدلوجى ، بمعنى ان المفاهيم والايدلوجيات التى بين ايدينا ، الماركسـية من جانب والليبرالية والراسماليةفقط من جانب آخر أصبحت‌ادوات لا تطابق الواقع الذى تواجهه ، هذا الفراغ الايدلوجى فراغ خطير ولفظ ايدلوجى بمعنى عقائدى وفكرى ، هذا الفراغ هو فراغ « قيم » أى نقص فى القيم وتبعة ذلك ان جزءا كبيرا من لغة السياسة ومفاهيمها ليس أكثر من كلشيهات أو تعبيرات رائجة بلا مضمون حقيقى ، نحن نعلم أن العـالم قد فقـد الروابط والابعاد من الناحية الفكرية والعقلية وعندما نتحدث عن قضايا الشخصية الذاتية ليس على المستوى الفردى فحسب وانما على المستوى القومى والوطنى فان هذه القضية لا تواجـه العالم الغربى وحده أو العالم الثالث وانما أيضـا بلدان وسطأوربا ، أن الحضارة الامريكية تمثل انحرافاحضاريا بالمقارنة الى أصولها الاوربية : لقد فاجأتنا التكنولوجيا وتغلغلت فى حياتنا وأصبحت تقدم لنا أشياء لم نطلبها فى الاصل ومع ذلك فعلينا أن نتعامل مع هـذه الاشياء الجديدة التى تتقدمها لنا ، ان العـالم الثالث (العـالم الاسلامى) قد غمرته منتجات العالم الاول « الغرب » بما تحمله من سلبيات وعناصر مخربة ، وقد اجتاحت العالم الثالث تكنولوجيا العالم الاول فى صورها السلبية الطاغية ، فنحن لا نقدم للعالم الثالث حضارة جديدة أو حضارة مكملة ، كما حدث‌فى تاريخ الحضارات ولكن‌هناك عنصر غير ضارى طغى على جميع أوجه الحياة .

هذه صورة الغرب القائمة بقلم أحد ابنائها ، وهى عبرة لقومنا الذين مايزال يخدعهم بريق حضارة تهوى وتغرب وتمر بمراحل نهايتها ، وما تزال جماعات المسلمين المهاجرين الى دول الغرب تقدم بحياتها ومجتمعاتهـا للغربيين صورة الاسلام ، هذه الالوف الكثيرة التى لاتزال مصرة رغم هجرتها وفقرها ، وتعنت المجتمع الغربى معها لا تزال تحافظ على كيانها ووجودها ، يقول الشيخ حامد خليفة أمام مسجد لندن :

هناك اقبال من الانجليز على اعتناق الاسلام ، بسبب افلاس الحضارة الاوربية من القيم والاغراق فى الحياة المادية ، حتى الاذقان ، فهناك الذين سأموا هذه الحياة المادية وراحوا يبحثون لهم عن مخرج ، من هذه الحضارة المدمرة لانسانية الانسان ، فاذا عرف الاسلام وجد فيه ضالته وانعتاق روحه ، وقد اسلم على يدى ما يقرب من ستين حالة وأقربها أمس طبيبة هندوكية وقد تم زواجها من طبيب مسلم محافظ على دينه وانا لا اتركهم بعد اشهار اسلامهم بل أتابع حالتهم وامدهم بالكتب التى تعمق فهم الاسلام واجيب على أى تساؤل يطرحونه على وفى قرية (نورش) التى يقيم فيها عدد ضخم من المسلمين الانجليز ، هناك مائة أسرةمسلمة : اغلبهم دخلوا الاسلام عن طريق مسلم انجليزى اسمه عبد القادر . وكان قد اسلم على يد أحد المتصوفة فى المغرب العربى وقـد اختاروا مذهب الامام مالك لانه مذهب أهل المدينة المنورة وهناك قرى أخرى فى شمال لندن (ديوزرى) برمنجهام فالسثير : برايفورد ، لا توجد مدينة فى انجلترا اليوم ليس فيها مسلمون » .

وهذه الصورة تضاف الى شبيهات بها فى المانيا وفرنسا وبلجيكا . فاذا اضفنا الى هذه الصورة كلمات الفلاسفة الذين دخلوا الاسلام فعلا أمثال جارودى عرفنا الى أى مدى تصل حركة الصحوة الاسلامية بالعودة الى المنابع يقول جارودى : ان هدفنا الاخير ان نظهر للغربيين كيف أن الاسلام هو الوحيد القادر اليوم على فتح‌الطريق أمام المستقبل خارج النمطين (الامريكى الرأسـمالى والاشتراكى) اللذين وصلا الى طريق مسدود علينا أن نقاوم العنصرية القبلية الغربية اليوم بكونية الاسلام » .

***

ظاهـرة الدخول فى الاســلام : ماذا تعنى ؟

منذ توقف الاسلام عند حدود عالم الغرب فلم يصبح الا دين الجماعات المهاجرة من افريقيا وتركيا ، من وراء تاريخ طويل حين اغلقت المضايق أمام المسلمين من منافذ طنجة وجبل طارق من ناحية ومن البلقان من ناحية اخرى كانت ظاهرة دخول أهل الغرب فى الاسلام تحتاج الى وقفة وتأمل ، وفى خبر نشر فى الاخير فى أكثر من صحيفة ومجلة فرنسية يقول أن خمســين الف فرنسى أشهروا اسلامهمفى السنوات القليلة الماضيةوان هؤلاء الفرنسيين الذين دخلوا الاســلام هم من مختلف الطبقـــات الاجتماعية والثقافية فى فرنسا وقد تعددت تعليقات ذوى الرأى هنالكمع حدث سبقهما هو اسلامالعالمين الكبيرين الطبيب موريس بوكاى والفيلسوف جارودى، أما صحف الكاثوليكية الفرنسية فتقولَ أن هذه الظاهرة تحير رجال الدين فى فرنسا وانهم يبحثون عن الاسباب التى جعلت خمسين الف فرنسى يعتنقون الاسلام فكيف يترك الناس دينهم فى أوربا وأمريكا ويعتنقون ديانات أخــرى وكيف يتحول رجل عالى الثقافة مثل جارودى الى الاسلام ، لقد بدأت المسألة بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما احس المثقفون أن مناهجهم البشرية لم تحقق شيئا من العطاء الروحىأو تحققَ الاشواقالنفسية وانطغيانالمادة غلب على كل شىء وقد اصبحت الفلسفات الوجودية وغيرها مبررات للواقع ، لقد كشفت النظريات العلمية والعقلية فساد مقولات كثيرة كانت تقال ويطلب اعتناقها قبــل مناقشتها ، فضلا عن التبـاين الواضـح بين طبيعــة المسيحية السمحة الكريمة وبين واقع المجتمع الغربى فى عنفه وحقده وانتقامه ، وفى تكالبه على المطامع المادية واسرافه فى مجال الشهوات والغرائز .

وحين فتحت طاقة صغيرة من النور اطل منهــا الاسلام على الغرب ادهش المنصفين من الاسلام تلك السماحة وروح العدل والمساواة التى تحفل بها كلمات القرآن ، والنظافة التى يتحدث عنها الرسول (الطهارة) نظافةاليد والقلب واللسانوترك المسلم لخالقه بلا وسيط أو كاهن ، ومنهم من سافر الى جبالَ الهملايا وجلسوا مع الكهنة البوذيين فوقَ قمم الجبال يتأملون ويبحثون عن الحقيقة ، ولم يجدوا عندهم ما يشفى العليل ، كما بحث آخرون عن الدين الذى ذروهم منه وقالوا لهم أنه لاقيمة لهم، فلماذا سألوا لماذا اذنهذهالمؤلفات الضخمةعنهوالتى تفوق ما كتب عن الاديانالاخرى اذا كان لا اهمية له، فلما سألوا لم يجدوا جوابا ومنهم الذين اتصلوا بالمهاجرين من العالم الاسلامى (المغاربة والاتراك) الذين جاءوا سعيا وراء الرزق ، ومنهم من سافر الى دول العالم الاسلامى كالمغرب كل هذا فتحأمامهم آفاقا جديدةفان الغربى عندما يكون متجردا من اوهام الهوى والتعصب : ويقرأ عن عظمة محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدينفانه يفيقَ من النوم ويرى عالما جديدا ليس له به عهد ، عالم بعيد عن صراع المادة .

وقصة برناردشو مع الاسلام معادة ومكررة ، فقد قال فى دمشق عام ١٩٣١ فى طريقه الى الشرق الاقصى اسليم خياط : اننى أجل محمدا واحترمه كواحد من بضعة عظمــاء فى التاريخ ولما سئل عن المسيح قالَ : الى الانلم أكون لنفسى رأيا خاصا فى أمر هذا الانسانولاشك كان رجلا كبيرا ، ولكنى رأيت فى دراستى للنبى العربى أنه كان من أكبر أنصار المرأة الذين عرفهم التاريخ وقد كان للمرأة أثر فى حياته (يقصــد ما قرأ عن السيدتين خديجة وعائشة) .

ويقول برناردشو فى قصته (الزنجية تبحث عن الله) : ان محمدا خطا خطوة كبيرة الى الامام عندما احل ديانة التوحيد فى محل عبادة الاصنام ودعا الى اعادة النظر فيما احاط الاديان السابقة من الشــوائب والى التعرف الى الجوهر الصحيح فيها : ان الوصية الثانية من وصايا الله المذكورة فى التوراة التى تقول : لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة من الصور ، لا تسجد لهـــا ولا تعبدها ، وهذه الوصية تجد احتراما من المسلمين اكثر مما تجد من المسيحيين ، ويقولَ : انى اعتقــد أن الامبراطورية كلها ستعتنق الاسلام قبل نهاية هذا القرن أنا معجب بمحمد واوافق على آرائه فى الحياة الى حـــد بعيـــد » .

ومنذ تلك الخطوة والخطوات تتوالى .

ومن كتابات الغربيين المنصفين نجد ضوءا كاشفا فيقول أحدهم (الاسلام يغزو الغرب بدون غزاة) .

وان ظاهرة تزايد اعتناق الاســلام فى أوربا على أساس من الدراسة والاقتناع .

ويقول الكاتب : هناك اتجاه متزايد بين شــعوب الدول الغربية لاعتناق الاسلام اتخذ هذا الاتجاه شكل الظاهرة اللافتة للانظار فى الوقت الراهن ، حيث تلجــأ أفواج متتالية ، الى المراكز الاسلامية فى مختلف الدول الاوربية وتطلب اشهار اسلامها ، بالرغم من المحاولات اليائسة التى يقوم بها اعداء الاسلام لتشويه صورته واستغلالهم لضعف المسلمين وفرقتهم والخلافات القائمة بين دولهم كذرائع للنيل من دين الله ، الا أن اقبـــال الشعوب الاوربية فرادى وجماعات على اعتناق الاسلام يتزايد يوما بعد يوم وقال انه يدعو الى الاقبـــال على قراءة ما كتب عن الاسلام والاديان واجــراء المقارنات بينها والتحصن ضد محاولات التشكيك التى يروجهـــا أعداء الاسلام .

ولباحث غربى آخر يقول : ان الدين الاسلامى المعروف فى الغرب هو شىء والدول الشرقية شىء آخر ، فكما أنه لا يجوز لنا كباحثين منصفين أن نقـــول بأن المسيحية مسئولة عن مساوىء حكم الجنرالات الشيليين لا يجوز أن نقول بأن الاسلام هو مرآة مساوىء ومصدر مآسى الشرق والشرقيين ، والاسلام دين سماوى مقدس هو مصدر الغذاء الروحى للمسلمين ، هؤلاء يعيشون فى عالمنا ، لا فى الاسلام وعليه فان معرفة الاسلام والمسلمين تفرض على العارف معرفة العالم الذى يعيش ضــمن نطاقه المسلم وغير المسلم ، فالمسلمون هم أعضاء فى المجتمع الاسلامى كسواهم من المؤمنين بالاديان الاخــرى أنهم أعضاء صالحون منتجون فى المجتمع الانسانى الــذى يشكل الاسلام جزء منه .

ويقول الاستاذ شعبان الخرولى تحت عنوان (فى الغرب يتحدثون عن الاسلام) : ان الظروف الاقتصادية فى أوربا الفلسفة التى قامت عليها فى القرن العشرين كانت بمثابة فترة المخاض ، التى سبقت ميلاد التوتر الذى ساد بين الجماعات والافراد فى القـــارة الاوربية انهم يبحثون عن مخرج ، ولكن وسائل الاعلام فى القارة الاوربية تعمدت مخططا مرسوما يرمى الى ابعاد الاسلام بسماحته ومبادئه من الوصول الى الشباب فى أوربا بل تعمدت أن تشوه هذا الدين ، لقد عملت وسائل الاعلام الغربيةعلى عزل الفرد حتى عن أهلهوعشيرته ، وجعلته يلجأ اليها كبديل لهم ، وتحولت وسائل الاعلام فى أوربا الى مخدر للانسان الاوربى ، فأخذت تقارن بين الاسلام وبين واقع الانسان المسلم ، ويقارن بين مبادىء محمد الحقيقية وبين ما تعمدت وسائل الاعــلام تشويهه ، ومع ذلك فقد اعتنق الكثيرون الاسلام ، ووقف كثير ممن يعتنقونه موقف الاحترام والتبجيل .

ومن هؤلاء (برناردشو) الذى وصف النبى محمدا صلى الله عليـــه وسلم بأنه شخصية تستحق الاحترام والدراسة وقال ان مشاكل العالم المعاصر لو وضعت على مائدة محمد لحلها وهو يحتسى قدحا من الشاى ، ومن ثم بدأ البحث فى هذا الدين بعيدا عن التحيز الاعمى الذىظل مسيطرا على العقلية الاوربية، وعلى الداعية الاسلامى محاولة علاج ظاهرة التوتر والقلق التى اجتاحت شباب أوربا خاصة فى العقدين الاخيرين معالجة اسلامية بشكل يجعل هذا الشباب يجد الحل الذى يبحث عنه والذى فشلت فى تحقيقه الفلسفات المادية والقوانين الوضعية

ان كون المســلم يؤمن بما سبق من كتب وانبياء وبدون ذلك لا يعد مسلما كامل الايمان ، هذه النقطة تخلق نوعا من القابلية للتصديق لدى هؤلاء المتلقين .

وهكذا اقتربت قلوب نفرت من الوثنية والعلمانية والمادية وحاولت أن تجد ضوءا كاشفا فلم تجــد غير الاســـلام .

* * *

الباب الرابع

في وجـــــــه التحديــــــــات

مجموعة من الحقائق أقدمها للشباب المسلم

بالرغم من كل المحاولات التى تجرى اليوم والتى يحتشـــد لها التغريبيون والعلمانيون والماركســـيون والشعوبيون لتشويه الصحوة الاسلامية والاعتمـــاد فى ما يقدمونه على كتب الباطنية والمعطلة والزنادقة القديمة بأساليب جديدة فان ظاهرة « الاصـــالة » قد أصبحت ثابتة وقائمة لا تهتز تحت أعاصير هذه الاهواء ، وانما يريد هـؤلاء التغريبيون أن يملأوا القلوب باليأس وأن يصرفوا النفوس عن الهدف الحقيقى الذى قامت الدعوة الاسلامية على العمل له ، بالحسنى والموعظة والحكمة وافساح الطريق امام الحوار الطيب الكريم وأن يلتقى المسلمون على الاصول العامة ، ولا بأس من الاختلاف فى الفروع ، « فالثوابت الاسلامية » هى الاصول المقررة التى لاخلاف عليها ، وتأتى بعد ذلك حـــركة المتغيرات المتصلة بالازمان والبيئات ، وكثيرة هى الشبهات المثارة ، التى يثيرها خصوم الاسلام من مستشرقى الغـــرب والشيوعية والصهيونية ، وفى مقدمتها فكرة « تطوير الاسلام » : أسوة بتطوير الايداوجيات والمذاهب والنحل البشرية والاديان ذات التفسيرات المختلفة ، وقد نسى الداعون الى ذلك أن الاسلام دين ربانى موحى به وانه جاء قادرا على العطاء فى جميع العصور والبيئات وانه جمع بين الالهى والبشرى وبين الثوابت والمتغيرات وبين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والدنيا والاخرة وقد استطاع الاستجابة لمتغيرات العصور واختلاف البيئات خلال أربعة عشر قرنا ولا يزال قادرا على تقديم الحلول الكريمة لمشاكل البشرية وازمات الانسان الحديث فى العصر الحديث وخاصة مشاكل الحرية والتقدم والعدل الاجتماعى .

وقد عرف أئمة الفكر الغربى اليـــوم أن حضـــارة الغرب بأيدلوجيتها الليبرالية والماركسية قـــد أصبحت عاجزة عن العطاء وأن النفس البشرية ما زالت تتطلع الى منهج يحقق أشواقها الروحية وينظم حياتها المادية جميعا فى وقت واحد ويوازن بين حاجتى النفس والمجتمع والحضارة جميعا وليس غير الاسلام هو القادر على هذا العطاء وهذا ما توصل اليه كثيرون منهم جوستاف لوبون وبرناردشو فى القديم وجارودى وبوكاى فى الحديث .

كذلك فهناك مشكلة « الاقتباس » من الحضـــارة الغربية فما يزال المضللون يذيعون فكرتهم المسمومة التى تقول بأن على العالم الثالث ان يقبل الحضـــارة الغربية بفكرها ، وهذا رأى مضلل ولا يقبله أحد ، وعندما جاء الدور على الغرب لقبول الحضارة الاسلامية فى القرن الخامس عشر الميلادى لم يقبل فكر الاسلام ، ودول كثيرة اليوم تقبل الحضارة الغربية ولا تقبل فكرها وانما تصهره فى بوتقة ثقافتها الخاصة فكيف يطلب الى المسلمين هذه التبعية .

ان المسلمين منهجهم الخاص وشخصيتهم الذاتية ، التى شكلها القرآن الكريم والاسلام وهى التى قادت رحلتهم خلال هذه القرون العديدة وصنعت لهم قوائم مجتمعهم وقواعد حضارتهم وهى الأطار الاساسى الذى سيشكلون عليه وجودهم غدا وبعد غد وسوف لا يأخذون من الغرب نظما وانما يأخذون أساليب عمل ، وكل ما يأخـــذونه سيكون بمثابة مواد خام يصهرونها فى حضارتهم وفق مناهجهم القائمة على التوحيد والاخاء البشرى والرحمة وهى تختلف تماما عن مفاهيم الحضارة الغربية والصراع الغـــربى والماركسى فى السيطرة على العـــالم وثرواته والتنافس فى أنفاق الثروة العالمية فى أمرين فى التســـليح وفى الترف والانحلال بما يعرض العالم كله لازمات نفسية ما تزال قائمة تدمر النفسية الانسانية وتصهرها فى بوتقة

الازمة والقلق والغربة والتمزق ، والاسلام فى مفهومه للحضارة يختلف عن هذا تماما .

والمسلمون اليوم يكشفون مخطط التآمر عليهم سواء فى مجال السياسة أو مجال الفكر ويحيطون علما بالمؤامرات التى ترمى الى تعويق امتلاكهم لارادتهم واقامة مجتمعهم وبث مفهومه الاصيل للحضارة العالمية ، وهم فى حاجة الى الانتقال خلال العقد الاول من القرن الخامس عشر الى « الارادة » القادرة على تأكيد الاصالة وتحقيق الرشدالفكرى وذلك بالتحرر من التبعية للمذاهب والمناهج والايدلوجيات الغربية وابراز مفهوم الاسلام الاصيل فى مختلف قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية ، ولا بد أن يعلو صوت الاسلام فى اعلان منهجه بجوار الاصوات الاخرى التى تقدم مفاهيم الشرق أو الغرب .

والحقيقة أننا فى حاجة الى يقظة واعية ، وتنبه واضح ازاء ما يطرح فى افق الفكر الاسلامى فى هذه المرحلة من حياتنا الثقافية والاجتماعية فقد تجمعت اقلام كثيرة اتضرب بالمعاول فى جدار الاسلام مثيرة غبار شبهات قديمة طالما رددها الشعوبيون والباطنيون ظنا بأنهم بذلك يسلمون هذه الامة الى الاحتواء والانصهار فى الحضارات الغربية وفى الفكر الغربى المادى أن سقوط الحضارة الغربية قد كشف عن ولائه ، وهى نفس الدلائل التى حدثت للحضارة الرومانية وقد جاءت اشراطها منذ وقت طويل ، وتحدث عن ذلك جيبون فى كتابه سقوط الحضارة الرومانية وشبنجلر فى كتابه سقوط الغرب والغربيون اليوم باسم علمائهم الكبار هم الذين ينذرون بهذه النهاية اليكس كاريل ، جارودى ، وغيرهم

بل ان جارودى اعلن فى وضوح ان الحضارةالغربية ينقصها البعد الالهى للعلم والبعد الاخلاقى للمجتمع ، وفى عالمنا العربى الاسلامى تلاشت ظاهرة الانبهار الخطيرة التى عرفتها الاربعينات والخمسينات لما تتقلب فيه البلاد الاسلامية على نار الايدلوجيتين ثم تبين فشلهما وعجزهما عن العطاء ، ولقد كان لنكسة ١٩٦٧ دلالة كبرى على هزيمة التجربة الغربية كلها بكل دعاواها حرية المرأة ، تحديد النسل ، الروتارى ، الديمقراطية الاشتراكية ، الفلكلور ، التفسير المادى للتاريخ ، كما تحققت هزيمة العلمانية وهزيمة القانون الوضعى .

وتبين كذب دعاوى جيل العمالقة ، كما كشفت أبحاث التاريخ عن الانقطاع الحضارى بين عصر ما قبل الاسلام وما بعده بحيث عجزت كل دعاوى التغريب فى احياء الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية اذ لم يجد الباحثون لا لغة ولا تراثا يستطيعون ان يقيموا عليه حوائط بنائهم المهلهل .

ومن الظواهر الحاسمة التى يجب الاهتمام بها : هو صيحة عودة المراة الى البيت فهناك تحول خطير فى قضية المراة ، وقد تكشفت تلك السموم التاريخية التى كانت وراء حركة تحرير المراة التى اريد بها اخراجها من فطرتها قبل اخراجها من بيتها واخراجها من رسالتها وعملها المقدس (بناء البيوت وتربية الاجيال الجديدة) ودفعها نحوالسفور والفجور، والخروج والرقص والسهر وكل هذا قد مر فى جولة ضخمة ، ثم عادت المراة اليوم لترى انها كانت مخدوعة ، وان الرجل قد أخرجها ليفسدها وليجعلها اداة لاهوائه ومطامعه وانها وجدت ان تجربة العمل تجربة مضللة ، وان نقودها تنفقها على ملابس وزينة وأجور مواصلات ، وتكشف للرجال الذين أصروا على الزواج من المراة العاملة انهم مخدوعون ، فلم يستطيعوا أن يحصلوا من أجر المراة على شيء ، فضلا عن خزيهم فى الطمع فى مال المراة التى تترك صغارها مبكرةوتزحم الرجال فى السيارات ونجد من اخلاق الناس الشيء الكثير المهين وقد كلفهم الله تبارك وتعالى بالانفاق وميزهم به وجعل لهم القوامة : (بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما انفقوا) لقد عادت المراة الى رشدها وفهمت تكريم الاسلام لها وانها كانت مخدوعة ، وان عليها ان تعود مرة أخرى لتحتفظ لنا هذه الاجيال وترعاها وتبنيها على الرجولة والكرامة بعد أن عبثت بها عوامل كثيرةمنها الخدموالحرمان من الحنان والحضانات الفاسدة .

ولقدتكشف للمسلمين اليوم ان الخنجر الذى طعنوا به هو التعليم والصحافة وان مناهج التعليم لا تقدم لهم التربية الاسلامية ولكنها تقدم لهم العلوم مقطوعة عن أصولها وقد كان للمسلمين دور فى بناء أسسها فى بناء الاقتصاد والعلم والطب والكيمياء والنفس والاجتماع ، ولكنهم اليوم يدرسونها مبتورة وكأن الغرب هو الذى صنعها : ولذلك جاءت فكرة الولاء والتبعية للنظريات السائدة ، نظريات الادب التى قدمها وتثيروتين من أن الانسان حيوان ، ونظريات النفس التى قدمها فرويد من ان الانسان جنس ونظريات الاجتماع التى قدمها دوركايم من أن الجريمةهى الفطرةونظريات ماركس التى قال فيها ان الانسان بطن كبير يبحث عن الطعام ، كل هذا يختلف عن مفهوم الاسلام للنفس والاجتماع والاقتصاد فاين مفاهيم الاسلام ؟! انها ما تزال خارج أسوار الجامعات ، ولكن على المسلمين أن يعلموها أولادهم حتى لا يضلوا

ولا ينحرفوا وليعلموا أنه اذا كانت هناك للغرب ايدلوجية وللماركسيين أيدلوجية يصنعون بها المجتمعــــات فان للاسلام منهجا اسلاميا اصيلا : يتميز بمرونته وتفتحـــه ، ويتميز بقدرته على استيعاب متغيرات العصور والبيئات لقد سقطت قلاع كثيرة ، سقطت قلاع الاقليمية والقومية والماركسية ولم يبق هناك غير طريق واحد للمسلمين : هو منهج قرآنهم الاصيل السمح القادر على العطاء ، الذى لا يعارض العلم ولا التقدم ، ولا الحرية ولا العدل الاجتماعى والذى يختلف فى ذلك كله من معالم النظرية المادية : والجزئية ، والانشطارية التى تنظر الى الحياة من زاوية واحدة ، والتى تنسى أن للانسان روحا ونفسا وأشواقا وتطلعات تكبتها الحضارة المادية وتدمر بهـــا الانســـان .

ان النظريات التى طرحهـــا المنظرون الغربيون والماركسيون والصهيونيون قد تجاوزوها الزمن وفسدت واصبحت فى حالة الى الاضافة والحذف ، اما المنهج الربانى لقد كان ابداعه من لدن صانعه قادرا على التجارب مع الزمن وتحولاته منذ أربع عشر قرنا وسيظل قادرا الى ان يرث الله الارض ومن عليها

اما هؤلاء الذين يلحدون فى آيات الله والذين يبحثون عن النصوص المنفصلة عن ســياقها ، والذين يلتقطون الكلمات من كتابات الشعوبيين ومن كتب الرواة التى كانوا يلقونها فى الاســواق والقهاوى ، والذين يعتمدون على كتاب الاغانى والف ليلة ، والذين يظنون ان كتاب الامامة والسياسة مرجعا تاريخيا مع انه كتاب لقيط ، هؤلاء الذين يحتشدون الآن حول النبوة وحول ســـيرة الراشدين ليثيروا الشبهات حول (حكومة النبى) ويثيروا الغبار حول أبى بكر وعمر ، فانهم لن يصلوا الى شىء ، وسوف لا يخدعون أحدا وسوف يزداد الذين آمنوا برسالة الاسلام وانه دين ودولة ومنهج حياة ونظام مجتمـع ســوف يزدادوا ايمانا مهما ظاهرتهم قوى معينة ذلك أن الله يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون .

حديث من القــلب إلى الشــباب المســلم

اولا : أمران نحن فى حاجة اليهما أولهما : منهج أصيل يرد الفضل الى صاحب الفضل .

ثانيهما : تقديم وجهـــة نظـــر الاسلام فى مختلف القضــــايا .

المنهج الاول يكشف عن فضل المسلمين فى بناء جميع علوم الحضارة الحديثة .

واعتقد اننا فى حاجة الى منهج أصيل لدراسة علوم الاسلام ومعطياته سواء فى مجال الحضارة أو التاريخ أو اللغة أو الثقافة أو العقيدة أو الشريعة أو الاخلاق ، هذا المنهج الاصيل يستمد من الاسلام ويقوم على أسس ثابتة :

التوحيد الخالص ، الثوابت والمتغيرات ، التكامل الجامع بين القيم (الروحية والمادية) الايمــان بمنهج الاسلام فى النصر والهزيمة : الايمان بمنهج الاســلام فى الحضارة وسقوطها ، الايمان بمنهج الاســلام فى حـــركة التاريخ وخاصة فى الازمات ، الايمان بالرابطة الجذرية بين اللغة العربية والقرآن من ناحية ، وبين العروبة والاسلام من ناحية أخرى ، الايمان بمنهج الله فى الحدود والعقوبات ، منهج وقائى يعمل على حماية المجتمع من الجريمة لا يقوم على الجزاء عليها بعد وقوعها ، الايمان بأخلاق المجتمع وبأن الاخلاق جزء من العقيدة وهى من الثوابت التى لا تتغير ، الايمان بمنهج المعرفة الاسلامى ذى الجناحين الذى تقدمه الاسلام والذى يختلف عن منهج الغرب (الجناح المادى) ومنهج الهندوكية والبــوذية (الجناح الروحى) الايمان بمنهج العلم التجريبى الذى قدمه الاسلام ، مفهوم الحضارة الاسلامية فى العـــدل والرحمة والاخاء البشرى وهى ، عطاء لكل البشر بدون استعلاء جنسى أو أمة أو . . . .

ثانيا : أن رسالة الاسلام مدعوة اليوم الى انقاذ العالم مرة أخرى بعد أن سقط فى براثن الوثنية المادية والانهيار الخلقى ، فعلى المسلمين رفض أسلوب العيش الغربى والحصانة دون الذوبان فى حضـــارة المستعمر والتماس أسلوب الجهاد الاسلامى والامر بالمعـــروف والنهى عن المنكر .

وعلينا أن نعرف أن واقع المسلمين ليس حجة على الاســـلام .

ان ذاتية الاسلام وتميزه هو هدف دعوات التغريب

والغزو الثقافى : وهو وحده الذى يحول دون صهرنا فى الاممية العالمية أو صهر ديننا فى الاديان الاخرى .

ثالثا : هناك فوارق عميقة بين منهج الاســـلام والمنهج الغربى البشرى :

(١) ربانية المنهج وانه من عند الله تبارك وتعالى

(٢) انسانية المنهج وهو أن كل بنى آدم من تراب وانه لا فضل لعربى على أعجمى ولا أعجمى على عربى ولا أبيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح .

(٣) عالمية المنهج وهو أن الاسلام جاء للعالمين جميعا من لدن محمد صلى الله عليه وسلم الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، ليظهره على الدين كله وكتابه مهيمن على كل الكتب .

هناك فوارق عميقة بين المنهج الربانى والمنهــج البشرى فى مجال النفس والاخلاق وفى مجال الاقتصاد ، وفى مجال القانون ، فى مجال التربية والتاريخ والادب يجب أن تتكامل النظرة ، الوطنية والقومية ، والاقتصادية الى منظور اسلامى من العروبة الى الاسلام ، عروبة فى اطار الاسلام .

بالنســبة للنفس الانسانية من الانانية الى الغيرية من الكون الى المكون مزية الاسلام الخطيرة البارزة انه يرفض الجسم الغريب .

ليست الشورى هى الديمقراطية وليس العــدل الاجتماعى هو الاشتراكية ونحن نقبــل التحديث ولكن لانقبل التغريب .

ونقبل معطيات الفكر الغربى كمواد خام نشكلها كيف نشاء فى دائرة مجتمعنا وحضارتنا ولا نقبل التبعية

نقبل الاساليب والوسائل ولكنا لا نقبــل النظم والمناهج فلدينا منهجنا الجامع وأسلوب العيش الاسلامى أوسع أفقا من أسلوب العيش الغربى .

ثالثا : علينا أن نفرق بين المعرفــــة والثقافة ، فالمعرفة عامة والثقافة خاصة ، فنأخذ العلم لاننا كنا أصحاب الفضل فى بنائه بمنهجنا التجريبى ، ونشكله فى دائرة مفاهيمنا .

فحضارتنا الاسلامية لا تؤمن بالاستعلاء العنصرى والجنسى : ولا تؤمن بحجب العلوم على الناس ولا تجعل عطاء الله قاصرا على أمة دون أمة بل هو للبشرية كلها .

لنحذر خطر الترف الفاسد فهو علامة بدأ عصور التفكك . لقد عجزت الحضارة الغربيةأن تحمل أمانةالعدل والرحمة والاخاء البشرى واستبدلت ذلك كله بان قذفت فى نفوس أهل البشرية الخوف والجزع وجرت كل مجرى فى سبيل تقديم منهج حياة بشرى فيه خير ما فى المنهجين الفردى والجماعى والرأسمالى والاشتراكى .

لقد أثبت الاسلام بالتجربة خلال أربعة عشر قرنا أنه أصلح النظم العالمية فقد بقى شامخا بينما تداعت النظم الرأسمالية والاشتراكية ولم يمض عليها الا القليل فالنظام الاسلامى قد نجح فى وجه المتغيرات الاجتماعية قرونا طويلة وأقام دولة عالمية من حـــدود الصين الى نهر اللوار ذات سيادة عالمية بكفاءة تامة وأثبت صلاحيته فى جميع الاحوال ولا غرابة فى ذلك فان أساسه منزل من رب الخلق والكون وقد وضعه الحق فى أحكام ، وجعله قادرا على مواجهة العصور المختلفة أما النظام الرأسمالى فانه لم يستطع تحمل الثورة الصناعية وأدى ذلك الى الانفجار الشيوعى واليوم يطالب الغرب بنظام جديد غير الرأسمالية والشيوعية . . وليس غير الاسلام .

خامسا: علينا أن نسأل أنفسنا ونحن نتعلم : ماهى الغاية التى نتعلم من أجلها ، انما نفعل ذلك لنقرب وجهة الانسان التى من أجلها جاء الى هذه الدنيا وقد هدانا الاسلام الى هذه الوجهة ، وهى بناء منهج الله تبارك وتعالى فى الارض فالاسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع وليس مجرد عبادة الله كعبادات الصلاة والصوم والزكاة والحج فتلك العبادات هى التى تفتح لنا الطريق الى القيــــام بالمهمة الكبرى وقد علمنا الاسلام ان علينا: مسئولية فردية والتزام اخلاقى وايمان بالبعث والجزاء فى الحياة الاخرة والتقى الاسلام بالفطرة فاعطى الانسان كل ما تتطلع اليه أشواق الروح ورغبات المادة على أساس (التوازن والتوسط) حماية الفرد من أن تدمره الشهوات ، وحماية الفرد مقدمة لحماية الأسرة ولحماية كيان الامة من أن تنصهر فى الامم الاخرى ، أو تفقد ذاتيتها الخاصة أو تضعف عن طريق الاسراف فى الترف والشــــهوات فلا تستطيع حماية الكيان الاسلامى من مخاطر الاحاطة بهـــا .

وسؤال ثان : علينا أن نسأل أنفسنا ونحن فى لباس الرياضة ومعسكرات التدريب : لماذا هذا النظام

فى تربية الاجساد ، والاجابة هى أن تكون هذه الاجسام مستعدة لاداء حق الله وحماية الثغور والدرع الواقى للوطن بعد جيوشها المظفرة باذن الله .

فضلا عن أن المؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف فيكون عونا للمحتاج ، باذلا فى سبيل الخدمة العامة ، ولقد أعلى الاسلام من شأن التربية وجعلها مقدمة على التعليم فالتربية أوسع مدى من التعليم فهى مرتبطة بالبيت والشارع والمدرسة ومتصـــلة بالنفس والعقل والجسم جميعا .

والتربية والتعليم والثقافة مراحل ثلاث متكامـــلة

التربية تبنى النفس والجسد قوامها الخلق الكريم والعمل النافع والحركة المتصلة بالهدف الاسمى ، ومن هنا فان التربية الاسلامية تتميز بطابع خاص وتختلف عن مناهج التربية فى الامم الاخرى وقـــد جمعت التربية الاسلامية بين تأديب النفس وبصفة الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم ، فهى تعنى بالتربية من أجل ســلامة العقيدة والخلق والعقل والنفس والجسم دون أن يضحى بأى منها على حساب النوع الآخر أو تعلى نوعا منها على جميع الانواع .

***

كذلك فقد عملت التربية الاسلامية على اعـــداد الانسان لا المواطن ، الانسان البشرى القادر على اداء واجبه فى اطار امانته واستخلافه فى الارض وذلك وفق نظرة سمحة كريمة الى الانسان والاعتراف برغبـــاته ودوافعه ويقبل تحقيقها فى اطار الضوابط التى تحمى هذه الشخصية وفى اطار الارتفاع بها الى العمل الخالص لله المتمثل فى خدمة المجتمع والبذل له والانفاق وتقديم العون للفقير والضعيف وذى الحاجة وتعترف التربية الاسلامية بقابلية الانسان لاتهذيب الخلقى وبضرورة العمل على ترقية الانسان من فرديته المعترف بها أصلا الى الغيرية بالبذل واتقاء شح النفس واستعذاب الانفاق ورعاية الجـــار .

***

الباب الخامس

الأخطار التى تواجه الأمم

ان أعظم الاخطار التى تواجه الامم هى سيطرة فكر الامة الغاصبة ومحاولة صهر الامة المغصوبة فى دائرة فكرها وتحطيم ذاتيتها والقضاء على العوامل التى تميز فكرها وذلك فى محاولة لجعلها صورة تابعة قد أصبحت مهيضة بعد ان تحطمت أجنحتها فامست ذليلة خاضعة ليس لها طابع واضح ولا مظهر خالص ، وتلك هى المحاولة التى عمد اليها النفوذ الغربى فى العصر الحديث تحت اسم الاستعمار الغربى فى دوائره الثلاث: الغربية واليهودية والماركسية وهى كلها ذات مصدر واحد فى مواجهة الفكر الاسلامى الذى يعتمد على القرآن وتتمثل له ذاتية خاصة تختلف اختلافا عميقا وواضحا عن الفكر الغربى الذى يقوم على الفلسفة اليونانية والتفسيرات المسيحية واليهودية والماركسية فى العصر الحديث .

وفى خمس قضايا كبرى عمدت القوى الاجنبية الى تزييف مفاهيم المسلمين فيها واحلال مفاهيم وافدة :

أولا : السياسة : وذلك حين حجبت النظام الاسلامى وفرضت الانظمة الديمقراطية والليبرالية الغربية .

ثانيا : القانون : وذلك حين عطلت تطبيق الشريعة الاسلامية واخضعت المجتمعات للقانون الوضعى .

ثالثا : الاقتصاد : وذلك حين سيطرت الانظمة الرأسمالية والشيوعية ونظام الربا وخضعت الامور المالية والاقتصادية كلها لهذه النظم .

رابعا : التعليم : وذلك حين الغى النظام التربوى الاسلامى وفرضت أنظمة التعليم الغربى .

خامسا : الاسرة والمجتمع : وذلك حين فرض مفهوم العلمانية واخضع المجتمع الاسلامى لمفاهيم وافدة عن حرية المرأة وعملها وكان لها أثره البعيد المدى فى زلزلة نظام الاسرة .

سادسا : الوحدة الاسلامية : وذلك حين هدمت هذه الرابطة العتيدة باقامة القوميات والاقليميات والتجزئة واعلاء شأن العنصرية والدم والعرق .

وقد عملت التيارات والمؤثرات الاجنبية عن طريق التعليم بواسطة التبشير وعن طريق الثقافة والصحافة بواسطة الاستشراق واستهدفت هدفين كبيرين :

الاول : تدمير الاسرة والمجتمع الاسلامى بالاباحية.

الثانى : افساد العقل الاسلامى والنفس الاسلامية بالالحاد .

فقد طرحت عشرات من النظريات والمذاهب الفلسفية والايدلوجيات فى أفق الفكر الاسلامى ، وقدمت لا على أنها فروض عقل علمى يصح ويخطىء ، ويأخذ منه ويرد ، ولكن على أنها علم وحقائق علمية ، وهى فى واقع الامر ليست الا ركاما من الفكر الوثنى والمادى والاباحى والتلمودى القديم مصاغة فى أسلوب عصرى خادع ، اما قصة الادعاء بأنها علمية فهى دعوى لا تثبت أمام البحث المنصف ، ذلك أن القاعدة العامة هى أن الحقائق العلمية لا تثبت الا فى المعامل ، اما المذاهب الاجتماعية فهى نظريات وفروض عقلية ، وانها بنت عصرها : وليدة بيئتها ، ولذلك فهى لاتستطيع أن تطاول الزمن وسرعان ما يصيبها العطب وهى ان صلحت فترة لبيئتها فانها لا تصلح لبيئة أخرى لان النظريات ما هى الا وجه من وجوه الاستجابة للتحديات القائمة ولكل بيئة تحدياتها ولكل عصر تحدياته ، وهذا هو سر فسادها السريع وعطبها القريب ولقد تنبه المسلمون سريعا الى مدى الاخطار التى تواجههم نتيجة هذه الحملة الضارية التى احتوتهم فهم يؤمنون بان فناء الامة خير من أن تحتويها امة اخرى فى فكرها او عقيدتها وأن المسلمين كانوا وما زالوا قادرين على أن يأخذوا من كل الحضارات والامم ولكن دون أن تيصهر شخصيتهم أو تنهار تحت أساليب الاحتواء ولقد أخذ الغرب من حضارة الاسلام قديما ومن أن ينصهر فى عقيدة المسلمين أو فكرهم ، ومن

حق المسلمين أن يأخذوا من الحضـــــارة ما يمكنهم من استئناف مسيرة العطاء ، ولكن دون أن يخضـــعوا لاسلوب العيش الغربى المستمد من عقيدة الغرب وفكره وتراثه وهو ما لا حاجة للمسلمين به .

ولقد عاش الابرار من مفكرى المسلمين يحذرون من الاندفاع فى التقليد أو الاقتباس الذى يمحو شخصية الامة ويجعله تابعا لغيره ، ولقد تتلاقى ثقافات الغرب فرنسية وانجليزية والمانية وأمريكية ، وقد تلتقى مذاهب الغربراسمالية وماركسية ، لانها كلها تستمدمن مصادر واحدة فى الاصل ، أما الفكر الاسلامى فانه يتميز بطابع خاص وروح خاصة ، صنعة التوحيد الخاص الذى جاء به الاسلام والذى مازال يمثل الطبيعة الخاصة التى يجب أن تظل قادرة على البقاء والتفرد لانها مسئولة أن تبلغ رسالتها للعالمين ، ولقد ضحى المسلمون فى الماضى وهم على استعداد للتضحية فى الحاضر ببريق الحاضر ، ومظاهر العصر : التقــدمية وغـــيرها من العبارات البراقة ازاء الاحتفاظ بوجودهم الخالص مبرءا من التبعية والاحتواء والانصهار ولا ريب أن للمسلمين قيما ومفاهيم خاصـــة تشـــمل مختلف جوانب الحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية وتنظمها جميعا ، فهم ليسوا مستعدين للتسليم بالاحتواء بل ان الدعوات التى وجهت لخداعهم عن هذه الحقيقة قد ثبت فشلها وانكشف زيفها وتبين أن الدعاة اليها خدعوا هذه الامة حين دعوها الى التماس أسلوب عيش الغرب كوسيلة للوصول الى ما وصل اليه الغرب وما كان لامة شكلت وجودها لاربعة عشر قرنا أن تتنازل عن هذا الوجود وهى تعـــلم أن الاسلوب الوحيد الذى يعيدها الى مكان الصدارة والمجد ويرد عنها هزيمتها وضعفها هو التماس منهج الله الذى صنعها أساسا أنه من المســـتحيل أن تكـــون امتدادا لحضارة قائمة تقوم على أساس معارض لقيمنا ولا بد أن يكون لنا طابعنا الخاص الذى يعيد تشكيل حضارتنا التى لم تمت وان توقفت عن العطاء . اننا يجب أن نقيـــم مجتمعا عصريا ولكنه أصيل فى منهجه يستمد قانونه من قيمه ومعتقداته .

ان هناك قوى عديدة تحارب الاسلام فى العصر الحديث فى مقدمتها :

المسيحية الغربية ، الصهيونية وتبيعتها الماسونية ، الشيوعية وتبعيتها الاشتراكية ، البهائية ، الروحيـــة الحديثة ، البوذية ، الفرويدية ، العلمانية ، الديمقراطية الغربية ، الهندوكية ، الليبرالية .

وهناك دعوات تغريبية متعددة طرحت فى افق الفكر الاسلامى : منها الاقليمية والقومية والماركسية والعامية وتحرير المراة ، والقانون الوضعى والربا .

لقد طرحت هذه الافكار المسمومة جملة وفى عصر واحد : القضاء على الوحدة الفكرية للامة الاسلاميةوهى محاولة خطيرة ماكرة :

يقول مورد بيرجر : ان الطوائف المسيحية واليهودية فى العالم العربى الاسلامى هى الوسيط الرئيسى الذى بثت بواسطته الافـــكار الغربية والمنتجات والاذواق والافـــكار ، اذ كان المسيحيون واليهود همالتجـــار الاساسيون والمصرفيون وأصحاب المصانع الذين تمكنوا من بث الافكار الاوربية لقومهم كمسيحيين وهى افكار علمانية ينقصها الصفة الدينية التى للقومية العربيـــة الاسلامية .

ولقد كان لهذه الافكار بريق وخداع لاجيال كانت تنقصها القدرة فى الحكم على الامور وكانت فى نفس الوقت ضعيفة الثقافة الاسلامية ، ولكن سرعان ماتكشف زيف الدعاوى وبطلانها واستطاعت حركة اليقظـــة الاسلامية أن تجلى الحقائق .

ولقد طرح النفوذ الاجنبى الاقليمية والقوميـــة والديمقراطية والوسطية والعلمانية والفرعونية فى محاولة للقضاء على الروح الاسلامية العربية ، وجرت المحاولات فى كل اتجاه محاولات أنطون سعادة (الحزب القومى السورى) فى دعواه الى مبدأ سوريا للسوريين أو القول بأن السوريين أمة تامة ودعاوى القوميين المفرغة من الاسلام وكلها أساليب طرحت منذ الاحتلال فى البلاد العربية وثبت فسادها وعجزت عن ان تقدم للنفس العربية أشواقها ، ثم جاءت موجة الفكر الماركسى فجالت جولة واسعة ولكنها انتهت الى ما انتهت اليه من قبل جولة الفكر الغربى ولم يعد أمام المسلمين خيـــار فى التماس منهجهم الاسلامى الاصيل .

ولقد تفتحت عيون المسلمين والعرب فى العقد الاخير من القرن الرابع عشر الى أن نهضات الامم لاتكون الا من قلب منهج الامة الأصيل ، وان الاقتباس لا يكون الا فى الاساليب ، أما فى القيم والمقومات فلا بد من الاصالة والتماس المنابع والمسلمون بحمد الله لهم منهج حياتهم الاصيل الجامع الانسانى الوجهة ، العالمى النزعة ، الربانى المصدر فهم لا ينتصرون الا به ، واذا كان لا بد لكل أمة من عقيدة تتحرك فى اطارها : وتكون بمثابة المثل

الاسمى لها وهى التى تقودها الى طريق امتلاك الارادة ، فان منهج الاسلام هو عقيدة هذه الامة ، ونحن نرى اليوم أن هناك اجماعا على أن الصحوة الاسلامية هى خطوة طبيعية على طريق النهضة بعد أن بلغت حركة اليقظة الاسلامية مداها فى الكشف عن التحديات والاخطار التى تواجه الامة الاسلامية وبعد أن تعرت مفاهيم الاستشراق والتنصير والعلمانية والمادية وكل خفايا الفكر الوافد الذى لفظته الامة الاسلامية اليوم وهى فى طريقها الى ابتعاث منهجها الاصيل وبناء دورة جديدة للحضارة الاسلامية بالرحمة والاخاء البشرى والايمان بالله وأخلاقية الحياة .

هوية المسلمين ووحدتهم الجامعة

فى مجال السياسة والحكم حاول النفوذ الغربى فرض اسلوب وافد مغاير لاسلوب الشريعة الاسلامية فى مجال الاجتماع والاقتصاد وعلاقات الامم تحت عنوان عريض هو اللائكية أو فصل الدين عن الدولة . ولقد كانت هذه الظاهرة الخطيرة منذ فرضت على البلاد التى وقعت تحت نفوذ الاحتلال الاجنبى مصدر الزوابع والاخطار التى اجتاحت القارة الوسطى وقد تمثلت بصورة واضحة فى الحركات التى قام بها مصطفى كمال فى تركيا والشاه فى ايران والخديو فى مصر والباى فى تونس وتمثلت فى محاولة تعطيل الشريعة الاسلامية وتطبيق القانون الوضعى لاول مرة فى العالم الاسلامى بعد أربعة عشر قرنا .

وقد توزعت المحاولات التى استهدفت تغيير هوية المسلمين بين الاقليمية والقومية ، وبين الديمقراطية والاشتراكية ولكل من هذه الاتجاهات فلسفة تقوم عليها منهجا تسلكه فى تحقيق اغراضه وهو بعيد كل البعد عن مفهوم الشورى والعدل الاجتماعى فى الاسلام .

وقد أجج النفوذ الاجنبى فكرة التناقض بين العناصر وحاول أن يتخذ منها اداة للوقيعة وتمزيق وحدة الجماعة الاسلامية ومن هنا كانت دعوته الى الاقليميات والقوميات الطبقية . لقد بدأت الدعوة الى الاقليميات والقوميات الطبقية من خلال احساس بامتهان المحتل للوجود الوطنى للامم وكانت بمثابة تأكيد لاصالة هذا الوجود ولكن الاستعمار استطاع أن يعمق هذه العملية المرحلية ليجعلها قضية اساسية ويقضى بها على الوحدة الاصيلة القائمة على الفكر والعقيدة والثقافة بتسريب مفاهيم مستمدة من التاريخ القديم تحاول أن تصور نفسها وكانها عوامل مستقلة أو مغايرة كاحياء الفرعونية والفينيقية والبابلية والاشورية مع أنها جميعا خيوط من نسيج واحد وقد استغل المارشال ليوتى فى المغرب التناقض القديم بين العنصرين العربى والبربرى وأجج ناره من جديد كما استغل اللورد كرومر فى مصر التناقض القديم بين الفرعونية والاسلام وكذلك استغل النفوذ الاجنبى الالتباس الذى تركته مفاهيم التغريب والغزو الثقافى بين فكرة العروبة والاسلام وبين الدين والعلم وغيرها .

واستطاع النفوذ الاجنبى أن يتخذ من دعاة الاقليمية الضيقة والوطنيات المنفصلة عن الاسلام اداة له ووسيلة الى توجيه القانون والتعليم واللغة وجهة تفصل بين الاسلام وبين المجتمع فقد فرض قانونا مشتقا من القانون الفرنسى فى مجال الاجتماع ، ونظاما فى التعليم قائما على العلمانية بديلا عن اسلوب التربية الاسلامية ، ونظاما ربويا فى الاقتصاد بديلا من نظام الاسلام واستغلت العامية والفلكلور والاساطير لخلق تراث وهمى يعارض القرآن واللغة العربية الفصحى ومفاهيم الاسلام .

ولكن المسلمين كانوا يرون أن ذلك كله سوف لا يستطيع تحقيق نتائج حاسمة لانهم كانوا يصدرون فى حركات المقاومة والعمل الوطنى من مفهوم الجهاد الاسلامى ، وقد انتصروا فى جميع معارك الغزو بالمعنى الاسلامى لا بالمعنى القومى ، بل أن كل قضاياهم التى حاولوا علاجها بالمفهوم الوطنى أو القومى لم تحقق نجاحا وفى مقدمتها قضية فلسطين وبيت المقدس .

ان المفهوم الاسلامى الاصيل هو الذى حول المغول الى حماة للاسلام ، وفى موقعة عين جالوت كانت الصيحة « وا اسلاماه » وفى الحروب الصليبية برز عماد الدين زنكى ونور الدين محمود وصلاح الدين والظاهر بيبرس فقادوا حركات التحرر من الاستعمار ، وكل محاولات التحرر من النفوذ الاجنبى لم تنجح الا عندما ارتكزت على الاسلام : وحرب التحرير

الجزائرية كانت اسلامية اصيلة وكذلك كانت معركة العاشر من رمضان . وكان قادة اليقظة كلهم اسلاميين وكان غيرهم مشبوهين دائما ، كذلك كانت جمعيـــة العلماء وابن باديس ورابطة السنوسية والازهر الشريف والسلفيون فى المغرب ودعوات الشبان والاخوان كلها تستمد من المفهوم الاصيل .

ان بدعة فصل الدين عن السياسة التى ادخلها النفوذ الاجنبى الى العالم الاسلامى والتى طبقتهـــا مصطفى كمال أتاتورك كانت بمثابة النموذج الغربى الذى حاول النفوذ الاجنبى أن يفرضه ولكنه فشل ، لقد كان هناك جهد من الاستعمار الذى غذى هذه الاكذوبة وعمل على انتشارها وكانت الخلافة الاسلامية فى نظرهم حجر عثرة يجب التخلص منها ولما كان لا يمكن التخلص منها الا بالتخلص من العقيدة الاسلامية نفسها باقتلاعها من نفوس أصحابها . ولذلك فقد فشلت تجـربة أتاتورك بعد خمسين عاما لانها لم تستطع أن تدخل الى القلوب وان كانت قد فرضت قسرا على الناس ، بقانون وقتل ، ولم يلبث الشعب التركى المسلم أن عاد سريعا الى التماس طريق الاسلام من جديد .

هذه هى ظاهرة (اللائكية) التى بدأها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا بالغاء الخلافة وكانت تلك اكبر طعنة وجهت الى قلب الاسلام ، ولقد جاء الغاء الخلافة الاسلامية فى أعقاب رفض السلطان عبد الحميد بيع فلسطين اليهود وتهديد اليهودى ترصو (رئيس المحفل الماسونى فى سالونيك) للخليفة حين قال له : سترى كم يكلفك هذا الرفض .

وكان أتاتورك هو الاداة الاجنبية فى اسقاط الخلافة بعد صدور وعد بلفور ولكن المسلمين لم يستقيموا الى الفرقة ودافعوا عن وجودهم ووحدتهم بالرغم من كل عوامل التمزيق ، ولم يســـتجيبوا الى قانون نابليون وأســـلوب فصـــل الدين عن الدولة ، وتنـادوا الى العودة الى الشريعة الاسلامية وقد نجحوا فى تحطيم كلا العقبتين أو ساروا قدما نحو وحدة اسلامية ودعوة الى ان تكون الشريعة مصدر القوانين .

وتبقى أمام المسلمين أن يحطموا عقبة اخرى ماتزال تقف فى وجه امتلاك ارادتهم كامة اسلامية متميزة تلك هى القوة العسكرية ، فما تزال هناك محاولات مبيتة دون امتلاك المسلمين القوة العسكرية التى تمكنهم من الحفاظ على وجودهم وذاتيتهم ومهما اتيحت الفرصة للحصول على التكنولوجيا فان ذلك محدود بالحيلولة دون امتلاك المسلمين للسلاح المتطور أو السلاح الهجومى ، وهناك شبه اتفاق بين الدول الكبرى على ابقاء الكيان الاسلامى ضعيفا هشا وهذا ما فعلوه مع الدولة العثمانية حين اتفقت بريطانيا وروسيا على خطة واحدة فى استغلال الفريسة وكان أن قضوا على سليم الثالث الذى بدأ فى تطوير الجيش واوقفت الاصلاحات بانشاء جيش جديد بدلا من الانكشارية لمدة ربع قرن من الزمن .

ولقد استطاع الاســـتعمار أن يملك أوربا السفن الضخمة التى تحتمل السفر فى البحار العالية بينما لم تستطع تركيا أن تمتلك هذه السفن : وان بقت تركيا الدولة الاوربية فى ميدان المدفعية والجيش والتدريب والاسلحة المتطورة ، كذلك فان ما تســـمح به الدول الغربية للدول غير الاسلامية كالهند واليابان لا تسمح به للدول الاسلامية .

***

فى مواجهـة سـموم الفكـر التلمـودى

الايداوجية التلمودية : هى فكرة وفسلفة ومنهج حياة معارض تمام المعارضة للاسلام والفكر الربانى . أبرز وجوه المعارضة قيامه على الزنا والاباحية وانكار البعث وهو ما يضاد مفهوم الاسلام فى الانفاق والايمان بالبعث والجزاء واخلاقية الحياة والمسئولية الفردية .

لقد صنع اليهود نهجا خاصا هم سادته وعملوا عن طريق الفلسفات والايدلوجيات ان يجعلوه منهجا عالميـــا وحاولوا ان يدخلوا فيه الغرب ثم البشرية بعد ذلك جميعا .

جمعت هذه الايدلوجية كل ما حمله الفكر البشرى من وثنية والحاد وتعدد واحتقار للاخلاق وانكار للجزاء والحساب فى سبيل اشادة امبراطورية الربا وعبادة الذهب والتكالب على الحياة مما اطلق عايــه القرآن (واشربوا العجل بكفرهم) .

وبذلك سيطر اليهود على الفكر البشرى وعمدوا الى احتواء الفكر الغربى كله بداخله ولم يعد الآن فى العالم قائما فى مواجهة منهجهم غير منهج القرآن الذى يحمل لوائه الاسلام والذى هو منهج التوحيد الخالص والايمان بالبعث والمسئولية الاخلاقية والالتزام الفردى .

ولقد ظلت التلمودية تزحف على الفكر الغربى خلال سنوات ما بعد النهضة حتى تمكنت من السيطرة الكاملة عليه واحتوائه بل استطاعت احتواء المسيحية والتبشير المسيحى نفسه ، ذلك أنها فرضت العهد القديم على دراسات المدرسة والجامعة والثقافة ففرضت مفهومها الزائف حول ما يسمونه شعب الله المختار . واستطاعوا السيطرة على الفن والادب والسينما والمسرح فحولوا الثقافة والعقلية والاعراف على النحو الذى أرادوه لتدمير الحضارة والغرب نفسه ، ثم جعلوا الفكر الماركسى مواجها الفكر الغربى ليحصروا البشرية بين ما يسمونه الفردية والجماعة قلنا انهما بذلك يخرجان البشرية من الفكر الربانى الى الفكر البشرى .

ولقد سيطر جماعة من التلموديين على الفكر فى جميع نواحيه : فرويد : النفس ، ودور كايم الاجتماع ، ماركس الاقتصاد ، وعملوا فى جميع ميادين الاخلاق والعقائد والعلوم الانسانية .

لقد اخذ دور كايم يعمل بمعاول هدامة فى كل القيم والمفاهيم الدينية والاخلاقية واخذ تلميذه الاكبر — اليهودى ليفى بريل ينهج منهجه ويسير على طريقه : منهج التشكيك فى القيم والمثل والعقائد والاخلاق . ومن ذلك قولهم أن كل الظواهر والمظاهر نسبية متغيرة متبدلة لا تثبت على حال ولا تستقر على وضع لانها فى كل يوم يتبدل الحال بحال ، نسمع هذا فى علم الاجتماع ، النفس ، مادة الاخلاق ، تاريخ الاديان ففى مجال الاخلاق على حد تعبير الدكتور عبد الحليم محمود — فهل سيأتى الزمن الذى نعتقد فيه أن الصدق رذيلة وان الشهامة شر ، أو ان الشجاعة سوء أو أن العفة جريمة وفى مجال العقائد : هل سيأتى اليوم الذى لا نقول فيه بوحدانية الله أو لا نقول بارادته وعلمه ؟ ! .

لقد مضوا يستخدمون هذا المنهج لافساد المجتمعات وتدللها اخلاقيا ودينيا والهدف أن يكون المجتمع شاكا مليئا بالفتن ، وذلك سبيلهم الى السيطرة ومن أجل هدفهم تكاتفوا لان تكون لهم الكلمة الاولى فى الجامعات والعلوم الانسانية . ولقد هدفت التلمودية لان تعمل على تغليب فكرة الجبر على حرية الارادة حتى تسيطر على عقول الناس وقلوبهم وتدفعهم الى الفساد تحت اسم فساد المجتمع وتحللهم من المسئولية الفردية ولا شك أن طابع التلمودية واضح فى مناهج علوم النفس والاجتماع والاخلاق والانثروبولوجيا وعلم مقارنات الاديان ، أن أزمة الغرب هى أزمة النفس وليست أى أزمة أخرى ، فقد خرج الغرب من مفهوم المسيحية الى مفهوم اليهودية حيث سيطرة العلوم الاجتماعية التى هى ثمرة الفكر التلمودى .

ولما كانت التلمودية قد استطاعت أن تحتوى الفكر الغربى وتخرجه من روحية المسيحية ونظرتها المعنوية فقد كانت أولى علامات السيطرة هى استسلام المسيحية الى قبول الربا واقراره ، واليوم نجد المذهب الفردى الشيوعى يصدران عن مفهوم واحد هو المادية : مادية التاريخ والعوامل الاقتصادية فهم يرجعون اليها كل التطورات الاجتماعية ولذلك فان الخلاف بين المذهبين هو خلاف فى الفروع أما فى الاساس فهما يلتقيان فى النظرة المادية ، هذه تعلى شأن الفرد وتفسح للراسمالية وهذه تعلى شأن القيادة الشيوعية التى تسيطر على كل شىء .

بل أن الامر قد يذهب الى أبعد من ذلك فان اليهودية التلمودية من وراء الراسمالية الغربية والديمقراطية الغربية انما تستهدف دفع الدول الصغرى الى احضان الشيوعية ، وذلك بما تدفع به دول الغرب الى قهر هذه الدول وظلمها مما يدفعها الى الطرف الاخر بل أن قوى التلمودية تعمل من وراء الدول الراسمالية لتخفى أو لتقلل أو لتهون كل خطوات القوة والتمكن والتوسع فى النفوذ العسكرى الذى تقوم به دول الكتلة الشيوعية بما يؤدى الى تمكينها من التفوق على الغرب ولقد كانت الصهيونية هى التى أنشأت الدولة الشيوعية فى الحرب الاولى ومكنتها من القوة الذرية حتى اصبحت فى الحرب الثانية ندا لامريكا وهى تعدها الان لتسبق الغرب وتسيطر على العالم بحسبانها وجها من وجوه الصهيونية وخادمة لها .

بل أن التلمودية بسيطرتها فى مجال السينما والمسرح والفن وعلب الليل والربا والدعارة وغيرها فقد أسقطت الحضارة الغربية فى مرحلة الانهيار فدخلت مرحلة الترف والتحلل والدعة والعجز عن القتال والنضال والعزوف عن الحرب وتغليب حل المسائل سلميا والفروق عن التجنيد الاجبارى ، كما ادخلتها مرحلة انتقاص الاعداد فى مجموع السكان بالعزوف عن الاسرة

والزواج والولادة ، كما دخلت بفصل النظم والفساد وسوء التصرف الى مرحلة انتقاص الثروات والثمرات والوقوع فى أزمات القحط والمجاعات .

(ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الانفس والثمرات) ولا ريب أن محاولات الفكر اليهودى التلمودى الماكرة ما تزال تتجدد وتغير اساليبها بغية احتواء العرب والمسلمين وتزييف مفهومهم الاسلامى الاصيل فى مواقع كثيرة ومواقف متعددة وهذا ما يستدعى الحرص واليقظة فى هذه المرحلة من حياة امتنا .

ولما كان اليهود وانصارهم يدركون أن قضية فلسطين هى قضية اسلامية ولا بد أن تعود كذلك ، رغم كل ما يبذلونه لابقاء الاسلام بعيدا عن ساحتها ، وهؤلاء اليهود وانصارهم من أعداء الاسلام يدركون أنه حين يعود الاسلام ليقود المعركة فان الدول الاسلامية كلها ستكون فى معركة الكتائب المجاهدة ، وهذا ما تخشاه القوى الاجنبية وتحاول أن تبقى هذه الدول على طريق المفهوم العلمانى والقومى حتى لا تلتقى جميعها على مفهوم الوحدة الاسلامية .

ان انطلق الاسلامى هو الطريق الصحيح والاصيل لحل جميع تحديات العالم الاسلامى ولذلك فقد حرص أعداء الاسلام على ابعاده باعتباره الخطر الحقيقى الذى يهدد وجودهم باعتباره الصخرة الشامخة التى تتحطم فوقها مؤامراتهم ومكائدهم واطماعهم .

* * *

الباب السادس

الطريق إلى الأصالة

الرسالة الأولى

الطريق إلى الأصالة

ان عملنا هو اعادة المسلمين الى الاصالة فى مجال الثقافة والتعليم والتربية اساسا لتحقيق آمالنا فى القانون والاقتصاد والسياسة والاجتماع .

ان نقطة الانطلاق فى التغريب هى تغيير الهوية والفهم والعرف ، وادخال المسلمين فى اطار فكر وثنى اباحى مقيد بسلاسل الى اعراف الجاهلية وعبودية العقل الى الجبرية وفكرة الصراع بين الطوائف فى المجتمع ، بينما ينطلق الفكر الاسلامى من نقطة التوحيد والمسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى وتلاقى العناصر كلها فى اطار التكامل الجامع .

ان هدف التغريب هو القضاء على الذاتية والانصهار فى حضارة أخرى قائمة على مفاهيم مختلفة فى العقيدة والاقتصاد والتشريع ونظام المجتمع ، لا تعبأ باخلاقية الحياة ، وتحاول الافلات من عبودية الله تبارك وتعالى لتدور فى دائرة مغلقة من عبودية البشر وللاحتواء فى مفاهيم قائمة على الانشطارية فى الحياة والفصل بين الروح والمادة وبين الدين والدولة .

أن عملنا الحقيقى هو اعادة المسلمين الى الاصالة عن طريق استكمال نواقص التعليم والتربية والثقافة والكشف عن زيف النظريات المطروحة فى هذا المجال .

ومن الاخطاء المثارة خطآن كبيران :

١ ــ خطأ الاقليمية والتفسير القومى لمختلف القضايا فكل اقليم اليوم يحاول بكل ما يستطيع فى كل ميدان ابراز قضية ربما كان لها جانب من الصحة ولكن ليس كل الصحة وهو أن العلوم الاسلامية ما كانت لتصل الى ما وصلت اليه لولا جهود المسلمين وخاصة فى ميدان الفقه فى هذا الاقليم ولا يهتم الباحثون الا بدور جزئى لهم ولكن ليس الى هذا الحد من التعصب حتى يقال أن الامام الشافعى علمه عمل مصرى وان مالك مذهبه لولا المصريين لما انتشر فى شمال افريقية ، وهكذا فى كل المسائل وخاصة فى مسائل القراءات وغيرها ، وفى النحو والبلاغة حتى قال قائلهم أن ابن خلدون كتب المقدمة فى مصر وهكذا .

فهذا ليس من مفهوم الاسلام الجامع السمح ، الذى جاء فغير العقليات كلها وصهرها فى أفق التوحيد وأذهب عنها الاقليمية والقبلية ولم يعد عالم من علماء الاسلام يفخر بدعوى الانتماء الى اقليم بذاته ، بل لقد صارت القارة الاسلامية من المغرب الى اندونيسيا مفتوحة امام ابن بطوطة وغيره يصول فيها ويجول دون جواز سفر ودون نزعة عرق .

٢ ــ أما مسألة التفسير الاقتصادى للمشاكل والقضايا فترجع الى غلبة روح الدراسات الماركسية والمادية فى العشرين سنة الاخيرة التى جعلت مفهوم المعنويات أو المفهوم المتكامل الجامع بين الروح والمادة يتراجع ويسبقه مفهوم الماديات والاقتصاد فاذا كانت هناك قضية فنحن لا ننظر الى جانبها المادى ، وهذا الاتجاه مجاف لنظرة الاسلام الجامعة المتكاملة .

وهناك دعوى يحمل لواءها المتعصبون المغرقون فى التبعية فهم يدعوننا الى التسامح ليفتحوا الطريق أمام فكرهم المسموم ليجد طريقا الى من لا يعرف خطره .

ان الذين يطلبون من المسلم التسامح واغضاء الطرف عن هذه السموم المبثوثة هنا وهناك لا يعرفون مدى الخطر الذى يقف وراء هذه الدعوى وان الجانب الآخر ينتهز الفرصة ليملى ارادته وليطرح سمومه ، فتجد قبولا عند النفوس التى لا تحذر ولا تحتاط ، ولا تقف موقف التحفظ والتحوط ، ان التسامح يعنى أيضا

الاستهانة ازاء عدو غاشم مليء بالمكر واللؤم والتعصب . انه على الاقل سينتهز فرصة سريان هذه الدعوة ليبث سمومه وليفسد هذه النفوس المتسامحة الصافية . انهم يهدفون من وراء ذلك الى استئصال تلك الروح المجاهدة التى لا يمكن ان تهزم فاذا قضى على هذه الروح ، حل محلها ذلك الاحساس بالاستسلام امام وجهة نظر الاخر ان أى تسامح يجب أن يكون محوطا بالتحفظ والتحرز ازاء وجهة النظر الاخـــرى التى تمتلىء بالمكر وتطالب بالتسامح لتغرس خنجرها حتى النخاع . ان الاحتياط ازاء مكر العدو المترصد هو اسلوب الحماية من الاخطـاء وامامنا تاريخ طويل من المكر واللؤم والتعصب وانتهاز الفرصة لصب السم كله فى جوف المسلم ، اننا يجب أن نكون على حذر ويقظة وحيطة أمام الفكر الوافد ومن مفاهيم القوى التى تريد ان تغتصب مواردنا وقيمنا ، انهم مصرون على احتواء شبابنا واجيالنا الجديدة باسم التبشير تحت اسماء براقة خادعة ، وفى نفس الوقت يطالبوننا بالتسامح فى عدم عرض صفحاتهم السيئة فى التاريخ ، فاذا سامحنا كان ذلك مجالا لدفع مزيد من قوة الضرب على معاقلنا . أن شبابنا حين يتسامح أو يفهم هذا النوع من القول يفهم ببساطة انه لا توجد قصة اساسية بينه وبين خصوم الاسلام والتبشير والتغريب والغزو الثقافى والاستشراق والشعوبية وكلها سـموم وخصومة واحقاد ودوافع ترمى الى هدم الاسلام ثم هى تنتهز الفرص لتدعونا الى التسامح والتساهل . لا مانع من قبول سماحة الاسلام بشرط أن يكف الطرف الاخر عن بث سمومه ، أما اذا تركنا الامور فى بساطة وسذاجة لا تليق بالمسلم فان هذا معناه اننا لا نعرف ابعاد المؤامرة الخطيرة التى ترمى الى تزييف مفاهيمنا الاصيلة .

ان المهمة الكبرى للدعاة الى الله فى الحقيقة هى مواجهة المطاعن الموجهة للاسلام وكشف وجه الحقيقة عنها ، فقد أصبح من الضرورى اليوم أن يتفرغ عدد من مثقفى المسلمين المستنيرين الى موالاة دحض هذه الشبهات التى طالما رد عليها المفكرون وكشفوا زيفهـا وعاود التغريبيون طرحها مرة أخرى وبصورة أخرى ومن خلال نصوص أخرى يبحثون عنها فى كتب بعض الزنادقة أو الخلعاء من جماعة المجان الشعوبيين الذين يتجددون فى كل عصر والذين يحملون الاحقاد نحو العقيدة التى تربطهم بشريعة لها التزامات وحدود ، وهم يطمعون فى الاهواء واللذات ويتركون وراءهم يوما ثقيلا .

اليوم نجد عشرات الشبهات مطروحة من خـلال مناهج تدرس فى الجامعات على أنها علوم وهى ليست أكثر من نظريات وفروض ووجهات نظر ، ومن خـلال كتابات الصحف التى تحمل المظان والاهواء ، ومن خلال المسرحيات والمسلسلات وكلها مفاهيم لا يقرها الاسلام : هذه قضية واضحة فى حاجة الى دراسة واسعة .

٢ ــ وهناك عملية ضرب الاسلام بالاسلام :

فان بعض الطوائف الدخيلة على الاسلام مثـل القاديانية والباطنية والعلمانية واليزيدية تتلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والمبشرين واليهود وهم يعدونها لما اسموه ضرب الاسلام بالاسلام : هذه الطوائف تقدس زعماءها وترفعهم فوق مرتبة البشر وتشرع لاتباعها من الدين ما لم يأذن به الله مستغلة اسم الاسلام لهـدم الاسلام .

٣ ــ وهناك المناهج المسمومة المطروحة على طريق الثقافة والتعلم لا تعترف بفضل الحضارة الاســلامية وتتقصى تاريخهم ولغتهم وعلمهم ، وتغرس فى نفـــوس الشباب المسلم بذور الكراهية لدينه وامته وتاريخه ، وهى تعلمه لابناء المسلمين القادمين لها فى بعثات ليكونوا سنادها فى بثه فى المسلمين مرة اخرى .

٤ ــ ظهور الاسرائيليات المعاصرة التى تطعن فى الاعلام والعلماء الذين كانوا رواد الحضارة الاسلامية وعمدها ورسلها وانكار الدور الاسلامى نهائيا ، وفتح الباب لانتقاص الصحابة .

وعلى الدعاة الى الله التنبه لهذه الاخطار جميعا وهم يبلغون رسالتهم وان يؤكدوا للناس ان الاسلام هو الدين العالمى للبشرية وان رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم رسل الله المبعوث رحمة للعالمين ورسالته هى الرسالة الخاتمة فالمسلمون الذين اعتنقوا الاسلام بمحض اختيارهم ملزمون بتوجيـــه أمورهم وعلاقاتهم بصورة تامة شاملة طبقا للقـــرآن والسنة والايمان بان الاسلام فى جوهره منهج حياة كامل شامل عالمى يلائم البشرية قاطبة ومن حق الناس فى العالم اجمع ان يعرض عليهم الاسلام عرضا افضل وان المسلمين امة واحدة لا تعرف التمييز بين أبنائها الا على أساس من التقوى ، ان الشورى والاخوة هما حجر الزاوية فى بناء الجماعة المسلمة وان تكون الشخصية الاســلامية المتوازنة هى التعبير الصادق عن القيم الاسلامية وذلك بتحقيق اعلى درجة من الالتزام .

والاسلام نظام اجتماعى ينظم العلاقة بين الافراد

وبين الحاكم والمحكوم وبين الدولة والدولة الاخرى .

وان الخضوع لله تبارك وتعالى لا يقهر روح الفرد فان الشخص المسلم حر فى تنمية ملكاته وتطوير نشاطه بالصورة التى يراها مناسبة ما دام هذا فى اطار الشريعة والعقيدة الاسلامية وفى ظل هذه العقيدة الحية يستطيع الفرد أن يصل الى مستوى الكمال الانسانى فى مظاهر حياته واعماله التى يزاولها . وتقوم الحضارة الاسلامية على الاعتقاد بضرورة وجود قانون الهى شامل يؤمن به جميع المؤمنين ، هذا القانون اساسى للحياة ، مرن ، يفتح الطريق أمام الفقهاء لوضع التفاصيل التى تتمشى مع متطلبات المجتمع ، فان صلاحية الشريعة للتكيف هى حقيقة ثابتة ما دام ذلك يجرى فى حدود الثوابت والحدود التى حدها الله تبارك وتعالى والمجتمع يحمى الفرد ويحافظ عليه والافراد يتكافلون فى خدمة المجتمع ،والدنيا مادة لعبادة الله سبحانه وليست هى الغاية وانما الغاية من ورائها وان تقوم الحضارة على النظام المادى وحده ولا بد من تقدير البعد الربانى العينى الذى يقوم على التقوى ومخافة الله وتربية ذلك الوازع القوى الذى يحول دون الاثم والجريمة .

***

الرسالة الثانية

عيوب المناهج

الكشف عن عيوب المناهج التى يتبعها المستشرقون فىدراساتهم العربية والاسلامية : ووضع هذه الدراسات فى موضعها الصحيح وتصويب النظر اليها على نحو لا يجعل اجيالا من الباحثين وطلاب المعرفة تنظر اليها نظرة التقدير والاحترام التى تنظر بها الآن أو التى ينظر بها كثير من العرب والمسلمين بحيث يكون البحث مدخلا اساسيا لتتبع أعمال المستشرقين مستقبلا . والكشف عن أهم العيوب فى مناهج بحثهم والصواب الذى تجنبوه والخطأ الذى وقعوا فيه واشاعوه فى الاوساط العلمية .

وفى مقدمة ما يجب كشفه أن نظريات داروين وفرويد وكارل ماركس وانشتاين معادية للمعتقدات الاسلامية ، وعلينا أن نحرر مناهج التعليم من هذه السموم تمشيا مع المعتقدات الاسلامية وحماية الشباب المسلم من العقائد الاجنبية ، وتطهير المعرفة الحديثة من عناصر مؤذية هى فى حالة حرب حالية مع تدنسية معتقداتنا وممارساتنا الدينية .

ولقد كشفت ندوات اسلامية عالمية هذه الحقائق ، وتناولت ذلك دراسات مستفيضة لاعلام الفكر الاسلامى فداروين وفرويد وماركس هم مفكرون غير دينيين قدموا صورة للعالم تنكروا فيها للخالق عز وجل ، ان نظرية انشتاين لتصرف الجزئيات المحركة تعتبر خاطئة حسب المنظور الاسلامى ، ويحدث فى مناهج التعليم فى البلاد الاسلامية ذلك التناقض بين دراسة التوحيد من ناحية ونظرية داروين من ناحية أخرى ويرجع هذا الى الخضوع المذرى للنظام العلمانى للتعليم ، الذى استقدم معتقدات أجنبية مازالت تغذى الشباب المسلم بأفكار معادية لتراثه ومستقبله .

ولا يقف الامر عند هذه المفاهيم المسمومة المطروحة فى برامج التعليم بل أن الصحافة والثقافة تستوعب جانبا آخر ، فان هناك قدرا ضخما من المعلومات والافكار والاخبار تطرح يوميا فى افق المجتمع الاسلامى عن طريق الصحافة أو الاذاعة أو الكتب المترجمة أو عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، وهى وجهات نظر متراكمة لمجتمعات اخرى فيها مادة نافعة قليلة وفيها زيف كثير فكيف يكون موقفنا منها نحن المسلمين وهى تمثل وجهات نظر قد تختلف وقد تتعارض مع مفاهيمنا الاساسية وقيمنا الثابتة ، ذلك لان كل ما يطرح من اى خبر أو فكرة انما يشتمل على جزئين متداخلين (١) حقيقة ما هى عبارة عن خبر (٢) وجهة نظر أو تعليق أو تحليل لهذه الحقيقة تمثل رؤية الذين بثوا هذا الخبر ونحن نعرف أن هناك غرابيل دقيقة جدا لا تنفذ منها الاخبار حين تبث فى العالم الاسلامى الا وهى مطعمة بوجهة نظر صهيونية أو شيوعية أو غربية فكيف يكون موقفنا نحن المسلمين من هذا الاعصار الضخم المدمر الدائم المستمر يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة .

لقد علما الاسلام أن نقف من المعرفة المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها فى ضوء قيمنا وعقيدتنا وان نفرق بين العلوم وبين الثقافات وبين المعارف النافعة والمعارف الضالة من لهو الجديث ولغو القول الذى يضل به الناس وكيف يمكن أن لا تصبح المعلومات المطروحة فى افقنا وسيلة السيطرة الامية علينا ، ان هناك فوارق دقيقة وعميقة بين مفاهيم الاسلام وبين مفاهيم الفكر الغربى القائم على نظريتين هما المادية والماركسية والذى لا يجعل لتكامل الانسان الروحى والمادى سبيلا.

ان علينا أن نفهم عصرنا فهما واسعا عميقا ونكشف زيفه ونقدمه كمثل على مرحلة من مراحل التبعية

والخـــروج من التبعية وعلينا أن نتعرف على الخطـــر الخطير الذى أصاب امتنا نتيجة انتشار الافكار المادية والشيوعية وما تحمله من مفاهيم من جشع وانحراف وزيف وطمع وتطلع الى الحرام من متاع الدنيا والحصول على المغريات بحق وبغير حق ، والاغتصاب والتحلل والفساد الاجتماعى .

الرسالة الثالثة

الفكر البشرى المطروح على المسلمين تحت ضوء الإسلام

لقد علمنا الاسلام أن نقف من (المعرفة) المعروضة علينا موقف التعرف الصحيح عليها فى ضوء قيمنا ونورها الهادى ، ومن أجل ذلك فان علينا ان نتعرض لاكبر قدر من المعلومات المبثوثة عن طريق الصحافة أو الاذاعة أو المؤلفات المترجمة أو غيرها ، هذا الركام من خبرات العالم المتراكمة ، ما هو موجود هنا وهناك ، هل كل هذا المعروض نافع وضرورى وايجابى أم ان هناك زيف كثير وتفاهات ، ما موقف الاسلام من هـــذه الثقافات والفلسفات ؟ ، ماذا يمكن أن تعطينا هذه المعلومات ؟ ، وكيف يمكن ضمان ان لاتصبح المعلومات المطروحة علينا وسيلة للسيطرة على الامم أو على الفكر ، وماذا عن دعوة هذه الافكار الى تقليد الغرب وانمـــــاط الغرب والترف والاستهلاك والتحرر من القيم ، هـــذا أمر جدير بالنظر والانتباه .

ثم ما هو الموقف فى مواجهة تحدى الغزو الفكرى الوافد ؟

لقد كان هناك أسلوبين للمقاومــــــة : أسلوب الاصالة من خارج دائرة الاحتواء الغربى وأسلوب التبعية الذى يرى أن الاقتباس من الغرب هو سبيل التحرر . ولقد حاول بعض المصلحين اتخاذ أساليب للتقارب من الفكر الغربى فعجزوا عن الاصالة ، لقد بدت محاولتهم اليوم وهى مصابة بالانحراف ، ذلك لانهم لم يعتمدوا الاسلوب القرآنى واعتمدوا الاسلوب الفلسفى .

لقد كان مثلهم مثل دعاة الاعتزال والكلام والفلسفة فى القرن الرابع ، بعدت بهم الشقة عن اصالة الاسلام وعن أسلوب القرآن .

ان هناك محاولات لاحياء الفكر الباطنى ، والصوفى والفلسفى ، وكتابات اخوان الصــفا والرازى الطبيب وفلسفات ابن سينا والفارابى والكندى وابن مسكويه ، وهى فلسفات اتكأت كثيرا على الفكر اليونانى والاغريقى وحاولت ان تفرغ الفكر الاسلامى فى اطاره ففشلت: ومنها ما كان متصلا بالقرامطة .

كذلك فان الفكر الفلسفى الصوفى كان بعيدا عن جوهر الاسلام (الحلاج ، ابن عربى ، السهروردى) ولقد كان أسوأ ما فى ذلك كله الفكر الباطنى الذى يقول بأن آيات الله فى القرآن لها ظاهر وباطن .

وهناك من حاول جر الشرق والمسلمين الى مدار الفلسفة : ذلك التيه الذى احتوى المسيحية واليهودية من قبل ، قالوا أن الشرق مصدر الانبياء والغرب مصدر الفلاسفة ، ولا بد للغرب الذى يسيطر الان على الثقافة فى العالم والفكر العالمى أن يخضع أمة الاسلام القرآنية المصدر ، ونقلها الى الفكر المادى الوثنى وذلك أخطر ما يواجه الفكر الاسلامى اليوم .

ولنا أن ننظر فى التجربة الاوربية والغربية عامة لنرى هل استطاع الغرب بعد أن نبذ رسالة الســماء (الدين والاخلاق) ان يجد طريقه أم أنه وقع فى أزمــة الانسان المعاصر وازمة الحضارة المعاصرة ، ان هـــذا التخبط بين الايدلوجيات والمذاهب فى الغرب ، هــذه المذاهب العاجزة عن العطاء ، التى يعتورها الاضطراب والفساد بعــد جيل أو أقل ما جعلها يحتاج الى الاضافة والحذف ، ما كان لهذه الايدلوجيات أن تعطى المسلمين والغرب شيئا وهم يملكون أعظم منهج : المنهج الربانى المصدر الانسانى الهدف الجامع المتكامل الذى يصلح لكل العصور وكل البيئات ولا يعتوره النقص . واليوم بعد افلاس الحضارة الغربية يبحث الاوربيون عن طريق جديد . ونحن المسلمين نشعر ان لدينا هذا الطريق ، ان فكرنا الاسلامى قادر على اعطاء البشرية مطامحها النفسية والروحية الى جانب معطياتها المادية فى نسق جامع متكامل ، لقد جاء الاسلام جامعا بين الروح والمادة بينما لا تملك المسيحية الا عطاء الروح الذى جاء ليمتزج بمادية اليهود المسرفة ، ثم انفصلت اليهـــودية عن

المسيحية ، فظل كل منهما ناقصا ، ان بنى اسرائيل اهملوا القيم والروحانيات واهل الانجيل اهملوا الدنيا ، لقد عزف اليهود عن القيم والدين وعزف النصارى عن العمل أما المسلمون فقد جمعوا بين الجانبين : الدين والدنيا ، والروح والمادة ، يفهمون الامور فهما صحيحا الانسان مستخلف فى الارض لاقامة المجتمع الربانى على أن يكون بعمله وكدحه وسعيه عابدا لله ، فالعبادة ليست هى الفرائض وحدها ولكن العبادة هى كل عمل الانسان فى الحياة بحيث يكون موجها الى الله تبارك وتعالى .

هذا هو الفارق العميق بين جذور الفكر الاسلامى وبين الفكر الغربى القائم على (الوثنية — الرهبانية — الاباحية) فى مراحله الثلاث منذ اليونان الى اليوم ، هذا التصدع فى النظرية والتحول من الضد الى الضد فى العقيدة والفكر ومن الثبات التام الذى قال به أرسطو الى الحركة التامة التى قال بها هيجل ، والى التطور المطلق والنسبية ، دون تقدير لاى أمر ثابت من الدين او الخلق كل هـذا يكشف عن الفوارق العميقة بين الايدلوجيات الوافدة بين منهج القرآن الثابت الفطرى الربانى الانسانى وبين مناهج الفكر البشرى المتغايرة من النقيض الى النقيض ، الى هـذا اشارت برتوكولات صهيون حين قالت (لكى نطمئن الى الراى العام يجب بادىء ذى بدء أن نربكه تماما فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل اراء متناقضة لدرجة يضل معها الطرق فيدركون حينئذ ان أقوم سبيل هو أن لا يكون لهم راى .

ولقد تحقق فى الغرب هدف الايدلوجية التلمودية وجاء الدور على عالم الاسلام حيث تجـرى الخطط للقضاء على وحدة الفكر وخلق الصراع الفكرى وذلك عن طريق طرح عشرات المذاهب والنظريات المتناقضة المتعارضة ، والخطة ان كل نظرية تقدم لا تلبث ان تواجه بنظرية مضادة ومن هنا يجرى الجدل والحوار ثم ينشأ الصراع النفسى والاجتماعى فى الولاء حول احداها ومعارضة الاخرى ، فاذا استغلت نظرية قريبة من الفطرة الانسانية سحقت بقوة وظل الاعلاء والمساندة النظرية المنحرفة ومن مثال ذلك اعلاء فرويد ونظريته الفاسدة فى مواجهة نظريات معارضيه القريبة الى الواقع واعلاء نظرية دوركايم المعارضة للفطرة فى مواجهـة معارضيه وقد تحمل النظرية على غير مد منها وتتصـل الى اجواء وأوضاع لم يكن يقصدها صاحبها كما نقلت نظرية داروين من نظرية بيلوجية الى نظرية اجتماعيـة كاملة ، ومن ذلك أنه اذا جرت محاولة للتوفيق بين النظريات المتصارعة رمى صاحبها بالتلفيق والقسر حتى يظل الصراع قائما : وتكون نتيجة صراع النظـريات المختلفة فى مجال الفكر والتاريخ والاجتماع أن تؤدى الى خلق روح اللامبالاة والعـزلة والانفصال فتعمق روح الشك والسخرية واحتقار القيم ويقع الصراع فى المجتمعات بقدر الاجابات المختلفة على سؤال واحد او المـواقف المتعددة ازاء قضية واحدة ، وميزة الاسلام انه صنع وحدة الفكر الاساسية التى تحول دون الصراع الفكرى وليس لرجل مهما علا شأنه أن يضع مفهوما ويحمـل الناس عليه ولكن على الرجل ان يتبنى مفهوم الاسلام نفسه فى كل القضايا التى طرحت عليه .

كذلك فان الفكر الغربى يتسم بقصور عجيب ، فهو لا يستطيع الجمع بين القيم المتكاملة فى طبيعة الحياة وتكوين الانسان ويتحرك فى اطار النظرة الجزئية المادية الخالصة ، ويعلى شأن العـلم والعقل ، ويقصر تقصورا شديدا فى مجال الوجدان والمعنويات وشـئون الروح ولذلك فهو يعجز عن فهم الاصول الاصيلة التى هى مصدر الاشياء ، ويعجز عن فهم مصدر العطاء كله وهو الله تبارك وتعالى الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى وحين يتغلب الفكر البشرى المادى اليوم من خلال المادية والوثنية والاباحية التى تشكلت على مـدى العصـور تحديا لدين الله وحدوده وضوابطه وخروجا على شرعة الله حين يعطى الانسان لنفسه حق التشريع لنفسه وتحويل أهوائه ومطامعه الى قانون فاسد ، حين تفعل ذلك الحضارة القائمة فانما تستهدف تدمير الانسان وتدمير الحضارة نفسها ، ولقد يكذب الغرب حين يدعى انه يحمل لواء المنهج العلمى فان نهج الغرب اليوم (بلا مستقبل) هو الهوى والاستعلاء ولا يصلح المنهج العلمى الا حين يقوم على ضبط النفس والاخاء البشرى ، وقد واجهت المناهج والايدلوجيات الغربية هزائم متوالية فى مجال التطبيق لانها عارضت الفطرة ووافقت الاهواء ولانها لبشريتها عجزت عن متابعة تحولات الزمن والبيئـات وقصرت عن الاستجابة لتغيرات الحياة .

ولقد كان من نتائج تخلف منهج الفكر الغربى عن الفطرة أن اتسم بطابع القسوة وجفاف ينابيع السخاء البشرى ، هذا الطابع الذى انشأه فى السياسة ميكافيلى وفى الادب نيتشه ، والذى يقوم على قتل العاجز أو تركه يموت وابادة الضعيف : ومن ذلك محاولة القول بأن الحيـاة تقـوم على تنازع البقـاء والصراع بينما قامت العلاقة بين العناصر على الالتقاء والتعاون ، وقد كشفت التجربة العملية عن فساد نظرية الصراع وتبين أن راى داروين فى تنازع البقاء خطأ محض وان التعاون فى الطبيعة أعمق من التنازع .

كذلك فان من أخطر عوامل الصراع هو اعتماده على

مصدر واحد فى فهم الحياة والتعامل معها ، كان يكون العقل أو الحواس أو الحدس وميزة الاسلام انه قدم منهج المعرفة الجامع فقضى على الصراع الفكرى .
وما يزال ذلك الركام المطروح من الفكر البشرى يكشف يوما بعد يوم عن زيفه وعن فساده ، ويكشف عن خطأ محاولة ترجمته وتقديمه للفكر الاسلامى دون تعريف باخطاره وتياراته وعوامله ودوافعه فى مجتمعه وعصره وكيف يمكن ان يتقبل هذا الفكر فى أفق الفكر الاسلامى عن طريق تلك الدعوة المحمومة التى يقودها طه حسين ولويس عوض وحسين فوزى وزكى نجيب محمود بالترجمة لكل هذه السموم ، لو عرفنا أن نيتشه قضى نحو عشرين سنة وهو فى جنون يكاد يكون مطبقا اذا كان فى الدور الاخير من السلفس وما هو مغمورا ثم بعثه اليهود ، وان فرويد لم يلتق الا بمائتى مريض وضع من خلالهم نظريته وقد كان حاقدا على البشرية وجميع ابطال ديستوفسكى شواذ كما أن جميع أبطال فرويد مرضى وقد اعتمد فرويد على اساطير اليونان فى وضع نظرياته العلمية وخاصة مركب أوديب ومركب الكترا ، وكانت دعوة واز الى التاريخ العام للبشرية دعوة صهيونية وتبين ان قواعد مندل فى الوراثة كانت غير محكمة .
ومن عجب أن هذا الفكر المنحرف الفاسد قد غلب على الفكر الغربى المسيحى والمثالى (الذى كان له صلة بالدين والاخلاق) .

لقد رتب اليهود اذاعة فكر فرويد وماركس ونظرية التطور مع ان لامارك كان أصدق من داروِن وأصح منه وادلر ويونج كانا اصدق من فرويد ، ولو اتيحت الفرصة للفكرة الاصيلة للبروز لقضت على الفكر البشرى الفاسد ولكن القوى التى تريد تدمير العالم وتحويله لهدفها هى التى ظاهرت النظريات المسمومة : ثم حملتها الى أفق الفكر الاسلامى عن طريق مناهج التعليم والثقافة . ولا ريب ان الدعوة الى ترك القديم واحتقاره هى دعوة صهيونية مسمومة معناها احتقار الاديان ، وهى التى حملت الدعوة الى التطور من الافق البيولوجى الى تطور مطلق فى المجتمع ، وهى التى حملت لواء التغيير الى غير ما مدى ، مع أن التغيير له هدف واضح هو التقدم والنمو دون ان ينتقص ذلك من الاصول الثوابت ومن شروط التقدم أن يكون اخلاقيا وأن يكون فى سبيل الاخاء البشرى ، ولقد عمد الفكر البشرى المطروح الآن فى افق الفكر الاسلامى الى تفرقة جماعة الامة وتمرد الابناء على الاباء والزوجة على الزوج ، وخلق ذلك الصراع بين الاجيال حيث لا يوجد بينهما صراع بل تلاقى وتكامل ، وهم الذين حرضوا الاجيال الجديدة على التنكر لكل أصيل وكل ثابت ولكل ذى قيمة .

* * *

وقد تبين خطأ التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه ماركس ويأخذ به الغرب اليوم وتقوم عليه الماركسية أيضا ، ان الفكر الغربى اليوم محاصر بنظريات ثلاث: النظرية المادية ، والدوافع الاقتصادية والدوافع الجنسية ، واهواء الوجودية وكلها تحتقر الانسان احتقارا شديدا : وهناك الجبرية التى تريد أن تخلى الانسان من المسئولية الفردية وتلقى هذه المسئولية على المجتمعات ولقد ألقت هذه النظريات على المجتمعات الغربى طوابع خطرة : طوابع المتعة الحسية ، طوابع النهم والقسوة ، طوابع الحقد والبغض ، لاهتمام بالكم واهمال النوع والكيف : ولقد أعطت هذه النظريات العلاقات بين المراة والرجل مفاهيم فاسدة ، واشاعت روح الاباحية والفساد والانحراف ، حين خرجت المراة عن اصالتها ورسالتها ومسئوليتها فى البيت والاسرة والطفل ، الى اهوائها الخاصة ، لقد جردها الرجل من طابعها الأصيل الكريم وجعلها لعبة هواه .

الرسالة الرابعة

عقبات فى مواجهة تحريف الفكر الإسلامى

ان محاولات الغرب فى تضخيم فكره وابرازه ، ومحاولات التغريبيين فى الاعتزاز به واحاطته بشىء غير قليل من المبالغة والقداسة هى احدى الخطط المسمومة المدمرة التى تواجه شبابنا قليلى التحصيل : ينبهر لاقل شىء ولاول نظرة ، ولو أنه استطاع أن يعرف دخائل الاشياء ويدرس ما بعد الظواهر ويستكشف الحقائق لوجد فى هذا الفكر الغربى المعروض عديدا من التغيرت والنقائض فهم يرددون عشرات الاسماء أمثال نيتشه ومندل وداروِن وفرويد وديستوفسكى وهيجل على انها علامات على طريق النهضة والحضارة والعلم ويخدعوننا بها لننسى بطولاتنا واعلامنا وعظماءنا الذين انطلقوا من منطلق لا اله الا الله وعملوا فى سبيل الله خالصين ، والتمسوا الحق فى تقوى من الله وايمان ، ولو أننا ذهبنا نستقصى هذه الاسماء لوجدنا انهم مخادعون كاذبون

مضللون فى كثير مما يقولون وان كنا لا نبخس الفكر الغربى ما قدمه من ايجابيات فى مجال العلم التجريبى ولكن ذلك الاصرار على اعلاء شأن السلبيات فى مجال الدراسات النفسية والانسانية :

دعـــوة ظالمـة :

لقد كانت دعوة نيتشه دعوة ظالمة ومضللة فى نفس الوقت ، حين دعا الى قتـل العاجـز أو ترك المريض يموت دون العمل على شفائه او ابادة الضعفاء ، وقد لقى نيتشه مصيرا مظلما غاية الظلم نتيجة دعوته التى اتخذها الاستعمار مبررا لظلمه ، فقد عاش نحو عشرين عاما وهو فى جنون يكاد يكون مطبقا اذ كان فى الدور الاخير من السلفس ، وهو مرض لم يقعد جسمه فقط بل أمات ذهنه ، ولما مات مات مغمورا لم ترثه جريدة ولم تذكره جامعة حتى بعثه اليهود من بعد وقالوا :

لقد رتبنا نجاحه كما رتبوا نجاح داروين وغيره .

أما أبطال ديستوفسكى فكانوا من الشواذ والمرضى وجميع أبطال فرويد شواذ ومرضى ، وكره نيتشه أوروبا لانها اعتنقت المسيحية وكذبت التجربة قول فرويد بأن كظم الشهوة الجنسية يؤدى الى اضطرابات شخصـية وتبين فساد استغلال فرويد للاساطير وخاصة ما اطلق عليه مركب أودية وهو أن الطفل يحب أمه حبا جنسيا ويجد لذة جنسية فى الرضاع : وكانت كتابات هافلوك اليس فى الجنس والبغاء وكانت دعوة ولز الى كتابة التاريخ البشرى للعالم دعوة صهيونية وقد روج سـلامة موسى لهذه الآراء وعاش حياته كلها ينقل عن فرويد وماركس ما يرضيه لانه على الاقل ليس لديه منهـج يهديه عن طريق عقيدته ، أما بالنسبة للجماهير الجامعة فان الامر يختلف .

أما (مندل) فقد ثبت ان قواعده فى الوراثة غير محكمة ، وان مندل لم يكن على علم بالآفاق الجديدة للطاقة التى أوشكت البشرية أن تستشرفها من بعـد وأهمها البترول الذى كان ظهوره عاملا هاما فى قلب نظرية مندل والاطاحة بها .

لقد كانت الفلسفة الغربية باطلة لانها قامت على انقاض البشرية بالقضاء على الضعفاء فقد جفت فيها ينابيع السخاء البشرى عندما دعت الى قتل العاجز أو تركه يموت دون أن تعمل على شفائه وكان أقسى تلك الصيحات القول بالقضاء على الزنوج لحساب شعوب أرقى منهم ، وكان هذا تبريرا كاذبا للاستعمار والاستغلال لان الاقوياء هم الذين يستعمرون ويقتلون الضـعفاء بالوراثة وكان نيتشه فى مقدمة الدعاة الى ابادة الضعفاء كذلك فقد تبين للباحثين أن رأى داروين فى تنازع البقاء الذى أخذت به الفلسفات الاستعمارية هو خطأ محض وان التعاون فى الطبيعة أكبر اثرا من التنازع .

وأخطر ما يحاول الغربيون تقديمه فكر هيجـل وفلسفته ويمهدون به للمادية والماركسية جميعا ويرى هيجل أن الوجود حركة مستمرة تعتمد على التناقض فالحياة تحمل فى طياتها الموت ، والاستعلاء يحمل أسباب السقوط ، وقد اكتشف هيجل قانون الحركة بعد أن ظل الغرب قرونا يؤمن بقانون الثبات الذى قال به أرسطو فانتقل الغرب من قانون الثبات جملة الى قانون الحركة جملة ، وكلا النظرتين خطأ وتجاوز ، اما المفهـوم الحقيقى فهو الذى قدمه الاسلام وهو مفهوم جامع بين الوثابت والمتغيرات . ويعنى مفهـوم المذهب الجدلى (الديالكتيك) الجدل بمعنى التناقض وبمعنى الحوار ، واصبح يشير الى معنى الصراع ، الحركة : التناقض ، أصبح منهج التوتر والانقسام والصيرورة المستمرة بعد أن كانت مناهج القدماء من الفلاسفة قائمة على الثبات أصبح المنهج الجدلى يقوم على التغير والتناقض ، وقد ترك المذهب الجدلى منذ عام ١٨٣١ ظله على الفن والدين والقانون والسياسة ومحور الارتكاز انما هو مفهوم الكل والمجموع والمنهج الجدلى يستهدف الوقوف على البناء العضوى للوجود باعتباره كلا ، ليس كلا سكونيا بل كلا متحركا ديناميكيا فكل حى يتمتع بالحـركة والصيرورة والتجدد المستمر وان الوجود كل عضوى مترابط متناسق ولكنه متحرك دائما .

هذا المفهوم تلقفته التلمودية العالمية لانه يحقق هدفها فى هزيمة البشرية واخراجها من الفكر الربانى الاصيل . وهما ثلاثة مفاهيم استقاها من الفلسـفة المادية : التطور من داروين ، والتغير من هيجـل والنسبية من انشتاين وكلها تستهدف القضـاء على الثوابت والقيم واليقين وتدفع البشرية الى الانفصال عن ماضيها وتراثها ومفهوم الدين الحق .

هذا هو التحدى فى مجال الفكر ، وهناك تحـد آخر فى مجال التراث .

ان التحدى الغربى للاسلام والفكر الاسـلامى لا يزال قائما فى مجال التراث يتمثل فى محاولة حجب التراث الاسلامى — الذى تحفل به مكتبات الغرب عن

أهله المسلمين ، حتى لا يعرفوا مصادر علم الغرب التى أخذوها من المسلمين ، حتى لا ينتموا بتراثهم فى تحديد حياتهم وحتى يظهروهم على الجوانب السلبية وفيها المتشابه والمختلط والمضطرب ويستخلصون منـــه ما يروقهم ويعلنونه فى نظريات لهم ينتحلونها وبحـوث يفخرون بها على الناس ثم يعرضون علينا تراثا ناظرين اليه بعين السخط فيتطفل ابناؤنا على فتات موائدهم ، المسلمون من غير التراث كالمحارة التى فقدت غطاءها الصدف الذى يؤمن لها الحماية الضرورية .

وهم حين يحجبون تراث الاسلام الاصيل عن أهله ويحولون بينهم وبين استعادته لتجديد فكرهم وتصحيح تاريخهم ، تجدهم يجددون الفكر الفلسفى والباطنى والصوفى الفلسفى ، واعادة طرحه من جديد فى أفق الاسلام . هذا الفكر الباطنى والاسماعيلى (ابن سينا والكندى والفارابى واخوان الصفا والحلاج والسهروردى والبسطامى وفلسفة الاشراق) كلها لا تمت الى العقيدة الاسلامية الصافية بصلة . ولقد ثبت أخيرا أن فلسفة الفارابى فى تفسير النبوة تقوم على أســـاس تعاليم الباطنيـــــة فقـــد استقى الفـــارابى والباطنيـــة والنظـــرية من مصـــدر واحـــد هـــو جمهـورية افلاطون وفلسفة أرسطو ، وهناك اشارات كثيرة تجعلنا نحترس من تقبل آراء الكثيرين ، فأبو البركات البغدادى صاحب كتاب (المعتبر) فى الحكمة هو يهودى اعتنق الاسلام (توفى ٥٦٠ هـ) وافكاره ما زالت باطنية ، أما ابن مسكويه فقد اتصل بابن العميد ثم بعلاء الدولة الديلمى وفكره فى فلسفة الاخلاق لا يمثل الاسلام من قريب أو من بعيد ويخضع هذا الفكر الذى يجـــدده الاستشراق ويعيد نشره فى أفق المجتمع الاسلامى الى شبهة القول بأن لآيات الله ظاهرا وباطنا ، وأن هـــذا العلم الباطنى لا يعلمه الا ائمة الباطنية المهيمنون على التأويل ، ولا شك أن من أشد الدعوات المطروحـــة فسادا هو القول بأن القرآن كتاب الله له ظاهر وباطن أو انه كتاب مستور ومحجوب عند الجمهور ، أو ما يقال بأن هناك مصاحف عند بعض الفرق تختلف عن المصحف الامام وهناك فكرة العصمة وفكرة الرجعة . ان اعادة طرح هذه الشبهات والقضايا بعد أن انتهت انما يراد به تأخير وحدة الأمة وتكرين مفاهيم زائفة تعوق دخـــول المسلمين فى عصر النهضة .

ان كل هـــدف القوى الغربية المعـــوقة للنهضة الاسلامية ابراز هذه الشبهات المسمومة التى تخطاها المسلمون والفكر الاســـلامى من وقت بعيـــد واحيـــاء التصوف الفلسفى القائم على مفاهيم الاتحاد والحلول بهـــدف التخلى عن الالتزام الخلقى وعدم التأدب مع الله تبـــارك وتعالى ، كذلك احياء مفهوم الاعتزال . الذى وصـــل فى بعض مراحله وأفكاره الى ما يمس مفهـــومه وحدانية الله وما استهلك الفلاسفة من جهد فى وضع فروض فلسفية تزيغ الأبصار وتدمر القلوب فقد حملت هذه الكتابات التى اذاعها أمثال ماسيتون وغـــيره مذاهب بعض المتصوفة فى الحلول والاتحاد وتجاوز الالفاظ المهذبة فى التعبير عن تجربة الانسان الباطنية ، هذه الافكار التى كشف زيفها مفهوم اهل السنة والجماعة والتى كانت فى فترة من الفترات تشكل تهديدا للاسس الراسخة التى شيد فوقها النظام الاسلامى والحضارة الاسلامية ، تلك التى انبثقت عن التوحيد الحقيقى لله تبارك وتعــــالى والتحديد المعجز الذى لم تشهده الاديان الاخرى لصلات الانسان بخالقه وصلته بالانسان والمجتمع .

***

الحضـــارة الإســلامية .. وقرب انطلاقهـــا

ان كل العلامات والدلائل توحى بان دورة جديدة توشك أن تبدأ لتأخذ مدارها تحت الشمس لحضـــارة اسلامية من المتوقع أن تكون هذه المنطقة هى التى تحمل فيها الامانة مرة أخرى .

واذا كان النفوذ الغربى والاستعمار قد استطاع بالحرب العالمية الاولى القضاء على الخلافة الاسلامية وتمزيق وحدة العالم الاسلامى واستطاع بالحـــرب العالمية الثانية اقامة اسرائيل والقضاء على وحدة العالم الاسلامى والبلاد العربية بعد أن ازاح النفوذ الاجنبى قادة اليقظة الاسلامية وقدم رجاله فان الامر اليوم جد مختلف وان صيحة العودة للاسلام لم تعد تنكسر مسيرتها ولا بد ان تحقق هدفها وهو هدف كريم سمح لا يضار أحدا ولا يقاوم احدا ولكنه يرمى الى ان يحقق للامـــة

الاسلامية وجودها القائم على الاخاء الانسانى والعدل والرحمة والتوحيد وقد ثبت اليوم أن التجربة الغربية والتجربة الشيوعية مرفوضتان فى افق المجتمع الاسلامى وان التجربتين كانتا لمجتمـــع يختلف عن مجتمعنـــا وان الماركسية ما هى الا جزء من نظام الغرب الرأسمالى ورد فعل لواقع الرأسمالية الغربية التى عجزت عن اقامة مجتمع سليم ولا ريب أن الرأسمالية والماركسية كلاهما من منبع واحـــد لسيطرة مفهوم الربا على الاقتصــــاد العالمى ، وينطبق التفسير المادى للتاريخ فى كليهما ومن ثم فان المجتمع الاسلامى الذى يقوم على تفسير جامع يربط بين المادة والروح من ناحية ويرفض الربا رفضا كليا ، هذا المجتمع لا يستطيع ان يهتدى بهـــذى الفكر الغربى ولا ان يأخذ نظام العيش العربى لان له منهجه الخالص ولامر آخر هـــو أن الحضارة الغربية اليوم تمر بمرحلة الازمة والهزيمة والانهيار ونحن نعـــــرف أن الحضارة الغربية حين وصلت القمة فى العطاء المادى قصرت فى مجال الوجدان والمعنويات وتضاءلت وعجزت عن فهم عطاء الله وما للبشرية من قدرة فى مجال العلم وانها وجهتكل ما اعطاها الله الى تدمير الانسان، سواء فى مجال الاجتماع بالاباحيات والتحلل أو فى مجـــال العلاقات الخارجية بالذرة والقنابل الهيدروجينية ولقد شكلت الحضارة الغربية بهذا تحديا لدين الله وحدوده وضوابطه وخروجا على شرعته حين اعطى الانســـان الغربى لنفسه حق التشريع ، وتحويل أهوائه ومطامعه الى شريعة فاسدة متنكرة لوجهة الربانية التى حددها الحق تبارك وتعالى للمجتمعات .

* * *

ولقد صدر الغربيون مفاهيمهم الفاسدة الى العالم كله وكان حقا على الاسلام ان يقف فى وجه هذه الموجة الطاغية وان يكشف زيفها فانسيطرة اليهودية التلمودية بالربا على هذه الحضارة قد صنع مجتمع الاستهلاك الذى يقوم على استهلاك كل المواد الخام التى جاد بها الحق تبارك وتعالى على الانسانية فى مجــــال الترف والفساد والازياء وسموم الخمور والمخدرات والرقص والسينما، فهم يريدون بيع بضائعهم ولما كان ا لدينالحق والاخلاق تقوم عقبة فى سبيل ذلك فهم يعملون على هدم الاخلاق ، ولما كان الربا هو الاساس فلا بد من القضاء على كل الفضائل حتى تنقل البشرية كلها الى الترف بسلاسل من حديد تمزق المجتمعات وتفسد الأسر وتحطم الوجود الاجتماعى المكين وذلك باقامة مجتمعات اللهو والصخب والفساد وكلا النظامين الرأسمالى والماركسى يؤمن بهذا ويعمل له .

ونحننعرف أن تجربة الترف والرفاهية فىمجتمعات الغرب قد أدت الى الانحلال وان أعلى البلاد فى الترف والثراء والغنى هى اعلاها نسبة فى التمزق والانتحار والغربة والادمان ، ســواء عن طريق الانسحاب من الحياة بالادمان على الموبقات أو الانتحار ، فالمجتمع المتحضر حين يفقـــد الدين والاخلاق ومفهوم مسئولية الانسان الصحيح والتزامه الاخـلاقى فانه يتجـــه الى الغروب ليفسح المجال لتجربة أخرى وقد شهدت ذلك حضارات الرومان واليونان وفارس وغيرها هذا المصير المحتوم . .

فكيف يفكر المسلمون أن يأخذوا من هذه الحضارة المدمرة ، وكيف يعترض الرجل الذى يملك كنوز المعرفة والثقافة وكيف يفكر المسلمون أن يأخذوا « تجربة » لم تنجح فى بلادها ولم تحقق الخير لاهلها وهم الذين يملكون اصفى المناهل ، وأكمل المناهج دينا شاملا جامعا متجاوزا لكل الفلسفات الاساسية التى ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ولكل الاديان السابقة التى احتواها الفكر الوثنى والمادى وما زال الاسلام بعد اربعة عشر قرنا قويا بمنارته خفاقا كالفجر مشرقا كالضياء الباهر ، اصيلا بعطائه ، صالحا بوجوده ، يحقق النصر والعزة لكل القلوب المؤمنة به وهو الذى يحمل منهج « الفرج بعد الشدة » فيكسب اصحابه ايمانا وتفاؤلا واشراقا بينما تعطى المناهج الوافدة تلك الصورة القاتمة من التشاؤم والقلق والجفاف الروحى .

وعلى المسلمين الحذر من الوقوع فى براثن التصايح للاسلام بدعوى الانفتاح وعلى كل ما ينقل أو يترجم أن ينصهر فى بوتقة الاسلام واللغة العربية ، وأن يكشف عن وجهة نظر الاسلام فيه ، وانه يقدم دائما فى كل مجال وجهة نظر الاسلام وانه لمن أخطر الامور أن نرسل ابناءنا الى أوروبا وأمريكا دون حصانة قوية من فهم عميق العقيدة الاسلامية واخطر من ذلك أن نرسلهم ليتعلموا اللغة العربية والاسلام فى السربون وهارفارد وبرنستون التى يتمركز فيها المستشرقون المبشرون اليهود المتخفون وراء الارواب السوداء .

ان الوفا من الطلبة المسلمين يذهبون كل عام الى معاهد أوروبا : ثم لا يعودون الا خصوما للاســـلام وللبلاد ، ذلك لاننا لم نحذرهم قبل سفرهم من الخطر الذى ينتظرهم أو الاخطار التى تخطفهم بمجرد وصولهم الى تلك البلاد ، كذلك لا بد من القضاء على الثنائية فى الفكر الاسلامى ، هناك ثنائية اللغة الفصحى والعامية

وثنائية التشريع الاسلامى والقانون الوضعى وهناك ثنائية التعليم الاسلامى الدينى والتعليم الغربى كل هذا من شأنه أن يحول دون تحقيق وحدة الفكر التى هى أساس الوحدة الاسلامية الجامعة ، ومن خلال هذه المحاولات تثار الشكوك حول مفاهيم الاسلام الجامعة ، تثار الشبهات حول الاخلاق الاسلامية ويشوه التاريخ الاسلامى ويزور وينكر فضل الاسلام على الحضارة الحديثة ..

والمسلمون جميعا فى انحاء الارض ليست لهم جامعة الا « لا اله الا الله » فلماذا يستمعون الى تلك الاصوات المسحوقة التى تقول لاهل الشام أنتم فينيقيون وللمصريين انتم فراعنة ، وللفرس انتم أكاسرة وللاتراك أنتم طورانيون ، لقد قضى الاسلام على تلك الثغرات كلها واقام ما اسماه علماء التاريخ انقطاعا حضاريا بينه وبين هذا التاريخ الجاهلى القديم وفى خلال أربعة عشرة عاما تشكل فكر اسلامى أصيل لا سبيل الى الخروج من دائرته وما تزال اللغة العربية هى لغة الفكر والعقيدة لالف مليون مسلم ...

ولقد كشفت حركة اليقظة الاسلامية زيف منهج الاقتصاد الغربى وزيف القانون الوضعى وفساد منهج التعليم الوضعى وآن للعالم الاسلامى أن يعود الى الاصالة ، الى الفطرة ، الى الاسلام فان كل المسلمات التى حاول الفكر الغربى « بشقيه » الوثنى والمادى خلال أكثر من قرنين والتى نقلها الى أفق العالم علماء الاصول ان الانسان محكوم بأن يسلم نفسه لجهة من الجهات فمنهم من يسلم نفسه للعقل ومنهم من يسلم نفسه للطبيعة ومنهم من يسلم نفسه للمادة أو للبشرية أو لذاته « الوجودية » .

وخير ذلك جميعا من يسلم نفسه لله تبارك وتعالى.

ومن يسلم نفسه الى الله فقد استمسك بالعروة الوثقى .

***

ان محاولة علاج مشكلات العالم الاسلامى بعيدا عن الاسلام قد غدا ميئوسا منه ، ان الحقيقة الاسلامية على المستوى الشعبى أصبحت امرا واقعا ولم يعد هناك مجال لانكاره ، ان انهيار العالم الاسلامى الذى ظل متواصلا على صعيد الاوضاع السياسية والاقتصادية المعبرة عن محاكاة الغرب قد بلغ منتهاه فى السقوط فى نكسة ١٩٦٧ وان ساعة انطلاق الحضارة الاسلامية قد حانت وسط عالم منهار .

اننا نطلب تأصيل الفنون والاداب والعلوم وتأصيل المفاهيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ليبرز الاتجاه الاسلامى واضحا وستحرر الشخصية الاسلامية من التبعية بكل صورها وألوانها .

***

الطريق إلى وحدة إسلامية شاملة

فى سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير يجب كسر الحواجز الاتية :

التبشير — الاستشراق ، التغريب — الشعوبية ، مخططات الصهيونية والماركسية والوجودية التى ما تزال تسيطر على بعض المناهج التعليمية .

واذا لم يكن فى الامكان كسر هذه الحواجز فلا اقل من كشف أخطارها ودفع شبهاتها وزيفها الذى يتحرك الان فى أفق الفكر الاسلامى على أنه حقائق ومسلمات .

(٢) هناك ما يوجه الى اللغة العربية من شبهات ومحاولات لاعلاء العاميات فى البلاد العربية وما يوجه الى الشريعة الاسلامية من تحديات القانون الوضعى والايدلوجيات الغربية فى نظم الحكم وهناك ما يطرح فى أفق الفكر الاسلامى من فلسفات توصف بانها علوم مع اختلاف العلم عن الفلسفة واتصال العلم بالمعامل والتجربة دون اتصال الفلسفة بذلك واعتمادها على الفروض والنظريات التى تخطىء وتصيب .

(٣) وهناك ما يقدم المسلمين باسم الانثروبولوجيا (دراسة الاجناس البشرية) ومقارنات الاديان وغيرهما مما يراد به اعلاء شأن العنصريات أو اعادة طرح مفاهيم الوثنية والتعدد والالحاد من جديد فى أفق الفكر الاسلامى

وهناك ما يتصل بالعلمانية وايقاع الصراع بين الدين والعلم من ناحية وبين الدين والمجتمع من ناحية أخرى .

وهناك دعوى التطور المطلق الذى لا يتحرك فى اطار ثابت وهو ما يتعارض مع مفهوم الاسلام الذى يقوم على مجموعة أساسية من الثوابت مع الحركة والتحول فى الاطراف والفروع .

وهناك محاولة وضع العروبة فى مقابل القوميات الغربية وفرض مناهج القوميات الغربية ونظرياتها على العروبة فى علاقتها بالاسلام والعالم الاسلامى ، من أجل زلزلة الوحدة الفكرية القائمة بين المسلمين جميعا والذين تربطهم بها سناد لا يمكن تجاهله أو عزله وهو القرآن الكريم العربى اللغة .

ومع أن المسلمين يؤمنون تماما بانهم أمة واحدة وان الاسلام وعاء العروبة وان العرب مادة الاسلام وان العرب لم يكونوا أمة الا بالاسلام ومن قبله كانوا قبائل متفرقة .

هذه كلها هى الصخور التى نجدها فى الطريق الى الوحدة الاسلامية الشاملة وهى صخور تجمعت فى فترة ليست بالقصيرة ، جمعها الاستعمار والصهيونية والمذاهب الهدامة جميعا حتى لا تقوم الوحدة الاسلامية بعد أن ظن الاستعمار ان عقدها قد انفرط بالمؤامرة الكبرى التى قام بها حين اسقط الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ .

وكان الظن ان اسقاط الخلافة من شأنه ان يقضى على الوحدة الاسلامية ويجعل من العرب والفرس والترك والهنود المسلمين قوميات متصارعة متعادية ، بل لقد حاول الاستعمار ذلك ودعا اليه واعاد صياغة تاريخ الفكر الاسلامى والادب العربى على أساس الاجناس فأعاد الغزالى الى ايران والفارابى الى تركيا وهكذا .

ولقد نشأت فى السنوات الخمسين الاخيرة مدارس وفلسفات ومذاهب تحاول أن تقيم (قوميات) فى البلاد الاسلامية تعلى من شأن تاريخها القديم السابق للاسلام ولقد سارت هذه الدعوات بقوة النفوذ الأجنبى ولكنها عجزت عن أن تحقق شيئا ، ومن أجل تمزيق وحدة الاسلام كان لا بد من تمزيق وحدة العرب ، وقد جرت الدعوة الى الفرعونية والفينيقية والاشورية والبربرية وغيرها فى مختلف الاقطار ظنا أن ذلك سوف يرد المسلمين والعرب الى ماضيهم البعيد متجاوزين حاضرهم وماضيهم القريب ولكن الامر لم يحقق شيئا .

فقد تبين ان الاسلام قد جب التاريخ القديم كله وجعله فى عداد الاثار والمتاحف فلم تبق لغة ولم يبق أدب ولم تبق أى قيم يمكن ان تشكل فلسفة تقوم عليها دعوة اقليمية أو ابتعاث لنحلة قديمة .

بل لقد ظهر ما هو أبعد من هذا من الدلائل التى تدحض الاهداف القائمة وراء هذه الدعوات .

ظهر ان الفراعنة والاشوريين والبابليين والفينيقيين انما هم عرب خرجوا من قلب الجزيرة العربية فى موجات وانبثوا فى البلاد . وقد أكد هذه الحقائق عشرات من المؤرخين وكشف عنها عديد من الباحثين ، وبذلك تحطمت تلك المؤامرات التى اريد بها تمزيق هذه الامة الى قوميات متعادية .

وظهر ان الاسلام بعد أربعة عشر قرنا قد شكل نفسية ومزاج وعقل وروح وذاتية هذه الامة تشكيلا لم يعد فى الامكان اخراجها منه وان ما سبق الاسلام من دعوات واديان وفكر وثقافة انما كان أصلح ما فيه واجود ما يستفاد منه هو ما صنع فى الاسلام : الدين الخاتم وان ذلك الجيد كله انما هو من نتاج الاديان السماوية المنزلة التى هى واحدة فى أصولها ومصادرها وهدفها فى دفع الانسان الى الخير والنور وبنائه على الخلق والنبل .

ولذلك فقد استوعب الاسلام كل ما فى الاديان السماوية التى سبقته من قيم الحرية والعدل والبر والاخاء واعاد صياغتها من جديد فى دين الانسانية الاخير .

* * *

ومن هنا فقد كان لابد أن تخطو الامة الاسلامية خطواتها مرة أخرى الى الوحدة والالتقاء والتقارب والتضامن فذلك أمر هو من طبيعة الاشياء ومن سنن الكون .

فهذه أمة واحدة جمعتها ارادة الله باسم القرآن وتحت لواء الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ثم جاء الاستعمار الحديث : موجة من موجات الصراع الذى عرفه الاسلام منذ فجره وقد سبقته موجات الصليبيين والفرنجة والتتار وغيرها من موجات ، جاء الاستعمار

الحديث ليحاول تمزيق هذه الامة الى أمم ودول واقاليم ويقيم بينها حواجز ويجعل فى كل قطر دعوات تختلف وتتعارض ، ويعلى من شأن التاريخ الاقليمى ويذكر بالاثار القديمة وبالحفريات ويحاول ان يثير الخلافات المذهبية ويبعث النحل ، ويحاول ان يقيم الاعراف القديمة ويحييها ليجعلها شرائع وتوانين ، كل ذلك جرى واعانه الاستعمار بنفوذه فى محاولة تمزيق جبهة هذه الامة تمزيقا افقيا بالعنصرية ورأسيا بالنحل ، وجعل من داخل كل تمزيق تمزيقا آخر ، ولكن ذلك كله وان ترك اثاره فى واقع الحياة الاجتماعية والسياسية ، ولكنه لم يعد موضع اقتناع من أحد ولقد كذبت الحقائق الشبهات وزيفت الاصالة والاوهام ، وكشف ضوء النهار عن دسائس الليل ولقد دعت الامة الاسلامية نفسها وعرفت من أين تأتى الاهواء والرياح والسموم وبقى عليها أمر واحد : هو الارادة .

فبناء الارادة هو القادر على أن يزيح بقايا التبشير والاستشراق والتغريب والشعوبية وان يواصل كشف زيوف المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية والماركسية .

لقد قضى الاستعمار على الوحدة الاسلامية التى كانت تمثلها الخلافة تحت لواء الدولة العثمانية من اجل تحقيق المطامع الكبرى التى كانت تحيى بها حركة الاستعمار والحركة الصهيونية معا .

وكان الهدف القضاء على الوحدة العربية التركية المتمثلة فى الدولة العثمانية من أجل توزيع هذه الاجزاء العربية على الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الاولى (فرنسا ، انجلترا) .

ولكن كان هناك هدف آخر هو تسليم فلسطين لليهود ولم يتحقق ذلك كله الا باسقاط الوحدة الاسلامية المتمثلة فى دولة الخلافة ولذلك تاريخ يجب أن يروى ويعرفه شبابنا ولكن المسلمين بعد سقوط الخلافة وزوال الوحدة الرسمية لم يتوقفوا عن العمل ولم يصمتوا عن التنادى الى اللقاء ، وقد شغلهم الاحتلال بأنفسهم سنوات قليلة ولكنهم ما ان تنبهوا حتى اعادوا اتصالاتهم على المستويين العربى والاسلامى كأمة ولغة وكفكر ودين .

ومن يراجع وقائع التاريخ يجد أنه فى الفترة ما بين عام ١٩٣٠ و ١٩٥٠ عقدت عشرات المؤتمرات وتمت عشرات اللقاءات وكانت فلسطين فى الحقيقة هى محور التحرك كله .

* * *

ولكنه كان تحركا واعيا عارفا بأبعاد الخطر وان القوة المضروبة هى الوحدة الاسلامية وان كل محاولات الدعوات القومية والاقليمية ودعوات التجزئة انما تستهدف غياب هذا الهدف وحجبه ونسيانه ولكن هل خلا منهج جمعية اسلامية أو منظمة أو دعوة من الدعوات من الاشارة الى الوحدة الاسلامية ، ذلك مالم يحدث ، ولقد عاش المسلمون يتطلعون الى الوحدة مرة أخرى حتى عندما اشتدت تيارات القوميات الاقليمية لتجرف كل شىء .

فى هذه الساعات الحالكة ظل بريق الوحدة الاسلامية ينفذ من ثنايا الغرف المظلمة ويعلن عن نفسه وعن وجوده ، وعن أنه حى لا يموت ذلك لأنه مساير لسنن الحياة وأن محاولة هدمه هى فى ذاتها معارضة لهذه السنن ..

شرخ جديد فى جدار الماركسية كمقدمة لسقوط الفكر البشرى

اليوم ، ومنذ مطالع القرن الخامس عشر الهجرى وهناك علامات متعددة على سقوط الفكر البشرى بشطريه : الليبرالى والماركسى ، ودعوة جديدة الى الاصالة والى الاستمداد من المنابع ، والى تكشف زيف الايدلوجيات ، ولقد بدات هذه الارهاصات منذ وقت ليس بقريب ، حين طالبت امم كثيرة بمنهج جديد للاقتصاد يختلف ويحل محل المذهبين العالميين اللذين لم يحققا للبشرية الا مزيدا من الاضطراب والفساد .

فاذا تلفتنا نحو الرموز الغربية المثارة منذ اكثر من قرن من الزمان وجدناها تهتز وتضطرب : الوجودية والفرويدية ومدرسة العلوم الاجتماعية ومذهب المنفعة (الذرائع) وعشرات من الدعوات التى صنعها اتباع التلمودية والماسونية وبروتوكولات صهيون لتضليل العالم ودفعه الى حافة الفناء بعد اغراقه فى الجنس والاثم والفاحشة .

ولقد كانت الماركسية كبرى نتاج الصهيونية العالمية ووجهها الآخر ، والعامل الذى تتحرك من داخله وحوله كل مخططات السيطرة على العالم واقامة امبراطورية الربا العالمية .

ومنذ سنوات وتواجه الماركسية اللطمات والتصدع وخروج دول أوروبا عنها كما حدث فى يوغوسلافيا وبولندا والمجر ورومانيا فى عام ١٩٥٦ تفجرت أكبر قضية فى تاريخ الماركسية وهى الكشف عن أن الشيوعية قمع وقهر وارهاب وذلك عندما وقف خروشوف فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى وادان جرائم ستالين بتهم لا تقل بشاعة عن ما فعلته النازية والفاشية واليوم ترتفع الصيحات فى الصين بان (ماوتسى تونج) الزعيم الصينى الكبير الذى انشأ الشيوعية الصينية اخطأ فى فهم الاشتراكية وان كارل ماركس لا يستطيع ان يقدم كل الاجوبة وان على الصينيين ان يكفوا عن البحث عن دواء سحرى فى كتابات ماركس وماو بدلا من الواقع الحى واعلنت كبرى صحف الصين ان الايدلوجية الشيوعية أصبحت بالية وان أفكار مارس ولينين وانجلز لم تعد ملائمة للواقع بعد التحولات التى طرأت على العالم منذ مائة عام وليس فى وسعها حل المشاكل المطروحة على القيادة الصينية فاذا استمر العمل بها فستتعطل مسيرة التطور التاريخى .

وقد جاء هذا بعد تلك الصورة البراقة التى رسمت لماوتسى تونج وتجربته الرائدة التى لم تكن اكثر من جحيم قذف فيه بالملايين الذين كانوا (شبابا وكهولا ذكورا واناثا ينتزعون من أهليهم وينقلون قسرا الى البادية للقيام بعمليات فلاحية حيث يؤدون اعمالا شاقة ليحصلوا منها على ما يسدون به الرمق ولكن الى أين تتجه الصين فى تجربتها الجديدة ، هل هو عود الى النظام الراسمالى مرة اخرى بعد خمسين سنة من القهر الشيوعى الماركسى .

انه كذلك مع الأسف فلم يعد أمام العالم سوى أن يعلن أن النظامين الراسمالى والماركسى أصبحا فاسدين ولا يلائمان العصر ولا يحلان مشاكل البشرية ، وانه لا بد من الاتجاه الى الاسلام فهو النموذج الوحيد القادر على العطاء وما أجدر المسلمين والعرب أن يفيدوا من هذه التجربة المبسوطة امامهم وليعلموا انه لا سبيل لهم الا ان يتحرروا من هذه الايدلوجيات كلها بعد أن تبين عجزها عن العطاء الحقيقى وعدم قدرتها على مسايرة متغيرات المجتمعات والعصور ونحن نعرف كيف تحولت الماركسية منذ ظهورها الى اليوم ومنذ تطبيقها فى الاتحاد السوفيتى على يدى لينين وستالين ، وكيف تبين عجز ماركس نفسه عن استيعاب الاحداث حيث لم تكن نظريته الا مجموعة من التنبؤات التى كذبتها الوقائع لانها اتخذت الاسلوب الانتقالى فى التاريخ فى سبيل تقديم الادلة على الاهواء التى صنعتها وكيف تنبأ ماركس بان الثورة تقوم فى انجلترا فقامت فى روسيا وكيف تجاهلت الماركسية الحقائق واعتمدت على بعض نظريات العلم التجريبى التى تجاوزتها الاحداث وكيف غفلت عن أن هناك ثوابت ومتغيرات فنقلت نظرية هيجل من ان يقف الهرم على راسه بأن يمشى على بطنه .

وكشفت الوثائق الصلات التى قامت بين ماركس وهرتزل من ناحية وبين فرويد من ناحية أخرى وتبين انها مؤامرة ضخمة لتدمير البشرية من خلال مذاهب الجنس والمعدة والحيوان واكد حكماء صهيون ذلك حين قالوا : انهم اعدوا لنجاح داروين وماركس وفرويد ومن بعدهم دوركايم وسارتر مما نرى ونشاهد اليوم من نظريات مادية واباحية ووثنية تهدف الى القضاء على الدين والاخلاق وهى على الطريق الذى رسمته الماسونية واخفته عن اتباعها حتى سقطت الخلافة الاسلامية وما يتصل بدور البهائية قديما وحديثا ودور القاديانية حديثا .

وفى العالم العربى حمل اليهود لواء الماركسية وجندوا لها الاجناد الذين واتتهم الفرصة لاعلان آرائهم ومذاهبهم الضالة المسمومة .

وقد كشف الاسلام هذا الزيف كله ونبه اليه ودعا اهله الى العودة الى المنابع ، والى الاصالة .

وصدق الله العظيم **(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة بما ظلموا او تحل قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله) .**

ان نظاما يقوم على الحقد على بنى الانسان ويعمل على سلبه مايملك ويدعو الى الصراع بين طبقاته وتدمير وحدة مجتمعهم هو نظام فاسد ولن تقوم قوائمه لانه مضاد للفطرة وللعلم ولسنن الحياة البشرية والمجتمعات والحضارات ونحن نعرف أنه ليس نظاما مستقلا وانما هو رد فعل لنظام آخر فاسد هو الراسمالية الغالية فى الاستعلاء والحرية والتى لا تحسب حسابا لاى شىء سوى الجشع فى نهب ثروات العالم الاسلامى ولذلك فقد عاشت الماركسية كما عاشت فى

احضان الصهيونية ، لانها احدى وسائل تدمير المجتمع الاسلامى وهزيمة قيمه ومقوماته ان عوامل الهزيمة تحل بالمذاهب البشرية يوما بعد يوم وتنهار مقوماتها لانهـــا تعارض الفطرة ودين الانسانيةالحق كما تعارض الاخلاق ومقومات بناء المجتمع الربانى والحضارة الانسانية ولقد تبين للملايين فى الغرب اليوم أن هناك منهاجا آخر لم تجربه الامم ، فيه سماحة الانسان وكرامته ، وفيـــه ارتباطه بخالق الكون وصانع الحياة ، واليوم يكشف عن ذلك علماء من الغرب عرفوا هذه الحقيقة ويهدونها الى أهاليهم، بعد أن خاضوا معارك الراسماليةوالماركسية واكتشفوا فسادها وزيفها ، فهل جاء الوقت الذى تشرق فيه شمس الانسانية ، **(انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)**

أمانة الكلمة : التشكيك فى منهج الله

ان الحوار الدائر الان هو حوار من جانب واحد ، من جانب العلمانيين والشيوعيين وخصوم الاسلام الذين اتيحت لهم الفرصة للكتابة فى الصحف القومية الواسعة الانتشار دون أن يقابل ذلك امكان لان يجد الاسلاميون نفس الفرصة للرد ولتحليل الموقف وادحض الاكاذيب الملفقة .

وهو حوار يدور من خلال منطلق غربى استشراقى رافض تمام الرفض لمفهوم الاسلام أساسا ومتعارض معه وبذلك لا توجد أرضية حقيقية للمراجعة أو النقـد ذلك أن أمة يتصدر دستورها الاسلام ويقرر أن الشريعة الاسلامية هى المصدر الاساسى للقوانين لا يمـكن ان يدور الحوار فيها على هذا النحو من التنكر الكامل لهذه القاعدة الاساسية وأن تنطلق الاقلام بالهجوم الشرس على القاعدة والنيل منها على نحو يشعرنا بأن هؤلاء الكتاب ليسوا فى الحقيقة مؤمنين بأن وطنهم اسـلامى الوجهة ، وأن عاطفتهم المبطنة بالعلمانية والمـذاهب الغربية تحركهم فى حوار غربى الوجهة ، من خلال نظريات الغرب فى الجدلية الهيجلية الماركسية والتحليل النفسى وأساليب الصراع الطبقى والفكرى وكلها مفاهيم تختلف اختلافا واضحا عن المفهوم الاصيل للحوار العـــربى الاسلامى الاصيل .

وهى فضلا عن طابعها العلمى الزائف تكشف فى وضوح عن كراهية عميقة للاسلام وعن حقد دفين لمنهجه وعن طموح عجيب لعودة التيارات الماركسية للسيطرة مرة أخرى على فكر هذه الامة ونظامها الاجتماعى .

لقد انطلقت الاقلام فى حملة معباة مركزة خطيرة لتضرب قواعد النظام الاسلامى بعنف وتثير الشبهات حول كل شىء ، حول الحجاب والاختلاط ، حـول أن القرآن دستور المسلمين ، وحول أن الاسلام دين ودولة ، حول علاقة الشريعة بالفقه ، حول مسائل اخرى فرعية وكل هذه المسائل لها ردود، ولها توضيحات، ولكن المسألة ليست مسألة الفهم والاستفهام ولكنهـــا مسألة اهالة التراب على وجه الشريعة وطمس ضيائها ، والاعلان فى حسم انها ليست صالحة لبناء مجتمع ، وان تجـارب الليبرالية والماركسية (المضطربة المنهارة) هى وحدها القادرة على قيادة الامم .

وان هذا الذى قاله حمـلة الاقـلام يتجاوز كثيرا ما قاله المستشرقون والشعوبيون واعداء العـــرب والاسلام ، وهو يرضى فى نفس الوقت كل الجهـــات الكارهة للاسلام والحاقدة عليه سواء كانت صهيونية أم غربية أم شيوعية .

وفى هذا الذى كتبه أصحاب الاقلام خلط شديد يدل على قصور كثير فى فهم الاسلام نفسه ، خلط بين نظريات القومية والليبرالية والماركسية وفى ذلك نسيان لتميز منهج الاسلام المختلف عن المناهج البشرية ، وفيه نظرة قاصرة تنظر الى الاسلام نظرتهم الى التراث والقـديم أو تفهمه بمفهوم الدين فى الغرب الذى هو لاهوت وعبادة وانكار لحق الاسلام فى التطبيق كمنهج حياة وفيه خطأ فنى بوصف الزكاة التى هى فريضة وليست صدقة بانها (الاحسان) ومفهوم الدولة الثيوقراطية التى لم يعرفها المسلمون ابدا وكل هذا يوحى بأن أصحاب الاقلام حتى وأن قراوا عن الاسلام قليلا فانهم غارقون فى عقلية غربية مسيحيةأساسا لا تستطيع أن تنعزل عن اللاهوت الغربى وتاريخ الصراع بين الكنيسة والعلم ، وهى أمور ليس لها وجود فى افق الفكر الاسلامى .

واخشى أن يكون البعض تابعا لمنظمات أو أحزاب أو معسكراتتهاوت دعواتها فى الماضى وسقطتوتجاوزتها الامـــة ، و التحقت بالماسونية وحليفاتها (الروتارى والليونز) فهم يجدون فرصتهم للهجوم على الاسـلام وتزييف الدعاوى حول الشريعة بالتشكيك منها اصلا أو

الادعاء بانها لم تطبق فى العصور الماضية أو بتفسيرها تفسيرا يجعل الاسلام دينا عباديا على النحو الذى دعا اليه على عبد الرازق (ويؤيده فيـــه الماركســـيون والليبراليون جميعا) أو اقتناص فقـــرات من التاريخ للتحايل على تصوير المجتمع الاسلامى فى عصوره المزدهرة وكانه غارق فى الفساد على النحو الذى يثيرون فيـــه زندقة ابى نواس وانحراف ابن الراوندى والحلاج واذا كان هؤلاء الكتاب قد وجدوا فرصة الدعوة الى مفاهيمهم وللهجوم على الاسلام فانها فرصة ضائعة ، مهما كانت شهرة الصحف التى يكتبون فيها او انتشارها أو لمعان اسمها أو كثرة عدد المطبوع منها فان الباطل مهما بدا براقا لامعا ، فانه كغثاء السيل سرعان ما يجرفه الحق (أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف فلا يقدرون على شىء منه) ذلك ان طلائع اليقظة الاسلامية من الشباب المسلم اليوم تفهم ابعاد المؤامرة التى خطط لها النفوذ الاجنبى والتى تهدف الى التمويه وخلط الاوراق وتزييف المفاهيم والتشكيك فى الضوء الباهر الذى لا يتجاهله الا من عجز بصره عن النظر والتى ترمى الى الحيلولة دون تطبيق الشريعة الاسلامية ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

ان هؤلاء الكتاب الذين نشأوا فى ظل التعليم العلمانى وتأقلموا حول ايدلوجيات وافـــدة هم فى الحقيقـــة دائما يدافعون عن وجودهم المنحسر ويحاولون صد تيار الفطرة التى شكلت الانسان فى طبيعته والذى كونته مفاهيم الاسلام وقيمه خلال أربعة عشر قرنا ، وان كانت ظروف المجتمعات ومتغيراتها قد فرضت عليه يوما منهجا مختلفا عن منهجه او حجبت منهجه الاصيل ، فان ذلك لم يكن تحولا نحو وجهة اخرى تخرج المسلم عن اصالته ومنابعه وانما كان أمرا اضطراريا مؤقتا فرضته ظروف ضعف يزول بزوالها واذا كان قوى قد سرق من ضعيف كنزه ثم استطاع هذا الضعيف أن يقوى ويتنبه افلا يحق له أن يسترد حقه ، وان يعود سيرته الاولى بعد ان حجب عنها فلماذا هم يرون أن ما وقع خلال مائة عام عندما فرض النفوذ الاجنبى (قانون نابليون) على أمة اربع عشر قرنا امرا أصبح ملزما ، بالرغم مما تبين من ضعف هـــذا القانون وتخاذله وما نتج عنه من فساد وانحلال افلا يحق المسلمين وقد جربوا أيدلوجيات الغرب خلال هـــذه الفترة ، فلم يجدوا فيها ما يحقق لهم اشواق نفوسهم ان يعودوا الى المنابع ، الى اصـــالتهم ، الى منهجهم الاصيل الذى أعطاهم ويعطيهم دائما نور الطريق افان فعلوا ذلك هوجموا واتهموا بالرجعية والتاخر والتخلف والتطرف ، أو ليس من حق كل مسلم أن يعود الى الطريق الذى دفع الانسانية الى الامام مائة قرن كاملة معطيـــا للبشرية نورها وهداها ، أو قد فرض على المســـلمين ان يعتنقوا فكر الغرب حتى ولو كان قاصرا وفاسدا وشريرا وعاجزا عن العطاء وأهله ، هناك يصرخون مطالبين أن يتحرروا منه بعد أن عجز عن أن يستجيب لمطامحهم اذا كان اخوتنا الذين فتحوا النار على الشريعة الاسلامية صادقين فى التوجه الى الخير فلماذا هذا الاسلوب الملىء بالحقد والاندفاع والاستهانة والاعنات ، هل هذا هـــو اسلوب الحوار ، الاسلوب العلمى ، هل يستطيع هذا الاسلوب العنيف الملىء بكلمات الانتقاص وعبارات الهجاء اللاذع ان يكسب صديقا الى منهجهم او يصحح خطـــأ او يكشف الطريق امام الراغبين فى معرفة الحق ، انهم بهذا الاسلوب يخسرون ثقة من كان يظن بهم الخير ، ولا يصلون الى اى قلب ، ولا يتركون فى نفوس من يقرأ لهم الا حزازة قوامها المغالطة فى العرض ، والاساءة فى البيان فلا يجدون الا مزيدا من الكراهية والمقت . ان هذه الاقلام لا ترعى الله فيما تقول ، لانها تخلط الامور ، فهل كل من على الساحة الاسلامية يمكن اتهامه بالتطرف او الهجرة ، او رفض المجتمع أو الدعوة الى التبعيـــة بالقوة ، أم أن هذه كلها ابعاد قليلة لايجمعها رابط وقـــد آب اغلبها الى الله منذ بعيد فلم تعد تمثل فى الحقيقة ظاهرة تستحق هذا العنف فى الهجوم .

ان المسئولين عن امن هـــذا البلد وأمانه مؤمنون بانه لا يوجـــد تطرف وانما هـــو حمـــاس دينى ، وأن المسئولين يعلنون انهم لا يأخذون بالظنة وانهم لا يظلمون ولا يأخذون أحدا بجريرة غيره ، ويبقى بعد ذلك الوجود الاســـلامى نقيا ظاهرا على مفهـــوم الرشد والاعتدال والايمان بصدق الغاية وحسن الوسيلة .

ومن هنا فقد كانت حملة الصحافة ومن استكتبهم من الكتاب ظالمة شديدة الظلم ، عنيفة شديدة العنف ، قائمة على مجموعة من المغالطات والأحقاد ، التى افرزتها عقائد تحكم النفوس والأقلام معارضة لعقيدة الاسلام ، أو حرصا على وجود ، ولم يرع فيها القلم خوف الله أو تقواه ، أو عقابه ومحاسبته : ولما كان القلم امانة فقد كنا نتطلع الى اقلام منصفة حتى لخصومها ، لا تظهر غـــير ماتبطن ، ولاتجعل بينها وبين الاسلام سدا ، فان الاسلام هو نور الله الكاشف الحق ، ومنهجه الخالد ، وطريقه الأخـــــير ..

فليخش الذين اعطاهم الله نعمة القلم حساب الله ، فلا يجعلوا للمطامع الفردية ولا للغايات القصيرة سلطانا عليهم ولسوف يرون حـــين يظهر الله الحق انهم كانوا ظالمين ، وليعلموا أن كتاباتهم مهما علا صوتها ، وعنفت نبرتها ، واتسعت مساحتهـــا ، فانها لن تنال شيئا من النفس المؤمنة بل ستزيدها ثقة بمنهج الله : قولا بالمعروف وتوسطا وبعدا عن الهوى وصبرا حتى يحكم الله بالحق .

أمانة الكلمة

التطـــاول علـــى منهـــج الله

ان اخطر سؤال هو : هل تفكر هذه الامة بمفهوم الاسلام فى حياتها الآن أم انها تفكر بأسلوب مغرب وافد ، فاقامة منهج الاسـلام يقتضى التحرر من الاسلوب الوافد والخروج من الدائرة المغلقة ، ومن أسلوب العلمانيـين والماديين فى مقايسة الامور وفى الحكم عليها وفى أمور كثيرة وكبيرة وخطيرة تتصل بمصير هذه الامة فى حياتها وفى نضالها وفى مفهومها للجهاد والامر بالمعروف وفى الذود عن الوطن وفى تحرير الارض وفى الاعداد والروح وحماية الثغور وفى التوجه النفسى والاجتماعى لتكـون على مستوى مسئولية الامة التى تحمى وجـودها وقيمها ومواريثها والتى تتأهب لبناء المجتمع الربانى الوجهة .

ان هذا التحلل والترف الرخيص والاندفاع وراء المادة والاغراق فيها ومحاولة الكسب عن اى طريق والا يغال فى الكسب الحرام وفى الاندفاع وراء الشهوات والرغبات والترف والتحلل كل هذا لا يقرب مجتمعنا من أسـلوب الاسلام فى بناء الامة القادرة على حماية مقدراتها وفى مواجهة هذه الحملة الضارية يجب أن يكون واضحا انه من التجاوز الشديد لكل مناهج العلم أو البحث او الحوار أن يكون هذا الاقتحام لنظام الاسلام فى جراة وعنف وفى استهانة وتنقص ، ودون رصيد حقيقى من الفهـم والدراسة ، تحقيقا لهدف معروف من الدعوات الهدامة وهى حرب الاسلام من داخله ، وكل ما كتب يوحى فى الحقيقة بأن القانونين لم يستوعبوا الشريعة الاسلامية ، وان بعض الكتاب الذين قراوا هم معارضون اساسا وقد كونوا معارضتهم فى انفسهم ثم ذهبوا يبحثون لها عن نصوص من هنا وهناك ، والحصول على شظايا من كتب التاريخ تستطقع عن منطلقهـا وسـياقها ، على طريقة المستشرقين المعروفة ، وقد دخل الكتاب هـذه المعركة برأى مسبق ، ومنطلق البحث هو منهج الغرب الذى يقرر فصل الدين عن الدولة ، ويرى الاسلام وكأنه المسيحية دينا لاهوتيا قاصرا على المسجد ولو أنصف هؤلاء لعرفوا الفوارق العميقة بين الغرب والمسيحية فى مراحل التاريخ المختلفة وفى الخصومة بين العلم والدين فى الغرب ، والفوارق بين الاديان البشرية التى ترى انها قادرة على التطور وتغيير ثوابتها اذا تجاوزها الزمن وبين الاسلام الذى قدم نفسه للبشرية قادرا على العطاء فى مختلف العصور والبيئات على اساس مرونته وسعة أطره ، وقدرته على تقبل المتغيرات ، كذلك فقد عجزوا عن ان يفهموا ان الاسلام لا يمكن أن يكون مبررا لفساد المجتمعات او انه يقدم تأويلا لذلك على أساس فكرة « الرخص » أو التسامح فى حق الله أو حق المجتمـع ايمانا بانه هو العامل الحقيقى فى حمايته من الفساد وهم بذلك يتجاهلون الفرق بين مفهوم الدين فى الغرب وبين مفهوم الاسلام فالاسلام يحمل مفهوما جامعا بين الروح والمادة تترابط فيه القيم : الاجتماعية والسـياسـية والاقتصـادية ، ويربط بين الدين والعـلم وليست له خلافات بينهما ، وامامنا تاريخ الاسلام الذى لم يشهد قط اى صراع بين علماء الدين ورجال الحكم اذ لم يكن فى الاسلام اصلا فئة مميزة تدعى رجال الدين .

كذلك فان كاتبا من الكتاب يكتب وكأنه يملك الحق فى ان يعبر عن اكثر من نفسه ، فلماذا هذا الاستعلاء والتحدث باسم المجموع ونحن نعرف ان هؤلاء المتحدثون لايمثل أحدهم الانفسه ، وحين يخدع القارىء بأنه يمثل تيارا أو مذهبا او هيئة فان هذا من باب الكذب والتضليل فما يمكن أن تكون هذه البذور المسمومة التى ظهرت فى بلادنا على او مذهبا أو هيئة فان هذا من باب الكذب والتضليل فما يمكن له الجراة فى أن يقول « نحن » ذلك أن جميع الاحزاب السياسية التى فى الساحة قد سجلت فى صلب مناهجها : ما سجله الدستور وهو الاعتراف بالشريعه الاسلامية الا اذا كانت جراة على الحق تنتهز فرصة متاحة ربما ارادت بها أن تشفى حقدها فى نفس الوقت الذى ترضى فيه جهة خارجية .

كذلك فان للحوار اصولا وقواعد واسلوبا ، فهو يقوم على تقديم البراهين والادلة والنصوص الموثقة بالحق دون تضليل او ايهام أو تزييف ، ولكن منذ انتشر الفكر العلماني الماركسي فقد نبتت نابتة جديدة مضللة تأخذ أساليب الماسونية في الجراة على الحق والادعاء بالباطل.

أين أحد هؤلاء أو مجموعهم من تيار الدعوة الاسلامية الزاخر الذي يمثل أغلبيته هذا الشعب والذي يسري في قلوب المسلمين بالايمان حتى يتحدث أحدهم في استخفاف عن حقائق التاريخ وعن الوحي المنزل وكيف يفهم هؤلاء منهجا لم يقرأوه ، وهم اعداء له بالفطرة ، مهما حمل من الخير ، فهو من منطلق حقدهم غامض مبهم .

اذا ادلكم على من هو أصدق ايمانا واصفى نفسا يحدثهم عن الاسلام امثال جارودي وبوكاي وسجريد هونكه ودرابر وغيرهم أن هؤلاء الكتاب يتعاملون مع الاسلام وكانه نبت غريب ، وكأنه لم يدخل بيوتهم ، ولم يستمعون يوما الى كلماته ، ليس هذا من الجهل به ، بل من القلوب المغلقة التي ليست مستعدة لقبوله ، حتى اذا كان صحيحا مضيئا كفلق الصبح ، بل لا بد من ايجاد الثغرات فيه والاستهانة به ، ان الاسلام سبق المناهج في العدل الاجتماعي الذي يتحدث عنه الماركسيون وفي الشورى التي يتحدث عنها الليبراليون وان منهجه فيهما مع تكامله مع العناصر الاخرى تختلف وتتميز واين المنهج البشري من المنهج الرباني، ولقد كان لهم عبرة في التجربتين اللتين مرتا بالبلاد الاسلامية من محاولة تطبيق الايدلوجيتين وفشل ذلك حيث لم تتقبل النفس المسلمة مايعادي الفطرة وما يتناقض مع طبيعة الحياة ، بل ان الغربيين انفسهم اليوم يطالبون بمنهج جديد غير الرأسمالية ، ويلح في ذلك وليس امامه الا الاسلام .

اليس من الخير لنا ان نؤمن بهذا النور الذي اوتينا وان نفرح لانتشاره في العالم ونحس بالطمانينة لصدق هذا الميراث الرباني الذي هو في ذات الوقت مجد وشرف للعرب الذين حملوه الى العالمين ولكنهم لا يسمعون النداء المدوي ولا يرون الضوء الكاشف حين يهونون من شأن القيم الأساسية للاسلام لانهم يعرفون انها تقطع الطريق على مناهجهم في التحلل والاباحية والالحاد ، ويملأون الصدور بالشكوك والشبهات ليخلقوا في نفوس الشباب المسلم غصة وتراجعا أمام ايمانه بدعوته ولكنهم قد لا يعجبون اذا لم يجدوا لهم سميعا لانهم ليسوا موضع ثقة أحد .

* * *

اننا نود ان يدفع النظام الاسلامي مجتمعنا الى الامام خطوة متحررة من عناصر الضعف والتخلف ويكشف عنه أسباب الانحراف والتحلل ، وان يجعله قويا قادرا على امتلاك ارادته فيكون بذلك نبراسا للامة الاسلامية جميعا وعلما على منطلق جديد اكثر اصالة وصلاحية من المذاهب الوافدة التي جربها المجتمع الاسلامي خلال سبعين عاما أو يزيد دون أن تحقق له آماله في امتلاك ارادته ونحن نتحدث عن النظام الاسلامي أو الشريعة الاسلامية لا نقصد تطبيق الحدود وحدها ، وليست الحدود لب الشريعة ولكنها وسائل لحماية المجتمع من الفساد، أما الشريعة الاسلامية فهي ذلك النظام الرباني الجامع الذي يقوم على حماية شخصية الفرد وتكوينه على أنه جزء من المجتمع يعمل للسعي والكسب في حدود الحلال الذي أحله الله ولكل من الذكر والانثى مهمته الخاصة المتميزة التي حددها له ، ومن شأن هذا النظام أن يتيح الفرصة المتكافئة للجميع بحيث لا يظلم أحد وعن طريق الزكاة (وليست الصدقة) ان نوازن بين الاغنياء والفقراء وان نأخذ من الاغنياء حقا يوزع على الفقراء فاذا استوى المجتمع وتوازن وتحققت فيه العدالة الاجتماعية اصبح معدا لان تطبق أحكام الله بالعقوبة لمن يتجاوز سواء في الزنا أو السرقة أو الربا أو الفساد الاجتماعي ومن هنا يصبح من الضروري أن يبدأ المجتمع الذي يطبق منهج الله في اعداد عدة أمور :

أولا : رد المراة الى مسئوليتها الحقيقية في حماية الاسرة وبناء الاجيال لايمانها بان الدعوة الى تحريرها انما اريد بها هدم الاسرة وافساد هذه الاجيال .

ثانيا : تحرير وسائل التسلية والترفيه من تقديم المسلسلات والافلام والمسرحيات التي تثير الغرائز أو تدعو الى الفساد الخلقي أو تحرض على الجريمة وسد الطريق على الاغراء والاباحة .

ثالثا : اقرار نظام الزكاة والغاء نظام الربا تطهيرا للمجتمع وتحريرا له من الفساد وقطعا على طريق الطبقات التي تحصل على المال عن طريق الحرام والتي تفسد المجتمع بانفاقه في الفساد .

رابعا : فتح أبواب التيسير للشباب لاكمال نصف دينه بالزواج عن طريق تقديم المساكن اللازمة وتخفيض المهور وتيسير وسائل الحلال وتشجيع الجنسين على الزواج بالميزات الحقة (وذلك للتحرر من أبواب الاباحة والفساد) .

خامسا : تحريم السرقة من أموال الشعب واداء حق الله الذى هو حق المجتمع منها سوى الزكاة بما يمكن الدولة من الموارد اللازمة لها واقامة حدود الله على أساس كفاية المجتمع .

ومعنى هذا ان النظام الاسلامى والشريعة الاسلامية ليست هى قطع يد السارق أو رجم الزانى ولكنها هى توسيد المجتمع بحيث تصبح الحدود بمثابة وسائل الردع التى تحول دون وقوع الجريمة وليست عقابا عنها ان تطبيق النظام الاسلامى من شأنه ان يحل جميع مشاكل المسلمين وهى لا تخرج عن الاستدانة والنقص فى الموارد وغلبة روح التحلل والاباحة والكسب الحرام وهذا كله ينتهى اذا ما طبق النظام الاسلامى وبذلك تزول عن المجتمع الاسلامى ما يموج به من عوامل الاضطراب بالانحلال الخلقى فى مجال التعامل الاقتصادى وفى مجال العلاقات الاجتماعية (الاسرة — الزواج — المرأة) وتوقف عمليات التسلية المنحرفة التى تشجع على الجريمة والجنس ويوقف الربا فى التعامل الاقتصادى ويسلم بذلك المجتمع وجهه الى الله تبارك وتعالى .

* * *

« حـــــــــرب الكلمــــــــة »

من أجل تغريب الإسلام ما زالت هدف التغريب والغزو الفكرى

اشكر لجريدة (المسلمون) العالمية اهتمامهـــا بقضية كبرى من اهم قضــــايا عصرنا : هى : قضية التغريب والغزو الثقافى ومتابعة ما حاولت بعون الله منذ اربعين عاما التنبيه عليه فى اكثر من ندوة ومحاضرة وكتاب ، وقد عنى بهذه القضية كثير من الباحثين اخيرا وأخذوا يركزون عليها ، حيث عقدت عدة مؤتمرات لدراسة الغزو الثقافى فى البحرين والجزائر ، وقد كنا نود من اخوتنا الذين يدرسون معضلات عصرنا أن يركزوا على أساس القضية وهو التغريب الذى هو الهدف الحقيقى من وراء الحملة المسماة بالغزو الثقافى أو الغزو الفكرى والتى تتخذ من المؤسستين : (الاستشراق والتبشير) وسيلة لتحقيق هدفهما وهذا هو الذى كشف عنــــه (هاملتون جب) منذ اكثر من خمسين عاما عندما وضع مـــع اربعــة من المستشرقين دراسة شامـــلة لمختلف الاقطار الاسلامية وكيف بلغ بها ذلك العمل الذى جندوا انفسهم له وهو « تغريب الاسلام » ، وقد صدر هــذا الكتاب باللغة العربية بعد أن ترجمه الدكتور محمــد عبد الهادى أبو ريدة واثار ضجة كبرى حيث عــرف المشتغلين باليقظةالاسلامية فى الثلاثينات ان هناكمخططا يجرىالعمل به وقدجاءهؤلاء المستشرقونليدرسوا الىاى حد وصلوا الى تغريب الاسلام وما هى الخطط التى يجب اتباعها للوصول الى الغاية ، هذا الكتاب هو « وجهة الاسلام » .

وكانت الخطة الى (تغريب الاسلام) هى تفريغه من مضامينه الاساسية : وأهمها حماية الارض والعرض والذود عن بيضة الدين والاستشهاد فى دفــع العدو والمرابطة فى الثغور والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الى الابد والقبول بالغزاة ،، هذا الهدف : هــو تغيير (هوية الاسلام) الحقيقية التى عجزت الحمــلات الصليبية عن تدميرها والتى وجهت (لويس التاسع) على اثر هزيمته فى (المنصورة) الى اتخاذ أسلوب جديد فى التعامل مع المسلمين وهو : (حرب الكلمة) مؤمنا بانه لابد من تزييف مفاهيم الاسلام الحقيقية وذلك عن طريق التأويل واثارة الشــبهات واحياء الفــرق والعصبيات القديمة واحياء تاريخ ما قبل الاســـلام من فرعونية وفينيقية ، واثارة مفاهيم المعتزلة والفلاسفة والتصوف الفلسفى والاباحيات حيث جرت الدعوة الى احياء شعر أبو نواس وبشار واثار الحلاج (التى جمعها المستشرق لويس ماسنيون خلال اربعين سنة) وابن عربى ورسائل اخوان الصفا وزندقة ابن الراوندى وتصوف الحلول والاتحــاد ووحــدة الوجـــود والاشراق (ابن سبعين والسهر وردى .. وغيرهم .

ومن هنا ظهرت دعوى الجهاد الاصغر والجهــاد الاكبر والحديث المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا والذى ليس موثقا ، وجرت الدعوى الى احياء فكر الاستسلام الذى عرف عن غاندى وتولستوى وطرحت فى افق الاسلام دعاوى كثيرة بهدف تدمير القيم الاسلامية الاساسية التى تحث على الاعداد والمرابطة فى الثغور وحماية الحدود حيث كانللمسلمين (ألف رباط) من القسطنطينية الى طنجة .

وهكذا كان هـــدف التغريب تغيير بنية الثقافة الاسلامية بادخال الفكر الوافد الذى يستطيع ان يزيح مفاهيم الاسلام ، واحياء الفكر الوثنى والشعوبى القديم الذى استشرى عند ترجمة الفلسفات اليونانية فى العصر العباسى .

وجرت المحاولات على هـــدم وحجب البطولات الاسلامية الحقيقية النابضة بالحياة واحياء بطولات زائفة وتنكرت الابحاث لابن خلدون والمتنبى والغزالى وابن تيمية

واولت عصبة المجان وشعراء الحلول .

وجرت الدعوى الى القول بان الثغور الافريقية اكتشفها ماجلان وولنجشون وفاسكودى جاما مع ان العرب عرفوها قبل ذلك بقرنين واشاروا اليها فى كتبهم ورحلاتهم .

وكتب طه حسين عن (قادة الفكر) فلم يحرز مسلما واحدا مكانا فى كتابه من الذين غيروا وجه التاريخ والفكر والحضارة ووضعوا المنهج العلمى التجريبى (وكان هذا مقررا على المدارس) .

وحاول الباحثون أن يجعلوا من اعـــداء الاسلام والخارجين عليه امثال القرامطة واصحاب فتنة الزنج ابطالا ودعاة الى العدل الاجتماعى وتحدثت الكتب المقررة فى المدارس عن بطولات فى الطب والعـــلوم والفلك والتجريب كلهم من الاجانب علما بان المسلمين الذين وضعوا اسس المنهج العلمى التجريبى ولم يكن موجودا من قبل اصلا وهم الذين صححوا اخطـــاء ارسطو وجالينوس وغيرهم ممن سبقوهم .

وفى مجال الترجمة فتحت ابواب القصص الجنسى والاباحى وكتـــابات فرويد وماركس وسارتر ودارون ودور كايم وكلها كتابات تستمد مصادرها من الفلسفة المادية وتتنكر لاصول الدين والفطرة والعلم وقد أخذها أبناؤنا على أنها علوم وحقائق بينما هى لم تكن فى الحقيقة الا نظريات ووجهات نظر وفكر بشرى قابل للصـــواب والخطأ ومرتبط بتحديات مجتمعاته ، وليس له القدرة على الثبات وليس له القدرة على العطاء فى غير بيئته ، وقد انهارت هذه النظريات وانكشف فسادها وخطأها ولكنها ما زالت تدرس فى جامعات المسلمين الا من رحم الله .

واذاعت منظمتى الاستشراق والتبشير عشرات من الاساطير والاسرائيليات وفتحت الباب امام منظمـــات جديدة كالبهائية والقاديانية والماسونية تدعو الناس الى وحدة الاديان والى انكار البعث والجهاد واحياء التراث الوثنى والمجوسى .

وسود المستشرقون تاريخ الرسول وتاريخ الاسلام وهاجموا اللغة العربية الفصحى والقرآن والسنة .

بل لقد اقتحمت دعوة التغريب آفاقا أخرى فأفسدت مفهوم التاريخ الاسلامى والتراث الاسلامى ، افسدت مفهوم التاريخ الاسلامى بان حاكمته الى مذهب التفسير المادى فاذهبت عنه طابعه المتميز الذى اكتسبه من الايمان بالله والفداء والاستشهاد فى سبيل الفكرة وحاولت ان تصور الفتح الاسلامى بأنه حرب وسيف : وان العرب اندفعوا الى الفتح لانهم كانوا يبحثون عن الطعـــام وفى التراث حاولت تصويره على انه من سقط المتاع وانهما (التاريخ والتراث) معوقان عن النهضة وعن التقـــدم ولم يكن هذا صحيحا .

واستطاعت حركة التغريب ان تسيطر على الصحافة والثقافة والمدرسة والجامعة باقطارها ومفاهيمها فأخرجت عقليات مغربة تتنكر للاسلام وتزدرى فكره وتنبهر للغرب وحضـــــارته واعلامه ، وتؤمن بالقومية والليبرالية والماركسية والعلمانية .

* * *

وكان هذا هو الخطر الحقيقى الذى واجهته حركة اليقظة الاسلامية واستطاعت ان تكشف عنه وقد اختار التغريب ان يجمع سموم الاستشراق كلها فى كتاب واحد فكان هذا العمل الخطير :

(دائرة المعارف الاسلامية) التى اشرف عليهـــا متعصبو الاستشراق وعتـــاة القساوسة ، التى وضعت بهـــدف اساسى وهى ان تكون مادة فى ايدى الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار الى عالم الاسلام ولذلك فهى تنضح بالحقد والتعصب واثارة الشكوك والشبهات ، واخطر ما فيها ـــ كما قال العلامة (فريد وجدى) : انها جمعت البدع الدخيلة فى الدين الاسلامى فجعلتها ضمن مواد الموسوعة باستفاضة مثيرة حتى ليظن الباحث انها من اصول الاسلام وقـــد امعن مؤلفو الدائرة فى تسجيلها وشرحها كانها حقائق مقررة ، وفى حين تسطر هذه البدع على انها من المعـــــارف الاسلامية فان الاسلام يبرأ منها وهو ما جاء الا لمحاربتها»

واذا ذكرنا دائرة المعارف الاسلامية محذرين منهـــا فانا نحذر من قاموس المنجـــد (فى جـــزئه التاريخى) والموسوعة الميسرة ، ومن عدد من الكتب أمثال : يقظة العرب (جورج انطونيوس) وشمائل المصريين المحدثين (ادوار وليم لين) ويؤخذ بالحيطة كتاب الاغانى وكتاب الف ليلة وليلة ولايجب اتخاذهما مصدرين لصورة المجتمع الاسلامى وكذلك رسائل اخوان الصفا وكتاب الامامة والسياسة التى قيل انه كتاب لقيط ، لا مؤلف له وقـــد نسب كذبا الى ابن قتيبة .

فضـــــلا عن هذا فان هناك اكثر من مائة مؤلف استشراقى مترجم الى العربية يحتاج الى تنويه وتنبيه ونحن لانصادر فكر المفكرين ولكن نطالب بتقديم واف لكل مفكر وفكره وظروف كتابته وعلاقته بنا نحن المسلمين ومعارضته او اتفاقه مع فكرنا الاسلامى ، فالفكـــــر الاسلامى المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية هو فكر متميز ، له طابعه وذاتيته الخاصة : وهو يلتقى مع الفكر البشرى فى امور ويختلف فى اخرى ولكنه لا يقبل وجهة نظر تتعارض مع مفهومه الاصيل ونحن مطالبون بحمايته ودحض كل ما تحاول (مؤامرة التغريب) انزاله به حتى يبقى له تميزه الخاص لان له رسالته العالمية فى تبليغ العالمين كلمة الله الحق القائمة على اسلام الوجه لله وهى (الضوء الكاشف) الذى بهـــر المفكرين الغربيين الذين جنحوا اليه والذين آمنوا بان الحضارة المعاصرة ينقصها البعد الالهى . اننا مطالبون بان نواجه حـــرب الكلمة ولا نتوقف لأن خصوم الاسلام يغيرون جلدهم دوما ومعنى هذا اننا مازلنا نطالب بتحرير الفكر الاسلامى واخراجه من دائرة الاحتواء ونأمل أن تحقق جـــــريدة المسلمون الدولية دورا بارزا فى حمل هذه الامانة .





الباب السابع

الكشف عن الشخصيات الموصومة

(٧) الفارابى وابن سينا

هناك محاولات كثيرة تعمل على ان تعيد الحياة لافكار الفارابى وابن سينا الفلسفية مرة أخرى بعد أن هزمت وكشف فسادها منذ معركة التصحيح والاصالة الاسلامية التى قامت فى القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية بعد ترجمة الفلسفة اليونانية واستشراء مفاهيمها المسمومة واتجاه بعض هؤلاء الفلاسفة الى أن يكونوا امتدادا لها بمحاولات التأويل ولى اعناق النصوص لربطها بالاسلام على اختلاف الارجانون أو المنهج الفكرى لحضارة ومجتمع الاسلام القائم على التوحيد ، وحضارة ومجتمع اليونان القائم على علم الاصنام وقد شارك فى دحض هذه المحاولات كثير من علماء المسلمين : الشافعى وابن حنبل وابن تيمية والغزالى وابن حزم وابن القيم وكثيرون .

وهناك اليوم كتابات جديدة عن الفارابى وابن سينا كتبها كثيرون منهم العقاد وعمر فروخ وعاطف العراقى فى محاولة لاعطاء هذين الفيلسوفين ابعادا جديدة فى تاريخ الفكر الاسلامى يتجاوز الحقيقة مع تجاهل ما ووجهت به من ادخال الفلسفة اليونانية الى الاسلام من مقاومة ودحض وكشف عن اخطائها وذلك قد جرى ضمن خطة التغريب القائمة على بعث التراث اليونانى والوثنى

ونحن حين ننظر من خلال المنهج الاسلامى الأصيل لالقاء نظرة على هذه الفلسفات المتجددة اليوم غير اننا نفرق بين الفارابى العالم فى مجال العلوم التجريبية وبين الفارابى الفيلسوف التجريبى فى هذه الكتابات لكليهما هى موضع تقدير جميع المسلمين اما كتاباتهما عن الفلسفة فهذه هى موضع النظر والنقد والمراجعة لأنها تتصل بالعقائد والمفاهيم الاسلامية القائمة على التوحيد الخالص .

فى مدخل البحث عن هذه الفلسفات المترجمة من اليونانية نجد المحاذير الآتية :

أولا : لقد تبين بالدليل الأكيد ان ماترجمه النساطرة من الفلسفة اليونانية لم يكن صحيحا ولكنه كان مدخولا كان فيه هوى اقحام المفاهيم النصرانية ومن ثم اضطربت مفاهيم الفلسفة اليونانية فوق اضطرابها الاصلى .

ثانيا : ان هذا الخلط فى المترجمات بعد ارسطو وأفلاطون أدى الى فساد المفاهيم التى تتقدم بها هؤلاء الفلاسفة فالمعروف ان أفلاطون كان مثاليا فى نظراته وان ارسطو كان ماديا . ومن هنا فان الكتب التى ترجمت ترجمة زائفة باسم أحدهم وهى ليست له كان من نتيجتها أن ما قرر بشأنها كان خطأ وكانت اكبر محاولة خاطئة هى محاولة ضم فلسفة ارسطو وافلاطون تحت لواء المفاهيم الاسلامية .

ثالثا : ان مترجمات الفلسفة هى التى افسدت الفكر الاسلامى واثرت فى الفكر المعتزلى من ناحية . كما أسهمت لمن اندس على التصوف — والتصوف الحق هو الاسلام — فخرقوا فيه افكارا مسمومة خبيثة ، خرج منها فريق من الصوفية عن الاسلام ، كما ابعدت المعتزلة عن جادة الصواب ، وهى التى كانت مصدرا للمفاهيم الباطنية واحياء مفاهيم المجوسية الفارسية ومحاولة رسم الادب العربى والفقه الاسلامى والتاريخ الاسلامى بانه قام على أسس المترجمات اليونانية ولم يكن ذلك صحيحا على اطلاقه .

كان الفارابى تابعا للفكر الاغريقى بخلفية واضحة هى التبعية الباطنية . ولقد رفض العلماء المسلمون نظرية (المدينة الفاضلة) واعلن (ابن خلدون) انه لم يعقلها ، ومن الملاحظ أن الانتقادات الهامة للفارابى تظهر واضحة فى كتب الفقهاء المالكية فى شمال افريقيا وتظهر فى (الاعتصام) للشاطبى وتظهر فى (ذخيرة الاحكام) لابن فرجويه الذى رفض فكرة السياسة العقلية التى تسود فكرة المدينة الفاضلة عن الفارابى . ولا شك أن الاتجاه السلفى من قبل عند ابن تيمية وعند ابن القيم فى كتبهما السياسية قد سبقت مدرسة المغرب المالكية فى هذا العمل

وكذلك انتقده (ابن الازرق) شمس الدين محمد على فى كتابه (بدائع السلك فى طبائع الملك) ٨٩٦ .

والمعروف الان ان الفارابى ذهب فى سن الخمسين الى بغداد حيث درس على (يوحنا ابن جلال) من قبائل التركمان . درس تراث (جندسابور) وحران وقرو والرهبان الذين انتقلوا الى بغداد وهو بذلك اول رجال المدرسة الاسكندرية . او شيخ الافلاطونية الحديثة فى العالم الاسلامى . وكان افلاطونى المذهب على راى سقراط وافلاطون .

ولقد كانت (جند سابور) حيث عاش صابئة الحرانية هى الملهمة الكبرى للكندى كما كان لهم اثر فى الرازى (محمد بن ابى بكر) . وهو غير الرازى المفسر
هؤلاء الصابئة الحرانية كانوا فرقة أفلاطون اساسا وهم الذين يؤمنون بالدين اليونانى القديم فروا الى فارس بعد تنصير الملوك وانشأوا مدينة فاضلة احتذاها نظريا (الفارابى) وطبقها عمليا (حمدان قرمط) الصابئى الحرانى ونفذها أناس فى مدينة (هجر) وهم الذين سرقوا الحجر الاسود وانتهكوا حرمة المسلمين وقتلوا الحجيج . وصابئة الحرانيين مشغولون بعلم الكيمياء وعلم الصنعة يزاولون السحر والتنجيم . وحران هى موطن (الفارابى) الاول فيها كل خصائص الفارابى واخوان الصفا ومدرستها الأشراقية والفارسية عن السهرودى متأثرة بنظرية الفارابى فى الفيض .

* * *

فلسفة ابن سينا

أما ابن سينا فهو كبير مقلدى ارسطو والمتمم لفلسفة المشائين الذين هم شيعة ارسطو قرأ الاسلام من خلال نظرية يونانية وجرى على طريقة ارسطو فى كتابه (الشفاء) .

وقد أخذ ابن سينا آراء الفارابى ووسعها وشرحها وفصل القول فيها . وكتابه (الاشارات والتنبيات) فيه عبارات كثيرة لا يعرفها اهل السنة مثل قولهم (اتصال بالعالم العلوى هو عشق وشوق مستعران) أو أن الوسيلة لادراك السعادة هى الدراسة والبحث والنظر والتامل اما الاعمال البدنية (كالصلاة) فهى فى المرتبة الثانية . وابن سينا أميل من استاذه الفارابى الى زائغى متصوفة القرن امثال الحلاج كما يتحدث عن الاتحاد المزعوم بين الخالق والمخلوق .

وتقارب ابن سينا والفارابى يوحى بالمصدر والحلقة التى ظهرت فيما بعد على أيدى الباحثين وهى الاتصال بالباطنية . ويضاف اليها من ناحية (ابن ماجه وابن طفيل وابن رشد) فى المغرب فابن طفيل فى روايته (حى بن يقظان) يحاول أن يثبت أن القوى الانسانية وحدها تستطيع الاتصال بالله بدون النبوة والفلاسفة المتابعون للفلسفة اليونانية أو الباطنية يرون ذلك . ولا ريب أن هذه المعانى مخالفة للتوحيد الخالص ولمفهوم اهل السنة والجماعة .

قد تكشفت هذه الحقائق لعلماء المسلمين منذ وقت باكر وان كانت قد خفيت على كتابنا العصريين أو حاولوا تجنبها فقد اشار الى هذه المؤامرة الخطيرة ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) ج ٢ ص ٢٧ قال : لقد قرب ابن سينا مذهب سلفه الملاحدة من دين الاسلام بجهده . وغاية ما أمكنه أن يقربه من أقوال الجهمية الغالية فى التهجم وفى مقدمتهم ارسطو ويشير الى تخليط ابن سينا فى محاولة تقريب هذه المذاهب من شرائع .

فارسطو لم يثبت صانعا للعالمين الستة . فالرجل ابن سينا فى محاولة تقريب هذه المذاهب من الشرائع . عنده ولا معه رسول . ولا كتاب .

وكان افلاطون يقول ان للعالم صانعا مبدعا أزليا وقد حكى ارسطو عنه ذلك وخالفه فزعم انه قديم اى العالم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلاسفة حتى انتهت النوبة الى ابن سينا فرام بجهده تقريب هذا الراى من قول أهل السنة .

قال ابن سينا : « انا وابى من أهل دعوة الحاكم فكلانا من القرامطة (الباطنية) الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد ولا رب ولا خالق ولا رسول مبعوث » وكان هؤلاء الزنادقة يبشرون بالرفض ويبطنون الالحاد المحض وينتسبون الى أهل بيت الرسول لا يحرمون حراما ولا يحلون حلالا وفى زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل (اخوان الصفا) وهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم . (انتهى ما قاله ابن القيم) .

اما (الشهرستانى) فقد صارع ابن سينا فى كتابه (المصارعة) فأبطل قوله بقدم العالم وانكار المعاد (البعث) فقام له نصير الالحاد ونقضه بكتاب سماه (مصارعة المصارعة) قال فيه ان الله تعالى لم يخلق السماوات والارض فى ستة أيام وانه لا يعلم شيئا وانه لا يفعل شيئا بقدرته واختياره ولا يبعث من فى القبور .

ويقول ابن القيم لقد درجت الملاحدة على مفاهيم ارسطو (المعلم الاول) الباطلة حتى انتهت نوبتهم الى معلمهم الثانى (أبو النصر الفارابى) الذى توسع فى صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة ارسطو وهذبها وبالغ فى ذلك وكان على طريقة سلفه فى الكفر بالله تعالى سبحانه وتعالى عما يقولون وهو عندهم — كما قرره افضل متأخر بهم ولسانهم وقدوتهم الذى يقدمونه على الرسل (أبو على بن سينا) — هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق ، وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به ولا يفعل شيئا باختياره البتة . ولا يعلم شيئا عن الوجود أصلا . ولا يعلم عدد الافلاك ولا شيئا من المغيبات ، ولا له كلام يقوم به ولا صفة (تعالى الله عما يقولون علوا عظيما) عن (اغاثة اللهفان فى مصايد الشيطان) .

هذا هو ارسطو والفارابى وابن سينا الذى حشدت له قوافل التغريب اقلامها واولته اهتماما زاد عن اهتمامهم بأعظم العظماء . فكتب عنه طه حسين ولطفى السيد وغيرهم بالاضافة الى من ذكرنا . واولته المدرسة العلمانية اهتماما كبيرا ، بينما حملت حملة ضارية على الغزالى وابن تيمية ، بل لقد بلغ الفجور ببعض التغريبيين ان يقول : ان ابن سينا مؤمن بدين الاسلام عن حمية واقتناع وانه ليس تابعا لافلاطون) والحقيقة اننا فى أمر الفارابى وابن سينا والرازى نستفيد من جوانب الطبيب والعالم . اما الفيلسوف فهى مضطربة اضطرابا شديدا ولا نأخذ بها بل نكشف عن زيفها .

ولقد اثبتت الوثائق ان ابن سينا والفارابى كانا على طريق الباطنية واخوان الصفا . وان ابن سينا أودع كتاباته تلك الاسرار والرموز التى يعرفها اصحاب المخططات السرية لقلب دولة الاسلام .

وبالرغم من ان ابن سينا حاول الدفاع عن نفسه ونفى تهمة اتصاله بالمؤامرة الباطنية فان وقائع حياته تكشف هذا الانتماء . كما تؤكد المصادر الاسماعيلية على باطنيته . وقد تأثر بفلسفة المعتزلة التى انكمشت على نفسها شرقى فارس بصورة خاصة اثر الضربة التى تلقتها على يد المتوكل .

ويتحدث الاستاذ ابراهيم الخولى عن باطنية ابن سينا (٦) فيشير الى انه أضاف الى الفلسفة نظرية الافلوطينية التى ورثها من الفارابى واخوان الصفا ويقول : ان فلسفة ابن سينا كانت ثمرة شجرة غرسها مؤسس الدعوة الاسماعيلية فى أرض يونانية . ويفصل القول فى هذا الصدد فيقول : ان الذى يظهر من سيرة ابن سينا (٣٧٠ — ٤٢٨) أنه رجل دين وسياسة كما كان فيلسوفا فى عصر كانت فيه السياسة والدين وجهين متلازمين للدولة والحكم ، تولى الوزارة لبعض الامراء البويهيين وكان هؤلاء زيدية : وتعرض للسجن والقتل غير مرة لاسباب سياسية . واصبح طبيبا ونديما لعلاء الدولة الذى اتهم بالزندقة لملازمته اياه . وكان الناس فى اصبهان ينظرون الى ابن سينا كزنديق . لحياة اللهو التى كان يحياها . فقد كان من أصحاب الكأس والطاس . وكان ينزع فى حياته الشخصية نزعة ابيقورية مغرقة فى اللذة والحس والشهوة وقد وصفه ابن كلخان فى أيام حياته الاخيرة بالافراط فى الشهوات والاكل . ولقد كان ابن سينا من اكبر اعداء السلطان محمود الغزنوى وكان الغزنويون اعداء الاعتزال والباطنية والفلسفة الالهية . ولو كان السلطان عثر عليه فى (الرى) لقتله على وجه التحقيق . وقد هرب ابن سينا من الرى قبل وصول السلطان وكان دائم الهروب من كل أرض تمتد اليها يد الغزنويين وكان الغزنويون موالين للدولة العباسية ومسنودين من دار الخلافة . وكان ابن سينا بذلك من أعداء الدولة العباسية . ولم يكن ابن سينا من الشيعة الاثنى عشر اذ كان والده باطنيا اسماعيليا . كما ان البيت الذى نشأ فيه كان مفتوحا للدعاة الاسماعيليين . اى لرسل الفاطميين الذين يحكمون مصر ويطمحون الى حكم الشرق الاسلامى وكان ولاء ابن سينا للفاطميين الاسماعيليين سرا . وكان ابن سينا قد وجه منذ مطلع صباه وجهة اسماعيلية باطنية صرفة عندما دفعه أبوه الى دراسة الرياضيات والفلسفة . وكان ذلك بوجه عقائدى من أبيه ومن القاعدة الاساسية للعقيدة الاسماعيلية . وقد ورث ابن سينا (نظرية الفيض) من الفارابى ومن اخوان الصفا وهى تعود بالأصل الى افلوطين ومدرسة الاسكندرية . وخلاصتها عن ابن سينا ان الله تبارك وتعالى . جل وعلا عما يقولون عقل محض وانه يعقل ذاته . دائم التأمل فيها . ولما كان التعقل هو علة الوجود فقد فاض عن الله بالضرورة موجود واحد هو العقل الأول وعنه فاض ثم .. الى العقل العاشر وهو العقل الفعال الذى فاض عنه عالمنا الأرضى الذى نعيش فيه) .

والنظرية زائفة وفاسدة وقد كشف علماء المسلمين عن زيفها واضطرابها وبعدها تماما عن مفهوم الاسلام وقد ذكر الفارابى مع أسماء الدعاة الاسماعيلية . ويرى ابن سينا ان الله يعلم الكليات دون الجزئيات وانه اذا علم الجزئيات فانه يعلمها بمعانيها وليس بأعيانها وشخوصها

وهذا يخالف مفهوم الاسلام الصحيح ومنطق القرآن نفسه (ما تسقط من ورقة الا يعلمها) .

وغاية القول ان ابن سينا كشف فى نهاية كتابه (الارشادات والتنبيهات) عن هويته التى اخفاها كثيرا عن الناس فى ابحاثه محاولا أن يصور نفسه بصورة العالم المتخصص فهو يسجل فى الوصية التى يوصى بها أتباعه روحا باطنية واضحة ويقدم منهجا باطنيا صريحا شبيها بمنهج اخوان الصفا والفلسفة الاسماعيلية ويوصى اتباعه الا يذيعوا أسرار الحكمة الشرقية الا لمن يثقون بنقاء سريرتهم وطلب من خلصائه أن يقرؤوه فى حلقة مغلقة وأن يدرسوا الحالة النفسية لمن يريدون ضمهم الى مذهبهم مع أخذ العهد على المريدين أن يسلكوا مسلكهم مع الذين سيوكل اليهم فيما بعد مهمة جذبهم الى هذا المذهب السرى الباطن . وهذه الوصايا تشبه وصايا الباطنية وقد تحدث الدكتور محمود قاسم عن ابن سينا فى بحث مطول وكشف القناع عن حقيقته فقال انه حرص على تأويل النصوص الدينية تأويلا باطنيا حتى يجعلها على وفاق مع فلسفة الخاصة وهى فلسفة اشراقية فى المقام الاول ، وانه خصص امسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة . وكان مسرفا على نفسه فلم يعن بعلاج المرض الذى أصابه ولم يتحفظ فى شرابه وطعامه فمات فى السابعة والخمسين وقال ان نظريته فى الفيض مأخوذة مما أورده بطليموس عن العقول كما تأثر فى قصيدة النفس بآراء افلاطون .

كذلك فقد ذكر الباحثون ان الفارابى فسر النبوة فى كتابه (المدينة الفاضلة) على أساس تعاليم الباطنية .

وبعد فهذا ما اردت أن أوجهه الى شباب الاسلام المثقف الذى تقع فى يده دراسات كتاب كبار ، واسماء لامعة عن الفارابى وابن سينا يخدعون بها ولا يعرفون ما وراء الصورة البراقة التى يقدمها هؤلاء . ولقد كتبت فى السنوات الاخيرة . مقالات كثيرة عن الفارابى وابن سينا فى المجلات الاسلامية بالذات كلها خاط وزيف وافتراء ولكن هذه هى الحقيقة خالصة لوجه الله تعالى والله من وراء القاصد .

ابن عربى ووحدة الوجود

يواجه الفكر الاسلامى اليوم موجة جديدة من الغزو الفكرى — بترجمة آثار الفكر اليونانى والوثنى القديم مجددا والفكر الغربى المادى — شبيهة بالموجة التى واجهها فى عصر الترجمة الاول والتى قاومها اعلام الفكر الاسلامى ورجال الفقه والنظر والاصول .

غير ان الموجة الحالية أشد خطرا لانها تأتى فى وقت لا يمتلك فيه المسلمون ارادتهم كاملة فى سبيل حمـــاية الشباب المسلم من هذا الفكر المسموم الوافد ، بتقديمه تقديما صحيحا مع التعريف بظروفه فى مجتمعه وانحراف مفكريه والتعريف بالاخطار المترتبة على قبوله والتحرز منه على ما يخالف الاسلام منه ، ذلك أن الاسلام لايصادر الفكر البشرى ولكن يضع الضوابط التى تمكن الشباب المسلم من تحامى سمومه واخطاره وهذا هو ما ينقصنا .

ومن هنا لابد من الكشف عن خلفيات حياة هؤلاء الفلاسفة الذين عمل التغريب على ابراز اسمائهم والنفخ فيهـــا واعطائهـــا الشــهرة ، ودفع كتاب العـــرب البارزين الى تقــديمهم بكل ما يحمـــــل فـــكرهم من سموم واخطار ولكى نكون واضحين ومنصفين فان هؤلاء الذين ظهروا فى محيط الفلسفة والتصوف الفلسفى من امثال ابن سينا والفارابى وابن عـــربى والحـــلاج والسهروردى وابن الفارض وابن سـبعين ربما كانوا ضحايا لجائحة الفلسفة اليونانية والفارسية والهندية المترجمة وقـــد ظنوا انهم يستطيعون حين يخلطونها بالاسلام ان يقدموا لامتهم شيئا نافعا ، هذا اذا حسنت النيات ، والواقع أن اغلب هؤلاء كانوا داخلين فى المؤامرة الباطنية ، التى كانت تطمع فى اسقاط الاسلام باسقاط الدولة وذلك عن طريق تحريف مفهوم الاسلام الاصيل الجامع ، ولتعرفنهم فى لحن القول . .

وقد جاء (ابن عربى) بعد (الحلاج) الذى قتـــل حين كشفت هويته وتآمره مع الزنج والقرامطة فكان حريصا على ان يقدم نفسه فى اطار كاذب براق خدع كثيرا من الناس ، وقد الف كتبا حاول فيها أن يحاكى أهـــل السنة والجماعة حتى تكون شاهدا اذا وقع فى الاتهام وهو نفس العمل الذى قام به طـــه حسين فى العصر الحديث — وهذا ما يسمى بالمراوغة (١) والواقع ان الحلاج دعا الى (الحلول والاتحاد) وان ابن عربى دعا الى (وحدة الوجود) وهى فكرة مسمومة اشد خطرا .

وقد تأثر الحلاج وابن عربى والسهروردى وابن الفارض وابن سبعين بالفلسفة الافلاطونية المحـــدثة وبالعناصر التى ادخلها اخوان الصفا من اغريقية ونصرانية وفارسية الاصل ، ومنها المذهب المانوى والمـــذهب الزردشتى وفلسفة فيلون اليهودى وفلسفة الرواقيين ويعرف المؤرخون (محيى الدين بن عربى) بأنه الداعية الباطنى القرمطى الذى نشأ فى بلاد الاندلس فى القرن السادس للهجرة وتتلمذ فى مدارس سرية فى الاندلس كان يشرف عليها علماء اليهود وبعد أن اتقن رسالته على أيدى غلاة الباطنية المتصوفة فى المغرب انتقل الى بلاد المشرق داعيا الى مذهب (وحدة الوجود) ووحدة الاديان مستمدا اصوله من الحلاج .

وكان ابن عربى وابن الفارض على مفهوم وحـــدة الوجود الذى يرفضه الاسلام وهو أن الله — جل وعلا عما يقولون علوا كبيرا — هو والعالم شىء واحد . ويرى أن الله سبحانه صورة هذا العالم المخلوق ، ومن مفاهيمه الفاسدة المنقولة من الافلاطونية أن الله — جل وعلا — لم يخلق الخلق مباشرة ومن عدم ولكن خلق عقلا والعقل هو الذى ناب عنه سبحانه فى خلق الكون .

كتاب العربية ، الجاحظ وابو حيان التوحيدى والغزالى وابن خلدون ولكن يجب تبيين انحرافه وقـــد استغل المستشرقون بلاغته فى احياء تراثه من جديد بواسطة هيئات التبشير والاستشراق لتصرف المسلمين عن الحق وعن الصراط المستقيم .

---

(١) تظهر هذه المراوغة واضحة فى كتابه (الفتوحات المكية) فقد حاول فيه ان يضع نفسه مع مفاهيم أهـــل السنة فى بعض الفصول وخاصة فى المقدمة لخـــداع القارىء ثم يدس السم على مراحل ويعتبر بعض الدارسين (ابن عربى) واحدا من الكتاب الخمسة الذين هم أعظم

وهـــذا الكلام يدرس لابنائنا فى الثانويات وحكاية العقول العشرة معروفة وكاذبة .

وقد انكر التكاليف والجزاء والمسؤولية والبعث ، وكانت له نظرة غريبة الى الاشياء ، فهو يرى أن موسى عليه السلام كان عجولا ، وان سيدنا ابراهيم كان على وهم وغفلة .

وقد انصهرت افكار الباطنية فى الفكر الفلسفى الصوفى والشيعى المتطرف ، كما انصهر فيها اللاهوت المسيحى والمنطق الاغريقى والفلسفة الاشراقية المنبثقة من العقائد الاسيوية وفلسفة الحلول المنشقة من الفلسفة النهليسية .

ولا ريب ان اخطر هـــذه المذاهب التى احيـاها الاستشراق فى التصوف الفلسفى هو (مذهب وحدة الوجود) وهو مذهب هندى برهمى ، اصـوله ماثلة ومستمدة من كتب الهنود الدينية وافكارهم الفلسفية وهو معارض تمام المعارضة لمفهوم الاسلام القائم على اساس الفصل بين الخالق (جل وعلا) ومخلوقاته . ويعنى مفهوم وحدة الوجود : تأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله وهذا سر اهتمام المستشرقين بابن عربى والحلاج .

والاسلام يفرق تماما بين الله (تبارك وتعالى جل شأنه) وبين العالم . وهو ما تقول به الفطرة الصافية والعقل السليم ، فكلاهما يأبى ان يجعل الله هو العالم كله بما فيه وهو تبارك وتعالى خالقه وليس هذا الكون كله الا ذرة صغيرة من خلقه الكبير الذى لا يحيط به العقل البشرى ولا ترى منه العين الا جزءا صغيرا ، فضلا عن ان القول الضال لا يتفق مع المسؤولية الفردية والجزاء ولا مع اقامة الاخلاق على أساس وثيق .

ونظرية (وحدة الوجود) ليست اصيلة المصدر ، وليست مما عرف العرب أو اصحاب الاديان السماوية المنزلة ، وانما هى فكرة ترددت فى الفلسفات البشرية المادية ، وهى من أهواء الانسان التى تحاول ان تجرد الانسان من مسؤوليته الفـردية وتبعة اعماله وتلغى التكليف وتلغى المسؤولية الفردية وتلغى المســؤولية الاخلاقية ليندفع الانسان لشهواته الى غير غاية فلا يفرق بين الخير والشر ، ولا بين التقوى والفساد ولا بين الزهد والجشع ولا بين الفضيلة والرذيلة وهى فى صميمها دعوة الى انكار الله تعالى والخروج على حدوده .

ومفهوم الاسلام ازاء الله تبارك وتعالى هو مفهوم الفطرة والاصالة والعلم ، فالله جل شأنه واجب الوجود منزه عن الاتحاد بمخلوقاته او الحلول فيها ، والكون شىء غير صاحبه وخالقه ، والعالم شىء غير الله ، ولقد خلق الله الخلق وكلفهم ورتب على التكاليف مثوبات وعقوبات وانزل بذلك كتبا وبعث رسلا ، فالقول بوحدة الوجود نفى للالوهية ، واثبات للكائنات وحدها أو كما يقـول الاستاذ محمد الغزالى : ان (وحدة الوجود عنوان آخر للالحاد فى وجود الله وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط وما دام لا يوجد شىء وراء هذا العالم فالقول بأن الله داخله هوصورة اخرى للقول بنكرانه . ولو كانت الارض لؤلؤا ومرجانا ، ما صح أن تكون (ذات الله) ان الصاروخ شىء غير الانسان الذى اطلقه ، وكذلك فالعالم شىء غير الرب الذى ابدعه وسيره) .

(الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل له مقاليد السماوات والأرض) .

ولقد غزا مذهب وحدة الوجود ــ كما يقول الاستاذ عبد المنعم خلاف ــ عقول بعض الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم ان طلبوا ان يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التى يدركون بها الطبيعة ، وبالعقل البشرى ، المخلوق لادراك النسب بين الكائنات الطبيعية وحدها أولا ، فلما عجزوا عن رؤيته تعالى وادراكه كما هـو المنتظر ذهبوا الى انه لابد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر ، وانه يحل فيه وليس له وجود منفصل عنه ، وهكذا تجد الوثنية التى حاربتها الاديان والفلسفات سندا عظيما من هذه الفلسفة ، وقد ارشدنا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال فقال : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فتهلكوا » ونحن نجد هذه المعانى تجـــرى الآن على السنة الماســونيين والشــعوبيين والعلمانيين .

وخطأ وحدة الوجود هو القول بأن الكل هو الله أو ان الله هو الكل والحقيقة أن الكل لله ، فالله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الوحيدة ، وراء هذا العالم ، حقيقة لا نهائية سرمدية ، فالله سبحانه لا يندمج فى العـالم ولايندمج العالم فيه ، ولايندمج فى المادة ، وذلك فان قول اصحاب مذهب وحدة الوجود بأن الله والمادة وحـدة لا تتجزأ ، هو خروج عن مفهوم الاسلام الحق الـذى يقول بأن كل مسبب لابد له من سبب وكل معلول لابد له من علة ، والمسبب لا يقوم بنفسه وانما يقوم بالسبب وكذلك المعلول فانه لا يوجد بذاته وانما يوجد بوجود العلة ، فاذا زال السبب أو العلة زال المسبب وزال المعلول .

والله تبارك وتعالى قديم وهو أول وهو آخر ، والحدوث مستحيل عليه باعتباره من صفات المعلولات ، والمادة معلولة وحادثة ، ولها خالق فاذا قيل بقدم المادة شاركت المادة الله فى قدمـــه والمسلمون يؤمنون بثنائية الوجود ، وهو أن الكون موجود حادث مفتقر وان الله تبارك وتعالى ذات قائمة مستقلة بذاتها عن الكون المادى والكون كله ملكه ، وهو المتصرف فيه وهو الذى يمسكه لحظــة بعد اخرى ولو تخلى عنـــه ســبحانه لتلاشى ، وبالجملةفان الاسلام لايقر القولبوحدة الوجود ، وان الله (تعالى عما يقولون علوا كبيرا) هو مجموع هـــذه الموجودات .

وقد قال (ابن عربى) بمذهب وحدة الوجـــود متأثرا بنظرية (أفلوطين) ونظرية الحلاج فى اللاهوت والناسوت ، ولا ريب أن كل ما يؤدى الى وحدة الوجود او الحلول لا صلة له بمفهوم الاسلام الاصيل ، ولم يكن معروفا على عهد السلف الصالح ولم يتكلم عنه اهل السنة وقد يؤدى بصاحبه الى الخروج من عقيدة الاسلام .

ولقد كان النظر فى التصوف بهذا المعنى . كما يقول الدكتور محمد البهى سببا لبلاء كثير من المسلمين وتكأة لكل اباحى يلتمس السبيل الى نيل شـــهواته تحت شعار من العقائد أو ملحد يريد أن يهدم الاسلام بتصيد الشهوات أو معطل يحاول التخلص من تكاليف الكتاب والسنة .

ولقد كان ابن عربى من اجرا من عرف فى التعبير ، وكانت مراوغته ابرز معالم أسلوبه المجازى الذى خـــدع به الكثيرين وسر ذلك هو خوفه من القتل ، وحرصه على افساد العقيدة . وقد فتن به كثيرون ويعـــد كتاباه الفتوحات ، وفصوص الحكم من أخطر كتاباته ، وقـــد استمد مفاهيمه من (الغنوصية ــ الافلاطونية المحدثة ــ النصرانية) (غير المنزلة) .

وقد أثارت فكرة وحدة الوجود موجة من الصراع الفكرى العنيف واعتبرها أصحاب الاصالة الاسلامية من المحدثين والفقهاء والمفسرين والصوفية (عقيـــدة متناقضة) مع عقيدة الاسلام تناقضا مطلقا بحيث لا يمكن التوفيق بينهما بأى وجه من الوجوه .

وقد سمى اسين بلا سيوس كتابه عن ابن عربى (مفكر الاسلام المتنصر) ولا ريب أن ابن عربى اتخذ من اسلوب التصوير العاطفى والرمز والاشارة والاعتماد على مغريات الخيال فى التعبير طريقا محفوفا بالشوك بعيد الخطر فى نفث السموم وهو يراوح بين آرائه الفاسدة وبين آراء أهل السنة فيخدع بعض الناس ويحاول بذلك ان يجد له ملتمسا اذا ما حوكم أو كشف زيفه ، وهـــذا أسلوب اكثر خداعا من أسلوب الحلاج .

ويرى كثير من الباحثين أن (محيى الدين بن عربى) ليس على الاطلاق فى تصوفه الفلسفى صوفيا مسلما ــ على حد قول الدكتور محمد يوسف موسى ــ انما يشبه فى التصوف ابن سينا فى الفلسفة ، فابن سينا لا يمثل الاسلام فى شىء وانما هو امتداد للفلسفة اليونانيـــة . كذلك فان محى الدين بن عربى ليس صوفيا مسلما وانما هو فيلسوف لا يمثل الاسلام فى شىء ، ان تصوفه ينتهى بسرعة خطيرة الى مذهب فلسفى يخالف الاســلام ، ويخالف كل دين ، انه ليس رجل دين ولا رجل زهد ، ولا تصوف ، بل فيلسوف غنوصى صناعى مجمع موفق منسق ، فهو كأفلاطين وفيلون ، وقـــد بعدت فلسفاته النظرية والاخلاقية عن الدين .

أولا : انه بما ذهب اليه من القول بوحدة الوجود وما يستلزمه هذا القول من اعتبار العالم كله صـــورا ومجالى ومظاهر الله الذى هو وحده الموجود قد أتى على الأخلاق من قواعـــدها ، اذ لا معنى للمسؤلية الاخلاقية التى هى مناط للثواب والعقاب لان للاثم اخلاقيا ان يقول ما دام الذى اتخذنى مظهرا له هو الذى فعل حقيقة ما يظن انه فعل بى فكيف يستقيم أن اكون انا المسؤل .

ثانيا : يظهر أن محى ا لدين بن عربى لا يتهيب أن يصل مذهبه الى هذا الحد بما يتصل بالاخلاق ، انه يرى أن الذى يصل الى درجة المحبة الحق يتاح له أن يتجاوز حدود ما انزل الله بعد ان لازم زمنا طويلا حفظها .

ولا ريب أن (محى الدين بن عربى) قد جاوز اصالة الاسلام بهذين الامرين اللذين عدا بهما شريعة الله . وتلك أخطر جوانب دعوته : ان يجعل ظاهر الشرع من نصيب العامة ، وأن لاهل التصوف باطنا خاصـــا لهم وحدهم وهو فى هذا يصطنع أســـلوب التأويل الذى اصطنعته الباطنية .

وقد كشف كثير من الباحثين خدعة ابن عربى فى كتابه (الفتوحات المكية) حين يحتاط لنفسه بمقدمات خادعة عن التوحيد يعارضها مضمون الكتاب نفسه فى الكشف عن فلسفته الملحدة الوثنية المستمدة من الفلسفتين اليونانية والغنوصية .

وقد اشاروا الى ان ابرز اخطائه هو خطؤه فى فهم

الاسماء الحسنى حيث يفهمها فهما مبتدعا يخرجها عن صريح الاسلام فى كيد وضلال يروج له وليضيف اليه عوامل بلبلة فى العقيدة بين أجيال المسلمين حيث يعمد الى أسماء الله الحسنى فيتجاوز معناها وما توحى به من الكمال اللائق بذاته سبحانه الى تصوير كل اسم منها بصورةرب فاعل ينصرف فى مجموعةمن حقائق الموجودات وأن هذه الاسماء قد تختلف فيما بينها واين منها الرئيس والمرؤوس والرب والمربوب وانها تحتكم الى من فوقها من الاسماء حتى تصل فى النهاية الى الاسم الجامع وهو لفظ الجلالة ، وان الاسم بدوره يستأذن على المسمى وهو ذات الله تعالى حتى يتم الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه . ويذكر هذا بما يقال فى الاساطير عن الهة الاغريق التى تنبو فى عبثها ووثنيتها عن فطرة المسلم الذى يدين بالتوحيد الخالص لله الواحد الاحد رب العالمين .

وهو يذكر بعض الاسماء الحسنى فيقول : هذه الاسماء هى أرباب الاسماء وما عداها سدنة لها . أى خدم ، كما أن بعض هذه الارباب سدنة لبعضها الاخر والكتاب يصور أسماء الله الحسنى ، او هذه الارباب كما هى فى تسميته وكيف تتناقش وتختلف وكيف يدخل بعضها على حضرة بعض حتى يصل بينها الاسم الجامع (الله).

ويرى الكثيرون أن الكتاب يقطع بان (الاله) الواحد الهة ويقلب التوحيد الخاص تعددا ووثنية وما اغنى المسلمين وما أبعد الاسلام الحق عن هذا الخيال .

وقد وصف التفسير المنسوب الى ابن عربى بانه ليس تفسيرا للقرآن الكريم حسب اصطلاح المفسرين المسلمين، فهو تأويل باطنى بعيد عما يحمله اللفظ القرآنى من معانىالهداية الربانية الحقة — على حد تعبير الاستاذ محمد كركب — فصاحبه يتعمد التحريف والتلبيس باستغلاله للمعانى الواسعة للالفاظ يوجهها كيف يشاء فتارة يجعلها على الحقيقة وتارة على المجاز حسب غرضه من التأويلفيقتصر فى شرح آيات وفى تأويلها ويطيل فى اخرى ويضرب صفحا عن عدة آيات فلا يفسرها ولا يؤولها ويحاول انكار القرآن المنزل من عند الله بواسطة جبريل عليه السلام ، كما يحاول تفضيل الكتب السماوية الاخرى ، ويفضل بيت المقدس على بيت الله الحرام ، ويعرض بالرسول وبصحابته وبأمته ، وقد حدد الباحث فى دراسته أماكن التحريف به والتقصير فى التأويلوالشرح والاعراض المقصود وتعمد الدس والتدليس باستعمال المعانى الواسعة للالفاظ مع ابراز ما فيه من التأثيرات الخارجية عن الاسلام وتعمده تشكيك عوام المسلمين فى عقيدتهم وشريعتهم .

***

هذا ولقد وقف علماء المسلمين بالمرصاد لترهات ابن عربى وكشفوا عنها وفى مقدمتهم العز بن عبد السلام وابن الجوزى وابن تيمية .

والله الحمد من قبل ومن بعد ..

***

مراجعـــــة لفكـــــر ابـــــن عربـــــى

شهادات ابن تيمية وابن القيم وأبو الحسن الندوى وشمس الدين الذهبى .

ان الذين يكبرون من شأن ابن عربى قد اختلطت عليهم الأمور وقد قرأوا كتابا ولم يقرأوا كتبا ولا ريب ان موقف الاستغراب من نقد فكر (ابن عربى) يرجع الى الحملات المكثفة التى عملت خلال العصور على المبالغة فى تقديره ووضع كتاباته موضع القداســـة ، والقـــاء الاضواء عليه فى العصر الحديث من القوى التى تريد أن تشبع أفكاره حتى تستشرى وتتغلب على مفهوم الاسلام الصحيح ومفهوم التوحيد الخالص وقد نجحت هذه الحملات الى حد كبير من حيث ان الفلسفة اليونانية التى تسربت الى الفكر الاسلامى ما زالت تعمل عملها فى مجالات كثيرة وفى مقدمتها مفاهيم التصوف ومن هنا وجب علينـــا التوضيح وتوسيع دائرة الاستشهاد ، ولقد جاء (ابن عربى) بعد مقتل الحلاج فكان له من ذكائه القدر الذى حاول أن يحفظ به نفسه من الاتهام وكان هذا التحوط بالغا قدره مع رجل يملك أسلوبا موسيقيا بارعا .

ولكن اخطر ما فى ذلك كله ان هذه المصطلحات التى تحملها كتابات ابن عربى وغيره ليست هى مصطلحات الكتاب والسنة والسلف الصالح ، ولكنها مصطلحات دخيلة وافدة لم يعرفها المسلمون فى الصدر الأول ، وهذه هى قاعدة التخالف بين منهج اهل السنة والجماعة وبين ابن عربى وابن سبعين والحلاج وابن الفارض .

واذا كان شباب الاسلام المثقف يحاول ان يستزيد فى الاقتناع لما عرضنا له فى دراستنا عنه فان بين ايدينا من المصادر والمراجع والوثائق ما هو كفيل باقناع النفوس الصافية وتأكيد ايمانها بالحقيقة الاولى والكبرى التى يجب أن تكون رائدنا فى هذا العصر وهى مفهوم الاســلام الاصيل القائم على التوحيد الخالص وما اطلق عليــه مفهوم الاسلام قبل ظهور الخلاف أو مفهوم اهل السنة والجماعة وان كل من يتصدر للفكر الاسلامى يؤخذ من كلامه ويترك وليس هناك معصوم الا النبى محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحى .

ومن هنا فان هذه المصادر التى بين ايدينا تؤكد ان بعض الصوفية وفى مقدمتهم ابن عربى كانوا من القائلين بالحلول والاتحاد ومن ثم بسقوط التكاليف عن بعض الناس وانهم يقيمون مفهومهم هذا على خطأ اساسى وهو ان الموجود واحد وان الوجود الواجب للخالق هــو الوجود الممكن للمخلوق كما يقول بذلك ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض والمعروف كما يقــول الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه (١) (رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ـــ ابن تيمية) ان شخصية ابن عربى وآراءه الشاذة ما تزال موضع نزاع وخلاف من العهد القديم وقد حارت الاذهان فى تأويلها ويرجع بعض اهل العلم ان كثيرا من ذلك مدسوس عليه ومما لا شك فى انها موحشة ، وفتن بها كثير من الناس وتضرروا بها وشغل قسطا من ذكائهم ووقتهم لو صرف فى محله لعاد على الاسلام والمسلمين بخير كثير .

ويقول العلامة شمس الدين الذهبى وهو يترجم لابن عربى فى كتابه المشهور (٢) (ميزان الاعتدال) : فوالله لان يعيش المسلم جاهلا خلف البقر لايعرف من العلم شيئا سوى سورة من القرآن يصلى بها الصلوات ويؤمن بالله وباليوم الاخر خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب وعمل مائة خلوة (جـ٢ص٢٤٢) وقد حمل لواء المعارضة لابن عربى وتصدى لنقده اثنان من اعلام هذه الامة احدهما شيخ الاسلام ابن تيمية من رجال القرن الثامن والثانى الامام احمد بن عبد الأحد السرهندى من رجال القرن الحادى عشر كل بأسلوبه الخاص وفى ضوء تجاربه الشخصية ، ولهما موافقات والتقاءات لا تدل الا على ان الحق واحد وعلى رسوخ قدمهما وعلو كعبهما فى العلوم الصحيحة والاذواق الصادقة .

ويقول العلامة ابو الحسن الندوى : كان اعظم ما فعله ابن تيمية انه كان يرد مذهب الشيخ محى الدين ابن عربى فى وحدة الوجود بكل صراحة واعلان وقد كان له جماعة كبيرة من الاتباع والانصار فى مصر والشام ، كما كانت طائفة كبيرة من العلماء والمشايخ يعتبرونه عارفا

كبيرا ومحققا جليلا وامام مشرب (التوحيد) والشيخ الاكبر الذى لايدانيه أحد فى ذلك العصر ، وكان ابن تيمية يرى ان محققاته والهاماته تعارض تماما تعاليم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتخالف تعليم التوحيد الذى جاء به كل نبى فى عصره وقام بتفسيره الاخير واكمله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذى يستفاد بكل ايضاح من الكتاب والسنةوبلغنا بالتواتر اللفظى والمعنوى .وكان الشيخ محى الدين بن عربى قد توفى عام ٦٣٨ هـ (قبل ولادة ابن تيمية بثلاث وعشرين سنة) وكانت مؤلفاته متداولة بين الناس وبخاصة (الفتوحات المكية) و (فصوص الحكم) اللذين نالا اعجاب الاوساط العلمية أما ابن تيمية فكان قد درس الفلسفة والتصوف والاشراق بتأمل ودقة ، ومن بين ما قرأ من الكتب هذان الكتابان ايضا ، انه يقتطف فى مؤلفاته عبارات من هذين الكتابين ويرد عليهما ، الامر الذى يدل على ان دراسته لمثل هذه الكتب كانت مباشرة وعميقة ، وكان قد وصل الى نتيجة ان التوفيق بين ما جاء فى هذه الكتب من افكار وآراء وبين

تعاليم النبوة مستحيل ، انه يقول وهو يتحدث عن مذهب الشيخ ابن عربى : يقولون (ابن عربى واتباعه) ان الوجود واحد ، ويقولون ان وجود المخلوق هو وجود الخالق ، لا يثبتون موجودين خلق احدهما الاخر ، بل يقولون : الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق ، فاما الوجود فلا يتصور أن يكون فيه رب وعبد ، وخالق ومخلوق ، وداع ومجيب ، وانما الوجود لما فاض على الاعيان فظهر منها حصل التفرق من جهة الاعيان كتفرق النور فى الزجاج لاختلاف الوانه ، ويقولون : ان عباد العجل ما عبدوا الا الله ، وان موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل ، وان موسى كان بزعمهم من العارفين الذين يرون الحق فى كل شىء بل يرونه عين كل شىء وان فرعون كان صادقا فى قوله : (انا ربكم الاعلى) بل هو عين الحق (٣) .

وهم يعظمون فرعون ويتلون ما قاله صاحب الفصوص (ابن عربى) : قال ولما كان فرعون فى منصب التحكم صاحب الوقت وانه جاز فى العرف الناموسى لذلك قال (انا ربكم الاعلى) اى وان كان الكل اربابا بنسبة ما فأنا الاعلى منهم بما اعطيته فى الظاهر من الحكم فيكم ، قال : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه واقروا لهبذلك وقالوا له : اقضما انت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا) .

قال : فصح قول فرعون (انا ربكم الاعلى) وان كان فرعون عين الحق ولهذا عاب (ابن عربى) نوحا وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ما عبدوا الا الله وان خطاياهم خطت بهم فغرقوا فى بحار العلم بالله (٤) .

يبدو أن الناس غالوا كثيرا فى الاعتقاد بوحدة الوجود فى عصر ابن تيمية ، حتى تخطوا حدود الشرع والعقل والاخلاق فى هذه العقيدة ، وحدثت ازمة اعتقادية فى هذا الموضوع ، انه يقول :

وقد ضل فى هذا جماعة لهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القرنوى تلميذ ابن عربى والبلبانى والتلمسانى وهو من حذاقهم علما ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل فيشرب الخمر ويأتى بالمحرمات ، وحدثنى الثقة أنه قرأ عليه (فصوص الحكم) لابن عربى وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين فلما قراه رآه يخالف القرآن قال فقلت له : هذا الكلام يخالفالقرآن فقال : القرآن كله شرك ، وانما التوحيد فى كلامنا ، وكان يقول : ثبت عندنا فى الكشف ما يخالف صريح المعقول وحدثنى من كان معه ومع آخر نظير له فمرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار المطعم فقال له رفيقه هذا ايضا هو ذات الله فقال وهل ثم شىء خارج عنها ، نعم الجميع فى ذاته (٥) وقيل لبعضهم (اذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والام حراما فقال : الكل عندنا واحد ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام فقلنا حرام عليكم (٦) .

نقول : وعندما رأى ابن تيمية استشراء هذا الفكر فى مصر وتصدر الشيخ نصر المنجى له كتب اليه رسائل يكشف فيها عن عقيدة ابن عربى وابن الفارض وابن سبعين ويتقدم اليه ان يعدل عن مسايرة هذه العقائد ومسايرة المتخاين عن الاوامر والنواهى ويشرح له التوحيد الحق ويبطل له الحلول والاتحاد وينبهه على عواقب انتشار هذه الاقوال وخطرها على الاسلام ويبين له ان هذه بدع لم يأت بها كتاب ولا سنة الى آخر ما كتبه فى رسالته المطبوعة فى مجموعة الرسائل والمسائل .

وقال فى احدى رسائله الى الشيخنصر المنبجى : ان مقصود الدعوة النبوية بل المقصود بخلق الخلق وانزال الكتب وارسال الرسل ان يكون الدين كله لله هو دعوة الخلائق الى خالقهم ، وهؤلاء موهوا على السالكين التوحيد الذى انزل الله تعالى به الكتب وبعث الرسل بالاتحاد الذى سموه توحيدا وحقيقته تعطيل الصانع وجحود الخالق .

وانما كنت قديما ممن يحسن الظن بابن عربى وتعظيمه لما رايت فى كتبه من الفوائد مثل كلامه فى كثير من (الفتوحات) و (كنه المحكم المربوط) و (الدرة الفاخرة)

و (مطالع النجوم) ونحو ذلك ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصوده ولم نطالع (الفصوص) ونحوه فلما تبين الامر عرفنا نحن ما يجب علينا فلما قدم من المشرق مشايخ معتبرون وسألوا عن حقيقة الطريقة الاسلامية والدين الاسلامى وحقيقة حال هؤلاء وجب البيان .

ثم شرح ابن تيمية فى رسائله الى المنبجى تلك العقائد والنظريات والمذاهب التى كانت شائعة حول الاتحاد والحلول بين المسيحية (كاليعقوبية والنسطورية والملكانية) وبين بعض الفرق التى كانت تنسب الى المسلمين كالروافض والجهمية ، كما انه شرح بالتفصيل :

الاتحاد المعين والاتحاد المطلق ، والحلول المعين والحلول المطلق .

وكان قد ادرك مفتاح كلامه الذى سهل عليه فتح مغاليق علومه وحقائقه وقد انصف ابن تيمية ابن عربى ففرق بينه وبين الاتحاد عند الآخرين .

وقال انه أقربهم الى الاسلام واحسن كلاما فى مواضع كثيرة .

ويقول ان حكمه عليه جاء نتيجة ما كتبه فى الفصوص ، والله تعالى اعلم بما مات الرجل عليه والله يغفر لجميع المسلمين .

هذا هو أوفى ما عرض فى هذه القضية .

***

وفى مراجعتنا لكتاب ابن تيمية (اعلام الاسلام) للشيخ عبد العزيز المراغى (٧) يقول : ان ابن تيمية مع حملاته الشديدة على الصوفية لم ينكر كرامات الاولياء ولم ينكر ما يصح ان يكون خارقا للعادة على يد من خصه الله بكرامة منهم ، وقد قيد ابن تيمية (الالهام) بالحكم الشرعى وليس عنده شريعة وحقيقة ، وان مرد الامر اولا وآخرا للشريعة ، وان طريق الوصول الى درجات القرب الالهى سواء أكان قرب النبوة أم قرب الولاية منحصر فى طريق الشريعة التى دعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار مامورا بها فى قوله تعالى (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى) .

ويشير الباحثون الى خطأ ابن عربى وجماعته فى تجنب الاستشهاد بالقرآن والسنة والاعتماد على الفلسفة اليونانية .

يقول الشيخ عبد العزيز المراغى : ان ابن تيمية نعى على ابن عربى بوجه خاص تلك الآراء التى يرى ابن تيمية انها فلسفة يونانية خالصة : ويقول فى رسالة (الفرقان بين الحق والباطل) وهؤلاء كان من اعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عند الاستدلال بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدى يبين الادلة العقلية ويخبر الناس بالغيب الذى لا يمكنهم معرفته بعقولهم وهؤلاء المتفلسفة يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلالته وانما خاطب خطابا جمهوريا ليصلح به العامة .

***

شهادة ابن القيم فى شان ابن عربى

ويرى الامام ابن القيم ان ابن عربى هو اول من قال بوحدة الوجود من مفكرى المسلمين وان ما صدر عن ابى زيد البسطامى وعن الحلاج انما صدر عنهما فى حالة السكر ، ولا يعد هذا مذهبا مؤسسا على قواعد اما مذهب ابن عربى فى وحدة الوجود فهو مؤسس على قواعد بنى عليها نظريته ، كما ان مذهبه يختلف عن البسطامى والحلاج فى القول بالحلول، أما مذهب ابن عربى فهو القول بوحدة الوجود بمعنى ان الوجود واحد وهو وجود الله ما سواه من المخلوقات فهو صورة له فمذهبه واحدى .

ويشتمل (فصوص الحكم) على نصوص واضحة الدلالة ، يقول دكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين فى رسالته عن ابن القيم الجوزيه (٨) (لو ذهبنا نتتبع ما كتبه ابن عربى فى كتابه فصوص الحكم لوجدناه يعبر عن مذهبه بأساليب متعددة تختلف فى الصورة وتتفق فى الجوهر وقد وقفت على نص لابن عربى يوضح مذهبه توضيحا تاما اذ نفى فيه وجود العالم واعتبره وهما لا وجود له واعتبر الوجود الحق هو وجود الله .

قال (واذا كان الامر على ما ذكرته لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقى ، فالوجود كله خيال فى خيال والوجود الحق انما هو الله خاصا من حيث ذاته وعينه) .

وجملة ما يراه ابن عربى انه لا يقول بوجود خالق للعالم بل بأن العالم صورة الله والعالم وهم لا وجود له .

وكان ابن القيم فى كتابه (٩) مدارج السالكين قد استوفى الرد على ابن عربى حيث قال ان ابن عربى وبطانته فى القول بوحدة الوجود حيث يعدهم ملاحدة فى عقيدتهم من ابطال التكليف ونفى التغاير بين العبد والرب ولما فيها من تعطيل العبودية وتعطيل الصفات وكلاهما مخالف للشرع ولما اجتمع التعطيلان لمن اجتمعـــا من الســالكين تولد منهمـا القــول بوحدة الوجود المتضمن لانكار الصانع وصفاته وعبوديته .

وقال : اذا بطل قول هؤلاء بطل قول اهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود وانه ماثم وجود قديم خالق ووجود حادث مخلوق ، بل وجود هذا العالم هو عين وجود الله وهو حقيقة هذا العالم ، فليس عند القوم رب وعبد ، ولا مالك ولا مملوك ولا راحم ولا مرحوم ولا عابد ولامعبود ولا مستعين ولا مستعان به .

وقال مبينا ما يترتب على مذهبهم من عدم التفرقة بين الطاعة والمعصية من اتباعه (ما ثم طاعة ولا معصية اذ الطاعــة والمعصية انما يكونان بين اثنين ضرورة والمطيعين الطائع ، فما ههنا غيرواحد، فالوحدة المطلقة تنفى الطاعة والمعصية فاحذر هذه الطريقة فانها طريقة الاتحادية القائلين بوحدة الوجود وان ما ثم رب وعبد ، تعالى الله عن افكهم علوا كبيرا .

وقال : انهم لا يفرقون بين كون وجود المخلوقات بالله وبين كون وجودها هو عين وجوده وليس عندهم فرقا بين العالمين ورب العالمين ويجعلون الامر والنهى للمحجوبين عن شهودهم وفنائهم وهو تلبيس عندهم ، والمحجوب عندهم يشهد افعاله طاعات أو معاصى فاذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية وهذا عندهم محض الشرك والتوحيد المحض يأباه .

فمما تقدم يبطل ابن القيم القول بوحدة الوجود بل يعتبر القائلين بها ملاحدة لما فى هــذا من مخالفات للدين (١) القول بوحدة الوجود ينافى ما هو مقرر فى الدين الاسلامى من وجود قديم هو وجود الله (تبارك وتعالى) ووجود حادث هو وجود العالم وان هذا الوجود الحادث من صنع الله (٢) يترتب على هذا القول ابطال التكليف ، اذ هى أوامر ونواه من الله للعبد وهذا لايتصور عند من يقول بوحدة الوجود لانه اعتبر العالم مظهرا لوجود الله . فلا يمكن التكايف بناء على رايه اذ لا يتصور أن يكلف الله نفسه (٣) يترتب على القول بوحدة الوجود اسقاط صفة الربوبية لانه لا يتصور رب دون مربوب واسقاط صفة الخلق اذ لا يتصور خلق دون مخلوق ، وقد أسقط (ابن عربى) المربوب والمخلوق فلا يتصور رب ولا خلق ولا خالق ، ا هـ .

* * *

شهادة الدكتور زكى مبارك

أما الدكتور زكى مبارك فى كتابه الضخم (التصوف الاسلامى فى الأدب والاخلاق) فيرى :

أولا : ان قول ابن عربى بوحـدة الوجود ليس الا شطحة صوفية وهو خطر كل الخطر فى عالم الاخلاق فان رابكم هذا القول فتأملوا أحوال الصوفية فهم فى الاغلب من الذين سقطت عنهم التكاليف وعاشوا عيش التفكك والانحلال منذ افلتوا من قيود الشرع الشريف .

ثانيا : ان القول بوحدة الوجود يجعـل الثواب والعقاب من المشكلات فمن الذى يثيبنا حين نحسن ، ومن الذى يعاقبنا حين نسىء ومن نحن حين نحس بافتراض اننا جزء من الله . ايحسن الله نفسه ثم يثيب ويسىء ثم يعاقب ؟ ! ! .

ثالثا : كان ابن عربى يرى أن الشريعة من حظ العوام ويرى الحقيقة من حظ الخواص وكانت دراساته للشريعة تمهيدا لشرح الحقيقة وكان الفقه عنده مقدمة لدرس أحوال القلوب وهو فى هذا مسبوق بالغزالى واكن الغزالى يحترم الاحـكام الفقهية ثم ينتقل الى المعانى الصوفية فيدرسها فى حرارة وشوق اما ابن عــربى فيقتحم فى الفقه ويقتحم فى التصوف وكتاب الفتوحات كل صفحة منه تثير مشكلة امام العقل .

رابعا : دعواه ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو خاتم الاولياء وهذا التطاول الى معرفة ملكوت السماوات جراة خطرة .

خامسا : يبعد جدا ان يكون ابن عربى وقف فى تفكيره عند الحدود التى وقف عندها اهل السنة والجماعة وقد اعترف الشعرانى ان كثيرا من المواضع فى كتاباته لم توافق لما عليه أهل السنة والجماعة .

سادسا : كان ابن عربى يتحفظ فيما يكتب وكان يطلب السلامة قبل كل شىء وانه كان يحاول ستر اغراضه الحقيقية فى كثير من الاحيان .

سابعا : انه يدور حول فكرة الوجود دورانا لبقا ولا يكاد يفصح عنها الا عن طريق الايحاء .

ثامنا : من مبالغته خطبته التى القاها فى حضرة الله وفى حضرة الرسول .

تاسعا : ديوانه (ترجمان الاشواق) هو مجموعة من الاحجار وضعت على غير نظام ، وهو فى ديوانه هذا رجل مزعج لا تكاد تستروح الانس به ، حتى تعود فتنكره لانك لا تعرف اين يتوجه ولا تكاد تلمس فى اشعار الديوان نفحة من الشوق الى العالم المجهول .

عاشرا : الاشارة الى أن ربما كانت اضافات فى كتبه ليستمن كلامه وهى من اضافات تلاميذه ومن جاءوا بعده من الصوفية وليس من اضافات أهل السنة » اه .

وبالجملة فان المراجعة العامة لفكر ابن عربى تذكر فى كتابيه « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » وهى فى عمومها (أولا) : تمثل جراة شديدة فى الحديث عن الله تبارك وتعالى وفى الحديث عن الأشياء مما أدخله الباحثون تحت اسم الشطح ومن ذلك قوله « رأيت ليلة انى نكحت نجوم السماء كلها فما بقى نجم الا نكحته بلذة عظيمة .. الى آخره .

(ثانيا) : اعتماده على الفلسفة اليونانية وتجاهله للقرآن والسنة فى الاستشهاد واختياره أسلوب الجدل اليونانى .

(ثالثا) تقديم مصطلحات وتعبيرات والفاظ لم يعرفها المسلمون فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة وكل هذه المصطلحات (جمع الجمع ، الوجد التواجد ، المريد ، السالك ، المحو ، الوقفة ، المحق، الخ وكل هذه التفسيرات من مفاهيم الباطنية والفلاسفة التى دخلت على التصوف .

وجملة القول ان الفكر الاسلامى لا يقبل الا من يؤمن بالله تبارك وتعالى (خالقا ورازقا ومصرفا للأمور كلها) أما هذه المفاهيم الوافدة والمأخوذة من الفكر اليونانى (علم الاصنام) أو الفكر الغنوصى فهى مرفوضة تماما .

المراجع :

١ – رجال الفكر والدعوة – ابن تيمية – أبو الحسن الندوى .

٢ – شمس الدين الذهبى (ميزان الاعتدال) .

٣ – الرد الاقوم على ما فى كتاب فصوص الحكم لابن تيمية .

٤ – الفرقان بين الحق والباطل .

٥ – نفس المصدر .

٦ – المصدر السابق (الرد الاقوم) .

٧ – اعلام الاسلام : ابن تيمية : للشيخ عبد العزيز المراغى .

٨ – دكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين : ابن القيم الجوزية .

٩ – مدارج السالكين لابن القيم .

* * *

الحـــــــلاج والقرامطـــــــــة

*** الحـــلاج لم تقتله الكلمة ، وانما قتـــل بسبب مراسلته للقرامطـــــة .**

*** هـــل هناك رابطـــة بين ثورة الزنج وثـــورة القرامطــــــة ؟ .**

*** ماذا وراء ادعـــاء الحـــلاج للالوهية واسقاط التـــــكاليف .**

أولى المستشرقون ومن تابعهم من دعاة التغــريب شخصية « الحلاج » اهتماما كبيرا وحاولوا تصويره من خلال فكرة خاطئة ، اريد لصقها بالاسلام ، وهى مصادرة الفكر والقتل باسم حرية الفكر ، وهذا مالم يحدث فى تاريخ الاسلام كله وان حدث فى تاريخ أوربا الغربية النصرانية ، فقد كان الاسلام حفيا بحرية الكلمة الى أبعد حد ، ما لم تصبح تخريبا للعقيدة أو ما يشبه ذلك كالتآمر السياسى او مخابرة دولة أجنبية .

والحلاج لم تقتله الكلمة ، التى قد يؤولها بعضهم تأويلا ما ، وانما قتل حين ثبتت عليه أمور منها مراسلة القرامطة ، فقد تبين أنه كان وكيلا لهم ، وكان القرامطة قد أزاحوا النظام الاسلامى الى حين وسفحوا الدماء وخربوا البلاد وانشأوا لهم عاصمة فى (هجر) حملوا اليها الحجر الاسود من الكعبة فظل بها اثنين وعشرين عاما .

والذى عليه القول الراجح ان الحلاج كان يعمــــل لحساب القرامطة وان دعواه فى الحلول والاشراق ووحدة الوجودانما كانت وسائل تعمل على افساد الاساس الفكرى الدولة الاسلامية وهدم تعاليم الاسلام كمقدمة لتحطيم سلطته السياسية وهو نفس المنهج الذى سلكته الباطنية فقد رأى خصوم الاسلام ازاء عجزهم عن هدم دولته ان يلجأوا الى تقويض عقيدة التوحيد التى جمعت شــــمل المسلمين وتذرعوا الى ذلك بنظريات التصوف الهنــــدى والمجوسية الفارسية والفلسفية الوثنيـــة اليونانية ، وكانت مقدمات ذلك ، السخرية بالشريعة الاسلاميـــة والترخص فى الحدود واباحة المحرمات وقد جرى (الحلاج) فى ذلك شوطا طويلا فادعى الالوهية واتهم بمعارضـــة القرآن وانه يحيى الموتى وان الجن يخدمونه وانه يعمـــل من الخوارق ما يشبه المعجزات ، وانه كان يدعو الى نوع آخر من الحج غير الطواف بالبيت الحرام فى مكة ، وله مع أصحابه كتابات بالشفرة لا يفهمها الا هو ومن أرسلها اليه ، وقد وصفته كتب التاريخ بانه رجــل مجوسى الاصل اشتغل بالمخاريق ، والحيل وادعى العلم بالاسرار ثم تناهى الى ادعاء النبوة ثم الربوبية واستغوى غلمان قصر الخليفة المقتدر بالله العباسى ، لينفذ بهم الى تحقيق غايته فأدى ذلك الى قتله ، وذكر امام الحرمين فى كتابه (الشامل) انه كان بين الحلاج وبين الجنابى رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة وان هذا هو السبب الحقيقى لقتل الحلاج .

وقد ظل الحلاج متمتعا بحريته الى اليوم الذى ثبت انه كان بينه وبين رئيس القرامطة اتفاق سرى على قلب الدولة عند ذلك تعرض للقتل بتهمة غير تهمة حرية الفكر التى يدعيها المستشرقون ، وقد خدعت الفلسفات الحلاج فى القول بفكرة وحدة الوجود ، وغفل عن ان الشريعـــة الاسلامية جاءت بمفهوم (التوحيد الخالص) المنزه الله تبارك وتعالى ، وان الله تبارك وتعالى مستقل عن هذا الكون وقد أوجده من العدم وهو جل شأنه يمسكه لحظة بعد لحظة الى أن يأذن تبارك وتعالى بانتهائه .

ان البحث العامى قد كشف الآن حقيقة لا مراء فيها هى ان هذه الدعاوى ظهرت فى ظل هذا المفهوم المضطرب الخاطىء الذى يقوم على تقسيم الشريعة الى ظاهر وباطن والذى يجعل بين الظاهر والباطن مسافات من التأويل وتزييف التصوف ، هذا التصوف الفلسفى الباطنى — البعيد عن التصوف المدرر على أصول الشريعة — الذى يقوم على وحدة الوجود وقد امتزجت فيه امشاج من فلسفات معقدة أجنبية غريبة عن بساطة الاسلام وفطرية تعاليمه هى فــــرع من فلسفات وتصورات الهنــــود والفرس والرواقيين من الاغريق ، يحوى كل فكر شارد واسطورة ضالة ، وشعوذة ماهرة ، وقد التقت كل هذه التيارات المضطربة ومن ورائها اهواء السياسة ومكايدها فى محاولة

للقضاء على نقاء الاسلام واصالته وفطرته وروحه المشرقية للدخول فى متاهات الضلال والجهل والخطيئة ، مما كان مصدرا اساسيا لدخول المسلمين فى مرحلة الضعف والتخلف .

ومن هنا نفهم بحق العلاقة الاكيدة بين اعادة نشر الكتابات القديمة وابتعاث تراث الحلاج وابن سبعين وغيرهما وبين مقاصد الاستعمار والنفوذ الغربى .

وقد عنى المستشرق الفرنسى (لويس ماسنيون) بأخبار الحلاج أربعين سنة كاملة يبحث عنها ويجمعها ويعيد طبعها ويضع سمومها بين ايدى المثقفين فى هذا العصر ، حريصا أشد الحرص على أن ينفى الصلة بينه وبين القرامطة .

وقد واجه الدكتور محمود قاسم هذه القضية وكشف وجه الحق فيها .

قال : بدا (ماسنيون) شديد الحرص على نفى الصلة بين الحلاج والقرامطة وظل يؤكد ان هذا المتصوف لم يكن داعية سياسيا بل انتهى به الحب الالهى الى التضحية بنفسه على مذبح الحب ، كذلك يؤكد لنا دون ملل ان الحلاج كان متصوفا سنيا اراد تعميق الروح الدينية فى بيئة جفت عاطفتها الروحية وتمسكت بقشور الدين دون لبه ، وقد ظن (ماسنيون) وبعض تلاميذه ان الحلاج الذى قال بحلول الله فيه ، يعد جسرا بين المسيحية والاسلام السنى ، ومع ذلك نلحظ هذا الحرص الشديد على نفى الصلة بينه وبينهم .

وقد اعترف ماسنيون فى موطن ما فى كتابه عن الحلاج بأن موقف هذا المتصوف من فريضة الحج ، كان سببا فى ادانته ومصرعه ، وانه جرد مكة من افضليتها وقداستها مما شجع القرامطة على مهاجمتها والفتك بالحجاج وهدم الكعبة ونزع الحجر الاسود منها ثم ارساله الى هجر حيث بقى هناك اثنين وعشرين سنة فلم يعد الى موضعه الا بعد أن استقرت الدولة الفاطمية وبعد ان ثبت الحكم الفارسى فى بغداد بدلا من الحكم العربى .

عاصر الحلاج حركتين شعوبيتين هامتين ، هما ثورة الزنج وثورة القرامطة وربما تكشفت لنا خيوط ترابط احدى هاتين الثورتين بالاخرى ، وذلك أمر يتفق وطبيعة الاحداث التاريخية والاجتماعية ، ويمكن القول بدءا بأن القرن الثالث الهجرى شهد عدة حركات سياسية ترمى الى تقويض الدولة العباسية والتمهيد لدولة علوية بعد أن فشلت جهود القرن الثانى فى نقل الخلافة من الامويين الى آل البيت .

وكان من الطبيعى ان تصطبغ هذه الحركات بصبغة دينية جلبا للانصار من الحانقين على الدولة العباسية ، وقد سارت الثورات السياسية جنبا الى جنب مع ظاهرة دينية اذ كان ادعاء النبوة او الربوبية أمرا مألوفا فى تلك الحقبة الغامضة من تاريخ الدولة العباسية .

اذن لم يكن الحسين بن منصور الحلاج أول من ادعى الالوهية ولا آخرهم فقد سبقه كثيرون كما تبعه آخرون ، فيما بعد وبعضهم كان من تلاميذه ، ونعنى به ابا عمر الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى .

وقد كان الحلاج من دعاة الاسماعيلية فى خراسان التى ظهرت فيها حركة صاحب الزنج الذى ادعى لنفسه النبوة وزعم أن الوحى ينزل اليه وزعم انه تظهر له آيات وتلك هى الكرامة التى ينسبها الحلاج الى نفسه أو نسبها اليه اصحابه فيما بعد .

وعندما نشبت ثورة القرامطة اتهم الحلاج بانه من كبار دعاتها والمروجين لها تحت ستار من التصوف وادعاء الالوهية الى جانب المناداة بابطال فرائض الاسلام من صلاة وصيام وحج وزكاة وتوحيد ايضا .

وقد حاول (ماسنيون) جاهدا ان ينفى عنه التهمة السياسية وان اقر بأن الحلاج نادى باسقاط التكاليف وبأن الولى عنده اعلى مرتبة من النبى ، وله أن يفسخ الشريعة وان يقرر عبارات جديدة ، وعلى الرغم من الفاصل الزمنى بين نهاية ثورة الزنج وبداية ثورة القرامطة فاننا نجد انفسنا فى الواقع امام ثورة متصلة أجيد تخطيطها والاعداد لها بصورة متقاربة .

ومن المؤكد انه كانت للقرامطة (ايديولوجية) دينية لا تتسق مع ما يعرفه المسلمون عن دينهم ، فقد ادعى القرمطى الاول انه داعية المسيح وانه عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو جبريل وينم هذا الخلط العجيب عن الطابع التلفيقى للماسونية والقرامطية والباطنية بصفة عامة ، ويخبرنا ابن الاثير ان قرمطا اتصل بصاحب ثورة الزنج قبل مقتله واخبره ان معه الف ضارب بالسيف ولكن لم يتفق الرجلان لبعض الفروق المذهبية ، وعلى الرغم من هذه الفروق المذهبية فقد اتفقت اساليب الطائفتين الى

حد كبير من سبى النساء والجوارى وقتل الاسرى والسلب والنهب وكان أسلوب القرامطة امتدادا لاسلوب صاحب الزنج .

ويبدو ان الحلاج الذى كان يجوب خراسان منذ ٢٨٥ هجرية لفترة امتدت نحو خمس سنوات كان شديد اللهفة على ظهور المهدى المنتظر يقسم بسنة (٢٩٠ هجرية) وهى السنة التى كان يقسم بها بعض دعاة القرامطة فى خراسان ايضا ، وهذه السنة هى التى بلغت فيها ثورة القرامطة أوجها من العنف وقبض على الحلاج ٣٠١ هـ .

ويقول ابن الاثير : انه كان مشعبذا فى قول بعضهم ومعه صاحب له فقيل انه يدعى الربوبية وفيما بعد قال الامام الجوينى امام الحرمين : ان الحلاج كان من دعاة القرامطة وانه اتفق مع الجبائى وابن المقفع على افساد عقائد الناس وتفرقوا فى البلاد فطاف الجبائى فى هجر والبحرين وابن المقفع ببلاد الترك ودخل الحلاج العراق وان كان الحلاج لم يجتمع فى عصرهم ، غير انه لم يكن لمقتل ابىسعيد الجبائى واربعة من كبار رؤساء القرامطة على يد أحد خدمه من الصقالبة سنة ٣٠١ تاثير كبير فى حركة القرامطة التى مدت سلطانها على هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين واخذ القرامطة يقطعون الطريق على الحجاج بعد خروجهم من مكة والذى يعنينا هنا أن نفسر عنف القرامطة فى محاربة الحجاج والفتك بهم ، وسنرى كيف اضطر (ماسنيون) رغم محاولاته العديدة انكار الصلة بين الحلاج والقرامطة ان يعترف بأن (الحلاج) كان يريد ابطال فريضة الحج ويبدو ان محاولة تدنيس الكعبة كانت هدفا أساسيا من أهداف الدعوة الفاطمية ، ان ظاهرتى ابطال فريضة الحج وظاهرة ادعاء الألوهية هما الظاهرتان الغالبتان ، وقد جمع الحلاج بين هذين الامرين معا ، فانه يصرح بأنه يدين بمذهب الحلول ، وهو عندما يجمع بين الامرين لا يفعل سوى أن يسير فى الاتجاه العام لكل من حركة القرامطة والدعوة الفاطمية ، وانه استعان فى سيرته هذه بالسحر والتصوف فى الوقت نفسه ا.هـ .

ويتحدث الدكتور بديع شريف عن الحلاج فيقول :

كتب عنه (ماسنيون) كتابا كبيرا ، عالج فيه ناحية التصوف فقط ولم يتعرض للناحية السياسية كأن الحلاج لم تكن له صلة بالقرامطة وكان الحلاج لم يكن له شأن فى أمور السياسة وقد عده (المعرى) فى (رسالة الغفران) من الزنادقة ، وقال عنه انه مشعوذ ، وقال ابن النديم : انه سياسى يروم قلب الدول ، وقال البيرونى عنه انه كان مشعبذا ومازجا نفسه بكل انسان على حسب اعتقاده ومذهبه ، ثم ادعى حلول روح القدس فيه وتسمى بالاله وصارت له الى اصحابه رقاع معنونة بهذه العبارات (من الهوهو الازلى الاول ، النور الساطع ، والاصل الاصلى ، وحجة الحجج ، ورب الارباب ومنشىء السحاب ، ومشكاة النور ، ورب الطور ، المتصور فى كل صورة الى عبده فلان) .

وكان اصحابه يفتتحون كتبهم اليه بعبارة :

(سبحانك يا ذات الذات الخ) .

وقد فتن الناس به وارتبكت أمور الدولة فقبض عليه وحوكم علانية امام جمع غفير وسئل فقهاء الشرع فى أمره فأفتوا بالاجماع بقتله وكان يمكن المقتدر أن يتركه حرا يعبث بالصوفية ويثرثر بهذه الالفاظ التى لا تنفثها عادة الا أفواه المعتوهين والمأفونين ، لولا انه اكتشف سرا خطيرا وبان له أن (الجبة) التى قال عنها الحلاج كلمته المشهورة (ما فى الجبة الا الله) كانت ستارا يغطى اتفاقا سريا بين الحلاج ورئيس القرامطة لقلب الدولة وتقويض أركان الاسلام وقضى المنصور على ابن المقفع وقتل المهدى بشار بن برد وفتك الرشيد بالبرامكة بعد ما كشف سر ما يبطنون له وقضى المعتصم على الافشين وافتى علماء المقتدر بقتل الحلاج .

***

واليوم يجدد الشعوبيون ودعاة التغريب : الحلاج وفكره وسمومه فنجد (صلاح عبد الصبور) يكتب عنه مسرحية تمثل فى البلاد العربية لتجدد هذه الافكار المسمومة ويحتفى بها التغريبيون وترى فيها الحلاج مصلوبا على المسرح لاحياء مفهوم يرفضه الاسلام عن السيد المسيح عليه السلام .

كذلك فاننا نجد عبد الوهاب البياتى يقدم ديوانا شعريا كاملا عن الحلاج ويكتب عنه الزهاوى ، وخليل مردم وغيرهم كما نجد فى القريب رسالة ماجستير عن الحلاج تقول ان الذى عرف الادباء العرب بالحلاج هم المستشرقون وتكشف الرسالة عن تاثير الحلاج فى (الشعر الحر) الذى فشت فاشيته فى العقدين الأخيرين وهو مرتبط بالمخطط التغريبى اساسا ، أما دعوى ان الحلاج كان مصلحا اجتماعيا وانه كان يقاوم الظلم والفساد فهذه دعوى باطلة وزائفة ، وهو لو كان كذلك

دون أن يتآمر على الدولة والعقيدة لما مسه أذى ، ولكنه كان خائنا بشهادة الوثائق التى ضبطت عنـــده ، أما المناصرون له فانهم يهدفون الى تدمير مفهوم الاســلام الاصيل : مفهوم أهل السنة والجماعة بتقديم مفهومــه الباطل الزائف من وحدة الوجود والحلول ، وقد استعملوه ليزيفوا مفاهيم الشباب المسلم ويحجبوا عنه المفــاهيم الاصيلة .

* * *

ومن ناحية اخرى نرى اهتماما وافرا بالقرامطة حيث قدم عنهم المستشرقون دراسات متعددة وتبعهم التغريبيون والماركسيون فى مختلف الاقطار العربية وذلك كله يجرى حسبما قرره مؤتمر بليتمور عام ١٩٦٠ باحياء الفكر الباطنى القديم واثارة الافكار الوثنية والمجوسية والتغريبية المبثوثة فى هذا الفكر مرة أخرى لتحجب الفكر الاسلامى الاصيل المستمد من مفهوم أهل السنة والجماعة وقديما قال طه حسين ان حركة القرامطة هى حركة العدل الاجتماعى فخدع الناس ثمة ولكن الحقائق ما لبثت أن تكشفت وبار تجار التغريب .

* * *

اتهامات خمسة موجهة إلى الحلاج

ادعاء النبوة والالوهية وابطال فريضة الحج والمؤامرة مع القرامطة والاتيان بمثل القرآن .

ان المراجعة الواسعة لحياة (الحسين بن منصور الحلاج) تكشف عن انه تورط فى مواقف خمسة خطيرة أخرجته عن دائرة الاسلام السنى الاصيلة ووضعته موضع الاتهام بالانحراف فى مفاهيمه فضلا عن أنه لم يقف عند هذا الحد فقط وانتقل الى مرحلة أشد خطورة وهو التعامل مع القرامطة اعداء الاسلام والراغبين فى هدم الدولة الاسلامية وقد عرفت له عبارات محدودة كانت ترمى الى الايحاء بالموعد الذى حددته الحركة القرامطية للانتقاض ، ويمكن ان تتمثل هذه المواقف فى العناصر الآتية :

أولا — ادعاء النبوة ثم ادعاء الالوهية .

ثانيا — ايمانه بمذهب الحلول وخروجه عن عقيدة أهل السنة والجماعة .

ثالثا — ادعائه بأنه يستطيع أن يأتى بمثل هذا القرآن من عنده .

رابعا — دعوته الى ابطال فريضة الحج .

خامسا — ما ثبت من دلائل تؤكد انه كان من دعاة الباطنية والعاملين على زلزلة الدولة الاسلامية مع القرامطة اعداء الاسلام .

هذه المواقف الخمسة تؤكدها نصوص صحيحة واضحة فى كتابات المفكرين المسلمين وفى كتابات بعض المستشرقين وهى تسقط كل محاولة للدفاع عنه أو تبرئه من الانحراف الذى وقع فيه .

وتبدأ نقطة الانحراف فى حياة (الحسين بن منصور الحلاج) حين انفصل عن طائفة الصوفية أهل السنة اتباع الامام الجنيد بعد أن سار على هذا الدرب حينا من الزمان

ويقال انه انحرف حين ادعى انه لم يحتمل جمود التصوف السنى وبطئه وانه كان يشعر بانفعالات داخله ويستمع الى أحاديث باطنية وانه سأل شيخه الجنيد عن قيمة الالهام الباطنى فلم يجد عنده الجواب على هذا السؤال هنالك قذف بنفسه فى تيار الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة وذائعة فى ذلك الوقت ونبذ منطق الاشاعرة واعتنق منطق ارسطو وارتبط بمقولات الرازى الطبيب الذى كان يقول بمفاهيم الأفلوطينية الحديثة وابى سعيد الجبائى ، ومن ثم بدأ دورا جديدا قوامه دعوى الاتحاد بالله تبارك وتعالى عما يقولون) ومعرفة الاسرار والكشف عن الخواطر التى فى القلوب وظهرت له خوارق صاعقة كان يدبرها ويعدها لتظهر زعامته وبطولته وليتحدث عنه البسطاء ، هذه الخوارق العامة التى وصفها الدكتور محمد غلاب فى كتابه (النسك الاسلامى) بأنها كانت قاصرة على الرسل عليهم الصلاة والسلام وفى هذه المرحلة ظهرت عباراته المنحرفة كقوله : (انا الحق) و (ما فى الجبة الا الله) وما اسماه (الحب الالهى) الذى يوحد بين الله والانسان وهو ما عرف عنه عندما اكتشف كتابه الذى استهله بقوله (من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان) والذى قال عندما سئل عنه : أن هذا هو عين الجمع عندنا ، هل الكاتب الا الله تعالى واليد فيه آله .

ومن ذلك ما عرف عنه من شعر كثير ، نورد منه قوله :

سبحان من اظهر ناسوته
سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا
فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظة الحاجب بالحاجب

وهو شعر يكشف عن فساد معتقده فى ذات الله تبارك وتعالى حيث يرى أن هذا الكون هو الله ، وهو مفهوم خاطىء ومنحرف ومن ركام الفلسفات القديمة التى جاء الاسلام ليكشف زيفها وقد كان فى مختلف كتاباته

وشعره يلتمس مفاهيم الفلسفة اليونانية وفلسفات الغنوص والمفاهيم المجوسية والفكر الباطنى الوثنى .

هذه هى النقطة الاساسية وحجر الزاوية فى انحراف الحلاج ، وقد كان علينا أن نقدم النصوص المختلفة الدالة على هذا الانحراف الذى بدا أشبه بالشطحات ثم اتسع نطاقه وتطور الى دعوة الى النبوة ثم الى الالوهية .

ونختار لكشف هذه الحقائق عدة مصادر حديثة وقديمة وغربية .

أولا : فالدكتور زكى مبارك فى كتابه (التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق جـ ١) يشير الى ان الحلاج ابتكر فكرة (الحقيقة المحمدية) على نمط (الحقيقة العيسوية) مما يؤكد أن فكرته كلها مستمدة من الفلسفة المسيحية التى خرجت عن مفهوم رسالة سيدنا عيسى والتى تصور السيد المسيح بانه ابن الالهوتعتقد بما كشف زيفه الاسلام وهو التثليث والصلب والخطيئة .

وقال زكى مبارك ان فكرة الحقيقة المحمدية التى يقول بها غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية . وان الحلاج كما كان فى جوهر سره شنيعا فانه يعتقد فى الحقيقة العلوية فى مكان الحقيقة المحمدية فقد وجد فى بعض رسائله الى أحد مريديه صورة فيها اسم الله مكتوب على تعويج وفى داخل ذلك التعويج مكتوب (على عليه السلام) .

وهذا ما اورده الخطيب البغدادى فى كتابه (تاريخ بغداد) الجزء الثامن ، الذى أورد قصة كتاب المخلاة (من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان) فى الجزء الثامن ايضا ص ١٢٧ .

وقد أشار زكى مبارك الى ان الحلاج نسب اليه ادعاء الربوبية .

(١) واشارت بعض المصادر الى أنه كان مجوسيا من اهل بلدة البيضاء بفارس .

قال : وقد نفى هذه التهمة عن نفسه ولكننا لا نستبعدها عليه لانها تألقت مع مذهبه كلّ الائتلاف وكذلك نسب اليه انه ادعى النبوة وليس ذلك بغريب .

ويشير زكى مبارك الى أن اتباع الحلاج يقولون انه لم يصلب على نمط قول القرآن الكريم من أن المسيح لم يصلب وانما شبه لمن صلبوه .

وهذا من الاساطير التى تلفق للحلاج باسم المسيح .

واشار زكى مبارك الى ان الحلاج كان يؤمن بنظرية وحدة الوجود أو نظرية الحلول وكان يقول بالوحدة بين المحب والمحبوب .

ويرى ان الحلاج اخطأ خطأ لا يقبل الغفران حين مضى يصرح بأنه صار عين المحبوب وما تجمع عليه المصادر أن الحلاج كان يؤمن بالحلول وان مذهب وحدة الوجود الذى دعا اليه (ابن عربى) كان ثمرة من ثمار مذهب الحلول .

المصدر الثانى : وقد عرض الامام ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس ابليس) لقضية الحلاج واورد نصوصا كثيرة باسناد كامل :

اولا — أورد عن مصادر أوردها ان عمرو المكى قال: كنت اماشى الحسين بن منصور فى بعض ازقة مكة وكنت اقرأ القرآن فسمع قراءتى وقال : يمكننى ان اقول مثل هذا ففارقته .

وفى رواية أخرى : يمكننى أن اقول او اؤلف مثله وأتكلم به .

ثانيا : أورد قول أبى بكر بن ممشار : قال حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة كان لا يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه (من الرحمن الرحيم الى فلان بن فلان) فوجه الى بغداد فاحضر وعرض عليه ذلكفقال : هذا خطى وأنا كتبته قالوا : كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية فقال : ما ادعى الربوبية ولكن هذا (عين الجمع) عندنا هل الكاتب الا الله تعالى واليد فيه آله .

ويروى عنه ان ابنته قالت لابنة السامرى حين دخل عليهما : اسجدى له فقالت : او يسجد احد لغير الله تعالى فقال الحلاج : نعم : اله فى السماء واله فى الارض.

(المصدر الثالث) هنرى لاوست فى كتابه (نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية)

ترجمة (محمد عبد العظيم على) .

قال الحلول عند الحلاج ووحدة الوجود عند ابن عربى .

لم يكن الحلاج أول من نادى بفكرة الحلول وانما سبقه اليها السبئية (اتباع عبد الله بن سبأ) التى قالت أن عليا صار الها بحلول روح الاله فيه .

وقال : ويتضح مذهب الحلاج اذا رجعنا الى كاتب (الطواسين) من تأليفه حيث يذكر فيه بالنص افكار الحلول التى يلبسها أثوابا من الرموز هو يفصح عن نواياه فى نص يقول :

(الحقيقة خليقة ، دع الحقيقة لتكون انه هو أو هو أنت من حيث الحقيقة) .

ثم خطا خطوة أبعد من ذلك وكانت من اسباب حتفه اذ هدم احد أركان الاسلام اى الحج فزعم ان من بنى بيتا وصام أياما ثم طاف حوله عريانا أغناه عن الحج .

ثم انه كان من دعاة الباطنية القرامطة كما تشير الى ذلك المراجع التاريخية فضلا عن محاولته تقليد القرآن وتصريحه امكان الاتيان بمثله كما نقل عن المكى أحد المعاصرين له .

المصدر الرابع : كتاب التصوف الاسلامى للاستاذ أحمد توفيق عياد .

قال : انه من أشهر افراد (الحلول والاتحاد) وهم صورة غامضة ومنهم خرجت مذاهب وحدة الوجود ومن العسير ان تفهمه جيدا فاراؤه غامضة مظلمة لا تلقى قبسا من النور على اغراضه ومراميه الحقيقية وبالرغم مما نسب اليه من قوله (انا الحق) اى انه هو الله فقد ظهر له فى نفوس كثير من المسلمين مكانةعالية يضربونه عليها : منزلة الأولياء والشهداء وقد جمع له الغزالى عدة أقوال يثبت بها خروجه عن عقيدة السلف واهل السنة .

ويقول : لقد احاط نفسه بجو من الغموض والخفاء مملوء بكثير من الكرامات والأعمال الخارقة للعادة مما يجعل له نفوذا قويا على نفوس اتباعه الكثيرين فى بغداد الى حد تأليهه عند المغالين منهم ، واعتقادهم بمقدرتهعلى احياء الموتى وكشف الغيب والظهور فى اكثر من مكان فى وقت واحد وقد تكون له غايات سياسية كفارسى يريد ان يروح لعصبيته وقد تكون له صلة قوية باحدى الجمعيات الشيعية التى كانت تعمل فى السر والخفاء .

قال عنه ابنخلكان : ان تاريخ الحلاج حافل ومصيره معلوم والله اعلم بالسراء .

وهذا يؤكد ما اثبتناه بالنسبة لحياة الحلاج وعقيدته وقضية اتصاله بالقرامطة . أما بالنسبة للنقطة الأخرى وهى اتصاله بالقرامطة فقد اشار اليها هنرى لاوست فيما أوردناه آنفا وما أشار اليه الاستاذ احمد توفيق عياد ولقد فصل القول فى هذا باحث اسلامى معاصر هو الدكتور محمود قاسم (الهلال يناير ١٩٧١) ومجلة الاصالة الجزائرية — ابريل ١٩٧٣، الذى اعتمد فى اثباته العلاقة بين الحلاج والقرامطة على نصوص استقاها من ثلاث كتب تاريخية هى :

الكامل لابن الاثير ، ومروج الذهب والبداية والنهاية وقد استطاع كشف محاولة لويس ماسينون فى تبرئة الحلاج من هذه الصلة السياسية التى كانت هى العامل الاساسى فى اعدامه .

وقد توصل الى القول بان (الحلاج المتصوف المشهور كان من اكبر الدعاة لتحطيم الدولة العباسية اذ كان على صلة بالقرامطة وقد روى عنه انه اقسم فى احد احاديثه القدسية التى كان يزعمها لنفسه بعام ٢٩٢ هجرية وهى السنة التى شهدت مولد الثورة الكبرى للقرامطة .

وقد كشفت هذه الواقعة الصلة بين طائفة القرامطة وبين الحلاج الذى كان معاصرا لها وان الحلاج ادين وقتل بتهمة صرف الناس عن الحج وكان يستعيض عن الحج بكعبة مصغرة فى بيته يطوف بها اتباعه طوافا يغنيهم عن الذهاب الى مكة وكان يطلب اليهم ان يقدموا بدل الهدى شيئا من المال الذى كان يصرفه على عدد من الأطفال اليتامى ليكونوا من اتباع مذاهبه .

وقد ظن ماسنيون الذى أمضى اربعين عاما يجمع تراث الحلاج أن الحلاج يمكن ان يكون جسرا بين المسيحية والاسلام السنى وهذا سر اهتمامه به والدفاع عنه ودعوته الى أن الحلاج لم يكن داعية سياسيا بل انتهى به الحب الالهى الى التضحية بنفسه على مذبح هذا الحب ولكن محاولة ماسنيون قد باءت بالفشل وباءت محاولة تجديد الحلاج مرة أخرى على يد (صلاح عبد الصبور) بالفشل ايضا وقد اعترف ماسنيون على

أن موقف الحلاج من فريضة الحج كان سببا فى ادانته ومصرعه وانه جرد مكة من افضليتها وقداستها مما شجع القرامطة على مهاجمتها والفتك بالحجاج وهدم الكعبة ونزع الحجر الأسود منها وارساله الى (هجر) حيث بقى هناك نحوا من اثنين وعشرين سنة .

وكشف الدكتور محمود قاسم بالنصوص التى أخرجها من المصادر التاريخية الثلاث : أن الحلاج كان من دعاة القرامطة والمصرحين لها تحت ستار من التصوف وادعاء الالوهية الى جانب المناداة بابطال فرائض الاسلام من صلاة وصيام وحج وزكاة وتوحيد ايضا وان الحلاج كان يجوب خراسان من سنة ٢٩٥ لفترة امتدت نحوا من خمس سنوات وكان شديد اللهفة على ظهور المهدى المنتظر فاخذ يقسم بسنة ٢٩٠ هجرية وهى السنة التى كان يقسم بها بعض دعاة القرامطة فى خراسان ايضا وهى السنة التى بلغت فيها ثورة القرامطة أوجها من العنف فقد حاصر القرامطة فيها دمشق وضيقوا على اهلها وأشرف كثير منهم على الهلاك وقد صبر على الحلاج لسنة ٣٠١ هـ (الكامل لابن الأثير جـ ٧ صفحات ١٩٥ وما بعدها) وفيما بعد قال الامام الجوينى امام الحرمين ان الحلاج كان من دعاة القرامطة وانه اتفق هو والجبائى وابن المقفع على افساد عقائد الناس وتفرقوا فى البلاد فكان الجبائى فى هجر البحرين وابن المقفع ببلاد الترك ودخل الحلاج العراق ، غير (ان ابن خلكان) الذى نقل كلام الجوينى لاحظ ان ابن المقفع كان قبل ذلك بزمن طويل لذلك نجد أن (ابن كثير) صاحب البداية والنهاية يصحح كلام امام الحرمين (جـ ١١) فيقول ان الثلاثة الذين اجتمعوا فى عصر واحد على اضلال الناس وافساد عقائدهم هم الحلاج وابن والسمعانى والجبائى (قرامطة) .

ولقد كانت ظاهرة ابطال فريضة الحج وظاهرة الالوهية هما الظاهرتان الغالبتان على المجال الدينى طيلة القرنين ٤ و ٥ الهجريين وقد جمع الحلاج بين هذين الأمرين ، وقد كان فصله بسبب الأمرين معا فانه يصرح بأنه يدين بمذهب الحلول ويعترف بأنه يريد صرف الناس عن الحج وهو الذى يقول :

على دين الصليب يكون موتى ولا البطحا اريد ولا المدينة واذا كان ماسنيون حاول أن ينفى عنه التهمة السياسية فانه أقر بان الحلاج نادى باسقاط التكاليف وبان الولى أعلى مرتبة من النبى وله ان ينسخ الشريعة وأن يقرر عبادات جديدة ا هـ .

وبعد فان المراجعة الجامعة للحلاج وابن عربى تصل بنا الى مجموعة من الحقائق :

أولا : ان هذان الرجلان لم يخرجا من عباءة الاسلام وكل ما دعوا اليه منقول من الفكر اليونانى وكل فكر لا يتفق مع مفهوم أهل السنة والجماعة فهو مردود مهما علا سمعه أو ظهرت شهرته .

ثانيا : ان هذا الفكر قد وأده علماء المسلمين فى مهده وردوا عليه ودحضوا أكاذيبه وكشفوا زيفه ولم يقم له قائمة حتى جدده المستشرقون فى العصر الحديث لافساد عقائد شبابنا المسلم .

ثالثا : ان مفاهيم الباطنية التى حاولت ان تنفذ الى الفكر الاسلامى تحت أسماء التصوف الفلسفى أو الفلسفة أو الاعتزال أو غيرها هى مفاهيم زائفة لا يقرها الاسلام ولا يقبل بها .

رابعا : ان عملية الخلط التى يقوم بها هؤلاء الدعاة الأدعياء هى التى تخدع بعض البسطاء من شبابنا حين يتمسكون بكلمات براقة يخدعون بها ولا يعرفون أنها من مكر الماكرين لتكون مدخلا الى خداعهم

خامسا : ان الفكر الاسلامى لا يقبل الا اله للأمور كلها) وانه خالق هذا الكون ومنفصل عنه هكذا يؤمنون بالله تبارك وتعالى : (خالقنا ورازقنا ومصرفنا الكون حيث لا حلول ولا اتحاد به أو أحد من خلقه) اما هذه المفاهيم المأخوذة من الفكر اليونانى (علم الأصنام) أو الفكر الغنوصى فهى مرفوضة تماما .

سادسا : ان اخواننا الذين كتبوا بحسن نية أو كانوا أسارى بعض مفاهيم الصوفية وخاصة بالنسبة لابن عربى يجب أن يكون رائدهم مفهوم الاسلام الجامع على طريقة أهل السنة والجماعة والا تخدعهم كتابات الذين حاولوا وضع الحلاج وابن عربى وابن سبعين وغيره فى صف البطولة الفكرية الاسلامية .

الباب الثامن

عطـــــــاء الإســـــــلام

الفصل الأول

رسالة الشافعي هي مصدر ارجانون فرانسيس بيكون الذي هو دعامة المنهج العلمي المعاصر

هنـــاك دعائم أساسية لا يمكن تجاهلها عندما تتناول الدراسة الدور الذي قام به الاســـلام في سبيل انتقـــال البشرية الانسانية الى عالم الرشـــد الفكري والأصالة والقضاء على طفولة البشرية فان القضيـــة الـــكبرى هي :

أولا : انكار فضل الاسلام على الحضارة .

ثانيا : تحريف المنهج الرباني للمجتمعات والحضارة واعادة فرضه على المسلمين لينصهروا فيه فيفقدون ذاتيتهم الخاصة وتميزهم المفرد ، فاذا تحقق ذلك ذابوا في الأممية وانتهى دورهم الحقيقي الذي وكل اليهم والتزموا به في عهـــد الله بحمل الأمانة التي عجزت عن حملهـــا السموات والأرض وحملها الانسان .

الدعائم الأساسية هي الأعمال التي قدمتها حركة اليقظة الاسلامية لكشف « مؤامرة الصمت » عن دور المسلمين وتحريف وجهة الحضارة : وفي مقدمتها :

أولا : ما كتبه الشيخ مصطفى عبد الرازق عن ان المنهج العلمي الاسلامي يبدأ بالامام الشافعي ورسالته (علم أصول الفقه) .

اما كل مايتصل بالفلسفة اليونانية (ارسطو وافلاطون) ولسفة المشائين والعقول العشرة ونظرية الفيض وكل هذا الفكر الاغريقي الذي هو علم الأصنام فقد رفضه الاسلام منذ اليوم الأول وحاربه ، واعاد تصحيح مفاهيم الفكر البشري قبل الاسلام وأعلن اخطاء بطليموس وغيره وأقام المنهج العلمي التجريبي لأول مرة علي ظهر هـــذا الكوكب وأعلن منهج المعرفة الإسلامية ذي الجناحـــين ومنهج سنن الحضارات والأمم وكل هذا جاء به القرآن الكريم اساسا ومنه انبعث اصلا (كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ١٩٤٧) .

ثانيا : ما كشفه الدكتور محمد عبد الله دراز باعلان علم الأخلاق الاســـلامي مستمدا من القـــرآن ، وهو ما يختلف عما كتب ابن مسكويه وغيره من نظـــريات في الأخـــلاق اخذوها من الفكر اليـــوناني واهمها نظرية الوسطية الأخلاقية .

أما الدكتور دراز فقـــد كشف في اطروحتـــه التي كتبها بالفرنسية وقـــدمها في أعلى منبر علمي في فرنسا وهـــو السربون ـــ كشف عن زيف مختلف النظـــريات العلمانية التي قـــدمها أوجست كونت وفرويد وسارتر وعشرات من فلاسفة المادية وأعلن حقيقة مفهوم الالتزام الأخلاقي الاسلامي .

(كتاب دستور الأخلاق في القرآن للدكتور محمـــد عبد الله دراز ـــ ١٩٧٣) .

ثالثا : ما كشفه عدد من رجال القانون المسلمين عن عظمة الشريعة الاسلامية وعطـــاء الفقه الاسلامي

الوافر فى عشرات من المواضع والقضايا التى تحولت فى الغرب الى قوانين ومنها ما كتبه (عمر لطفى) فى دراسته عن حرمة المنازل والتى استمدها من القرآن الكريم . وكان الفرنسيون قد استمدوا من التشريع الاسلامى قانون حرمة المساكن من قبل ثم رجعوا الى الاعتراف بفضل الاسلام ، وكذلك (نظرية التعسف فى استعمال الحقوق التى غرضها القوانين الحديثة والتى كشف الدكتور محمد فتحى فى أطروحته فى فرنسا انها مستمدة من الامام الشاطبى .

هذا فضلا عما اعترف به رجال القانون العالميين من مكانة الشريعة الاسلامية فى عدد من المؤتمرات منها مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى ١٩٣٧ والقانون المقارن فى لندن ١٩٥٠ و دورة باريس ١٩٥١ والتى اعلنت ان المبادىء الاسلامية قد سمحت للحقوق بأن تستجيب للرغبات التى تتطلبها الحياة الحديثة وأن المناقشات أوضحت بجلاء ما لمبادىء القانون الاسلامى من قيمه لا تقبل الجدل وأنها تضم أشرف النظريات القانونية والفن البديع وكل هذا يمكنها من تلبية جميع حاجات الحياة العصرية وانها شريعة مستقلة بنفسها ليست مأخوذة من غيرها وانها قائمة بذاتها وانها شريعة حية صالحة لتطور المجتمعات والبيئات . وأشارت الأبحاث كيف اعلن الاسلام حقوق الانسان قبل الثورة الفرنسية .

رابعا : ما كشفه المفكرون الغربيون المنصفون من اعتراف بالعطاء الذى قدمه علماء المسلمين فى الفلك والجرافيا والطب والكيمياء وكيف قدم المسلمون المصطلح الشريف (البروتوكول) والترقيم واسماء النجوم العربية والكسور العشرية ورائدها الكاشى .

وليس ستيفن وابن حمزة المغربى رائد اللوغاريتمات وكيف ان الجغرافيا علم عربى أصيل وكيف سبق ابن خلدون فلاسفة الغرب فى انشاء علم التاريخ وعلم الاجتماع وكيف اقتحم المسلمون المحيط قبل ان يقتحمه كولومبس وكيف عرف المسلمون امريكا قبل ان يعرفها الغرب وكيف كان الشريف الادريسى عمدة الجغرافيا المسلمين وكيف كان أبو القاسم الزهراوى يجرى عمليات جراحه المخ ويستعمل المرقد (البنج) وكيف عرف المسلمون كتابات المكفوفين (طريقة بريل) وكيف كتب المسلمون فى الاحكام السلطانية وهى السياسة الشرعية (الماوردى وابن يعلى الفراء الحنبلى) وكيف قدم المسلمون مفهوم العمارة الاسلامية وكيف عرف المسلمون نظرية الدورة الدموية (ابن النفيس) وكيف قاد أحمد بن ماجد السفن ووضع قواعد الملاحة البحرية العالمية وقد كتب فى هذا قدرى حافظ طوقان وعبد الحليم منتصر وعشرات كثيرون .

كل هذا نقدمه بين يدى بحثنا اليوم الذى قدمه للفكر الاسلامى المستشار عبد الحليم الجندى تحت عنوان (القرآن والمنهج العلمى المعاصر) وهو عنوان متواضع لعمل ضخم بارع ، على طريق تصحيح المفاهيم وكشف الدور الحقيقى للحضارة الاسلامية وقد جاء هذا العمل بعد رحلة طويلة قام بها العلامة عبد الحليم الجندى خلال أكثر من خمسين سنة فى دراساته المطولة التى كشفت عن ذخائر الفقه الاسلامى بدراساته الواسعة والمتعمقة عن الأئمة : أبو حنيفة والشافعى ومالك واحمد بن حنبل وجعفر الصادق ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد عبده وهو العمل الضخم الذى توفر له هذا الباحث الكريم وأوغل فيه وكأنما كان الله سبحانه وتعالى يعده من بعد ذلك لعملين كبيرين :

اما احدهما فهو تقنين الشريع الاسلامية فقد خطا فيها الخطوات الأولى تحت عنوان متواضع ايضا هو « تجلية الشريعة الاسلامية » حيث أمضى هو ومعه عدد من الرجال أكثر من عشرين عاما فى اعداد القانون المدنى الاسلامى ، وفى هذا المجال كتب أبحاثه :

- نحو تقنين جديد للمعاملات والعقوبات فى الفقه الاسلامى .
- الشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية .
- نحو قانون للمعاملات فى الفقه الاسلامى (التى فى مهرجان العالم الاسلامى فى لندن ١٩٧٦) .
- نحو مشروع الدستور الاسلامى .

وهذا فى مجموعه عمل ضخم لم يوضع بعد فى ميزان التقييم الصحيح ولكنه عندما يكتب التاريخ (العودة الى الشريعة الاسلامية) سيكون من العلامات الكبرى والمنارات الحقيقة فى هذا المجال .

وكان طبيعيا ان ينتقل هذا الباحث العلامة الى هذا العمل الجديد الذى بين ايدينا وهو على حد تعبيراته « تجلية » هذه القضية الكبرى التى تعددت فيها الآراء والوصول فيها الى نتيجة حاسمة **فقد كشف عن المصادر الاسلامية التى قام عليها ارجانون فرنسيس بيكون ورد عناصر المنهج العلمى الغربى الى أصوله الاسلامية نقطة نقطة .**

ونحن العاملون فى حقل دراسة التغريب والغزو

الفكرى منذ اكثر من اربعين عاما نشهد بالريادة الحقة لهذا الرجل فى تأصيل هذه القضية بعد ان تمكن من الحصول على هذه المجموعة التى كتبها فرنسيس بيكون تحت عنوان المنهج الجديد والتى كشفت بصراحة واضحة عن ان المنهج التجريبى الاسلامى هو الاساس الوحيد للمنهج العلمى التجريبى المعاصر على النحو الذى قام به فرنسيس بيكون وان لم يعترف بذلك صراحة شأنه شأن هذا الجيل الذى اعتمد على الاصول الاسلامية فى مهاجمة فكر ارسطو وحرب المنهج التأملى اليونانى والخروج من دائرة الرهبانية الخطيرة التى تجمد فيها الفكر الأوربى الف عام ومن هنا فقد حق على المستشار عبد الحليم الجندى وهو ابن هـذه المدرسة : مدرسة الاصالة التى قادها الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور محمد عبد الله دراز ان يكمل الحلقة على نحو بارع وباهر فى نفس الوقت فقد امضينا سنوات طويلة نستشهد بكتابات جوستاف لوبون ودراير وسجريد هونكه فى تأكيد دورنا فى بناء العـلم والحضـارة المعاصرة ، فى مواجهة (مؤامرة الصمت) الواسعة الضـخمة التى قادها الاستشراق ورجال التغريب حين اعلن بعضهم ان الاسلام لا يملك فـكرا سياسيا او اثرا قانونيا او منهجا فى المعرفة ، وقد تكشف على المدى الطويل فساد هذه الدعاوى الباطلة ولكن هذه الكتابات جميعا كانت تحتاج الى الكلمة الحاسمة التى جاءت اليوم حين كشفت كتابات فرنسيس بيكون انها تعتمد على المصادر الاسلامية وفى مقدمتها رسالة الشافعى ولعل هذا لا يعنى فقط تصحيح هذا الخطأ او الكشف عن هذه المؤامرة التى حاولت انكار دورنا الاسلامى ولكن الأهم من ذلك ان يعرف الذين يبيتون الآن الخطط المضللة للحضارة الاسلامية الجديدة وللمجتمعات الربانية : ان القرآن وحده وهو الذى كان المنطلق الحقيقى لهـذه الحضارة ــ قبل ان يتحرف بها دعاة عصر التنوير الماديين التلموديين ــ وانها كانت تنطلق من القرآن والسنة وانه لا يمكن ان تقوم نهضة للمسلمين اليوم الا بالعودة الى القرآن وهذه معطياته التى قام بها علماء الاسلام وقدموها للبشرية نورا يهديها الى الطريق حيث يفصل المستشار عبـد الحليم الجنـدى دقائق هذا المنهج فى مجـالاته المختلفة (١) فى اصول الفقه وكيف جرى العمل باصول الفقه فى جميع العلوم وكيف ان التجـربة اساسها الاستقراء والقياس هى مستمدة من القرآن الكريم كما كشف عن خصائص الفهم الاسلامى فى الفقه والمعاملات واشار الى منهج الاسلام فى القضاء ، والخصومات وولاية المرأة للقضاء :

تقدم كل هذا فى اسلوب رفيع سلس ، هذا الأسلوب الذى عرفناه منذ مطالع اليفاعة حين قـرأنا كتابه (ابو حنيفة بطل الحرية والتسامح) خلال الأربعينات فأعجبنا بهذا الاسلوب العربى النافذ البصير .

واذا كان الدكتور محمد عبد الله دراز قد قال الكلمة الفاصلة فى منهج الفلسفة المادية فى النفس والاخلاق فى رسالته (دستور الاخـلاق فى القرآن) فان المستشار عبد الحليم الجندى قد قال الكلمة الخاتمة فى قضية المنهج العلمى التجريبى المستمد من القرآن الكريم فأعطانا فى هذه المعركة المتصلة بين الاصالة والتغريب وبين الرشد الفكرى والغزو الفكرى سلاحا ضخما حاسما يرد كيـد الكائدين فى هذه الجهة ومن هنا فاننا ونحن نؤرخ لهـذه المعركة ونراقب خطواتها نحس اليوم باننا اصبحنا على الطريق الصحيح لأمتنا حيث سقطت الى آخر الدهـر اكذوبة تبعية الاسلام للفكر الغربى والحضارة المعاصرة واننا قد استطعنا بفضل الله وتوفيقه من فتح كوة الضوء الكاشف الذى يهدى امتنا الى الطريق الواحد والاصيل فى مواجهة المزايدات والمحاولات والماحكات التى تجرى على اقلام بعض دعاة التغريب من تحويل ولائنا عن اصالة فكرنا ومنابع عقيدتنا التى هى منطلقنا الاصيل والتى تؤكد لنا انه ليس هناك اليوم غير طريق واحد : هو طريق الاسلام الذى اهتدى اليه اعلام الغرب انفسهم ، لقد سقطت الى الابد (نظرية التبعية) كما سقطت والى الابد (نظرية التلفيق) فى الجمع بين التراث والمعاصرة على مفهوم المضللين ، وخطأهم فى فهم التراث وفهم التقدم فى ضوء الاسلام ولقد تبين اليوم ان اصدق الدعوات فى هذا المجال هى نظرية (البناء على الأساس) وهى أن يعرض المسلمون (القديم) على منهج الله كما يعرضون (الوافد) فان فى التراث القديم ما تلبس بدعوات الباطنية والزنادقة والملاحدة ، اما الوافد ففيه شر كثير ، واننا نحن المسلمين اليوم لا نعتنق مناهج الاخرين ولكنا نستفيد بتجاربهم ونأخذ التنظيمات ولا نأخذ النظم وكل ما نأخذه نحوله الى مادة خاما نشكلها وفق مفاهيم الاسلام ونصهرها فى دائرته حتى يظل مفهومنا للمجتمع الربانى والحضارة الانسانية قائما وليس لنا فى معطيات الغرب حاجة الى العلوم التجريبية والتكنولوجيا حرة مطلقة غير مقيـدة لنشكلها داخل دائرة الفكر الاسلامى واللغـة العربية ونخضعها لمفهوم التوحيد والعدل والرحمـة والاخاء البشرى ، وذلك لان لنا اسلوب عيشنا ومنهجنا الجامع بين عالمى الغيب والشهادة .

ولا ريب ان يهتز المراقب لحركة اليقظة ومواجهة الغزو الفكرى ، ويهتز للاضافة الضخمة والانجاز الكبير الذى قدمه كتاب (القرآن والمنهج العلمى المعاصر) الى الأصول السابقة والذى وضع كاتبه فى صفوف الدعاة

الكبار الى تصحيح المفاهيم وتحرير القيم وتأصيل اليقظة وترشيد الصحوة .

ولقد حفلت هذه الدراسة بمقررات جديرة بالاشارة اليهـــا :

● قدم الباحث ثبتا بأسماء ١١٤ مصطلحا علميا عربيا دخلت اللغات الأوربية باسمائها العربية .

● كشف وأيد الحقيقة التى يمارى فيها التغريبيون وهى استبعاد منطلق ارسطو فى مطالع النهضة العلميـــة الاسلامية ، ومواجهة المسلمين الواسعة والممتدة للفلسفة اليونانية (علم الاصنام) وبين دور الامام الغزالى والدور الضخم للامام ابن تيمية .

● أعلن ان كوبر نيق عام ١٥٤٣ وصل الى النظرية الإسلامية وهى ان الشمس مركز الكون وقد وصل اليها على أسس من نظريات عالم الطبيعة الحسن بن الهيثم والفلكيين المسلمين فى حـــين حرمت الكنيســـة نشر كتاب كوبر نيق سنة ١٦١٦ .

● كشف الباحث ان (التجربة) كانت علم المسلمين: عملوا بها منذ نزل القرآن والتجريب استقراء واستنباط قوامه ملاحظة الأشياء وترتيب نتائجه على الملاحظات في امتحان النتائج بتجريب حتى تستقر .

وقد اتسم الفكر الاسلامى كله بالتجريب يستوى فى ذلك ائمة الفقه أو الفكر . وائمة العلوم التطبيقية من رياضية او طبيعية والاستقراء ادراك حسى تهدى اليه الحواس والاستنباط هو الاعتبار العقلى بما يثبته الاستقراء وهو ما جرى فى العلم . وفى الفقه اطلق عليه اســم الاجتهاد وهو بحث العمل والاعتبار بالواقع ومن الاعتبار القياس او كما يقـــول الشافعى (والاجتهاد القياسى أو هما اسمان لمعنى واحد) ومضى هذا المنهج فى اللغة ايضا وهو عمل الخليل وسيبويه ومن ثم انفتح باب الاشتقاق وقواعد النحو والصرف وقد اخذت مدرسة القياس فى اللغة عن أصول الفقه دلالة الالفاظ على المعانى ، وامتد اثر أصول الفقه الى علم الكلام وأصول الدين .

● انه بالرغم من تجاهل فرنسيس بيكون لمصادره الاسلامية فى وضع الارجانون الجـــديد على انقاض ارجانون ارسطو فان جميع الذين درسوا منهجه اكدوا المصدر الاسلامى له وقد استعرض الباحث ذلك فى توسع وافاضة . وهذا يؤكد أن المنهج الاسلامى فى « التجربة» هو الذى قلب تفكير اوربا راسا على عقب واخرجها من ظلمات القرون الوسطى الف عام ومن الرهبانية ومن مفهوم ارسطو فى الثبات ومن مفهوم التأملات وقد اكد المستشار عبد الحليم الجندى بالادلة الدامغـــة ان (ارجانون بيكون) مستمد من رسالة الشافعى وانها قائمة على رفض المنطق اليونانى المبنى على الفروض لا على المدركات الحسية (الاستقرائية) وليس غريبا على بيكون اتصاله بالمنهج الاسلامى فان ديكارت هـو الآخر قد أخذ منه قاعدته الاساسية التى تبناها بيكون والتى هى دعامة الاصولية الاسلامية .

* * *

الفصل الثانى

تقييم جديد لكتابات الغربيين

للسيرة النبوية

وتحولات جديدة بعد مرحلة من الغلو والتعصب

مرت كتابة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى الغرب بمراحل مختلفة ، منها « مرحلة الغلو والتعصب» ثم مرحلة « الرأى المسبق القائم على الهوى » وانتهت اليوم الى مرحلة يمكن ان يقال انها تفسح الطريق لرؤية معتدلة ولكل مرحلة عواملها المرتبطة بها .

اما مرحلة الغلو والتعصب قد بدأت بعد هزيمة الغرب فى الحروب الصليبية التى شنها على العالم الاسلامى وعادت فلول القوى المنهزمة مبهورة بعدالة الاسلام وسماحته مما هز دوائر الكنيسة خشية سريان هذا الاعجاب فى جموع المسيحيين ، ولذلك فقد ووجه هؤلاء المنصفين بالاعتداء والقتل وتكميم الافواه . وبدأت تلك الجهلة الواسعة التى قادها التبشير والاستشراق على الاسلام ونبيه وكتابه القرآن فى تعصب عنيف وحقد بالغ وفى هذه المرحلة وجهت الى الرسول صلى الله عليه وسلم العديد من الشبهات التى ظلت ترددها القوى المختلفة وسجلتها دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والامريكية والتى لم يتم اصحابها بتصحيحها او تخفيف لهجتها بل لقد ذهبت مؤسسة اليونسكو فى موسوعتها التى اصدرتها فى السنوات الاخيرة الى ترديد هذه الشبهات .

ثم جاءت مرحلة (الرأى المسبق القائم على الهوى) نتيجة لتوسع الاستعمار فى العالم الاسلامى والسيطرة على مناهج المعاهد والمدارس والجامعات وقد وصلت قوى الاستشراق والتبشير فيها الى تجاوزات كثيرة خطيرة .

وفى هذه المرحلة استخدمت بعض العناصر العربية الاسلامية من التغربيين للعمل على مواصلة هذا الاتجاه وتبنى وسائل خطيرة تحت اسم تجديد التراث الاسلامى ودس هذه الشبهات حيث خضعت السيرة لمقاييس مضللة كالتفسير المادى للتاريخ والمذاهب المادية القائمة على انكار الوحى والنبوة والمعجزات على النحو الذى عرفناه فى كتابات بعض العصريين الذين اخرجوا السيرة من منطلقها الحقيقي وادخلوا اليها كثيرا من الأساطير .

ولقد تراوحت الدعاوى والشبهات فى هاتين المرحلتين بين الكذب والادعاء وبين التعصب والحقد ، من ذلك ما ذهب اليه بعض هؤلاء من ان النبى صلى الله عليه وسلم التقى بالراهب بحيرا وورقة بن نوفل وتبعهن من ساعدة كان له أثر فى تلقى التعاليم الدينية والادعاء بان النبى كانت له رحلات كثيرة الى الشام واليمن وفلسطين وآسيا الصغرى وفارس ، وما ذهب اليه المستشرقون من ايهام بان تعدد الزوجات يعطى النبى صلى الله عليه وسلم صورة مختلفة كانوا هم دائما طامعين فى محاولة وصف النبى صلى الله عليه وسلم بها ومنه ما ذهب اليه البعض من تصور للوحى بأنه مرض نفسى أو الهام داخلى ومنه ما ذهب اليه البعض من تصور النبى بصورة المصلح الاجتماعى العارف بحاجات قومه ، وما ذهب اليه بعضهم من ان العرب كانت ناهضة متعددة الظهور فلما جاء محمد نهض بها فنهضت ومنها ما ذهب اليه البعض من وصف النبى بالزعامة او العبقرية او البطولة وكلها غير النبوة ومن ذلك قول بعضهم ان دعوة محمد كانت استجابة لظروف تاريخية معينة كان يحياها العالم فى القرن السابع ومن ذلك دعوة انتشار الاسلام بالسيف واتهام المسلمين بأن دافعهم الى الفتح كان البحث عن الطعام .

وما ذهب اليه كتاب الغرب من أن الاسلام مأخوذ من المسيحية واليهودية .

كذلك فقد حاولت كتابات الاستشراق والتغريبيين اضافة مجموعة من الأساطير روجت بعد العصر الاول الى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم مرة أخرى بعد أن نقاها منها رجال السيرة وقد اريد بهذه الأساطير افساد العقول والقلوب من سواد الأمة وتشكيك المستنيرين ودفع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه .

ثانيـــا :

ان أبرز ما تكشف عنه كتابات الغرب هو أحـــد أمرين :

١ — أما المفهوم المسبق القائم على الخصومة القديمة التى رضعها الأوربيون مع لبان أمهاتهم نحـــو الاسلام ونحو النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ — أما العجز الواضح عن فهم النبوة الاسلام بالقياس الى المسيحية واليهودية هذا العجز الذى يتجلى فى عدم قدرتهم على التفرقة بين الالوهية والنبوة من ناحية وبين النبوة والبشر العادى (وخاصة الحواريين او صحابة النبى) .

ومن ذلك الخلاف فى الفهم بين الاسلام والمسيحية حول الكتب السماوية وهل هى من كلام الله تبارك وتعالى (كما فى القرآن) .

أو من كلام الرسل والحواريين كما فى الاناجيل .

هذا هذا وضع فاصلا عميقا دون فهم المستشرقين وكتاب الغرب لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ويبدو هذا واضحا فى نصوص كتابات الحوار التى دارت فى الندوات المختلفة التى عقدت بين علماء المسلمين وعلماء المسيحية فى قرطبة وباريس وغيرها حيث يقف علماء المسيحية موقفا غامضا من النبوة المحمدية .

اولا : شبهات حول النبوة :

طرحت المخططات التغريبية من خلال مفاهيم الفلسفة المادية شبهات متعددة حول النبوة والوحى تحاول ان تلقى ظلال الشك بالقول بأن النبوة تجربة ذهنية فكرية وان النبى قد ادرك ما ادرك من النبوة نتيجة قدرته على التركيز واستدامته على مستوى تجريدى لا يطيقه غيره

ولا ريب هذه من الدعاوى الباطلة التى فندها مفكرو الاسلام المعاصرون على أساس واضح صريح ، ان أى انسان مهما بلغ من التركيز لا يستطيع ان يكون نبيا ، لان النبوة ليست تجربة ، ولما كان ابرز ظواهر النبوة هو الوحى ولما كان هذا الوحى يهبط فجأة فى لحظة مجهولة للنبى وكأنه ومضة خاطفة ، لم يسع اليها ولم يتوقعها ، كان من الاستحالة القول بأن النبوة مما يمكن ان يتحصل اليه أى انسان مهما بلغ من النبوغ أو الذكاء .

ولا ريب ان ابرز صفات الوحى انه من خارج الذات ، فهو ليس نتيجة فيضان نفسى او كبت لمجموعة من التأملات احتشدت وتفجرت فى نفس النبى على نفسه، والقائلون بهذا هم من المنكرين للنبوة الخائفين بالباطل فى وصفها ، ولا ريب ان النبوة هى من الاصطفاء الربانى العلوى المسبوق ببعض الارهاصات ولكنه لا يعـــرف مايسمى بالتدرج المؤدى الى النضج فى النهاية ، والنبوة تكليف فجائى ينفى الارادة فلا خيار لنبى فى ان يقبل أو يرفض ما يأتى به الوحى (ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) .

ان محاولة الفكر المادى محاولة باطلة وخاصة فى تجربة النبى صلى الله عليه وسلم من كل ما هو سماوى غيبى ، ولا شك انهم مخطئون فى تصورهم ان النبى صلى الله عليه وسلم (اختفى) فى غار حراء ليفكر فى احوال قريش ، وكيف يستنقذهم من مظالم السادة ، او قولهم ان الاسلام ثورة اجتماعية فالاسلام ليس ثورة ولكنه دين سماوى اختـــــار الحق تبارك وتعالى وتوقيته ومكانه ورسوله دون تقيد بأى تفسيرات مادية مما يحكم به الماديون على الثورات والحركات الاجتماعية .

وللنبى صلى الله عليه وسلم عصمة وقداسة وهو ليس بشرا فحسب ولكنه (بشر يوحى اليه) : قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى اى انه ليس بشرا مثلنا لانه يوحى اليه ونحن لا يوحى الينا بشىء ، هذا الفرق الدقيق . هو سر النبوة ، والنبى معصوم يتلقى من ربه التشريع والتكليف وهو لا ينطق عن الهوى .

ان التشكيك فى الوحى والنبوة هى محاولة لتصوير الأنبياء والرسل على انهم رجال ومصلحون استوعبوا فكر أمتهم واستطاعوا صياغة التراث القديم فى صورة جديدة وهو تصور زائف .

***

ثانيا : شبهات حول الوحى :

الوحى هو الطريق الذى يخبر به الله تبارك وتعالى رسول من رسله بأمر الرسالة التى وكله اليها ، عقائدها وشرائعها وادابها وما يريد ان يطلعه عليه من أنباء الغيب فالوحى هو الدعامة التى تقوم عليها الرسالة ولا تجد دنيا من الأديان المنزلة يخلو من حصيصه الوحى وعن طريق الوحى يصدر التفسير الربانى للظواهر المختلفة والحلول المختلفة للاحداث والمواقف . ولقد نزل الله تبارك وتعالى القرآن على قلب النبى صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحى ، وقد ذكر اللغويون لكلمة الوحى عدة معان : الاشارة ، الكتابة ، الرسالة ، الالهام ، الكلام الخفى ، وكل ما القيته الى غيرك ، والتسخير والرؤيا الصادقة .

فالوحى هو القاء المعنى فى النفس فى خفاء .

« وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب » .

وقد استعمل القرآن كلمة (وحى) ومشتقاتها خمسا وسبعين مرة فى سبعين آية منها ما يراد منها عن القاء الله (تبارك وتعالى) لأنبيائه ما يريد تعريفهم به وتبليغهم اياه من الأحكام والأنباء أو لغير عما القاه اليهم من هذه الاحكام والأنباء .

ولما كانت النبوة والرسالة ليست من قبيل الملكات النفسية أو القرائن النوعية ، أو الصفات الحسية ، بل ان حقيقة النبوة هى فى وحى الله (تبارك وتعالى) الى النبى ما يوحيه من انباء الغيب وحقائق الوجود ومن هنا فقد كان قضية الوحى من القضايا التى اضطربت فيهـا كتابات المستشرقين والغربيين لعدة أمور .

أولا : لان المفاهيم الغربية الفكرية كلها تقوم على الفلسفة المادية والمحسوسات .

ثانيا : لاختلاف مفهوم العلاقة بين الالوهية والنبوة بين المسيحية وبين الاسلام ومن ذلك قولهم ان القرآن انطباع فى نفس محمد نشأ عن تأثير البيئة التى عاش فيها أو ان القرآن فيض من العقل ابلاطن وليس وحيا الهيا ، اعتمادا على القول بعبقرية محمد والمعيته وصفاء نفسه ولا ريب ان هدف اثارة هذه الشبهة يرمى الى محاولة قطع الصلة بين المسامين وبين القرآن ، ذلك لانه اذا كان القرآن من كلام محمد كان من عمل البشر ، وبذلك فقـد معناه الاسمى وتفرق المسلمون وانتهى أمر الاجتماع عليه ونحن نعرف ان هناك فارقا واضحا بين كلام محمد وكلام القرآن فى النسق والنظم ، وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم (أميا) لا يقرأ ولا يكتب وتلك حجة تدحض قـول القائلين بأنه عرف ما فى الكتب السابقة .

ولما كان الوحى هو حجر الوحى فى النبوة وفى الدين كله فقد ركز عليه دعاة التغريب واثاروا حوله الشبهات وزعموا أنه نوع من الالهام الخفى وزعم آخرون انه كان اشراقا روحيا ووصفه آخرون بأنه نوع من الصرع .

ان محاولة النظريات المادية معارضة الوحى والغيب قد حققت أسباب فشلها فقد تأكد بالبحث العلمى ان العقل وحده غير كاف فى فهم كل شىء وان العلم قد عجز عن ان يقدم اجاباته عن هذه الاشياء وانه قد وقف عن حدود ظواهر الأشياء (1) .

ثالثـا : شبهة العبقرية :

كذلك من الخطأ وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه عبقرى بين عباقرة لا نبى ورسول بالمعنى الدينى المعروف فى الأديان المنزلة .

فالناشىء الذى يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية ابى بكر وعبقرية عمر مثلا لا يمكن أن يسلم من ايحاء خفى الى نفسه ان محمدا وابا بكر وعـمر من قبيل واحد ، عبقرى من عباقرة وان يكن اكبرهم جميعا ، كالذى سمى النبى صلى الله عليه وسلم بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف ممتاز من الناس متجدد على العصور ، بدلا من صنف اختتم به صلى الله عليه وسلم : صنف الأنبيـاء والمرسلين من عند الله ، فالنبى والرسول يأتيه الملك من عندالله بما يشاء الله من وحى ومن كتاب ولا كذلك العبقرى ولا البطل فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله الى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وانه خاتم النبيين

رابعا : شبهة المصلح الاجتماعى القادر على معرفة حاجات قومه ووضع لها حلولا :

وهذه الشبهة من الشبهات المدسوسة التى تحاول

---

(1) من أبحاث متعددة لفريد وجدى ومحمد احمد الغمراوى وغيرهم .

ان تنفى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ابرز صفاته وهى الوحى والنبوة وهى ادعاء باطل .

ومن ذلك شبهة الزعامة . ويجب ادراك الفرق العميق بين « النبوة » و « الزعامة » ومدى الخطر الذى ينطوى عليه القول بزعامته صلى الله عليه وسلم أو عبقريه السياسية مما يفرح به السذج من المسلمين ومعنى ذلك كله نفى النبوة . والاقرار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصدر عن الفكر والروية ، ومقضيات الحال ، لا عن الوحى وكأن ليس فى الأمر معجزة ما ، فالأمر فيما يزعمون طبيعى ومساير لقواميس التطور ومألوف مما يحدث فى زعامات النهضة الاجتماعية أو الثورة السياسية .

خامسا : شبهة تأويل المعجزات :

تردده فى كتابات المستشرقين أخطاء كثيرة حول المعجزات ، وتابعهم فى ذلك عدد من الباحثين المسلمين الذين حاولوا ارضاء لهم تأويل المعجزات وذلك فى مرحلة غلبت فيها مفاهيم الفلسفة المادية .

فقد حاولوا بناء الخوارق والمعجزات على الأدلة السمعية على الأدلة العقلية التى يدركها الانسان ، والذين ينكرون المعجزات ينكرونها على ظن أنها غير ممكنة وهم يقيسون الامكان والاستحالة بمقياس الانسان وينسون قدرة الله تبارك وتعالى التى ليس ببعيد عنها أى تصرف .

ومن ذلك موقفهم من حادث الفيل ، وما حدث فى الغار ، والاسراء والمعراج وشق الصدر ، تجد فى انكار ذلك واضحا فى كتابات وليم موير وأميل در منجم وأيدهما فى ذلك الدكتور هيكل وآخرين .

سادسا : شبهات حول القرآن الكريم :

ويردد المستشرقون شبهات كثيرة حول القرآن الكريم من انه صوره من الكتب السابقة عليه وانه منقول منها ، والمعروف ان الكتب السماوية المنزلة قد جاءت من مصدر واحد فى أصلها قبل التحريف ولذلك فان الأصول العامة لدين الله لابد أن تكون متشابهة ولكن النظرة المتعمقة لابد أن تكشف عن مواقف مختلفة تميز القرآن بالاشارة اليها وبالتعبير عنها لم تكن موجودة فى الكتب السابقة بوصفه انه أنزل للناس كافة ، وللبشرية التى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن الكتب السابقة كان كل كتاب منها الى قوم وامة .

ومن ذلك شبهة ترتيب القرآن حسب نزوله ، وقد جهلوا أن ذلك لو كان أمرا مطلوبا لما فات النبى صلى الله عليه وسلم ، ذلك آى القرآن وان كانت قد نزلت منجمة آيات آيات وسورا سورا بحسب الوقائع والحوادث وعلى مقتضى الحكمة التى ارادها الله تبارك وتعالى وهو الشارع لدينه ، وقد نزلت بمكة والمدينة ، واستمر نزولها ثلاث وعشرين سنة ، الا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر كتاب الوحى من أصحابه حين تنزل الآية ويقرأها عليهم أن يضعوها فى مكانها بعد آية كذا من سورة كذا ولذلك فقد خابت مفترياتهم من هذه الوجهة .

وقد ردد المستشرقون عددا من الشبهات حول الزيادة والنقص والتحريف وكلها ادعاءات باطلة لم يقدموا أى دليل على صحتها كذلك دعواهم من ان القرآن الكريم من نظم النبى وليس منزلا من عند الله ، وانه كتاب حكم ومواعظ ، كل ذلك ثبت بطلانه فقد تضمن القرآن الكريم بشهادة غير المسلمين على اكثر من أربعمائة قضية سياسية واجتماعية وقانونية ومنهجا كاملا لنظام المجتمع وسنن الحضارات والأمم ولو ان القرآن كان ذلك على هذا النحو لما هز عوالم الاستعمار واثار الفزع فى القلوب حتى وقف جلادستون رئيس وزراء بريطانيا فى مجلس العموم وهو يحمل المصحف ويقول : ما دام هذا الكتاب باقيا فى الأرض فلا أمل لنا فى اخضاع المسلمين بل نحن على خطر فى بلادنا وليس صحيحا نسبة القرآن الى النبى فقد شهد الباحثون أخيرا بأن معلومات القرآن وقت نزول القرآن وأنها لم تعرف الا فى العقود الأخيرة عن خلق الأرض والانسان لم يكن هناك بشر يعلمها فى ولذلك فان هذه المعلومات لابد أن تكون من مصدر أكبر واعلى . كذلك فان الباحثين المتصفين يستطيعون ان يعلموا مدى الفوارق العميقة بين القرآن والسنة (دين كلام الله تبارك وتعالى دين كلام النبى) .

سابعا : حول شخصية النبى صلى الله عليه وسلم :

أولا : ما ذهب اليه كتاب الغرب من أن التقائه بالراهب بحيرا وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة كان له أثر فى تلقى التعاليم الدينية وهذه مسألة باطلة تماما ، فان النبى لم يكن ليلتمس من علم هؤلاء شيئا يكون عونا له على رسالته فقد جاءت رسالته متميزة تماما عن كل ما سبقها من الأديان ، فضلا عن ان النبى الأمى لم يكن يقرأ شيئا من كتب اليهود والنصارى .

كذلك فان مسألة الرحلات هذه مسألة باطلة تماما ولم ترد فى الصحاح وسفره الى الشام كان فى سن مبكرة لا يمكن أن يتصور انها تتيح له أن يعلم شيئا عن الاديان السابقة ، والحقيقة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الحجاز الا مرتين احداهما فى الثانية عشرة والاخرى فى سن الخامسة والعشرين .

ثامنا : تعدد زوجات النبى :

كان تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ضرورة اقتضتها طبيعة الرسالة التى كلف بها واختلاف القبائل والأوطان والمواقف التى دعت النبى الى التعدد وقد جاء ذلك كله فى مرحلة لا يمكن ان توصف بما يدعون فقد عاش صلى الله عليه وسلم المرحلة الكبرى من حياته فى كنف السيدة خديجة رضى الله عنها

تاسعا : شبهة استعداد العرب للملك قبل النبى :

وهذه شبهة باطلة يؤكدها موقف العرب من رسالة النبى ، تقول الشبهة (ان العرب امـــة وصلت الى الصلاحية للملك فلما جاء النبى نهض بهم فنهضوا وجههم الى الفتح والسيطرة فوصلوا بعد زمن قليل الى ما كان النبى يريد) .

والواقع ان العرب لم تقبل دعوة النبى الا رجالا ونساء لا يزيد عـــددهم على بضع عشرات ، وان اتباع النبى الأولين اضطهدوا اضطهادا شديدا حتى هاجروا الى بلاد الحبشة وان النبى لبث على هذه الحالة من الاضطهاد ثلاثة عشر سنة . فلما انست قريش من النبى الهجرة اعترضت طريقه واعتزمت قتله وارصدت له ولما علم أهل مكة بافلاته واقتفوا اثره ، كل هذا ينطق بلسان فصيح ــ كما يقول فريد وجدى ــ ان قريشا وهى مظنة النجابة والفهم من العرب فى ذلك العهد لم تكن قـــد استعدت للملك فان المجتمع الذى يقاتل الداعى للتجديد والنهوض بهذا العناد ويصر عليه ثلاثة عشرة ســـــنة لا يزداد الا عنادا وتشددا ، هذا المجتمع الذى يقاتل الداعى بعد هذا النفور العظيم لا يعتبر انه استعد لاقامة دولة .

عاشرا : شبهة ان الاسلام مشابه فى اصوله اليهودية والمسيحية :

يقول الدكتور محمد محمد حسين : ان ما اقره الاسلام مما بقى صحيحا من ملة ابينا ابراهيم عليه السلام هو فى نظرهم دليل على ان الاسلام امتداد طبيعى للحياة الجاهلية وما جاء به الاسلام من تصورات دينية هو امتداد لما يحويه الشـــعر الجاهلى من تأثر باليهودية والنصرانية ، وحقيقة الأمر فى ذلك كله ان فضائل العرب فى جاهليتهم هى البقية الصالحة من ملة ابراهيم عليه السلام وما يشترك فيه الاسلام مع اليهودية والنصرانية بل مع اساطير الأولين فى الجاهليات الأولى الغابرة هو هذه البقية الصالحة الصحيحة من هذه الاساطير الأولى من الوحى الالهى لأن هذه الأساطير فى حقيقة أمرها اديان محرفة .

القسم الثالث

التحول الجـــديد : مرحـــلة تفسح الطريق لرؤية معتدلة . ويأتى الحديث بعد ذلك عن المرحلة الثالثة وهى المرحلة المعاصرة التى تتكشف فيها الظلال الكثيفة فى الغرب عن تيار جديد ، مغاير لتيار التبشير والاستشراق واتباعه من التغريبين ، ويقود هذا التيار جماعة من مصلحى الغرب اكتشفوا اخيرا ان الحضارة الغربية تنهار وان الايدلوجيتين الليبرالية والاشتراكية قد عجزتا عن العطاء وان هناك امل فى النظر الى الاسلام ورسوله الكريم .

والحقيقة انه على طول تاريخ الاسلام كانت الأمم فى الشرق والغرب تتطلع فى شوق لان تستجلى طلعة هذا النبى الكريم وتتعرف الى شمائله وخلقه بعد ان سمعت بسماحة دعوته وحسن معاملته لمعارضيه ، مما دفع هذه الدعوة فى تلك الانطلاقة العجيبة الى آفاق الأرض فبلغت فى الوقت القصير من حدود الصين الى نهر اللوار ، غير ان قوى كثيرة كانت وما زالت تحـــول بين الأمم وبين أن تتعرف على نبى الانسانية الأعظم ، فقد كان كثير من اتباع الأديان فى كل مكان يحاصرون هذا المنطاق ويفسدونه ويزيفون ما يصل الى الشعوب منه لتظل الأمم أسيرة المفاهيم الضالة والعقائد الباطلة ، ولم ينفرج الطريق الى التعريف على شمائل هـــذا النبى وعظمته وعظمـــة دعوته الا منـــذ عهـــد قريب جدا

صحيح أن كثيرين كتبوا عنه فى الغرب واشادوا به امثال جوستاف اوبون وكارليل وتولستوى وبرناردشو ولكن ظلت هذه الكتابات محصورة فى نطاق ضيق وظلت قوى كثيرة تحجبها وجاء دعاة التغريب فى بلادنا ايسخرون منها ومن قائليها خـــوفا من أن تصل الى قلوب مشوقة متطلعة الى نور الحق كذلك فان ما كتبه لا مرتين وجوتة جرى تعتيم شديد عليه ووصف كتابه بالسذاجة .

اننا اذا نظرنا اليوم الى أفق الغرب نجد علامات كثيرة تكشف عـــن بروز هذا التيـــار المنصف الصحيح ، يتمثـــل فى :

أولا : صيحة الاريوسبين .

ثانيا : ما كشفت عنه الأبحاث عن الكتب القديمة .

ثالثا : كتابات المنصفين .

على كل حال فقد انتهى الى غير رجعة ذلك الطابع العنيف الذى كان واضحا فى كتابات رينان ولرجليوث الذى الذى يعد كتابه عن النبى صلى الله عليه وسلم من اكبر الكتب فى تاريخ العـالم كذبا وافتراء ، وما كتبه مؤلف الكوميديا الالهية الذى افترا على النبى محمد صلى الله عليه وسلم بينما أعلن اعجابه بابن سينا والفارابى وابن رشد وما كتب فولتير فى روايته المعروفة عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم والتى وضعها تحت أقدام البابا .

فقد استطاعت كتابات المسلمين المتصفة بالحكمة والاصالة والبعيدة التبعية ان تصل الى قلوب الغربيين وتقنعهم بصدق الرسالة المحمدية كما كشفت النظـرة البعيدة عن الهوى عن تقدير واضح لهذا الأثر الضخم الذى تزكيه الرسالة المحمدية فى انتشارها السريع خلال ثمانين عاما حتى وصلت ما بين حدود الصين ونهر اللوار من ناحية وما تزال تصل اليه يوما بعد يوم من فتوح فى قارات الدنيا الخمس ، وهو فتح سلمى لم يتوقف منذ توقفت التوسعات الأولى ، كما تحطمت النظريات الباطلة عن انتشار الاسلام بالسيف وتعدد الزوجات بعد أن قبل الغرب هذا التعدد ، واستمرار الاسلام بعد تنبؤات المتعصبين بأنه سينتهى فاذا هو يزداد توسعا فى اقطار الارض وفشل ظن الذين كانوا يعلنون انهم سينقضون على الاسلام ويجتثون جذوره من على الارض ، وكان أشد ما واجه الغرب تلك الصيحات التى تنادى بالمطالبة بمنهج جـديد بعد فشل المنهجين الليبرالى والماركسى والاعتقاد بأن الاسلام هو القادر على حل ازمات العالم الثلاث : العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، قضية الغنى والفقر ، علاقة الرجل والمرأة وكيف ان الاسلام يستطيع ان يقدم للبشرية : البعد الربانى للحضارة ، والبعـد الاخلاقى للجميع فضلا عن السماحة والاخاء والرحمة التى عملها الاسلام للانسان بديلا عن التعصب والحقد والاستعلاء بالعنصر وسلاح الحرب المسلط على الرءوس

اولا : صيحة الاريوسية :

الآن وقد علت فى الغرب صيحة الاريوسية التى تكشف للغرب عن طريق المقارنات التاريخية فى الكتب المقدسة وعن طريق العلم ان سيدنا عيسى عليه السلام هو نبى مرسل وليس اله أو ابن اله فان ذلك قد فتح الطريق الى نظرة جديدة الى النبى محمد عليه الصلاة والسلام الى رسالته العالمية الخاتمة كما صدق مقولة القرآن نبوة عيسى عليه السلام وتحرير بشريته من الالوهيـة والبنونة واعلاء شأن الله تبارك وتعالى عن ان يكون له ولد أو شريك وان هذه النظرية كانت مضاهاة لأقوال ونظريات كانت قائمة قبل المسيحة كما أشار القرآن الكريم الى ذلك وبذلك تسقط طبيعيا نظريات التثليث فى الصلب والخطيئة .

ويتصل بهذا ما ذهب اليه علماء اللاهوت فى أبحاث ضخمة متصلة أشار اليها الدكتور بوكاى وكلها تتحدث عن اتجاه جديد فى مفاهيم الكتب المقدسة ، والقاء اضواء علمية على كثير من نصوص التوراة تكشف عن تداخلات بشرية فى النصـــوص فيما يتعلق بعمر الأرض وخلق الانسان وغير ذلك من القضايا بما يصل الى القول ــ بعد المقارنة بين الكتب الثلاث ــ ، ان النصوص التى تدمها القرآن لا تتعارض مع حقائق العلم ، وانها تؤكد ان هذه الحقائق التى قدمها القرآن عن خلق الانسان لا يمكن ان يكون هناك بشر يعلمها فى عصر نزول القرآن مما يؤكد انها وصلت الى المسلمين من مصدر اعلى من البشر .

ومن شأن هذا الاعتراف ان يكرم ويعلى من شأن النبى صلى الله عليه وسلم المبلغ عن ربه عن طـريق القرآن الذى لايزال هو الوثيقة الربانية الوحيدة الموجودة فى الأرض الان خالية من التحريف .

ثانيا : ماكشفت عنه الابحاث عن الكتب القديمة :

اعلن كثير من الباحثين الغربيين وفى مقدمتهم بوكاى عدة حقائق هامة :

اولا : ان النص الموجود بين ايدينا اليوم (النص القرآنى) هو عينه الذى كان متداولا فى فجر الاسلام فهذا اليقين شرط أساسى لصحة المقابلة بين نص القرآن والمعارف العصرية .

ثانيا : هناك عنصر هام يكمن فى المقـارنة بين نصوص القرآن ونصوص التوراة فيما يتعلق بالخلق على ضوء التصورات العامة الحديثة فى خلق الكون وتصوره فنحن لا نجد فى القرآن ما نجده فى التوراة من اخطاء وهى ملاحظة تقضى نهائيا على الفرضية التى سبق ان أبديت فى الغرب ودون حجة والتى مفادها أن ما فى القرآن يكون قد نقله انسان ما من التوراة .

ثالثا : كل المعلومات التى قدمها القرآن عن الارض ولا سيما دورة الماء فى الطبيعة وعن مفاهيم تهم العلوم الطبيعية والفيزيولوجيا وتوالد البشر ، كل هذه الآيات تفرض القول على انسان موضوعى صادق النية ، انه

يستحيل على انسان كان يعيش فى العصر الذى نزل فيه القرآن أن يعبر بمثل هذا الكلام من تلقاء نفسه .

رابعا : بالمقـارنة بين قصص قرآنيـة وقصص توراتية (الخلق — الطوفان — خروج موسى من مصر) تبين سلامة القرآن وبالنسبة للتوراة حددت زمانه فى عصر لم تحصل فيه اية كارثة كونية لأسباب تاريخية باتت معروفة جيدة فى عصرنا الحديث فى حين ان القصة التى أوردها القرآن للطوفان بوصفه عقابا سلطه الله على شعب نوح بسبب كفره ، لم يحدد له زمان ، قصة لا يرقى اليها أى نقد من هذه الوجهة .

فهل استطاع الناس فيما بين الحقبة التى وضعت فيها قصة التوراة ، والعصر الذى أوحى فيه القرآن ان يحصلوا على معارف عصرية فى هذا الموضـوع : من المؤكد انهم لم يحصلوا على شىء من ذلك فكيف يتسنى لرجل — ان صح انه هو الصانع للقرآن — ان يستفيد منه كل مالا يقبله العقل فى العصر الحديث ، وان لا يعتمد من الأحداث والأخبار الا ما يرتفع عن كل نقد من الوجهة العلمية كما يقولون ، وكما تصدقه هذه الفكرة على قصة الطوفان تصدقه ايضا على ما جاء فى القـرآن بصـدد موضوعات اخرى لا مناص من التسليم هنا بتفسير آخر غير التفسير البشرى لا يمكن ان يكون وحيا من الله جاء لتصحيح ما اقترفه الناس من اخطاء فى صياغة الكتب السماوية السابقة .

خامسا : هناك تعارض صارخ بين التوراة (العهد القديم والعهد الجديد) بين مقاطع نصوصها وبين المعارف الحديثة ، على ان ما يجرى مجرى اليقين منذ ان حصلت لنا مفاهيم ، كانت الى ذلك الحين تعوزنا عن أصول نصوص التوراة وعن صياغتها التحريرية وبلوغها الينا ، وهـو ان التلاعبات البشرية لها دور كبير جـداً وان كثيرا من النصوص هى كتابات المناسبة الظرفية مثـل قصة التكوين الكهنوتية ، فى هذه الظروف نجد حالات عدم التوافق مع المعارف العصرية تفسيرها الكامل اما القرآن فانه لا يتضمن شيئا ما يمكن للعلم ان يرفضه لان كلامه كلام وقائع ثابتة مؤكدة ، وغير قابلة للتعبير ، كما ان عددا من المعلومات الواردة فيه لا يمكن فهمها الا فى عصرنا هذا ، اذن فالمقابلة بين الكتاب المقدس والعلم يتراءى لنا بوجه آخر فلم يعد هناك مجال الفصل بين الاثنين . ان اشتمال القرآن على جميع العناصر التى هى من الوقائع الراهنة والتى اخذت فى هـذا القرن العشرين بفضل المعارف الحديثة بعد ان كان مجهولا الى ذلك الحين لتحملنا الى دعوتكم الى التدبر فى هذه الآية الكريمة :

((**كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون**)) .

هذه المعلومات المقررة الان فى الغرب فى المقارنة بين الكتب المقدسة والقرآن كان لها أبعد الأثر فى تغيير النظرة الى الاسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وانها قد فتحت الأبواب لتفسيرات جديدة كلها التقدير للنبى الكريم وما جاء به .

ثالثا : كتابات المنصفين :

ما كتبه الدكتور مايكل هارت فى كتابه الاعلام المائة وعلى رأسهم محمد يكشف نوعا جديدا من تقدير الباحثين القائم على الانصاف :

يقول : ان اختيارى محمدا ليكون الأول فى قائمة اهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ولكنه الرجل الوحيد فى التاريخ كله الذى نجح اعلى نجاح على المستويين الدينى والدنيوى فهناك رسل وانبياء وحكمـاء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون اتمامها ، كالمسيح فى المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم اليها سواهم كموسى فى اليهودية ، ولكن محمدا هو الوحيد الذى أتم رسالته الدينية كاملة وتحددت كل احكامها وآمنت بها شعوب باسرها فى حياته ولأنه أقام الى جانب الدين دولة جديدة ، فانه فى هذا المجال الدنيوى ايضا وحـد القبائل فى شعب والشعوب فى أمة ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ووضعها موضع الانطلاق الى العالم ايضافى حياته ، فهو الذى بدأ الرسالة الدينية والدنيوية واتمها ، ان معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا فى قلب احد المراكز الحضارية فى العالم فى بيئة متقدمة تبرر ظهور العظماء فيها ولكن محمدا هو الوحيد الذى نشأ فى بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة، فهزت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة ورد بما لا يقاس فى تاريخ الغـزو فى كل زمان ومكان يكون الغزو عسكريا ولكن فى حالة الرسالة المحمدية فان معظم البلاد التى فتحها خلفاؤه استعربت تماما وتغيرت لغة ودينا وفتوحه من العراق وسوريا الى آخر الشاطىء الافريقى غربا الى السودان جنوبا وبقيت امة واحدة تتكلم لسانا واحدا الى الآن ، كذلك لا يوجد (نص) فى تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقى بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن

الذى نقله محمد ، الأمر الذى لا ينطبق على التوراة مثلا ولا على الأنجيل . وهكذا نجد ان فتوحات العرب التى بدأت فى القرن السابع الميلادى قد بقيت تلعب دورا هاما فى التاريخ الانسانى حتى يومنا هذا ومن اجل هذا النفوذ الدينى والدنيوى فاننى وجدت أن محمدا هو صاحب الحق الوحيدالذى اعتبره صاحب اعظم تأثيرعلى الاطلاق فى التاريخ الانسانى .

فاذا ذهبنا نستعرض ما قبل ذلك وجدنا لونا من الفهم يتطور مع الزمن يقول سكان بلال ماكدونالد ١٩٦٦ .

ان الشخصية المحمدية لا تزال بعد أربعة عشر قرنا مصدر المدد المتصل فى تقوية المسلم وان اطوار المسلمين تختلف اختلافا لابد منه بين اناس ينتمون الى كل جنس والى كل اصل من الأصول البشرية ولكن الاسلام قد أوجد فيهم أخوة عامة قل ان يوجد لها نظير من اتباع الكنيسة الواحدة » .

ويقول ستارز اند سترايثر المحلل السياسى المعروف :

عندما نستعرض التاريخ الطويل لافريقيا نجد ان الشخصية الرئيسية التى تلعب الدور الرئيسى فى معادلة النهج السياسى ليست هى فلان أو فلان ، وانما هى شخصية محمد : الذى كان يعيش فى مكة منذ الف وأربعمائة سنة ، فالاسلام هو الجبل الاشم الوحيد الذى تحطمت عند سفوحه موجات الاطماع الاستعمارية فى افريقيا ، ففى معظم الدول الافريقية الناشئة حيث تقوم بعثات التبشير المسيحية بدورها خلال اكثر من قرن من الزمان نجد أن الاسلام يكسب خمسة من الاتباع مقابل واحد ينضم الى الدين الآخر ، ان الخطر الحقيقى ضد السيطرة الاستعمارية انما يكمن فى الاسلام ، ولهذا يقف الاسلام وهو كتحدى حقيقى .

وتقول مجلة التاريخ الجارى الامريكية عام ١٩٣٩ تحت عنوان : (محمد يتهيأ للعودة) : ان المسلمين رقدوا خمسمائة سنة وهم يتحركون الآن ويتوثبون الى السلطان ، لقد تيقظت قوة الاسلام واتخذت لها شكلا سويا فى عالم السياسة ولا تزال التعاليم المحمدية سارية منتشرة فى الشعوب الملونة التى تجد فى المقارنة بين ادراكها من هذا النوع من التوحيد ما ليست تجده فى المسيحية أو اليهودية .

وتعبر كلمة الدكتور بورندباسوت سميث عن جملة من المعانى الكريمة :

كان محمد فى وقت واحد مؤسسا لأمة ، ومقيما لامبراطورية ، وبانيا لدين ، وهو وان كان أميا فقد آتى بكتاب يحوى أدبا وقانونا واخلاقا عامة ، وهو كتاب يقدسه الى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشرى (الآن ربع مجموع النوع البشرى) لأنه معجزة فى دقة الأسلوب وسمو الحكمة وجلالة الحق ، ولم يحرص محمد الى آخر حياته على شىء الا على ذلك اللقب الذى تلقب به فى أول أمره وهو لقب اعتقد انه سيأتى يوم ترضى به أرقى فلسفة واخلص مسيحية ان تسلم له به ، هذا اللقب هو أنه رسول : رسول الله حقا .

قد لانعلم من سير الانبياء الا شذرات ، أما الاسلام فأمره واضح ، ليس فيه سر مكتوم عن احد ، ولا غمة مبهم أمرها على التاريخ ، ففى أيدى الناس تاريخه الصحيح ، وهو يعلمون من امر محمد كالذى يعلمونه من أمر لوثر وماتن ، وانك لا تجد فيما كتبه المؤرخون الأولون أساطير ، ولا أوهاما ولا مستحيلات ، واذا عرض لك طرفمن ذلك أمكنك تمييزه عن الحقائق التاريخية الراهنة كانه شمس الضحى تجد تحت نورها كل شىء » ا.هـ .

ولا تستطيع ان نتجاوز هذه النقطة دون أن نذكر ان هناك تحولا كبيرا قد ظهر فى العقدين الأخيرين فى كتابات السيرة النبوية فى العالم الاسلامى تحررا من المنهج العلمانى الذى فرض عليها فى فترة الثلاثينات والتى قادها عدد من التغريبيين الذين عجزوا عن فهم النبوة والوحى وحاولوا تفسيرهما تفسيرا ماديا .

ويمكن القول بأن مظاهر جديدة فى كتابة السيرة الاسلامية فى بلاد المسلمين تتمثل فى عدة اشياء :

أولا : تحرير السيرة من الوثنيات والاساطير والعودة الى الاصالة .

ثانيا : الكشف عن معطيات سيرة الرسول ازاء التحديات التى يواجهها المسلمون فى هذا العصر .

ثالثا : اعادة تجديد سيرة الرسول فى مجال الجهاد (كتابات رجال الحرب والعسكرية) ، محمد فرج ، شيت خطاب ، اللواء محفوظ) واعادة الفهم للشريعة

الاسلامية فى كتابات رجال العصر عن مقارنات الشريعة والقانون ، واعادة الفهم لمفهوم الاسلام الاقتصادى الذى ارساه الرسول صلى الله عليه وسلم .

رابعا : ما كتبه مؤلفون دخلوا الاسلام وفهموه فهما صحيحا .

خامسا : مواجهة التحديات التى اثارتها القاديانية فى قضية ختم النبوة وما اثارته البهائية وغيرها من فهم وحدة الأديان والتحرر من التبعية للتطورات السياسية : النبى ديمقراطيا واشتراكيا وثائرا وبطل للحرية وكلها تصورات ناقصة وجــــدت من يدحضها ويكشف زيفها ولعل هذا التيار الجديد هو الذى دفع بعض القوى الى فتح باب الحوار بين الاسلام والمسيحية ، هذا الحوار الذى لم يستطع ان يصل الى غاياته المرجوة ، لأنه لم يستطع ان يبدأ من النقطة الحقيقية له ، وهى ايقاف حملات التبشير الغربى فى البلاد الاسلامية ، اذا كان أصحابه جادين حقا فى الالتقاء مع المسلمين على هدف ليس هو تأييد النظام الراسمالى الغربى كمـــا يقولون ولكن على هدف مواجهة التيارات المادية والالحادية التى تعمل على محاربة الأديان السماوية ، ولقد وجهت الى دعوة « الحوار » تحفظات كثيرة ليس هذا مجال الاشارة اليها . ومن اخطر ما تحتاج الى العمل الجاد اعادة النظر فى كتابات دوائر المعارف الغربية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام والقرآن .

* * *

امران هامان على طريق البحث

اولا : دوائر المعارف :

ذلك ان ما كتبته دوائر المعارف الغربية الفرنسية والانجليزية والأمريكية وموسوعة لاروس الفرنسية ، ودائرة المعارف الاسلامية التى ألفها عدد من متعصبى المسيحية الغربية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ظلم كبير واجحاف لا حد له ــ وكذلك ما كتبته الموسوعة التى اخرجها اليونسكو عن عالم الاسلام وهى تقـــــدم دراستها عن شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك يستمد مادته من كتابات المبشرين المتعصبين فى القرن الماضى ، وبالرغم مما اثاره الكتاب العرب والمسلمون من ردود وتصحيحات على هذه الاخطاء فان دوائر المعارف ما تزال مصرة على ما قالت وربما خـــدعت المسلمين باضافة بعض تصحيحات فى طبعات تالية ثم لا تلبث أن ترفعها فى الطبعات التى بعد ذلك .

وهى فى ذلك خاضعة لقوى الكنيسة ونفوذ دوائر الاستعمار وبالرغم من التطور الذى طرأ على كتابات كثير من اعلام الفكر الغربى أمثال برنارد ودزابر وجوستاف لوبون .

وامامنا الآن ما اوردته دوائر المعارف عن مادة اسلام وعن الرسول والقرآن ، وهى نصوص اقـــــل ما توصف به انها محرفة ومتحيزة وبعيدة كل البعد عن منطلق الصيحة التى تعالت فى الغرب بالحوار مع الاسلام والاعتراف بأنه دين سماوى .

فاذا رجعنا الى المصادر التى اعتمدت عليها دوائر المعارف هذه فى معلوماتها وجدناها مراجع لا قيمة لها من الناحية التاريخية وانما هى مادة كتبها متعصبو المبشرين ولو ان المسئولين عن هذه الدوائر كانوا يقدرون قيمة البحث العلمى وثقـــــة المسلمين فى كتاباتهم لكانوا من المنصفين ولاعتمـــــدوا فى الكثير على كتابات الغربيين المنصفين امثال :

الأبطال وعبادة الأبطال : توماس كارليل .

محمـــــــد : تولستوى .

محمد رسول الله : اثيان دينيه .

الاسلام خواطر وسوانح : هنرى دى كاسترى

المنازعة بين العلم والدين : درابر .

الدعوة الى الاسلام : توماس ارنولد .

تاريخ العرب : جوستاف لوبون .

شمس الله تشرق على الغرب : سجريد هونكه .

تاريخ العرب العام : سيديو .

فهذه مؤلفات كتبها غربيون منصفون منذ وقت طويل وهى بين أيدى الباحثين فى الغرب وكذلك ترجمة معانى القرآن التى قدمها المستشرق مونتيه فلو ان الباحث كاتب مادة « محمد » فى دوائر المعارف هذه كان يتوخى الحقيقة لرجع الى هذه المصادر واتخذ منها مادة لتحية ولاستطاع ان يقدم الاســــلام على نحو اكثر انصافا ومهما ولكن المراجع المثبتة فى ختام أبحاث دوائر المعارف هذه توحى بان كاتبها اتخذ الطــــريق الآخر : طــريق التعصب والتحامل .

أما الأخطاء المتعددة فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فهى نفس الأخطاء التى كان يرددها التبشير والاستشراق منذ القرن الماضى ، والتى تصدى لها الكتاب المسلمون منذ وقت بعيد وما تزال هذه الأخطاء تتكرر منذ أوردها اللورد كرومر فى كتاباته المتعصبة على الاسلام .

ومن يراجع مادة « محمد » فى هذه الدوائر يجدها تتسم بالعجز عن فهم الاسلام والتفرقة بين مفهوم التوحيد والنبوة بين الأديان والاسلام والفرق بين الألوهية والنبوة ، والفرق بين الرسل والصحابة وكذلك عجزهم عن فهم المعجزات وخطأهم فى فكرة وحدة الأديان فالاسلام يفرق بين النبى المؤيد بالوحى وبين الصحابة الذين يصيبون ويخطئون ، ويفرق بين مقام الله تبارك وتعالى الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وهذا مفهوم الاسلام .

والمعروف ان كتاب دوائر المعارف فى تقدير الباحثين هم أكثر المبشرين والمستشرقين تعصبا ، وانهم حين يكتبون عن الاسلام يبدأون بفكرة مسبقة وهوى واضح وانهم يحاولون اقتناص النصوص التى تؤيد فكرتهم ويتجاوزون النصوص التى لا تؤيد هدفهم .

* * *

ثانيا : موقف مسيحيو العرب :

ولكن اذا كان مسيحيو الغرب قد عجزوا عن فهم شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم فان مسيحيو العرب قد ادركوا عظمة هذا النبى الكريم — يقول الياس خليل زخريا : محمد هو لنصارى العرب كما هو لمسلمهم أيها العرب المسلمون : ليس محمد لكم وحدكم ولكن لنا ولكم هو نبى دينكم وهو شهادة حق مقدسة فى ديننا ودينكم ومحمد للقومى منا عربى عظيم من قريش ويقول القانونى الكبير فارس الجوزى ان محمدا هو أعظم عظماء العالم ، ولم يجد الدهر بمثله والدين الذى جاء به أوفى الأديان وأكملها . فقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصف الا الاعتراف بفضل الشريعة التى دعا الناس اليها باسم الله وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم ، ان محمد هو أعظم عظماء الأرض سابقهم ولاحقهم فقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم وأنشأ منهم أمة موحدة وجاء لها بأعظم ديانة منيت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها .

ولقد كتب غير هؤلاء كثيرون خليل جمعه الطوال ، لبيب الرياشى ، أمين نخله ، وكلهم يعبر عن مفهوم واضح هو أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو من مفاخر الغرب .

* * *

القسم الرابع : هل هناك تحول حقيقى :

فى المرحلتين الأولى والثانية كان التعصب واضحا فى النظر الى شخصية النبى صلى الله عليه وسلم وحياته وكانت المغالطة والتمويه والتضليل هى سلاح المستشرقين الغربيين وتحت اسم العلم ، كانت كتاباتهم تثير الاشفاق والابتسام حتى فى نظر الغربيين أنفسهم ، حيث كانت تصطنع نصوصا مبتورة ، أو تعكس الحقائق ، ولكن يمكن القول أن هذه الطريقة قد تغيرت شيئا ما وان هذه الحدة قد خفت ، وأن كتابا جددا من الغرب قد كتبوا بانصاف وربما كان سبب ذلك انهم لم يكونوا مجندين فى دوائر الكنيسة أو الاستعمار أو لم يكونوا متعصبين لمفهوم معين من الدين أو يسيطر عليهم احساس بالاستعلاء العنصرى الغربى ، القائم على الامتياز بالجنس الأبيض (تاج الخليقة وصانع الحضارة) فى مواجهة الملونين والعبيد

وهى نفس نظرية الرومان القديمة (روما ساده وما حولها عبيد وان كانت قد غلفت مخالبها بقفازات حريرية ، وربما كانت التبعية لصناعة الاستشراق هى مصدر التعصب أو الحقد ، وربما نجد الغرب اليوم وهو يتنازل عن بعض مفاهيمه تحت تأثير الاحساس بالحاجة الى العلاقات الاقتصادية مع العرب وعلى رأسها النفط فالغربيون لا يكتبون فى الحقيقة تحت مفهوم الانصاف قليلا وهم دائما أسارى مذهب المنفعة وهم لا يتحررون من أهوائهم الا نادرا وقليلون أو تلك الذين استطاعوا أن يتحرروا من مفاهيم كشفت الأبحاث العلمية عن اضطرابها وفسادها ، ومن ذلك أولئك الذين تبين لهم فساد بعض ما جاء فى الكتب القديمة كما تبين لهم ثبات وسلامة النص القرآنى .

* * *

ولكن هناك موجة جديدة فى الغرب تستشرف سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى اعجاب شديد ، تلك هى موجة اليأس من الايدلوجيتين الليبرالية والاشتراكية والايمان بعجزها عن العطاء الحقيقى للبشرية اليوم وضرورة التطلع الى منهج جديد .

ولكن فى مقابل ذلك هناك الخوف من تطلعات الغربيين الى الاسلام والى النبى محمد ، فهى عامل خطير ، يدفع الى تزييف هذه الصورة المشرقة ، والخوف من الاسلام أن يصل الى قلوب أهل الغرب هو الهدف الأول ، أما الهدف الثانى فهو تشكيك المسلمين فى دينهم ونبيهم .

اننا يجب ان نفرق بين المستشرقين وكتاب الغرب من لم يسلم أمثال : تولستوى ، كارليل ، جوستاف لوبون ومن سلم لورد هدلى ، خالد شلدريك ، واتيان دينيه وجارودى ، بوكاى،فان هؤلاء يختلفون تماما عن جولدزيهر ولامانس ومرجلوث فهذه نفوس اظلمت بالهوى والغرض وامتلأت بالتعصب والحقد ، أما أولئك فبالرغم من انهم لم يدخلوا الاسلام فقد كانت كتاباتهم منصفة وعقولهم مستعدة لتقبل الحقائق .

* * *

وقد جاءت كتابات هؤلاء مختلفة عن كتابات امثال « أميل درمنجم » الذى كان معروفا بهواه فى التقريب بين المغاربة وفرنسا بالتحايل على النصوص وقد حاول ان يخدع المسلمين بدعواه فى التقريب بين المسيحية والاسلام ولقد اشار فى صراحة (اتيان دينيه) بعد اسلامه عن انه من المستحيل ان يتحرر المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة ، وانه من اجل ذلك قد بلغ تحريف بعضهم لسيرة الرسول مبلغا غطى على الواقع وأخفى الصورة الحقيقية .

وأهم عوامل انحرافهم :

(أولا) ادعاء المنهج العلمى وقد كشفت الأبحاث عن كذب هذا الادعاء فى مواضع كثيرة (١) تحريف النصوص (٢) تزييف الاستدلال (٣) الغمز واللمز (٤) تصغير المسلمين واعلاء شان اعداء الاسلام كابى جهل وأبى لهب .

(ثانيا) تجريد المعارك الاسلامية من نفحات النبى وتأييد الله تبارك وتعالى وقياسها بمقاييس بحتة .

(ثالثا) اغفال جوانب رعاية الله تبارك وتعالى فى الهجرة والتركيز على عنصر الاختفاء وقياسه بمقاييس مادية بحتة .

(رابعا) فى الحديث عن معارضة قريش للنبى ذكروا ان السبب فى ذلك هو خوف قريش على مركزها التجارى ، وهذا تحليل ماركسى فان قريشا قد عرضت على النبى التنازل عن كل شىء له ولكنه رفض لقد كان الأمر ، أمر عقيدة ولم يكن أمر اقتصاد .

وبعد فان النماذج الجديدة التى تكتب عن الاسلام وعن النبى تكشف تحولا جديدا يدعو الى الاعتقاد بان المنصفين قد بدأوا يفهمون الاسلام ويقدرون نبيه العظيم .

ان هناك ما كتبه عبد الواحد يحى (دينه غيبون) ومحمد أسد (ليوبولد فايس) ونصر الدين دينيه (اتيان دنيه) والمنصور بالله الشافعى (فانسان مونيوى (كلها كتابات صادقة تفتح الطريق فى الغرب الى فهم اكثر عمقا لصاحب الرسالة الخاتمة .

وعلى كل الأحوال فان الانفراج الحاضر فى الكتابة عن الرسول فى الغرب لا تجعلنا نغفل عن مؤامرة النفوذ الغربى المستمرة والمتصلة فى الاستشراق الغربى والماركسى والصهيونى والمتصلة بين الكنيسة والنفوذ الاستعمارى ، ولكننا نعتقد ان الغلبة ستكون للتيار المنصف للاسلام ورسوله وكتابه والتى يقوم عليها اليوم علماء ومفكرون لا يخضعون لسيطرة دوائر الاستعمار ، أولئك الذين استطاعوا ان يتحرروا من نفوذ رجال الاكليروس والاستشراق .

وسوف يعمق هذا التيار ويتسع ليؤتى اكله خلال الخامس عشر الهجرى باذن الله .

هذا وبالله التوفيق

الفصل الثالث
تهاوت خطط المؤامرة وكشف القران عن ذخائره

كان التغريب يظن وقد أحكم خططه خلال اكثر من خمسين عاما انه أصبح قادرا على توجيه العقل الاسلامى الى وجهه يمكن معها السيطرة عليه ودفعه الى طريق التبعية بعد أن حاول اسقاط اجنحته التى يتميز بها والتى تعطيه ذاتيته الخاصة وقدرته على الحركة وقد تمثلت هذه الخطة فى عدة خطوات :

أولا : خلق روح التبعية بطرح المفهوم الغربى للدين .

ثانيا : خلق تصور كاذب ومضلل ببشرية القرآن وكأنما قد جرى اقتباسه من الكتب القديمة .

ثالثا : القول بأن الاسلام لم يقدم جديدا وانه ليس الا صورة من صور سابقه .

ولكن هذه المجالات كلها قد سقطت بعد أن تبين ان هناك فى الغرب علماء كبار كانوا منظرين فى فلسفاتهم وعقائدهم قد اذعنوا له حين اكتشفوا فيه سرا لم يكن موجودا فى كتبهم ولا فى ثقافتهم وكان هذا الشوط قد أفرز كتابات جديدة هزت الدوائر الغربية واسقطت تلك الدعاوى المضللة وقد كان دخول علماء رياضيون امثال الدكتور موريسون والبروفسور جانات باحثون فى الاسلام من اخطر ما واجهته حركة التغريب واهتزت له ، ومن هنا فان هذه الدوائر لم تتوقف ازاء هذا الخطر الجديد وبدات حملة ضخمة على الاعجاز العلمى للقرآن الكريم الذى كان لمؤتمريه فى الرياض والقاهرة أثرهما الخطير فى عالمين كبيرين ، وادخال احساس جديد بهذا النور الجديد فى قلوب العشرات ممن لم يكونوا على وعى به .

لقد اهتزت قلوب علماء البيولوجيا عندما سمعوا خبر اطوار الجنين التى وردت فى القرآن منذ خمسة عشر قرنا : سلالة من طين ، نطفة ، علقة ، مضغة ، عظام ثم يكسو العظام لحما حتى يقول الدكتور كيت مور استاذ علم التشريح بجامعة تورينو بكندا : انه قد اعتراه شعور بالدهشة البالغة ازاء الدقة العلمية التى تضمنتها آيات القرآن الكريم فى شأن مراحل تطور عملية تكوين الانسان وهو الأمر الذى لم يتمكن الخبراء الغربيون من معرفته الا خلال السنوات القليلة الماضية فقط ، وكان الدكتور مور قد تفحص التوراة والانجيل ولكنه لم يجد فيهما مايمكن مقارنته بما ورد فى القرآن ، لقد دحض التفصيل الذى قدمه القرآن لمراحل تطور الجنين داخل الرحم ذلك التفسير السابق الذى كان يقول ان الجنين يخلق مرة واحدة ، كما كان يعتقد قدماء المصريين وفلاسفة الرومان ، ويقول لقد هالنى ما قال به القرآن عن الحكمة فى جعل فترة الحمل ستة أشهر على الأقل لأن هذه هى المدة الوحيدة التى من الممكن أن يعيش بعدها الوليد .

وليس هذا فحسب ، بل ان القرآن قد ذكر عشرات الحقائق التى لم يفهم معناها الا فى المائة سنة الأخيرة بعد اكتشاف الاجهزة العلمية .

لقد جاءت مؤامرة (الحوار) للقضاء على تلك الأشواق التى غمرت قلوب تتطلع الى نور الله ، بالحصول على تصريحات من بعض علماء المسلمين ترمى الى القول بانه لا فرق بين الأديان وان الفوارق التى بينها اكاديمية — على تعبير أحدهم — وذلك لاستخدام هذه التصريحات فى حق من أشرقت فى قلوبهم اضواء الايمان عن مطامحهم وظنوا انهم استطاعوا ذلك ولكن ارادة الله الغالبة كشفت هذه الصفحة الجديدة الباهرة لتحطم احلامهم فى حق الناس عن الاسلام ، ومن هنا كانت تلك الهزة التى اصابتهم بالزلزال عندما وجدوا اعلاما كبارا يقتنعون باعجاز القرآن الطبى والعلمى فيعلنوا أمام علماء العالم فى مهرجانهم الكبير اسلامهم فيحاولون من خلال كتابات حاقدة ومضللة أن يلبسوا الأمور على الناس مرة أخرى

فيتحدثوا عن افتراء جديد ينسبوه للاسلام بانه يريد ان يصطلح مع العلم ، وكيف يمكن أن يصدق هذا من عنده اثارة من علم ، ذلك أن القرآن هو الذى فتح باب العلم وانشأ المسلمون فى ظله المنهج التجريبى الذى تقوم به وعليه الحضارة المعاصرة ، فاذا كانت الاديان الأخرى تحاول أن تصالح بينهما وبين العلم فان ذلك لا يكون الا حيث تصارعت الأديان والعلم من قبل ، وهى سوف تعجز عن المصالحة والموائمة مع نصوصها القائمة .

وفى ميادين متعددة ينكشف اليوم فساد مخطط التآمر التغريبى ففى مجال الشريعة الاسلامية اعلن الفقهاء الغربيون منذ وقت بعيد عن عظمة معطيات الاسلام فى فقه التعامل والأسرة والتجارة على نحو لم يعرفه فقه آخر ، وفى مجال الفلك والجغرافيا كتب العشرات عن ريادة الاسلام ، وفى مجال الطب والصيدلة عرفت عشرات الحكماء المسلمين فى أوربا منذ قرون .

* * *

ويجىء اليوم علماء غربيون يكشفون عن فساد حضارتهم لافتقادها البعد الربانى وعن اضطراب نصوص كتبهم وتراثهم لأن الالهى فيها قد اختلط بالبشرى حذفا واضافة (وقراطيس تخونها) .

لقد اتضح الطريق أمام شباب المسلمين واضاء ولم يعد لهم عذر فى أن يقبعوا فى براثن المؤامرة التى صنعها الغرب ليديم سلطانه ونفوذه على بلادنا وقد آن لنا ان نتحرر منها .

اذن فقد سقطت فى الجولة الاخيرة اكاذيب كثيرة

سقطت اكذوبة بشرية القرآن فقد أعلن هؤلاء الباحثون أن ما أورده القرآن فى القرن السادس الميلادى لم يكن هناك أحد من البشر يعلمه فمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يقوله ، فان ذلك يعنى أن هناك مصدر اكبر قد جاء به منه .

ثانيا : القول ان القرآن قد جرى اقتباسه من الكتب القديمة .

فقد ظهر ان القرآن متقدم على هذه الكتب فى عشرات الوقائع بل وفى عشرات التفاصيل التى تخص الأنبياء السابقين انفسهم أصحاب هذه الكتب ، وان مسألة الاقتباس هذه اكذوبة هائلة ، وانما الذى فهمه العلماء ان المصدر الربانى الالهى الواحد لكتب السماء هو سر ما يوجد من اسس بين هذه الكتب ، ولو ان اصحابها مضوا بها لأوصلتهم الى الحلقة الاخيرة التى انكروها وهى رسالة النبى الخاتم (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) .

ثالثا : لقد تبين ان المفهوم الغربى للدين مفهوم مغلوط ، لأنه ليس من عند الله بل من اهواء رؤساء الأديان وان المفهوم الحقيقى للدين هو ما قدمه الاسلام وحده .

رابعا : لقد تبين أن زيوفا كثيرة دخلت على النصوص المقدسة ، وان الارقام التى قدمت فى سفر التكوين وغيره عن خلق الكون ليست صحيحة .

خامسا : لقد تبين ان القرآن هو الذى اخرج أوربا بعد الف سنة من الفكر الوثنى الرومانى والاغريقى والمسيحى المتحرف ، هو الذى اخرجها من الظلمات الى النور ، اخرجها من الوثنية ، ثم اخرجها من الرهبانية (رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) .

* * *

هذه هى الاخطار التى هزت دوائر الغرب نتيجة لكشوف الاعجاز العلمى (والطبى) فى القرآن حتى دفعت بعض الكتاب الغربيين الى التهجم الشرس على الاسلام ودفعت امثال فؤاد زكريا الى قولته الباطلة القاصمة حين قال بما اسماه جراة الكتب الدينية على اقتحام مجال العلم والفلك ، والحقيقة ان القرآن هو الذى فتح باب العلم ومن نصوصه (قل انظروا) انشأ المنهج العلمى التجريبى الذى تقوم عليه الحضارة المعاصرة ، ومن مفاهيمه قام منهج المعرفة (البرهان) قل هاتوا برهانكم

وان المعجزات التى تترى هذه الايام عن قصة خلق الجنين وعن عطاء القرآن لأصحاب الاعصاب المتوترة حتى من غير المسلمين وعديد من المعطيات لتدحض فكرة المضللين ، واتباعهم من الذين يكتبون بالعربية . وقد بدا لهم اليوم فساد خططهم فى الذرة والصواريخ .

(وما يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله) صدق الله العظيم .

الفصل الرابع

الإسلام يقتحم وجدان الغرب

أما ان الاسلام قد اقتحم وجـــدان الغرب فهذه حقيقة لا سبيل الى انكارها اليوم او تجاوزها ، شهد بها كثير من نوابغ الغرب واعلنوها واضحة جلية ، ولكن المفارقةالتى يدهش لها بعض الناس هى انه : كيف يمكن للاسلام ان يقتحم وجدان الغرب فى نفس الوقت الذى يعجز فيه أهله عن امتلاك ارادتهم وتطبيقه فى مجتمعاتهم ومعنى هذا ان الاسلام :

(أولا) قادر على العطاء فى كل البيئات بالرغم من وجود التعارض بين المنهج وبين التطبيق احيانا .

(ثانيا) ان تراجع أهله وتخلفهم لا يرجـــع الى الاسلام نفسه وانما يرجع الى انصراف اهله عنه الى مناهج أخرى ظنا منهم انها تعطيهم القدرة على امتلاك ارادتهم أو شكا منهم فى قدرة الاسلام على العطاء او ما يدعونه من حاجته الى التطور وهى مفاهيم دخلت على المسلمين من أجل تعويق مسيرتهم اذ أن الاسلام قد حقق الغاية من التطبيق الف سنة كاملة ، وانه فى نفس الوقت قادر على العطاء فى مختلف العصور والبيئات لانه مرن واسع الاطـــــر ، ربانى الوجهـــــة ، يختلف تماما عن الايدلوجيات البشرية التى سرعان ما يصيبها العطب وتحتاج فى مواجهة المتغيرات الى الاضافة والحذف .

***

لقد تطلع اهل أوربا منذ وقت بعيد الى نهج جديد يختلف عن منهجهم الذى رأوه عاجزا عن العطاء وتطلعوا الى الهندوكية والبوذية والى نحل مختلفة ظانين ، انها قادرة على اخراجهم من أزمة الانسان الحـــــديث ومن الغربة التى يواجهها مجتمعهم ، حين انصرفوا تماما عن منهج الدين كلية الى الايدلوجيـــــات البشرية ، وحين اعتصموا بالفلسفة المادية ظنا منهم انها تستطيع بنـــاء مجتمع متماسك سليم ، بعد ان حجبوا تماما مفاهيم الروح والوجدان والمعنويات كلها او فسروها تفســـيرا ماديا .

واليوم وعلى ايدى كتاب منظرون لهم قدرهم فى الفكر الغربى يتبين :

أولا : ان عزل الدين عن المجتمع والحضـــارة هو الأزمة الاساسى .

ثانيا : أن الدين الذى انتقل الى الغرب من الشرق لم يكن تاما ، بل اختلط بالأديان البشرية والفلسفات التى كانت تعش فى بيئة الغرب ولذلك فقد جاءت معتياطه غير كاملة .

ثالثا : ان الحضارة التى شكلها الغرب والمجتمع الذى اقامه أخذ من المسلمين (المنهج التجريبى) ولكنه رفض منهج المعرفة ذى الجناحين (المادة والروح) ومن هنا فقد فصل بين المنهج والتطبيق ، واعلى مفهـــــوم العلمانية والمادية والوثنيات القديمة فعجز عن معـــرفة ابعاد الصلة بين الله تبارك وتعالى وبين المجتمعـــــات والحضارات ، هذا البعد الالهى الغائب الذى هو وحده القادر على حماية حركة الحضارة من الانهيار والتمزق والتصدع اذا هى عادت اليه واستمسكت به .

ومن هنـــا ظهرت تلك المفارقات العجيبة ، ففى مجتمع الوفرة تبرز ظاهرة الانتحار ، ونبذ الأبناء للاباء والقضاء على المريض اذا تعـــذر الشفاء ، والاستعلاء بالعنصر والدم وتصور الأمم الملونة وكانها من طينةاخرى على النحو الذى كان سائدا فى حضارة الرومان مـــع اختلاف خفيف هو : وضع مخالب العدوان فى قفازات حريرية ، ولقد قضت الحضارة على هذا النحو المتحرر

من البعد الالهى الى أقصى غايات الاستعلاء والاستهلاك والسرف فى الترف واستنزاف الثروات الطبيعية فاحسست بالفزع والترويع .

تلك هى أزمة الحضارة الصاعقة ، التى لفتت أنظار المثقفين الغربيين والمفكرين الى مدى الخطر الذى يحيق بالشرية ، ومن هنا تحرك الباحثون حول المذاهب المختلفة يحاولون ايجاد حلول منها صالحة ، أما الذين ذهبوا الى المذاهب الروحية وعلى رأسها (البوذية) فقد يطلبون عبثا فهذا تيار مختلف تماما يرفض المادة تماما ويبرأ منها ويعكف على الزهادة من الحياة ، وهو فى هذا شأنه شأن الفلسفة المادية التى تنكر الروحيات والمعنويات ، اذن فلا بد من (منهج) قادر على الجمع بين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والعلم والدين والدنيا والآخرة ، وهو الاسلام الذى غيبه الغرب وحجبه وشكك فى عطائه خوفا من خطره .

وكانت غلبة مفهوم العقلانية والمادية والعلمانية على الفكر الغربى بمثابة حجاب خطير يحول دون الوصول الى الحقيقة . ومن هنا كانت صيحة الذين استطاعوا أن يتجردوا من الوهم : « ان العقل المادى يقود الحضارة الى الهاوية وأن الاسلام هو الوسيلة الوحيدة لاعادة التوازن للعقل البشرى وتخلص الانسانية من السياسات الميكافيلية » .

وكان لابد للاسلام ان ينتظر أربعة قرون كاملة حتى يكشف فساد التجربة الغربية بكاملها سواء فى مجال الحضارة او مجال المجتمع . أو عجزها عن العطاء النفسى وأشواء الروح . لقد استطاع العلم التجريبى منذ وقت طويل أن يعترف بعالم الغيب ، خاصة عندما فجر الذرة وتبين له أن الطاقة تتحول الى مادة وأن المادة تتحول الى طاقة ، وبذلك وقف العلم التجريبى على أبواب الايمان بالخالق الذى هو اليقظة الأولى والكبرى فى القضية كلها ولكن الفلسفة المادية ظلت تتحدث عن (الطبيعة) وحاولت بأساليبها ومغرياتها أن تخدع الكثيرين خاصة فى عالمنا الاسلامى بأن المادة مصدر الحياة كلها ، لقد كان خلاف العلماء فى الغرب مع دين الغرب نفسه مصدر هذه الأزمة التى فصلت تماما بين العلم والدين ولكن هذه قضية خاصة بالغرب نفسه فاذا نقلت الى اطار الاسلام كانت غريبة مجهلة ، لسبب بسيط جدا ، هو أن الاسلام هو الذى فتح الباب واسعا أمام العلم وأعطاه فكرة : النظر والتجريب والبرهان (أساس القاعدة الأولى للعلم والتكنولوجيا) .

ان الغرب فى بعض دوائره يخاف الاسلام ، كما يخاف العلم الحديث لأنه يكشف كثيرا مما اعتقده الناس مسلمات على مدى التاريخ دون أن يتبينوا حقيقته ، وكانت دعوة الاسلام الخطيرة فى نظر الغرب هى : (اعرف ثم آمن)وان الشك مدخل الى الايمان وهى مناقضة تماما لدعوة (آمن ثم فكر) ومن هنا فان العلم اليوم . يقوم على الافتراض أولا ، ثم الأخذ به ثانيا بعد التأكد من صحته .

حقائق القرآن :

لقد دعا الغرب الى النظرية المادية وقدم الاسلام المنهج الجامع احتراما لعقل الانسان .

لقد دعا الغرب الى الحرية المطلقة ، وقدم الاسلام الحرية المنضبطة لحماية الانسان .

لقد دعا الغرب الى فكك القيود واطلاق الارادة فماذا وجد الانسان نفسه بعد التقدم المادى الهائل .

يقول جارودى : اننى أقول بكل ثقة انه بعد اربعة قرون من هيمنة الغرب فان العلم وفر وسائل الدمار ، ان الغرب والشرق الآن لديهما ما يعادل مليون قنبلة مثل التى القيت فى هيروشيما ، اى لدى الحضارة الحديثة قنابل تستطيع ان تقتل ٦٠ مليارا من البشر أى نحو عشرين ضعف سكان العالم فى الوقت الحاضر ، ان البشرية فى حاجة الى الاسلام ليحقق التوازن بين الأهداف والوسائل ، وبين ما يمكن أن يفعله العلم الحديث وبين ما يجب أن يفعله فى حقيقة الأمر ، لأن العلم خلط بين الوسائل والأهداف وفقد (الحكمة) فى الاختراعات الحديثة بحيث وجدنا عشرات المخترعات الحديثة ليس من ورائها حكمة ، وليس من ورائها غايات . أجزم ان الاسلام كعقيدة وفكر ونظام حياة هو الوسيلة الوحيدة لاعادة التوازن للعقل البشرى وتوجيهها نحو قائدة الفرد والمجتمع والعالم فالاسلام يركز دائما على ان الانسان هو خليفة الله فى الارض وما دام الانسان هو خليفة الله فلابد أن يعمل ما يأمر به الله وما يرتضيه .

هكذا نجد أن هناك طبقة عالية من المفكرين فى الغرب :

(ارثر اليسون ، موريس بوكاى ، جارودى) .

كيف يمكن للغرب أن يواجه هذه الازمة ، ازمة الصراع بين المفاهيم والمعايير المضطربة التى تقدمها

الحضــارة وبين النفس الانســانية الحاسـة بالفراغ الواسع، لقد أقر هؤلاء أن الاسلام هو القادر على العطاء فى هذا المجال ، بما يطرحــه فى قلب المؤمن من الحب والصدق والامانة والصبر والشجاعة والوفاء والمروءة ويطرح فى عقل المؤمن : التواضع والرشد والحكمة ويطرح فى وجدان الانسان الايمان والثقة بالله تبارك وتعـالى وصدق الوجهــة اليه ، وايمانا بأن الجانب الروحى والمعنوى سيظل اهم العوامل التى يقف وراء تقـدم الحضارات أو انهيارها .

* * *

لقد افتقدت الحضارة الحديثة الروحانيات فافتقدت الأولويات والوجهة التى تتجه اليها فاضطربت منطلقاتها وتوزعت ، ان بعدنا عن الروحانيات قد أوصلنا فى مجال العلم الى التجرد العلمى بعيدا عن الأهداف والحكمـة واصبح العلم علمانيا أو لادينيا يسعى وراء اللذة وفى مجال السياسة أوصلنا الى القول المعروف (الغـاية تبرر الواسطة) ــ الميكافيلية هذه السياسة هى المئولة عن الانانية والفردية التى تعم الغرب على مستوى الافراد والجماعات ، وهى المسئولة عن اختراع وسائل الانحدار والدمار وعن حرب القوى العالمية .

فالاســلام وحده هو القادر على اعادة هــذه (الروحانيات) الى حياتنا وان نجعل العلم فى خدمـة غايات الله تبارك وتعالى وان تخدم هذه الغايات (عباد الله) عن طريق تحديد الاولويات والتأكيد على الغايات ا . هـ .

على ضوء هــذه المفاهيم المضيئة المنبثة الان فى الغرب نجد العشرات من المثقفين يدخلون فى الاسـلام ويؤمنون به بالرغم من حالة التردى التى يعيشها المسلمون واعتقد أن هذا التحول قد تم على مراحل خلال اكثر من خمسين عاما حين كتب برناردشو وكارليل ، وجوستاف لوبون كتاباتهم الاولى :

١ ــ وحين انكسر هذا الحاجز الذى كان يحول بين الغرب وبين الاعتراف بالدور الذى قام به الاسلام فى بناء المنهج التجريبى الذى قامت عليه الحضارة المعاصرة .

٢ ــ وحين انكشف لبعض كتاب الغرب الدور الذى يقوم به النفوذ الاجنبى فى تعويق نهضة المسلمين .

٣ ــ وحين انكشف شىء من اصالة الاسلام بعد أن ارتفعت غاية التعصيب العقدى الخالص .

٤ ــ وحين انكشفت تحريفات بعض الكتب القديمة.

٥ ــ وحين كشف العلم عن الاعجاز الطبى والعلمى الذى جاء به القرآن الكريم وفتوح اخرى على الطريق (سيريكم آياته فتعرفونها) صدق الله العظيم .

* * *

الباب التاسع
قضـــايا مثـــارة

ظاهرتان خطيرتان فى أفق الفكر الإسلامى

القضية الأولى

العقلانية والفكر الفلسفى الباطنى والوثنى
وتقديس العقل

فى كل مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامى كانت تظهر دعوات منحرفة بعيدة عن مفهوم الاسلام الجامع القائم على التكامل والتوازن بين القيم والعناصر وكان علماءالمسلمين يكشفون هذه الدعوات المنحرفة ويدحضون محاولات المحرفين والمنحرفين ويردون كيدهم الى تحورهم

وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، وفى ظل اضواء الصحوة الاسلامية نجد محاولات جـديدة تحاول احياء مؤامرات قديمة تحت اسماء جديدة ترمى الى اثارة الشبهات وهدم مفهوم الاسلام الجامع . وتتمثل هذه المؤامرات فى خطين متوازيين :

خط يختفى تحت اسم العقلانية ويرمى الى احياء مفهوم الاعتزال بدعوى ان تجديد الاسلام ينطلق من هذا الطريق خداعا وتضليلا عن مفهوم الاسلام الجامع بين العقل والروح ، والذى يتكامل تحت جميع العناصر والقيم

وخط يختفى وراء الفكر الفلسفى والصوفى الفلسفى بهدف احياء مفاهيم الوثنية والغنوصية والفكر المجوسى القديم ، اعتمادا على القول بأن الحس والوجدان منطلق للمعرفة بينما يقرر الاسلام ان للمعرفة جناحين لا يطير الطائر الا بهما معا : هما العقل والوجدان .

ولاريب أن هذين التيارين يعارضان مفهوم الاسلام الصحيح الجامع ، مفهوم اهل السنة والجماعة ، وانهما يستشريان الآن كل فى منطقة من المناطق تحت اسماء أخرى جديدة ومضللة ، ومن خلال افكار براقة زائفة تطرح هنا وهناك ويتخفى وراء : الحداثة والتقـــدم والعصرية والتجديد والانبعاث .

ولما كانت هذه الدعوات الجديدة تواجه شبابا غضا قليل المعرفة ، لبست الى ارضية اسلامية فى مجال التربية بالأسرة أو مجال التعليم بالمدرسة فان المظاهر الخلابة التى تبدو من وراء الكلمات البراقة تخدع الكثيرين سواء من قرأ منهم عن الوجودية أو البهائية أو القاديانية أو ادعاء النبوة .

وأخطر ما يتردد الان الكتابة عن الفرق والنحل القديمة من منظور حيادى كاذب ، يرمى فى حقيقته الى التركيز على السموم الناقعات التى عرضها أصحاب هذه المذاهب قديما ودحضها المفكرون المسلمون ، والآن يجرى عرضها مرة أخرى فى خداع شديد بين مجموعات من الشباب المسلم الذى لا يعرف مدى حقيقتها ولا يدرى كيف كان وضعها وكيف كان دعاتها من الزنادقة المضللين بل ان البعض يسعى لتقديم تاريخ زائف لهذه الاسماء فى محاولة لوصفها بالبطولة وحرية الفكر .

لقد عقدمؤتمر بلتيمور منذ سنوات بهدف احيـــاء تاريخ الفرق الضالة ، وتجديده عند طريق كتب تنشر واطروحات تقدم فى الجامعات وفصول تنشر فى الصحف تحت اسم دعوات العدل والحرية ، ورسمت لهذه الفرق المنحرفة مخططات كانها كانت تدعو لا الى هدم المجتمع الاسلامى وتدميره ، بل الى احيائه وبعثه ، كتبت عن البابكية والسبئية والقرامطة والزنج والحشوية وغيرها لا ريب ان هذه المحاولة فى بعث هذه الفرق وتجديدفكرها ووضعه فى قالب اشتراكى علمانى براق على ان أصحابها دعاة عدل اجتماعى وهم لم يكونوا الا من الظالمين المبطلين وربما ادعى البعض انه يريد أن يكشف هذه المخططات خدمـــة للصـــحوة الاســـــلامية ، ولـكن ذلك الادعاء باطل ، وما تكون الكتابة فى هذا المجال اذا اريد بها خدمة الاسلام على هذا النحو الذى يبرر الواقع الأسود أو يذيع الفكر المسموم ليخدع به العقول الصغيرة والنفوس البسيطة التى لا تعرف مدى الاخطار المحدقة بالسلمين ولا تدرى شيئا عن المخططات التى يراد بهـــا احتوائهموتذويبهم فى بوتقة الأممية العالمية ليفقدوا تميزهم الخاص وطابعهم المستقل . .

ان الهدف الحقيقى لهذه الغزوة هو تفريق شمل الأمة وراء جيوب مختلفة من المعتقدات والنظريات حيث لم تكف القوى الخارجية ما طرحته من ماركسيةواشتراكية ووجودية ومن تهائية وقاديانية ظاهرة أن محاولة الغزو الثقافى والتعريب فى احياء الاعتزال تحت اسم جديد هو العقلانيلأ انما يرمى الى تمزيق وحدة الفكر الاسلامى الجامع بين العقل والوجدان ، وأصحاب هذه الدعوى يهاجمون كل ما فى الفكر الاسلامى مما غير العقلويصفونه بانه خرافاتواساطير وليس الأمر كذلك تماما ولكن مفهوم الاسلام الجامع يستهدى بالتوازن والوسطية والتكامل بين العنصريين اللذين يشكلان منهج المعرفة ذى الجناحين فنحن حين يرفض انحراف الوجدان الى الحد الذى يصل انحراف العقل الى انكار غير المحسوس وانكار الوحى الى مفهوم الحلول والاتجاه ووحدة الوجود فاننا نرفض والمعجزات تلك هى وسطية الاسلام الجامعة التى تؤمن بالتكاملوالتوازن وترفض استعلاء عنصر العقل أو عنصر الوجدان .

اننا نجد اليوم دعاة العلمانية والماركسية والكارهون لمنهج الله والمعارضون للشريعة الاسلامية يحاولون ان يجدوا عن طريق الدعوة الى العقلانية منفذا ينفذون منه الى الهدم والتدمير ، ونحن نعرف ان قوى الاستشراق والتعريب كلها تركز على العقلانية وفكر الاعتزال لانها تعتقد أنه جاء من جذور يونانية قديمة ولذلك فان الدعوة اليها احياء لهذه الرابطة التى وقع فيهـــا المشاءون المسمون حينظنوا ان الفلسفة الهلينية تستطيع ان تلتقى بمفهوم التوحيد بينما هى تستمد مفهومها من علم الاصنام والوثنية والاساطير وتؤمن بان « الرق أساس من أسس الحضارة والمجتمعات وان المجتمعات تتكون من سادة فى الاعلى وعبيد فى السفح ، وهذه هى القاعدة التى قامت عليهـــا الحضارات اليونانية والرومانية والفارسـية والفرعونية والهندية ، وهى نفسها التى تقوم عليهـــا الحضارة الغربية الحديثة وان كانت قد غلفتها ببعض المظاهر الخادعة، أما الاسلامفقد جاء هادما لهذه القاعدة مقيما قاعدة الناس كلهم لادم وآدم من تراب ولا فضـل لعربى على أعجمى ولا لابيض على أسود » .

فنحن نحذر من دعاة العقـــلانية أو ما يسمها العقلانية الاسلامية لان الاسلام يجمـــع بين العقلانية والوجدانيةوانه بجماعه هذا قام ببناء منهجه التجريبىمن ناحية وبمنهج المعرفة من ناحية أخرى وقدم أيضا قانون قيام الحضارات والأمم وسقوطها واذا كان بعض هؤلاء يشيدون بالمعتزلة ويرى بعضهم أن سقوطهم وهزيمتهم كان زيمة للاسلام فتلك دعوى باطلة واننا نرد كل ما ادى بالمجتمع الاسلامى الى التراجع و الولاء للفكر الفلسفى الوافد سواء الفكر العقلانى أم الفكر الصوفى الفلسفى

والحقيقة انهزيمة المعتزلة، كما كانت هزيمة الفكر الصوفىالفلسفى ، نتيجة طبيعية لانهيار التوازنالاساسى فى الفكر الاسلامى بين الروح والمادة والعقل والقلب فلما كانت هذه الدعوة مخالفة لجوهر الاسلام ومنهج المعرفة فيه ، فقد كان من الطبيعى ان تنهار واذا كان الاعتزال اساسا كان محاولة مرحلية لمواجهة المذاهب الفلسفية التى تحتمى وراءها الاديان المعارضة للاسلام ، وقد أدى دوره فى هذا المجال على احسن وجه وواجه علماء الكلام فى الأديان والفلسفات الأخرى فى قوة وادال منهم وحقق كثيرا من النتائج وادخل مئات من الوثنيين فى الاسلام .

غير ان المعتزلة لم يلبثوا ان بلغوا درجة من الغلو فى تأكيد موقفهم وفكرتهم وبذلك اعلوا شأن العقل وبلغوا به مبلغاخطيرا ولما كان المسلمون يؤمنون بالغيبوالشهادة ويؤمنون بالوحى والعقل ويتكامل ايمانهم هذا فان اعلاء شأن العقل وحده كان خروجا على مفهوم الاسلام وهو خروجعرض المعتزلة للازمة وعرض فكرهم للانهيار تحت اضواء الاسلام الصحيح ، ومن نا جاءت تعـــديلات وتصحيحات قام بها الامام الاشـــعرى ومدرسة الامام

احمد بن حنبل اذ كان لا بد ان يعود الاسلام الى اصوله الصحيحة الجامعة وان يتحرر مما أصابه عن طريق الفلسفة اليونانية من انحراف ولذلك فقد كانت هزيمة المعتزلة نيرا لاصالة الاسلام وتعديلا لمسار فكره وربما كان حزن بعض المستشرقين على هزيمة المعتزلة (وتابعهم أحمد أمين) راجعا الى ما حاولوا ان يلصقوه بها من انها منطلق الفكر اليوناني الاغريقي وانها لو حققت نجاحا مضطردا لقضى ذلك على وسطية الاسلام وتكامله بل وربما قضى على ارفع مفاهيم الاسلام واصلها الاصيل : التوحيد لذلك فهم يتمسحون بالمعتزلة ويعلون من شأنهم ويجددون الدعوة عن طريق اتباعهم عن طريق واهم كاذب وهو ان الاسلام علمي وعلماني وعالم عن هذا الطريق وحده ، في محاولة لمزجه بالفكر الغربي المادي الوثني ، ومن هنا علت هذه الصيحة في بعض البلاد العربية اليوم ، ومنها نحذر ونكشف الحقائق حتى لا ينخدع بها شبابنا المسلم الجديد .

ويقتضينا المقام هنا ان نتحدث عن العقلانية والعقل هذه الدعوى الوافدة التي لها في أفق الفكر الاسلامي مفهوم مختلف وقد سرت عن طريق الخداع مقولة ان الاسلام دين العقلانية وذلك بهدف طمس مفهومه الاصيل الجامع بين الروحية والعقلانية في كيان جامع متكامل ومن أجل اعلاء شأن المنهج الغربي وللادعاء بان الاسلام كان ثمرة النحلة المعتزلة التي استمدت مفاهيمها من الفكر الغربي الوافد .

والعقلانية مذهب انشطاري يحاول الزعم بأنه يمكن عن طريقه الوصول الى فهم الأشياء والأمور ، وهو أحد عدة مذاهب ظهرت في الغرب منها المذهب التجريبي والمذهب الانساني والمذهب الفلسفي والمذهب المادي والواقع ان هذه المذاهب مرحلية وجزئية وقاصرة ولا تستطيع أن تقدم الحقيقة الجامعة لأنها ينقصها مفاهيم الروح والوجدان والمعنويات والقلب والغيب والوحي ، وهذه كلها يسقطها الفكر الغربي العقلاني بل أنه بالرغم من الدعوة الغربية في الغرب الى العقلانية فان هذا العقل الغربي قاصر اساسا لانه لا يستطيع ان يؤمن بالتكامل بين العناصر التي تشكل الانسان نفسه وانه لايتحرك الا في الجزئية الانشطارية التي تحجب عنه باقي الاجزاء ومن هنا يتبين الفارق العميق واضحا بين المفهوم الغربي والمفهوم الاسلامي حين يرفض الاسلام الانشطارية وجزئية النظرة ويؤكد الواقعية والصدق وتكامل الروح والمادة والعقل والنفس والدنيا والآخرة فالعقل وحده لايستطيع ان يستيقن النافع والضار من الأعمال والاقوال والاخلاق والعقائد الا بهدى من وحي ولكن اذا عرف فهم وصدق فالعقل خادم للحقيقة ولا يمكن له بدون توجيه صادق ان يصل الى الحقيقة ، فاذا وضع بين مقولات ضالة مضلة كالفكر البشري فانه يعجز ان يصل الى الحق ، ولقد تبين أن عقل الانسان غير كاف في الوصول الى فهم علاقته بالله تبارك وتعالى ومهمته في الحياة ومسئوليته وامانته والتزامه الاخلاقي ولا بد من ان يحتاج الى نور وهدى من النبوة والوحي ، هذا النبي يعاضد العقل ويؤكد حكمه ويجعله موثوقا فيما يستقل العقل بمعرفته فيكونان دليلين على مدلول واحد يرشد العقل ويهديه فيما لا يستقل العقل بمعرفته مثل البعث والنشور كما يكشف عن وجوه الاشياء التي لايدرك العقل حسنها وقيمها ، ومن هنا تجيء ضرورة النبوة وقد التقى الوحي والعقل لأول مرة في القرآن الكريم ومعنى هذا أن العقل لن يكون المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة ولايمكن أن يصل وحده الى الحقيقة .

هذا ما يتقرر معرفته في هذا الشأن ، غير ان الامر له خلفياته وبواعثه عند أصحاب الدعوات التغريبية والمادية المضلة ، هذه الخلفيات التي لا يكشفون عنها ولا يعلمها الراسخون في العلم ، ولا شك ان الدعوة الى العقل وحده ورد كل شيء اليه هي محاولة لحجب العقيدة الاسلامية بمضمونها الحقيقي والجامع ، وهي دعوى متصلة وانما بالفلسفات اليونانية والعقائد الفارسية والمجوسية ، أما العقل الاسلامي كما يقول الاستاذ احمد تسوكي : فقد كان متصلا أوثق اتصال بالمعرفة القرآنية اي بنصوصه في التشريع والاخلاق .

ولقد يحاول بعض التغريبيين الاستشهاد باحاديث مروية ، وقد تأكد عن مصادر ثابتة ان هذه الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في العقل لا اصل لشيء منها وانه ليس من رواتها ثقة يعتمد ، أورد ذلك ابن تيمية فيما نقل عن الحفاظ وهل المعرفة بالحديث . وقال الدارقطني انه رويت أحاديث كثيرة في العقل ليس فيها شيء يثبت .

هذه هي الحقيقة فيما حاوله دعاة تقديس العقل الانساني وهي دعوى باطلة وافدة وهي قضية غربية في أصلها لها ارتباطاتها بالمسيحية والكنيسة نادى بها العلماء بعد أن وقفت أمامهم ضد ما حققه العلم وقد تعالى هذا الصوت في الغرب من أجل تحرير العقل من مفاهيم وثنية وأساطير على النحو الذي كشف عنه أخيرا الدكتور موريس بوكاي .

وقد اراد المستشرقون ودعاة التغريب وضع العقل

فى مواجهة الوحى الالهى ، وكان من وراء ذلك محاولة ايجاد صراع عنيف بينهما فالاسلام يجمع بين المنهجين : الوحى والعقل ، ويجعل العقل قائما فى اطار الوحى ، حيث يقرر الاسلام « الغيب » والايمان به ولا يسقط ماهو خارق للطبيعة وقد اقام منهجا كامـــــلا لما وراء الغيب (الميتافيزيقا) ولا يقر الاسلام ما فعله الغرب من حيث اناط بالعقل الانسانى المهام التى كانت موكولة الى الوحى الالهى أو محاولة جعل العقل اعلى مرتبة من الوحى ، واذا كان ذلك قد تقرر فى الغرب عندما ثبت ان الكتب المقدسة قد كتبها الاحبار والرهبان فان ذلك ليس مقبولا فى محيط الاسلام حيث أن القرآن هو النص الالهى الموثق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وفى نفس الوقت يقرر الاسلام ان العقل هو مناط التكليف ويعطيه حقه فى التفكير والتأمل والتدبر والنظر والنقد والاعتبار غير ان الاسلام ينكر أمرين : ان هناك خلاف بين الدين والعقل أو نزاع بين الفلسفة والدين ويضع العقل فى مكانه الصحيح دون ان يعلى من شأنه على النحو الغربى أو ينكره كما تحاول بعض فصائل الباطنية ودعاة الروحية ويقرر الاسلام انه لا خلاف بين الوحى والعقل ، أو بين المنقول والمعقول فاذا وقع الخلاف حمل على أنه خطا فى تفسير الأمور فالحسن هو ما حسنه الشرع وما قرره الوحى مقدم على ما يراه العقل ، ذلك ان العقل البشرى لا يستطيع أن يعلو على الوحى أما مسألة العقل الفعال والعقل المحض والعقل الهيولاتى فهى كلمات لا يقرها الاسلام وهى منقــــولة من الفلسفات اليونانية الهلينية والهندية والسريانية ويتقرر مفهـــوم العقل على النحو الذى صوره القرآن به فى آية كريمة من سورة العنكبوت :

(افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) .

وقد قرر الامام ابن تيمية وعلماء كثيرون : ان الدين أصل للعقل ومآب يفىء اليه ، اذا حيرته متاهات الظنون وانه ليس بين العقل والدين خصومة وما زعمه الفلاسفة فى هذا باطل بل ان هناك توافقهما وتأخيهما اذا وضعا الوضع السليم توافق صريح العقول الصحيح المنقول ..

وبعد فهذا موجز قليل يفتح الباب أمام القضـــية المثارة ويلقى الضوء ازاء القضـــــية الاولى : دعاوى العقلانية وتقديس العقل ويبقى أن نتحدث عن القضية الثانية المرتبطة بالقضية الاولى ارتباط جذريا .

***

القضـــية الثانيـــة :

الفكر الفلسفى الباطنى والوثنى

فى كل مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامى كانت تظهر دعوات منحرفة بعيدة عن وسطية الاسلام وتكامله الجامع ، وكان علماء المسلمين يكشفون هـذه الدعوات المنحرفة ويدحضون محاولات المنحرفين ويردون كيدهم الى نحورهم ، وفى هذا العصر الذى نعيش فيه ، وفى ظل أضواء الصحوة الاسلامية نجد محاولات جديدة تعمل على احياء مؤامرات قديمة تحت اسماء جديدة ، ترمى الى اثارة الشبهات والتشكيك فى مفهوم الاسلام الجامع ، وانتقاض مفهوم أهل السنة والجماعة وتعمل هذه المؤامرة فى خطين متوازيين : اعلاء العقلانية (وقد تحدثنا عنها) واحياء مفاهم الفكر الفلسفى الباطنى الوثنى تحت أسماء كثيرة فى مقدمتها البهائية والقاديانية ووليدتها الاحمدية ودعوة الهومنزم (الانسانية) التى تحمل لوائها الماسونية الى العلمانية والاباحية والوجودية .

وهى نفس الدعوات التى كانت تحمل لوائها الفرق القديمة من الروافض ، والباطنية والمجوسية ، وهناك محاولة احياء الماضى الفرعـــونى والاغريقى والجاهلى وتمجيده وبعث الاساطير واعادة صياغة الوثنيـــــات والاساطر فى اساليب جديدة لاحياء عشتروت وزيوس وباخوس .

وذلك بهدف (١) هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الاصلية والتزييف والتلفيق المتعمد للبطولات الاسلامية ومحاولة اخضاعها للمفهوم الماسونى الوثنى ومفاهيم العلوم الاجتماعية (٢) التشكيك فى هذه المقولات الاسلامية ومحاولة اخضاعها للمفهوم الماسنى الوثنى القديم والحديث الذى يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامى وابرز معالم هذه الفرق :

اولا : القول بالحلول ، والقول يقدم العالم والقول بان للقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن لا يعـــلم باطنه الا الرؤساء لانهم ورثوا علم الباطن ويرون ان الفلاسفة فى منزلة الانبياء يتنكرون للشعائر الدينية العامة ويقولون بسقوط التكليف وان الجنة نعيم الدنيا وينكرون معجزات الأنبياء .

(٣) اباحة المحرمات والمحارم فاباحوا شرب الخمر وزواج البنات والاخوات وجميع الملذات .

(٤) انكار ختم النبوة ، ويدعون بقيام انبياء جدد .

(٥) ادعاء ما يسمى بالدورة الفلكية وارتباط هذه الفكرة بالتناسخ وهو عودة الانسان مرة اخـــرى الى الحياة وفكرة العودة مستحيلة وقد قرر القرآن رفضها

(٦) القول بوحدة الوجود ومعناها انه لا فرق بين الوجود والموجود والقول بالاتحاد وهذا كله مرفوض فى مفهوم الاسلام الصحيح اذ لا يجوز الاتحاد بين الخـــالق والمخلوق .

(٧) الدعوة الى المساواة بين الرجل والمراة .

(٨) الاتحاد بين الاديان فى دين عام يقرر الاخاء الانسانى .

(٩) انتقاص الشريعة الاسلامية وانكار الجهاد . والدعوة الى التحلل من القيم .

وقد ابتعث الاستشراق هذه المفاهيم فى العصر الحديث باحياء فرق الباطنية والقرامطة والزنج واخوان الصفا والتصوف الفلسفى والمنطق والكلام ودعا فى مؤتمر عقد فى بلتيمور اعادة كتابة تاريخ الباطنية والمجوسية وقد استخدم الفكر الماركسى فى اداء هذه المهمة نأحيا كثيرا من هذه الدعوات الضالة وتحدث عنها على انها دعوات حرية وعدالة . وانشأ دعوات جديدة احتوت هذه المفاهيم وروجت لها فى مقدمتها وقد كانت عنـــاية الفكر الاستشراقى بهذه الفرق واضحا (وتشهد دائرة المعارف الاسلامية) بترويجه الواسع لهذه الفرق الضالة اعتبرها ظلما من الاسلام ويرجع ذلك الى ان هذه الفرق تعتمد الفلسفة اليونانية وعلم الاصنام وانها تثير مشاعر الشباب المسلم ازاء مغريات واهواء الماسونية ، البهائيـــة ، القاديانية ووليدتها الاحمدية ، والمهاريشى ، ويقول الاستاذ

عبد الله سلام السامرائى ان (الغلو) هو اسلوب من أساليب مقاومة الاسلام يهدف الى هدمه وجد فيـــه الخصوم من شعوبيين وزنادقة ضالتهم وقد حاول الغلاة والرافضون البحث فى القرآن الكريم عن آيات للمقاومة واخرى للتستر واخرى للتأويل وقد وضع القرآن الكريم الركيزة لمقاومة هذا التيار المسموم وذلك فى قوله تعالى:

(هو الذى أنزل اليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى لوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) .

ان مبادىء الغلو هى الأسس التى ارتكزت عليها هذه المقومات تناقضت مع مبادىء الاســلام : الحلول والتناسخ البداء ، التشبيه ، التأويل وأوضح وسائل الغلاء وسيلتان هما :

١ ـــ التظاهر بالاسلام والعمل فى اطاره .

٢ ـــ التنظيم والحركة السرية .

وتعمل هذه الفرق من خلال التصوف غير المسلم وادعاء الكشف لذات الله والعمل خلف فكرة العصمة وفكرة التقية ، وفكرة الرجعة .

ونقول هذا لنضع المثقف المسلم امام الاخطاء التى تواجهه وهو يقرأ هنا أو هناك اذ ان عليه ان يفهم حقيقة الاسلام فلا ينطلى عليـــه زخرف الفلسفات التى ترتبط بالمفاهيم المنحرفة ، سواء فى المجال العقلانى أم المجال الحدسى المتصل بالوجدان وتزكية النفس ، وما يتصـــل بها من محاولات خادعة تحمل فى طياتها دعوات مسمومة.

وقد تنبه لهذا الشاعر الاسلامى الكبير محمد اقبال حين عرف أن سر ضعف المسلمين وتخلفهم هو اسرافهم فى الاستسلام للفكر الفلسفى الصوفى ، القائم على فكرة وحدة الوجود والحلول والذى يحرر المسلم من مسئولية والتزامه الخلقى ومسئولياته الفردية حتى يصل الى درجة الاستسلام والهوان وقبول الخضوع ، بينما يدعـــو الاسلام الى العزة والعمل وعدم الخضوع الا الله تبارك وتعالى ولقد تركت دعوات الحلول والاتحاد والاشراق والتناسخ ومن كتب عنها شعرا ونثرا اثارا بعيدة المدى على عقول المسلمين وقلوبهم .

ولا ريب أن القول بأن الله والكائنات كليهما متحد أو أن الله هو عين الكائنات خطأ محض ، لا يقره مفهوم الاسلام الصحيح ، ولقد ادى الفهم لنظرية وحدة الوجود الى سلب العالم الاسلامى (قوة العمل) اذ ذوق العمل وقضى هذا بدوره على الشخصية الاسلامية للفـــرد والمجتمع .

وقد قام بعض العلماء المسلمين مثل ابن تيمية يحاول جاهدا رفع صوت الاحتجاج ضد التغييرات الدخيلة على الاسلام ، تلك التى هدفت الى شرح وحدة الوجود ، ويرى اقبال ان الامم الغربية قـــد تفوقت على الامم الشرقية بسبب (قوة العمل) التى ساعدتها على ان تتقدم للامام فالاسلام برىء من كل افلاطونية ورهبانية وصوفية اعجمية ولا بد من تنقية العقائد الاسلامية من الآثار الافلاطونية التىتؤدى فى النهاية الى الرهبانية فهذا النوع من التصوف (غير السنى) وما يتبعه بجعل الحياة حلما ويعلم الهروب من حقائق الحياة ويرى اقبال ان يفتح عيون المسلمين على حقائق الحياة .

وهذا الذى دعا اليه اقبال فى محيط مسلمى القارة الهندية دعا اليه المسلمين فى كل بقاع القارة الاسلامية وهو ما دعا اليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا

الايمان يتحرر الفكر الاسلامى من جموده وبضرورة التكامل بين العقل والقلب والفرد والمجتمع (١) والروح والمادة والتربية والتعليم وذلك فى مواجهة ما يحاوله الاستشراق من التركيز على جوانب معينة من التراث والمبالغة فى اذاعتها وفى مقدمتها دراسة الفكر الصـــوفى الفلسفى المتصل بالمفاهيم المنحرفة والدخيلة على مفهوم الاسلام الاصيل مما كان سببا فى تحول الاســـلام من الايجابية الدافقة الى عقيدة مستسلمة تأملية ، الامر الذى أدى الى مرحلة من التشاؤم والقدرية وان الغرب لم يقبلتحرير العالم الاسلامى الا على اساس مفروض عليه وهو ان يدخله فى فكرة فكان التحرر من النفوذ العسكرى مقدمة للوقوع فى أزمة سيطرة نفوذ فـــكرى من جانب الغرب » .

ومن هنا فقد كان لا بد ان نحترس من الفكر الفلسفى الصوفى والباطنىجملةلان الذينطرحوه مرةأخرى فى افق الفكر الاسلامى يعرفون هدفهم وهو بلبلة الفكر والقضاء

---

(١) استعنا بنصوص اقبال بمقدمة الدكتور ســمير عبد احميد (ديوان الاسرار والرموز) .

على وحدة مفهوم الاسلام الجامع : مفهوم أهل السـنة والجماعة .

وكذلك كان الامر بالنسبة للكلام الذى قضى على مفهوم الاسلام البسيط اليسير ، على النحو الذى يصوره الدكتور محمد كمال جعفر حين يقول : لقد احالت الفرق الكلامية الدين الى مجرد مجال نظرى للعقيدة بابعادها الفكرية دون أن تقدر التجربة الدينية وجوانبها التطبيقية حق قدرها فكانت النتيجة فتح باب الجدل واغلاق باب العمل ، ولقد اغتال الاغراق فى الجدل ولجج المخالفة : صفاء الايمان وسلامة القصد والنزاهة الفكرية ليحل محلها العناد والتعصب ، فقد نشطت عوامـل تأريث الصراع الى ابعد حدود النشاط فى كل اتجاه بهدف واحد واحد هو تفتيت وحدة هذه الأمة وتشويه عطائها الفكرى وتبديد جودها واستفراغ طاقاتها فيما ليس فيه عناء حتى أوصدت ابواب الجهاد دون مبرر مفهوم ، لقد خضع (علم الكلام) الى الاغراض السياسية المرحلية ونسى فى غمرة الاحداث رسالته الاصلية وانقلب سلاحا فتاكا يغتال وحدة الامة ويزكى نيران العداوة بين طوائفها وطبقاتها وقد تدخلت عناصر غير اسلامية فشجعت هذا التفرق وزادت فى تأجيج الصراع ، والحقت فرقا معينة بزمرة المسلمين مع اصطدام الأساس الذى تقوم عليه بمبادىء الاسلام الاولية وهكذا انحرف علم الكلام ليخدم اغراضا ذاتية سياسية وايدلوجية لهذا الفريق أو ذاك وبذلك حبس نفسه فى الفرقة الطائفية والطبقية وفشلت النظرة الاسلامية الواسعة والافق الاسلامى الرحيب .

***

وفى البرهنة على وجود الله وصفاته لم يسلم علـم الكلام من الوقوع فريسة لادلة ما لبثت ان صارت موضع أخذ ورد وازدراء الفلاسفة والمفكرين لعدم متانتها المنطقية وسموها الى مرتبة البرهان ونسى علم الكلام المنهج القرآنى والأدب الاسلامى تجاه مسألة وجود الله .

ولقد كان علم الكلام احد مداخل الفلسفة اليونانية واثرا من اثارها ، شأن الفكر الفلسفى الصوفى المخالف للتصوف السنى .

قال الامام الشافعى : ما جهل الناس واختلفوا الا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان ارسطو طاليس واشار الشافعى بذلك الى ما حدث فى زمن المأمون من القول بخلق القرآن ونفى الرؤية وغير ذلك من البدع قال السيوطى : والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ماورد منها على لسان يونان ومنطق ارسطو الذى هو فى حيز ولسان العرب فى حيز آخر ، ولم ينزل القرآن ولا اتت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح ، ويقول الاستاذ محمد رشاد خليل : ان الذين أرادوا أن يجعلوا من المنطق اليونانى اساسـا لمناهج البحث فى الاسلام كان ذلك بداية التصدع لاركان الثقافة العربية الاسلامية الشامخة فقد اعتمد الاصوليون المتأخرون على المنطق اليونانى اعتمادا كاملا حتى جعلوه أساسا فى مباحث الدراسات الاصولية والفقهية وقد عمت الازمة حتى اتخذ النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية .

***

ولقد ادرك علماء السلف خطر المنطق اليونانى على العربية والاسلام ورأوا فيه منطقا خاصا بلغة قوم هم اليونان وهو يستمد مصطلحاته وتصوراته من هذه التى تختلف اختلافا بينا عن اللغة العـربية التى لها منطقها الخاص والتى نزل القرآن وجاء الاسلام على اساس من مصطلحاتها لذلك رفضه جمهرة علماء المسلمين وهاجموه

وعن ابن تيمية : يقولون : ان المنطق ميزان العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن أن يغلط فى فكره وليس الأمر كذلك فان العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بنى آدم من أسباب الادراك ولا تقف على ميزان وضعى لشخص معين ، وجميع العقلاء فى جميع الامم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهج وضعه ارسطو وهم اذا تدبروا انفسهم وجدوا انفسهم يعلمون حقائق الاشياء بدون هذه الضمانة الوضعية ثم أن هذه الصناعة زعموا — انها تفيد فى تعريف حقائق الاشياء ولا يعرف الا بها وكل هذين غلط .

لسنا هنا فى مجال استعراض النكبة التى حلت بالعرب والاسلام بسبب المنطق اليونانى » ا . هـ .

ونحن بهذا العرض للجناحين الأساسيين لخطة

الفكر الفلسفى الوثنى الباطنى نضع النقط فوق الحروف ازاء هدف محاولات الغزو الفكرى والتغريب والاستشراق من احياء هذا الفكر واعادة طبع كتب اخوان الصفا وغيره وتكليف بعض أصحاب الاطروحات بالكتابة عن البابكية والخرمية والزنج والقرامطة ووصفهم بانهم طلاب عدل وأصحاب ثورة ، بهدف احياء هــذا التراث الشــعوبى وضرب مفهوم التوحيد الخالص ، يعاد اليوم عرض هذه القضايا بعد أن حكم فيها منذ وقت بعيد واستغلت كلمة أهل السنة والجماعة ، ولكن هيئات التبشير والاستشراق تريد أن تسمم مجارى الانهار أمام أجيال جــديدة من الشباب ليس لها خلفية اسلامية صحيحة .

* * *

ان الذين يحملون راية الفلسفة فى بلادنا هذه الايام لا يريدون الا أن يفسدوا مفهوم الاسلام الصحيح ، لأن الاسلام كفى المسلم حاجته من مهمة الفلسفة حين قــدم له منهج (الميتافيزيقا) وعالم الغيب كاملا حتى لايشغله بالبحث عنه ، على النحو الذى تقوم به الفلسفات دون أن تستطيع أن تصل الا على قبض الريح وحصاد الهشيم

* * *

عودوا إلى حكم القرآن والسنة المطهرة

واتبذوا الموروثات الشعبية (الفلكلور)

هذه الموروثات لا تمثل الا سذاجة الشعوب التى لم تكن قد عمقت ايمانها بالله تبارك وتعالى ، فعجزت عن فهم طريقة التعامل الحقيقية مع الاحداث والظروف ،

(خالف تعرف ، العين لا تقاوم المخرز) الخ .

انه فى الحقيقة مفهوم الأمم فى مرحلة طفولة البشرية التى جاء الاسلام ليقضى عليها وينقل الانسان الى مرحلة الرشد الفكرى والاصالة والارتفاع فوق سخرية الاساطير والخرافات .

والعودة اليه الآن ليست الا أشبه بالردة ، اشبه الاسلام بل يحرمها العودة الى مفاهيم وثنية واسطورية بعودة اهل المدن الى البادية تماما وهى عودة يرفضها تجمعت على العصور من خلال اقاويل اناس ليسوا بحكماء ولا أنبياء ولا فلاسفة وانما جماعة من السذج الاغرار والداعون الى احياء الموروثات الشعبية الان هم دعاة التغريب والغزو الثاقى ، الذين يريدون احياء كل ما رفضه الاسلام وكشف زيفه ، من اخطار النحل الوثنية والمجوسية ، والباطنية ، والشعوبية ، التى روجها اعداء الاسلام فى عصور الضعف من أجل القضاء على الاصالة التى يقدمها الاسلام حين قدم للمسلم منهج الميتافيزيقا (عالم الغيب) كاملا لكى لا يشغل نفسه بما هنالك من خرافات واساطير وأوهام .

***

وكذلك الموروثات الشعبية ينطبق عليها هذه الدعوة الخادعة وهذه الموروثات التى تروج الان فى الف ليلة وليلة أو غيرها ليست عربية الأصل ولكنها نتاج بيئات وثنية غربية فارسية وهندية وتراث عصور مضطربة جاءت فى خلال الفترات التى تنحرف فيها مفاهيم الدين المنزل حيث يرغب الناس فى تفسيرات تحقق اهواءهم وتمكنهم من الاندفاع نحو الاباحيات والاهواء واذا كان هذا هو رأينا فى هذا التراث فاننا لا نستثنى منه الا حكم الاسلام التى جاءت مطابقة القرآن والسنة من كلام حكماء السلمين أما ما كان فى الجاهلية فما اتفق مع القرآن والسنة فنحن نقبله لانه من تراث النبوة الابراهيمية الحنيفية ، اما ما سوى ذلك من فتات موائد اليهود والنصارى والوثنية فهو مرفوض تماما .

وانا لنعجب ان يشغل بعض كتابنا الذين يملكون المنابر الصحفية البارزة بمثل هذه الامور ، دون أن يتعرفوا على خلفياتها وهى واضحة ، فقد كشف كثير من الباحثين واساتذة الجامعات هدف التعريب والاستشراق من احياء هذه الوثنيات ، وركام العصور الضالة ، والبيئات المنحرفة ، وأسوأ ما فى هذه الموروثات انها تمثل العقلية الساذجة التى لم يشبعها الأسلام بتحريته وحكمته ، وكيف يمكن للمسلمين اليوم أن يتجاوزوا الحكمة التى اعطاهم الله تبارك وتعالى اياها الى حثالة خيالات الأمم فى مراحل الطفولة البشرية وظروف الانحلال والضعف ، والقصور عن ما اعطته اديان السماء من عطاء كريم يرتفع بالنفس الانسانية الى الذرا ويحررها من أوهام الطين ومزالق الهبوط .

(واضرب لهم مثل الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الأرض واتبع هواه) صدق الله العظيم .

ولقد كانت الامم فى مرحلة ضعفها وانهيارها ترجع الى الاسطورة والخرافة ولكنها اذا ارادت ان تسترد وجودها الحق وكيانها الصادق فان عليها ان تلتمس القرآن والسنة ، هذه التى لا يعلى عليها وما من شاهد من شعر أو كلمة يمكن ان يرقى الى مكانها وما من حكمة طيبة فى العالم كله الا أورد القرآن والسنة مثلها أو احسن منها ولكنا مغرمون بمخلفات الناس ، عازفون عن موارثينا الحقيقية .

ان الذين يدعوننا الى الكتابة عن الفلكور انما يريدون ردنا مرة اخرى الى طفولة البشرية والى الوثنية .

الفصل الثانى

التجـربة الغربية

آن الاوان لأن يقرر المسلمون سقوط التجربة الغربية

كل الدلائل تدل على ان الاوان قد آن ليعلن المسلمون سقوط التجربة الغربية بعد أن عجزت خلال اكثر من قرن من الزمان — بعد تطبيقها فى البلاد الاسلامية — عن أن تقدم للمسلمين الخطة الناجعة لاقامة مجتمعهم الربانى وحل مشكلاتهم المعقدة والخروج من دائرة التبعية ذلك لان التجربة الغربية نفسها لم تكن اساسا صالحا فى فى بيئتها التى اخرجتها فكيف تصلح فى حقول اخرى مختلفة عقيدة وثقافة .

ان الغربيين لم يقدم لهم دينهم منهج حياة ولا نظام مجتمع بل قدم لهم مجموعة من الوصايا وتراث مضطرب منتجارب الشعوب ومنخبرات تمتزج فيا مواريث الاديان القديمة مع أساطير طفولة البشرية ومن هنا فان خروج أوربا من الرهبانية كان قد دخل بها فى دائرة الوثنية ، صحيح أنها أخذت المنهج العلمى التجريبى الذى قدمه لها الاسلام ولكنها صهرته فى بوتقـــة المواريث اليونانية الرومانية وصحيح أنها أخذت منهج المعرفة الاســلامى القائم على الدليل والبرهان ولكنها ادخلته فى محيط اهواء النفس واعلت عليــــه عنصرية تتيه بالجنس الابيض وسيطرته على الأجناس الملونة .

ومن هنا فان التجربة الغربية حين فرضت علينا — ولاأقول قدمتلنا — كانتتجربةمضطربة، بهدفاخراج المجتمع الاسلامى من اصوله وقيمه واسسه التى تبناها الاسلام خلال أربعة عشر قرنا ، ولحجب وتدمير ثلاث عناصر أساسية : التربية — الاقتصاد — الشريعـــة وافرض القانون الوضعى والتربية العلمانية والاقتصاد الربوى .

وغنى عن البيان أن هذه التجربة الغربية فرضت على مجتمعنا الاسلامى الذى كان يمر بمرحلة ضعف شديد ، ولم يكن يملك ارادته لحرية الاختيار وبعد أن فرض النفوذ الغربى اقامة دعائم له من خلال المدرسة والصحافة وبناء كوادر من ابناء هذه الأمة الذين خدعهم بريق الغرب وبهرج حضارته وظن انه يستطيع عن هذا الطريق النهوض بهذه الأمة ، كان ظنه ان تنصهر هذه الامة فى النموذج الغربى ويتخلص تماما من المنهج الاسلامى باعتبار أن هذا المنهج هو مصدر تأخرها وكانت مسألة الاسلام قد حللت على أساس انه دين لاهوتى (وان اقامة الصلاة والموالد والاعياد قائمة لم تتوقف) .

وكانت هذه هى الخدعة الكبرى التى ظن الغرب أنه قد لقنها للمسلمين وانه بذلك قد جرد الاسلام من قوته الحقيقية ، وانه أصبح آمنا فى السيطرة والنهبواحتواء هذه الأمة بعد ان خدعها بشىء غــــير قليل من توابل الاستقلال والحرية والوطنية والجلاء عنها وترك سلطانها السياسى فى أيدى أوليائه .

ولكن الاسلام الذى كان دائما قادرا على الانبعاث من الداخل فى أيام الأزمات والمحن لم يلبث ان كشف عن نفسه واعلن حقيقة وكذب دعاوى الغاشين لهذه الأمة والخادعين لها ، واعلن حقيقته ، وانه دين دولة ونظام مجتمع ومنهج حياة ، وانه يرفض تماما ان ينصهر فى أى بوتقة وان حفاظه على ذاتيته أهم عنده من كل ما يغرونه به من بريق الحضارة الزائف تحت اسم التقدم والعصرية وانه كان على مدى تاريخه حريصا على أمر واحد هو ان تظل شخصيته الحقيقية قائمة بحيث لا تسيطر عليها أمة كبرى أو حضارة ما .

وقد تبين فى سياق ذلك أن الاسلام كان له دوره الكبير فى بناء الحضارة العصرية وانه هو الذى قدم المنهج

التجريبى وان مؤامرة الصمت التى حاول الغـرب ان يسحب ردائها بتجاهل دور الاسلام لابد أن تسقط .

ولقد خطا المسلمون فى سبيل ذلك خطوات واسعة فهم تحت تأثير اصحاب النفوذ من التغريبيين قـد جربوا النظم الليبرالية والماركسية التى سقطت بعد أن عجزت عن العطاء فى افق قد غذاه ضياء الاسلام أربعة عشرقرنا

وبعد ان عجزت عن العطاء فى مجتمعها هى الذى يطالب الان بنظام عالمى جـديد ، والذى يتطلع بعض اقطابه من المفكرين الى الاسلام كمحـرر للغرب من الازمة التى يمر بها .

اذن فنحن الآن قد انتهينا تماما من كشف فساد خطة الغرب وعجز تجربته فى بلادنا عن العطاء وان هذا الايمان بصدق عقيدتنا يدفعنا الى اعلان هذا والدعوة الى الدخول فورا فى تطبيق المنهج الاسلامى ، أى فى الحقيقة الى العودة الى الطريق الذى سارت فيه هذه الأمة اربع عشر قرنا والذى توقف منذ سيطر النفوذ الغربى على بلادنا .

* * *

وان نجعل من استئناف العمل بمنهجها خطوة حقيقية نحو تصحيح كل الأخطاء التى وقع فيها آباؤنا فى مرحلة التطبيق وان نتجاوز هذه المراحل ، بوعى جديد ، وان نستفيد من (الوسائل) الحديثة فى الكشف عن التجربة والخطأ .

ذلك اننا نؤمن ايمانا جازما بالتفرقة بين امرين :

بين المنهج الاسلامى الربانى الاصيل الذى جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وهو ما يسمى بميراث النبوة (تفرقة بينه وبين التراث الاسـلامى) الذى كتبه العلماء والفقهاء ، وتفرقة اخرى بينه وبين التجربةالتاريخية نفسها الذى قام بتطبيقها حكام المسلمين على مختلف العهودوالتى كانوا فيها قادرين علىاستيعاب المنهج الاسلامى او عاجزين عنه ونحن نعلم أن المسلمين كانوا دائما على تقدير واضح من الله تبـارك وتعـالى (سنة الله التى لا تتخلف) ان احسنوا واستمسكوا بمنهج الله نصروا وعزوا واذا فسدوا ودخلوا فى مرحلة التحلل والترف سقطوا وغلبتهم الأمم ، فاذا تنبهوا وعادوا الى الله قبلهم ومكن لهم مرة أخرى فى الأرض ونحن الان فى اليقظة التى تستوعب هذا المعنى وتعرف انها تهاوت وغلبتها الأمم حين خرجت على منهج الله ، فعلينا ان نعود اليه فى عزم ثابت ويقين صادق حتى يعود الينا التمكن فى الأرض .

وهى تجربة ضخمة تحتاج منا الى تصميم واصرار والى خروج كامل من دائرة الفتـــور والجبن والمطامع والشهوات ، وتحرير الارادة وبناء طابع الاخشيشان فى نفوس شبابنا ، والاعداد والمرابطة فى الثغور واسترداد ما فقد من أرض الاسلام واقامة الجهاد الفريضة القائمة الى يوم القيامة والتحرر من الكسب الحرام .

فاذا استقام المجتمع الاسلامى على أمر الله ، ايده الله ايمانا بالقاعدة الأساسية (ان الله لا يغير ما بقومحتى يغيروا ما بأنفسهم) .

* * *

لقد سقطت تجربة اللحاق بالغرب والتبعية له ، وبقى أن نستفيد من حصيلة العلم والمعرفة مع المحافظة علىثقافتنا وعقيدتنا وتراثنا (وامامنا أمة وثنيةاستطاعت ان تصل الى اعلى درجات التفوق العلمى دون أن تتخلى عن عقيدتها هى اليابان) .

ان التجربة الاسلامية لا بد ان تبنى قوتها الذاتية وتتكمل وحدتها الاسلامية مع مختلف الأمم التى تقول (لا اله الا الله) .

ونحن حين نقبل علوم الغرب التجريبية ، لا نقبل علومه الانسانية او اسلوب العيش الغربى ولا بد أن نتحرر تماما من الفساد والانحلال والاستعلاء والقسوة والانانية .

وفى مجال الاقتصاد لا بد من اقامة الاقتصـــاد الاسلامى المتحرر من الربا وقد بدات خيوط هذا الاقتصاد تتجمع .

وثرواتنا يجب ان تصنع فى بلادنا وأن نعلن الاكتفاء الذاتىوقيام السوق الاسلامية المشتركة وبناء الصناعات الاسلامية الثقيلة دون عدوان على احد ، ولكن حمـاية لامتنا من عدوان الاخرين .

وان نتمكن من اقامة (حائط الردع) والمرابطة اليقظة فى الثغور حتى لا نغفل عن اسلحتنا وامتعتنا فيميلون علينا ميلة واحدة وان نقيم منهجنا فى الحرب والسلم : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله حيث يدخل الايمان والاصرار على الاستشهاد كعنصر قوة الى الفئة القليلة فى العدد والسلطان فيكون عامل نصر .

ولنعلم ان قانون قيام المجتمعات والحضارات وسقوطها كما رسمه القرآن الكريم يقوم على الايمان بالله ، وان الامة التى تخرج عن منهج الله لابد ان تضرب (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) .

وان الترف والانحلال هو الذى قضى على حضارات الرومان والفرس والفراعنة وقضى على حضارات الاندلس وغيرها .

يجب أن تكون هذه الأمة قد خرجت من مرحلة الانبهار ، ثم من مرحلة التبعية ، الى مرحلة الاصالة والرشد الفكرى وبناء الذاتية الاسلامية الخاصة التى لا تنصهر ولا تحتوى ولا تحاصر .

لقد أصبح الهدف واضحا امام المسلمين مشرقا كالشمس وبقى أن تتشكل الارادة المسلمة القادرة على اقامة التجربة الاسلامية بديلا للتجربة التى سقطت وانهارت .

* * *

الفصل الثالث

الكشف عن أكذوبة العمالقة وجيل الرواد

انها كبرى قضايا العصر

ان القضية المثارة اليوم اكبر من كاتب ومن كتاب انها (**قضية اعادة النظر**) فى هذا العمل الادبى الذى ظهر منذ الثلاثينات ، وكان القائمون عليه من دعاة العلمانية والعصرية والذين كانوا فى حقيقة أمرهم قناطر للفكر الغربى ، حتى اذا علت صيحة اليقظة الاسلامية سارعوا ليكتبوا عن الاسلام ورسوله ، ولم يكن انتقالهم من هذه الكتابة عن الغرب واعلامه الى الاسلام واعلامه الا نوعا من الحرص على البقاء وخوفا من أن يفقدوا شهرتهم وحتى يقدموا البديل الزائف للمفهوم الاسلامى الاصيل ، هذا البديل للغرب الذى لم يكن صادرا عن ايمان حقيقى ، ولقد تكشف من بعد أن هذه (المدرسة العلمانية) كانت متورطة فى مذاهب التفسير المادى للتاريخ والمناهج الفلسفية المادية فى دراسة الشخصيات التاريخية ، وانها لم تستطع ان تفهم اثر الاسلام فى صياغة الرجال وقد وقع فى هذا الخطأ العقاد وهيكل وطه حسين وتوفيق الحكيم جميعا ، ثم جاءت المدرسة الاسلامية من بعد أن حررت الفكر الاسلامى من التبعية والوثنية والفكر الوافد فكان عليها أن تنظر فى كتابات هذا الجيل ممن اسموهم الرواد والعمالقة ، وان توزن أعمالهم بميزان الاسلام حتى لا يخدع المسلمون فى فكر ظاهره اسلامى ومضمونه تغريبى ثم ظهرت بعد ذلك الكتابات الاصيلة فى السيرة للغزالى وسعيد البوطى وأبو الحسن الندوى وكثير غيرهم .

هذا تاريخ يجب ان يذكر لمن يظن ان كتاباتى فى هذا المجال جاءت من فراغ ، وانما هى تطور حقيقى فى تاريخ الفكر الاسلامى الحديث ، فكيف يكون الامر حين تحدث الردة بالعودة الى احياء كتابات ظاهرها الاسلام وباطنها الفكر الغربى (حتى ولو ادعى كاتبها انهم يهاجمون المستشرقين فتلك هى الخدعة التى لا تخيل الا على السذج الاغرار) .

ولقد أحصى الباحثون على طه حسين والعقاد وهيكل اخطاء كثيرة فى كتابات السيرة ، وفى مقدمتها ما كتبه الدكتور الغمراوى وغازى التوبة ومحمد النايف وسيد قطب وكاتب السطور وقد خطت كتابة السيرة خطوات واسعة تجاوزت اسلوب هيكل والعقاد وطه حسين كما تجاوزت الفكر الفلسفى (محمد عبده واقبال والعقاد) وتجاوزت الاعتزال والكلام الى (المنهج القرآنى) والاسلوب القرآنى الذى صحح اخطائهم وحرر السيرة من منهجهم العلمانى المادى على النحو الذى كتب به أساطين المدرسة الاسلامية ، ذلك أمر قد تقرر منذ وقت طويل .

ولذلك فحين يأتى كاتب ما ليخلط بين المدرستين والمنهجين ويحاول ان يضع على عبد الرازق وامين الخولى واحمد أمين وطه حسين واحمد زكى ومحمود الشرقاوى فى صف الكرام البررة الذين بنوا قواعد اليقظة الاسلامية على مفهوم الاسلام دينا ودولة ومنهج فتلك مغالطة واضحة أو أن يحدث العكس ان يوصف هؤلاء المغربين بانهم القمم ويدس معهم بعض المجاهدين الابرار امثال مصطفى صادق الرافعى والندوى ومالك بن بنى أو اقبال او الدكتور دراز أو الشيخ أبو زهرة أو الشعراوى فان هذه خدعة لا تجوز على أحد والا فكيف يمكن الجمع بين الرافعى وطه حسين ، او بين طه حسين ومحمود شاكر الا نفاقا .

ان الفرق بين منهج المدرستين واضح ، بين منهج الاسلام الاصيل (البعيد عن الحقد والمراوغة) وبين المنهج العلمانى الذى يراد به وضع منهج للاسلام التغريبى حسبما قرره ماسينيون وجب وتلاميذهم .

ان الاعلام الاسلاميين هم الذين التزموا بالاسلام فى حياتهم اساسا ، ويجب ان يعرف دعاة الخلط بين الاسلاميين والعلمانيين ان هناك نظرية اسلامية فى الادب ومنهج اصيل فى الترجمة والنقد عرفت به واعتمدته ثلاثة مؤتمرات عقدت فى الهند والمدينة المنورة وآخرها فى الرياض ، هذا المنهج يعتبر ان كل من يكتب عن الاسلام وهو ليس ملتزم به اخلاقيا ولا يؤدى فرائض الاسلام يكون له تقدير مختلف .

واذا كان للاسلام منهجه فى الأدب فاين المذهب الذى يعتمد عليه المغربون ويسمونه (الموضوعية) وهى موضوعية الاهواء والخداع .

ويجب ان يكون معروفا ان هناك حقيقة واضحة هى الغزو الفكرى وان هذه المؤسسة لها دعاتها وقادتها وقواها الخفية التى تستقطب بعض البسطاء تحت اسم حرية الراى ، ولكن الراى العام الاسلامى اليوم لاتخدعه هذه المحاولات وهو يسخر منها .

ان الدعوة الى العصرية التى قامت عليها المدرسة العلمانية منذ اوائل القرن ، كانت دعوة منحرفة مضللة حاولت احتواء الفكر الاسلامى وسيرة النبى وتاريخ الاسلام وتغريبه حتى جاءت حركة اليقظة الاسلامية فاخذت فى تصحيح الفكر ودفعه على طريق الاسلام .

ومن هنا نشأت فكرة مايسمى بمشروع كتابة التاريخ الاسلامى وقد كان هدف هذه المدرسة التى قادها طه حسين واحمد امين ، ترمى الى تطبيق منهج التفسير المادى للتاريخ على تاريخ الاسلام وهو منهج كان هدفه اطفاء انوار التاريخ الاسلامى والقضاء على روحه المليئة بالايمان وتفريغه من قواه الزاخرة بالتضحية والفداء والبذل ، هذا المنهج الذى يباهى به البعض هو الذى حاول ان يسلب تاريخ الاسلام روحه وعظمته وحاول ان ينتقص الصحابة وان يصورهم بصورة السياسيين المعاصرين المحترفين .

وبذلك يكون قادرا على القضاء على روح العزيمة والقوة والنضال من جديد ولقد كان مطلوبا ولا يزال هذا الاتجاه يتجدد على ايدى ماركسية معروفة القضاء على مفاهيم المعجزات والوحى والخوارق ليصير تاريخ الاسلام جافا ماديا لا يفهم منه النصر بالمئات امام الالوف الا انه نتيجة الطمع فى الغنائم والبحث عن الطعام .

اما وسائل الجامعات فى التاريخ فاغلبها خاضع لما اشاعه الدكتور محمد انيس خلال عشرين عاما من خضوع لمنهج التفسير المادى للتاريخ ومن ذلك كتابات احمد عباس صالح وعبد الرحمن الشرقاوى .

كذلك فقد تبين فساد دعوى جيل العمالقة بعد ان تكشف ان هؤلاء العمالقة لم يكونوا الا قناطر بين الفكر الغربى والاسلام وانهم لم يزيدوا على انهم نقلوا نظريات الغرب دون أن يبينوا للناس ما هو صالح منها ، وما هو فاسد ودون ان يقدموا تقييما يؤصلها عملا بامانة الكلمة .

واذا عيب علينا أن نكشف هذا الخطر فانه قد سبقنا على الطريق رجال كرام منهم الدكتور محمد احمد الغمراوى ، الدكتور محمد محمد حسين ، الاستاذ محمود محمد شاكر ، الاستاذ فتحى رضوان الذى فجر هذه القضية فى كتابه (عصر ورجال) بانه عريضة اتهام لطه حسين والعصر كله .

واما المراغى فانه لم يمدح هيكل كما يدعى البعض بل سجل عليه فى مقدمته البساطة والقصور فى وصف المنهج العلمى بانه منهج غربى وقال ان هذا المنهج هو منهج المسلمين اساسا وان الغربيين قد اخذوه من المسلمين وانت أخذته من الغربيين وكان أولى بك ان تأخذه من اهلك .

ان كتابتى عن طه حسين صريحة (اولا) فهى خالية تماما من أى عبارات خارجة كما أمرنا الاسلام ومن أى اتهام ايا كان ، ولم نستعمل ما يدعونه من عبارات أو كلمات بل قدمت الحقائق مدعمة بالوثائق ولو كان قومه يرون فى هذا الاتهام ما يستوجب المحاكمة ما توانوا عنها ولو ارادوا لقدموا قبلنا اربعين كاتبا قدمنا رأيهم فيه انما هى معركة حول الفكر وليست حول الفرد ، أما الدكتور الزيات فلم نعرض له .

ولا عيب على الكاتب المسلم حين يرتاد طريق البحث عن التغريب ان يتعرف الى جميع الكتاب من قريب وان يدرسهم ولعل المعرفة الشخصية هى التى تكشف الخفايا ، ولو ان مقالى عنه فى الهلال قرأ بفهم القادرين لكشف لهم عن كل شىء توسعنا فى نقده من بعد ولعل الاستاذ على الدالى خير شاهد على ذلك وكثيرون من كشفوا هذا وراء السطور ، الم تذكر فيه تناقض طه حسين ، ورايه فى المراة وفى الغرب والحضارة الخ الذى غيره من بعد .

نعم نحن مطالبون اليوم وبعد مضى اكثر من نصف

قرن أن نعيد النظر فى كتابات هؤلاء المسمين بالرواد والقمم الشوامخ ، فى ضوء مفهوم الاسلام الاصيل لنرى « حجم » محاولتهم فى التغريب وفرض مفاهيم الاستشراق باسم الهجوم على الاستشراق ، ويجب ان يكون مفهوما ان الفكر الاسلامى ينطلق بخطى واسعة نحو الاصالة وان ما كان مقبولا فى الثلاثينات على أنه ادب له طابع اسلامى مختلف عما تنامت له اليقظة الاسلامية من عشرات الاعلام والكتاب فى مختلف التخصصات ولقد بات معروفا ان هؤلاء الكتاب عندما وجدوا الدعوة الاسلامية تنمو هرعوا الى الكتابات الاسلامية حتى يتخلصوا من العزلة وحتى يؤثروا فى الاتجاه الاسلامى الاصيل بمفاهيم مغربة اعتمادا على شهوة هؤلاء الكتاب .

واكبر الخطأ ان يوضع المغربون فى قائمة واحدة مع المجاهدين الابرار أو أن تروج بضاعة العلمانيين باضافة اسمين أو ثلاثة كالشعراوى وشاكر والرافعى من باب التمويه .

* * *

ولا يعيب على الكاتب ان يكون جاهـــــلا لبعض الحقائق ولكن اذا ما تكشفت له فانه ملزم بأن يعود الى الحق ولقد كان للتغريب خفاء وخداع فكلنا بهرته كتابات فى مطالع الصبا ثم تبين لنا من بعد ما فيها من انحراف ، كذلك فان من الباطل الشديد البطلان دعوى المغربين بان من يقبل الحضارة المادية (الآلات والأجهزة) ان يقبل فكرها ، فهذه دعوة مغلوطة لا يقبلها الا السذج ، فانا كمسلم آخذ ادوات واجهزة الحضارة ولا آخذ اسلوب العيش الغربى واملا هذه الادوات بفكر الاسلام ولقدفعل الغرب كذلك عندما نقل فكر المسلمين وسيظل الالتزام بالاسلام عقيدة وخلقا هو اساس المسألة علما وانه لمن العجيب أن تجدد ادعوة الى كتب سقطت وكشف زيفها الناس وهى كتب هاجمت الاسلام واعتبرها الماركسيون والتغريبيون قواعد للهجوم على مفهوم الاســلام : دينا ومنهج حياة كذلك فقدكشفت مؤامرة ترجمة كتاب مرجليوث لعلى عبد الرازق وا خطاء قاسم امين وما سمى (حاشية طه حسين على متن مرجليوث) فى كتابه الشعر الجاهلى

هذه الأمة لن تخدع وان خدع أفراد منها وكان لهم بعض النفوذ ولكن الى امد محدود ، ولن تبقى الا الاصالة ولا بد للزيف ان ينهار وان ظن البعض لبريقه ولمعانه أن يمتد أو يستمر وشبابنا المسلم يعرف هذه الحقائق وان يستطيع مضلل ان يخدعه .

أما لماذا هذه المعركة فانه لابد من أن يتجلى الحق ويعلو على الباطل ولو كان الباطل قادرا على الانتشار من خلال صحف واسعة الانتشار أو كتب أو هيئات فذلك له حصاد الهشيم وقبض الريح ولا يبقى الا الحق المستمد من كلمة الله العليا (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق والله من وراء القصد .

* * *

هؤلاء هم القمم الشوامخ الذين وضعوا فى الظل

محمد أحمد الغمراوى ، السباعى ، محب الدين الخطيب ، دروزه ، علال الفاسى ، حسن البنا ، عبد العزيز جاويش ، عبدالوهاب النجار ، الندوى ، المودودى محمد المبارك ، عبد الحميد بن ادريس ، عبد العزيز الثعالبى ، محمد العربى العلوى ، عبد القادر عودة ، محمد محمد حسين ، مصطفى صادق الرافعى ، حمد عبد الله العربى ، محمد عبد الله دراز ، مالك بن نبى ، الفاضل بن عاشور ، دكتور زكى على ، عمر فروخ ، شبلى النعمانى ، رفيق العظـم ، محمد الغـــزالى ، الشعراوى ، محمود شيت خطاب ، محب الدين الخطيب رشيد رضا ، محمد أبو زهرة الخ .

(راجع كتابنا جيل الرواد والقمم الشوامخ) .

* * *

الفصل الرابع
الخــلاف بيــن الصحابــة

فى الرد على أصحاب الحملة على الصحابة رضوان الله عليهم) .

- **العواصم من القواصم : القاضى أبى بكر بن العربى .**
- **الطبرى : تاريخ الأمم والملوك .**
- **اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ) ابراهيم شعوط) .**
- **الكامل لابن الاثير :**
- **لمع الأدلة لامام الحرمين الجوينى .**

كان للاسلام موقفه الواضح من عصر الصحابة وهو موقف يقوم على أساس عدم الخوض فى الخلافات التى حدثت اذ الصحابة كلهم اسوة فى طريق الهدى كما يقول ابن خلدون ، وقد قال عمر بن عبد العزيز : تلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث السنتنا بها .

ويقول السيد محب الدين الخطيب : وقد اوصى الكثيرون بأن نكف عما شجر مع اصحاب رسول الله فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهموأمرنا بالاستغفار لهم والتقرب اليه بمحبتهم وانما فضلوا على سائر الخلق ، لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم ولا ينظر فى كتاب صفين والجمل وواقعة الدار وسائر المنازعات التى جرت بينهم ، والصحابة هم افضل المسلمين بعـد الرسول وتوجد لهم ايضا درجات فى الفضل تعتمد فى الغالب على السبق فى الاسلام وما قدمه أولئك الصحابة من مجهودات فىسبيل نصرة هذا الدين منهمالخلفاء الراشدين واصحاب الشورى الستة والعشرة المبشرين بالجنة واصحاب بدر وأصحاب أحد والمبايعين تحت الشجرة ويتلو الصحابة فى الفضل التابعون وتابعو التابعين .

وقد قامت بعض الجهات ذات الهوى والفرض بكتابة تاريخ الاسلام من مصادر زائفة وقـررت تلك الدراسات على الطلاب فى المدارس والجامعـات وهى تصور هـذه المواقف بصورة الصراع بين المسـلمين وفى السنوات الاخيرة مضت خطة التغريب الى غايتها حين اخذ الدكتور طه حسين يكتب عن الفتنة الكبرىعلى أساس انكار شخصية عبد الله بن سبأ ومواجهة قضية الخلافعلى انها نوع من الصراعبين جماعة منالسياسيين المحترفين وهو فى هذه الكتابات يتبنى وجهة نظر معينة ليست وجهة نظر أهل السنة والجماعة وقد انطلق اخيرا عبد الرحمن الشرقاوى الى هذا الهدف وهاجم الخليفة عثمان ووسع دائرة الخلاف والفتنة ثم جاء فرج فودة فاعتمد علىأكاذيب الشرقاوى فى محاولةخطيرة من ورائها قوى الاستشراق والصهيونية ، والهدف هو انتقاص الصحابة الكرام وهدم هذا الصرح الاسلامى الذى تقوم عليه السنة والتاريخ وسير الغزوات والحياة الاسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين وما بعدهم وقد حاول طه حسين ان يصور معركة الجمل وكأنها معركة جاهلية بين بنى هاشم وبنى امية ويتحامل على بنى امية فيدعى انهم من الطلقاء الذين دخلوا الاسلام وقد غلبوا على امرهم وعادوا الى جاهليتهم مرة أخرى (وهو نفس الخطالذى سار عليه قبل ذلك هنرى لامنس وجرجى زيدان . وقد افترى على السيدة عائشة رضى الله عنها افتراء واسعا فقد تحدث طويلا عن انها كانت تخطب الناس وهى على جملها وتحرضهم على القتال فى خيال ودعاوى باطلة . فهى لم تخرج الى قتال وهكذا وجد اصحاب الدعاوى الباطلة فى بعض الاسماء اللامعة وسيلتهم الى التهوين من شأن الاسلام واظهار ان ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اجهد نفسه فى تبليغه قد صار بعد ان اختارالرفيق الاعلى ــ كلمات على طرف اللسان ، على حد تعبير الدكتور ابراهيم شعوط ورأس الفتنة فى هذا الخلافهو ابو لؤلؤة عبدالله بن سبأ اليهودى اليمنى الذى كان له ولاتباعه من المجوس الذين عجـزوا من مقاومة الاسلام وجها لوجه فى قتال شريف فادعوا الاسلام كذباودخلوا فلمتهمعجنوده خلسةوقاتلوهم بسلام(التقية)

بعدان حولوا مداولها الى النفاق فادخلوا فى الاسلام ماليس فيه والصقوا بسيرة رجاله ما لم يكن فيها ولا من سجية أهلها وبهذا تحولت اعظم رسالات الله واكملها الى طريقة من الخمول والجمود كان من حقها — كما يقول السيد محب الدين الخطيب ان تقتل الاسلام والمسلمين قتلا لولا قوة الحيوية الخارقة فى الاسلام فقد استمال عبد الله بن سبأ فى الدجى والكوفة والفسطاط كل طامع فى الرآسة والجاه وتظاهر بالتشيع لعلى ثم دفعهم الى السفر الى المدينة تحت دعوى الحج وفى المدينة تطورت حركاتهم حتى حصبوا امير المؤمنين عثمان وهو يخطب على المنبر ثم منعوه من الصلاة واجترؤا عى قتله ، وقد أفرد له المؤرخون صفحاته عديدة وفى مقدمتهم الطبرى وادعى طه حسين انه شخصية خيالية موهوبة .

وقد بدات الفتنة حين تناولت عليا بن أبى طالب وموقفه من مقتل الخليفة عثمان وانه اهمل الدفاع عنه ولم يكن مخلصا فى صرف الثوار وفى كتاب الكامل يحدثنا ابن الاثير ان عليا كان شريكا لعثمان فى محنته وانه وقف معه ضد المتامرين وما زال يتولى السفارة بين الثوار وبينه حتى افلت الموقف وبعد مقتل عثمان وقع أهل المدينة فى حيرة ولم يجدوا منجاة الا ان يبايعوا عليا ، وبعد بيعة على انقسم المسلمون الى ثلاث فرق (١) فرقة تطالب الخليفة بالتعجيل فى اقامة القصاص على قتلة عثمان (٢) وفرقة ترى رأى على فى مطاولة الثوار ريثما تهدأ الأمور بمبايعة جميع الامصار حتى لا يجد قتلة عثمان انصارا يدافعون عنهم أو يتخذونهم ذريعة للشعب (٣) فرقة لزمت الحياد فى هذه الفتنة .

ولما كان الثوار قد احتشدوا فى البصرة والكوفة يستنفرون الناس هناك فقد ذهب طلحة والزبير بعد استئذان الخليفة لطرد أولئك الثوار ومبايعة على ويروى القاضى ابن العربى انه يحتمل انهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان ويمكن ان يكونوا قد خرجوا فى جمع طوائف المسلمين وضم نثرهم وردهم الى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا .

اما عائشة أم المؤمنين فان خروجها لم يكن بقصد تفريق الجماعة ولاشفاء حقد بينها وبين على ، ان الذين طلبوا منها الخروج وهم طلحة والزبير ومن معهما كانوا يعلقون آمالا على خروجها فى حسم النزاع وجمع الشمل ويقول القاضى بن العربى : فخرج طلحة والزبير وعائشة ام المؤمنين رضى الله عنهم ، رجاء ان يرجع الناس الى أمهم فيراعوا حرمة نبيهم واحتجوا عليها عندما حاولت الامتناع لقول الله تبارك وتعالى : (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف بين الناس) .

ثم قالوا لها : ان النبى قد خرج فى الصلح وارسل فيه قال ابن العربى (فرجت المثوبة واغتنمت الفرصة وخرجت حتى بلغت الاقضية مقاديرها) .

وان اهل البصرة لما عرفوا بمجىء عائشة وطلحة والزبير انما جاءوا ساعين فى الصلح راغبين فى تأليف الكلمة .

ويروى الطبرى : لما وصل على الى البصرة ارسل القعقاع بن عمرو ليقوم بالوساطة بينه وبين أصحاب الجمل فلما رجع القعقاع اخبر انه قد استجاب له أصحاب الجمل وبعث الى طلحة والزبير يقول : ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننزل فننظر فى الامر فارسلا اليه (انا على مارفقنا عليه القعقاع من الصلح بين الناس) .

قال الحافظ بن كثير : فاطمأنت النفوس وسكنت فرجع كل من الجيشين فلما امسكوا بعث على — عبد الله ابن العباس اليهم وبعثوا محمد بن السجاد الى على وعولوا جميعا على الصلح وباتوا خير ليلة لم يبيتوا بمثلها وبات الذين اثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها فقد اشرفوا على التهلكة وجعلوا يتشاورون حتى اجتمعوا فى السر على انشاب الحرب .

يقول بن الاثير (الكامل : ١٥٠/٣) ان الاشتر النخعى وهو من قتلة عثمان الذين لا يريدون الصلح ، قال : قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا أما على فلم نعرف رأيه اليوم ورأى الناس فينا واحد فان يصطلحوا مع على فعلى دمائنا فهلموا بنا نثب على على وطلحة فنلحقهما بعثمان فتعود فتنة يرضى فيها منا بالسكون (يعنى انهم يقتلون بها من الحد فى دعم عثمان) كانت فكرة الصلح هى المسيطرة على عقول القوم فى الطرفين كما كانت هدفهم الذى يهدفون اليه حتى فى وقت استعدادهم القتال .

ويقول ابن الاثير) الكامل جـ ٥ /٦٢٢ (ولما خرج طلحة نزلت مضر جميعا وهم لا يشكون فى الصلح ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون فى الصلح ونزلت اليمن اسفل منهم وهم لا يشكون فى الصلح ثم يقول : فكان بعضهم يخرج الى بعض لا يذكرون الا الصلح .

وكان أصحاب على عشرين الفا وخرج على وطلحة والزبير فتوافقوا فلم يروا أمرا امثل من الصلح ووضع الحرب فافترقوا على ذلك ولقد ادرك المفسدون ان الصلح سيسلم رقابهم لسيف أمير المؤمنين وانتهزها كذلك دعاة السوء من منافقى يهود الذين لا تزال صدورهم تغلى حقدا على الاسلام والمسلمين .

وانتهزوا فرصة العمر فوقف عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء فقال : يا قوم ان عزكم فى خلطة

الناس فصانعوهم فاذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر ، فمن انتم معه لا يجد بدا من ان يمتنع ــ أى عن الصلح ــ ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون فأبصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون .

وتجمع المصادر الموثوق بها ان المجرمين الذين تلوثت ايديهم بدم عثمان طافوا على أنفسهم واتفقوا على مؤامرة فى الظلام هى السطو على المعسكرين فى وقت واحد بعد ما اعلن الجميع قبولهم للصلح واستراحت قلوبهم اليه فاختلط الحابل بالنابل واشتبهت الامور حتى ظن كل من الفريقين بصاحبه شرا وخرج الامر عن يد الحكمة وفشل الصلح وفوجئت أم المؤمنين بمجيء كعب بن الاسود وهو يقول :

ادركى فقد أبى القوم الا القتال لعل الله يصلح بك الامور فركبت والبسوا هودجها الادراع .

ولكن هيهات ان يوجد العقل فى الثورات وان تتبين الرؤية فى الكلام ان التى استنجد بها الناس لفض النزاع ولتقضى على اسباب الفرقة وجدت نفسها ــ فجأة ــ دون ان تدرى طرفا فى القتال وانتشر بين الناس ان ام المؤمنين وقفت تقاتل عليا وحزبه .

ومن الغريب ان الذين التفوا حولها هم الذين خرجت القبض عليهم وتنفيذ القصاص فيهم ، واستطاعوا ان يجعلوا من انفسهم مدافعين عن أم المؤمنين .

هكذا صدرت المعركة : صورها تتابع الحوادث وغموض الموقف واستغلال قتلة عثمان وجود أم المؤمنين فى المعركة ، ولذلك استشعرت أم المؤمنين ان اسمها استغل فى اشغال الناس وتأجيج الخصومة فقالت هذه العبارة :

(والله لوددت انى مت قبل هذا بعشرين عاما)

هذا تصوير لحقيقة موقف السيدة عائشة من وحى روايات المؤرخين المنصفين وكما ذكره ابن الاثير فى الكامل جـ ٣ ص ١٢٣ .

ذلك ان سفارة القعقاع بن عمر كانت قد نجحت واقتنع الطرفان بوجوب الصلح واستبشر المسلمون ببوادر الاتفاق وآمن طلحة والزبير والسيدة عائشة ان الله قد نجى المسلمين من شرور حرب طاحنة وبات المسلمون ليلة لم يبيتوا مثلها لما احسوا به من نجاح الصلح وتطهير صفوفهم من الشياطين .

وقد كان المحور الذى يدور حوله الخلاف بين عثمان رضى الله عنه وكل المخالفين عليه هو امر قتلة عثمان فكل المسلمين كانوا مجمعين على وجوب اقامة الحد وتنفيذ القصاص فى قتلة عثمان وان الذى تولى الحديث عن المقتول هو (معاوية) باعتباره ولى الدم ، ولما طلب اليه ان يبايع عليا لم يمانع فى البيعة ولكن اشترط اولا تسليم قتلة عثمان أو اقامة الحد عليهم ، ومعاوية وان قاتل عليا فانه لا ينكر امامته ولا يدعيها لنفسه وانما كان يطلب قتلة عثمان رضى الله عنه ظنا أنه مصيب وان كان مخطئا ولم يسبق الى ذهن أحد من المسلمين فى المدينة ان هذا الرأى ولا ينكره وانما حصل بسبب التأجيل حتى يتم له الامر وتبليغ الامصار .

وكان لكل رأيه واختلفا ورأى طلحة والزبير ان أم المؤمنين تستطيع ان تتدخل فاذا نادت بهذا فستجد من المسلمين جوابا واحدا هو القبض فورا على كل المتهمين بقتل عثمان .

جاء هذا فى كتاب (لمع الادلة لامام الحرمين عبد الملك الجوينى) .

هذا الهدف الذى دفع أم المؤمنين ان تشهد رجالها من مكة الى البصرة وقد بعث أمير المؤمنين على ابن أبى طالب القعقاع بن عمرو الى البصرة وقابل أم المؤمنين واتفق الجميع على محاكمة قتلة عثمان ونجحت سفارة القعقاع واتفقا على الصلح ولكن المتهمين بقتل عثمان والمشتركين فى الفتنة أصابهم الغم وادركهم الحزن من اتفاق الكلمة وايقنوا ان الصلح سيكشف أمرهم وتسلم رقابهم الى سيف الحق وقصاص الخليفة فباتوا يدبرون أمرهم فلم يجدوا سبيلا لنجاتهم الا ان يعملوا على افساد الصلح .

جاء هذا فى **الكامل لابن الاثير جـ ٣ ص ١٢٣ .**

فباتوا يتشاورون على الحرب فى السر فغدوا مع الناس ما يشعر بهم أحد فخرجوا متسللين وعليهم ظلمة بعض ، مضرهم الى مضرهم ، وربيعهم الى ربيعهم ، فوضعوا السلاح بغتة فثار أهل البصرة وثار كل قوم فى وجوه اصحابهم الذين اتوهم وبلغ طلحة والزبير ما وقع من الاعتداء على أهل البصرة فقالوا : ما هذا ، قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقال طلحة والزبير : قد علمنا ان عليا غير منته حتى يسفك الدماء وانه لن يطاوعنا ، وفى هذا الوقت ذهبت فرقة أخرى تحت جنح الظلام ففاجأت معسكر على بالكوفة فلما بلغ على قال ما هذا ؟

قال اصحابه : ما شعرنا الا وقوم من أهل البصرة قد بيتونا .

فقال على نفس عبارة طلحة والزبير :

ــ لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء وان لم يطاوعانا .

وخفيت حقيقة المؤامرة على كلا الفريقين وظن كل منهما الشر بصاحبه ونجح العاملون فى الظلام ونجحت خطتهم فى افساد الصلح واراقة الدماء وطاشت عقول القوم واختلطت عليهم الامور .

هذا هو السر الحقيقى للاحداث .

الفصل الخامس

لقد سقطت دعاوى الدكتور فؤاد زكريا

لأنه يصدر عن الفلسفة المادية والماركسية

التى تنكر الوحى والنبوة ورسالات السماء

لو ان رجلا غربيا يهوديا او نصرانيا او شيوعيا أراد ان يسىء الى الاسلام ما استطاع ان يفعل باسوا مما فعل الدكتور فؤاد زكريا الذى كانت كلماته فى مقالاته الخمسة التى نشرها فى جريدة الاهرام تنضح بالحقد والكراهية والكيد لدين ينتسب اليه وراثيا على الاقل وهذا يعطينا صورة لابعاد الخطر الذى وقعت فيه امتنا حين احتوتها التيارات الوافدة فحملت ابنائها الى تغيير معتقدها وشعورها ووجدانها على هذا النحو حتى يصبح أبناء الاسلام حربا عليه فى سبيل الانتقام من شرعة الفطرة والعقل والعلم التى استطاعت ان تزيح عقائد وافدة ظل اصحابها يدافعون عنها بالباطل طويلا واتيحت لهم الفرصة يوما لتعلوا موجتهم ، ولكن اى حين ، وهم يحسون فى أعماق نفوسهم بالحسرة والندامة حين يرون كلمة الحق فى طريقها الى أن تعلوا بالرغم من كل المحاولات التى تكتم انفاسها وتردها عن امتلاك ارادتها وقدرتها على الاقل حى فى مجال المساجلة والحوار مع الباطل الذى يملك ذرى اعلى المنابر واقوى الساحات .

واعجب للدكتور فؤاد زكريا المسلم وهو يتناول النصوص الاسلامية بازدراء شديد واستهانة كانما يخشى ان تجرى على قلمه او كانما هى جراثيم يود ان يبتعد عنها ، وهو فوق ذلك كما علمته نحلته التى آمن بها له قدرة على الجدل والمغالطة والمناورة والتضليل والتمويه واختراق النصوص بغير وجه حق .

وهو أولا ليس دارسا للاسلام ونظمه وفقهه على نحو يمكنه من أن يخوض فيما يخوض فيه ، فضلا عن انه ليس كاتبا محايدا او متجردا بل له مفهومه الخاص المستمد من الفلسفة المادية والفكر الماركسى وانكار ما وراء الغيب والوحى والنبوات فضلا عن ذلك فانه قد سجل على نفسه منذ وقت بعيد انه يقف على الطرف الاخر ، وقضيته مع نصر رمضان معروفة وانكاره تأييد الله واصراره على ان النصر كان بالاسلحة وحدها ، كل هذا يجعل الدكتور فؤاد زكريا ليس موضع ثقة من الغالبية المسلمة المؤمنة المحبة لشريعتها ووطنها فان كل ما كتب ويكتب ليس الا قبض الريح وحصاد الهشيم .

واخطر ما يتعرض له الدكتور فؤاد زكريا انكاره استمرارية هذه الأمة فى العمل بالشريعة الاسلامية ، على مدى تاريخها وعنده جراة خطيرة فى هذا المجال دون ان يقدم الدليل التاريخى على ذلك ، بينما كل صفحات تاريخ الاسلام التى لم يكتبها المستشرقون ومتعصبى اليهود والنصارى تؤكد ان الشريعة الاسلامية كانت قائمة فى هذا المجتمع حتى حصرها النفوذ الاجنبى وان مطالعة كتاب (وصف مصر) الذى وضعه رجال الحملة الفرنسية وحده يؤكد كيف كان المجتمع الاسلامى فى مصر يعيش فى ظل النظام الاسلامى .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فانه منذ اليوم الأول الذى حجبت فيه الشريعة الاسلامية وغلب القانون الوضعى ، تعالت أصوات العلماء والكتاب والفقهاء تطالب بعودة الشريعة وتكشف زيف القانون الوضعى وفساده فليس صحيحا ما يقوله الدكتور فؤاد زكريا من ان هذه الدعوة محدثة وانها نبتت هذا العقد من الزمان أو الذى قبله ، وتاريخ العودة الى الشريعة الاسلامية مكتوب فى عشرات من المؤلفات والدراسات بل أن الملتقى الاسلامى فى الجزائر عام ١٩٧٠ جمع مختلف علماء المسلمين واصدر مجلدين كبيرين يرسمان تاريخ هذه الحركة التى بدأتها الدولة العثمانية حين اصدرت هذه الاحكام) وكيف كان موقف العلماء أيام اسماعيل وما قام

به فقهاء مصر من تخريج للاحكام فى هذا الوقت البعيد وماتوالى فى هذا المجال منذ ١٨٨٢ الى ١٨٩٨ من خطوات فالقول بأن هذه الدعوة محدثة قول باطل وزور وضلال. ولم تكن هذه الخطوات الحاسمة فى العقود الاخيرة الا تطورا طبيعيا لمشاعر الشعب المسلم الظامىء الى نظامه الاصيل ولقد كان لادخال مصطلح الاسلام دين الدولة منذ اكثر من ستين عاما ومصطلح الشريعة الاسلامية مصدرا للقوانين فى جميع دساتير البلاد العربية منذ اكثر من ثلاثين عاما هو حد حاسم لم يعد بعده سبيل الى المزايدات والمناورات حول قبول التطبيق من عدمه فلم تعد القضية ان يأتى الدكتور فؤاد زكريا أو عشرات غيره من خصوم الاسلام والحاقدين عليه ليتحدثوا من جديد حول هذا الأمر الذى قضى فيه الامر والذى نتحدث اليوم فيه عن مرحلة جديدة مختلفة تمام الاختلاف وهى ليس هل تقبل أم لا تقبل ، وانما هى كيف تطبق ومتى وماذا يضير الدكتور فؤاد زكريا من الاستشهاد بعمر بن الخطاب ، أو صلاح الدين أو غيره ، نحن المسلمون نؤمن بان التاريخ لا يعود القهقرى واننا لا نطالب بنموذج اسلامى من هذا النوع ولكنا نهتدى بضوء هذا العصر الخالد فى الطريق الى بناء المجتمع الاسلامى الجديد مع الفهم العميق لمتغيرات الزمان والبيئة ولقدرة الاسلام التى لايضاهيها قدرة من قانون وضعى أو ايديولوجية على التجارب مع مايجد فى العصور والبيئات من قضايا واوضاع وما كان المسلمون يوما على هذا النحو الذى يريد ان يصورهم به وكانهم جامدون أو يريدون الوقوف بالزمن فالمسلم ابن عصره دون أن يخرج عن حدود الثوابت الاصلية الكبرى التى حددها له الاسلام .

ويتحدثون عن عبارة الامام الشاطبى (عن تغير الاحكام بتغير العصور) وينسوا اننا لم ندخل بعد مرحلة الثوابت التى لا يمكن التحدث عن المتغيرات الا بعد بنائها ودعمها وكيف يمكن التحدث عن تغير الاحكام اذا كانت اصول الاحكام لم توضع موضع التنفيذ .

ان الدكتور فؤاد زكريا على غزارة علمه وعلى براعة اسلوبه لا يستطيع ان يخوض فى هذه القضية الكبرى ولا يصلح لقيادة تيار معارضة الشريعة الاسلامية لانه لم يدرس الا الفلسفة الوضعية والماركسية ولانه يؤمن بالنظرية المادية التى تنكر تماما كل ما يتعلق بالدين والوحى والنبوة ولذلك فانه لا يستطيع فى كل ما كتب ان يتحدث عن هذه المعانى أو يعرض لها ، بل انه يذهب الى أسوأ من ذلك حين يتحدث عن (الاحسان) بمعنى الصدقة وينسى ان فى الاسلام معلما كالطود هو الزكاة وليس الاحسان الذى هو مفهوم لاهوتى يجرى على قلمه نتيجة تأثره بالخلاف الذى وقع بين الكنيسة وبين العلم فى الغرب والذى يدفعهم دائما الى المقارنة بين الاسلام بوصفه دينا لاهوتيا كالمسيحية بينما هو ليس دينا بمعنى (ريولجن) الغربية بل بمعنى انه منهج حياة ونظام مجتمع .

ان عجز الدكتور فؤاد زكريا عن فهم الاسلام ومحاولة محاكمته الى علمانية الغرب ومناهجه يوقعه فى عديد من الاخطاء ويحول بينه وبين الرؤية الصحيحة ، بل لعل ما تهوى الانفس وتحمل من احقاد الصراع بين هزيمة الماركسية وانتصار الاسلام هو الذى يدفعه ويدفع معه تلك الطائفة من الحاقدين على الانطلاق المسعور لمهاجمة الاسلام بينما لم يجد المسلمون من يسمح لهم بالرد فى نفس المكان واذا كان الدكتور فؤاد زكريا قد عرض لبعض ما وصله من رسائل فانه قد انتقى ما وجد فيه تأييدا ظاهرا ولكن لو أن الصحف قد فتحت ابوابها لرأينا نحن ما وصله من كتابات تدحض كذبه وتحطم غروره الكاذب ، ان الدكتور فؤاد زكريا وقف فى مستنقع المادية ولم يتمكن من ان يوسع نطاق ثقافته ليفهم افاق الفكر الاسلامى وسعته وسماحته وخاصة فى نظامه السياسى ومنهجه الاجتماعى الا فليعلم الدكتور فؤاد زكريا ان جموده على هذه المفاهيم التى أصبح اهلها فى الغرب ينكرونها ويتخلون عنها ، لن يغنيه شيئا وخير له اذا كان قادرا على المرونة واتساع الافق والرؤية المستقبلية ان ينظر فى تجرد الى ضوء الفجر الساطع الذى بدأ يخترق حجب الغيب والذى استجاب له من هم اساتذته امثال اليسون وجارودى وبوكاى وغيرهم .

لقد سقطت التبعية للفكر الغربى بشقيه أو الحضارة المعاصرة ورأيت اكاذيب دعاة التعريب من تحويل ولائنا عن اصالة فكرنا ومنابع عقيدتنا التى هى منطلقنا الاصيل والتى تؤكد لنا أنه ليس هناك اليوم غير طريق واحد هو طريق الاسلام الذى اهتدى اليه اعلام الغرب انفسهم .

لقد سقطت الى الابد نظرية التبعية ولن يستطيع الدكتور فؤاد زكريا ان يأخذ مكان الدكتور زكى نجيب محمود فى زعامة معسكر التغريب لانه لا يقبل له راى أساسا .

الفصل السادس
الوجودية أشد المذاهب العالمية عداوة

كان من أخطر ما أحدثه الاحتواء التغريبي والحصار الفكرى الوافد هو أنه وضع لنا (أوعية) من غير مادة تربة أرضنا ثم أسقط عليها فكرنا وفننا وادبنا ليحاكمه ويشكله فى الأوعية الوافدة ، فلا الأوعية صالحة لانها من غير تربتنا ولا التصور الناشىء عنها صالح لأن مادة فكرنا تختلف .

ذلك أن مادة الفكر والأدب والثقافة فى اى أمة هى التى تشكل المذهب او المنهج الذى يحاكم عليه هـــذا الفكر .

ولا ريب أن هذا كله يرمى الى الحيلولة بين هذه الأمة وبين منابع ثقافتها فتصبح مهيأة للاحتواء والتبعية والانصهار فى الفكر الوافد والأممى الذى قام على أسس مختلفة اختلافا واسعا وعميقا .

وأول ما فى هذا الخلاف : هو الفرق بين التوحيد وبين الوثنية .

ومن أجل هذا ولأن كل عناصر الفكر الاسلامى هى من صميم العقيدة والدين كان لابد أن نكشف هـــذه الحقائق لندحض فكرة التغريب القائلة بأن الأدب وفنونه وادابه لها كيان ذاتى لايتصل بالدين وان كان هذا صحيحا فى الغرب ـ وهو غير صحيح قطعا ـ فان الأدب فى الاسلام من صميم العقيدة .

لقد كان أخطر ما طرحه التغريب فى أفق الفكر الاسلامى والأدب العربى : مذهب (الفن للفن) وهى دعوى مستمدة من الفكر اليونانى الوثنى الى عزل الأدب والشعر عن الأخلاق وقد نماها الفكر الغربى ليجعلها عاملا من عوامل اباحة تسخير الفنون للانحلال والفساد واعلاء الشهوة وعبادة الجسد ، وان مهمة الأديب والشاعر والفنان ليست الا امتاع القارىء وفتح الطريق أمام الكشف عن كل نزواته واهوائه والتحرر تحررا كاملا من كل ما يتصل بالمبادىء والمثل والقيم التى تسعى الى اعلاء النفس الانسانية والسمو بها .

(الفن ... للفن)

ومن هنا فقد تعارضت نظرية الفن للفن بالهدف الاسمى الذى يتخذه الادب نبراسا له . فالادب الاسلامى كما يقول الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا : (أدب اخلاقى من قمة رأسه الى أخمص قدميه ففى منابته تغرس الاخلاق ومن اثاره تجنى) ذلك لأنه يروى الاخلاق بتعاليم الدين الثرة ويغذيها بتوجيهاته الفذة ، أما الأعمال الأدبية التى تجافى الاخلاق النبيلة فهى مرفوضة عند الاديب المسلم ، ذلك لأن النبى صلوات الله وسلامه عليه : انما بعث ليتمم مكارم الاخلاق .

ومن هنا فان الاسلام يختلف فى فهم المهمة الاساسية للشـــعر والأدب فهى لا تقتصر عنــــه الامتـــاع وفنون الأدب الاسلامى جميعها تقوم على الانتفاع المقرون بالامتاع . وترى أن المتعة التى لا نفع فيها تقضى على رسالة الاديب المبدع وتهبط بقيمة الادب وتحول الاديب الى انسان تافه لا فائدة ترجى منه فى اغناء الحياة واسعاد الانسان . كذلك فان الاسلام يرفض الفكرة القائمة على ترجيح الفن على العلم وينادى بأن العلم هو سبيل الى اسعاد البشرية وتقدمها وان الفنون المباحـــة انما هى ردف له .

وقد قام هذا المذهب فى ظل الشك فى الدين والاعجاب بالوثنية وانكار حقائق الوجود وصبغ بذلك كل نتاجه ، بينما يؤمن الأدب الاسلامى بالله تبارك وتعالى ورسوله واليوم الاخر ويدين بالحساب والعقاب .

وتختلف الوجهة فحيث يريد دعاة الفن للفن اثارة مشاعر الناس والهاب أحاسيسهم الهابا يدفعهم الى مهاوى الشهوة والانحلال فان الأدب الاسلامى يسعى

الى ربط هذا العالم بخالقه : بديع السموات والأرض ، والىفتح أبواب التأمل فى ملكوت الله سبحانه ، وأن يعمق فى نفوس الناس : الايمان بقدرة الله تبارك وتعالى(الذى احسن كل شىء خلقه) .

فساد مذهب الرمزية

وكذلك يقف الاسلام موقفا واضحا من مـــذهب الرمزية .

وقد انبعثت هذه النظرية من مقولة افلاطون ، بأن عقل الانسان الظاهر الواعى محدود ضيق ، وانه يملك عقلا غير واع أرحب من عقله الواعى بعشرات المرات وأحفل . والاسلام يرفض هذه النظرية أشد الرفض ، ذلك لأن القرآن الكريم حفل أشد الاحتفال بالعقل الواعى ودعا الى الاعتماد عليه والاستنارة به للوصـــول الى الحقائق فقال تعالى فى محكم كتابه :

« افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

(سورة الحج)

كما حذر القرآن الكريم الانسان المنفعل من أن يكون قوالا غير فعال ، فيأمر بالخير ولا يأتيه ، وينهى عن الشر ويقع فيه فقال عز من قائل : « اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب افلا تعقلون » (سورة البقرة)

كذلك فان الاسلام وجه الانسان الى استعمال العقل فى النظر الى ملكوت السماء والارض وحضه على استخدام هذا الجوهر الثمين فى ادراك الاء الله تبارك وتعالى وامعان النظر فى نعمه التى لا تحصى ولا تعد .

ويعارض الاسلام ما نادى به (الرمزيون) من ان العالم الخارجى الواقعى لا يصلح لأن يكون مجالا للشعر حيث يدعو الأدباء الاسلاميين الى ان يجعلوا أدبهم رحب الافاق بحيث يشتمل على الكون بره وبحره ، أرضـــه وسمائه كما يشتمل على الطبيعة بربيعها الجميل وشتائها العاصف ورياضها الغناء ومروجها الخضر ومن اخطاء الرمزيينقولهم ان الاديباذا عرضقصة من روائع قصص التاريخ فان قصته هذه لا تدخل رحاب الأدب مهما كانت مثيرة للقراء ذلك لأنها قامت على أرض الواقع الذى لايتسم بالوجود الحقيقى عندهم .

وفى الكتاب العزيز نحوا من خمسين قصة ، وفى الحديث الشريف قريب من مائة وخمسين قصة وهذه القصة لم تعرض للتسلية وسد الفراغ وانما عرضت لتحقيق غرض من أنبل الاغراض .

وفى قمة ماهدفت اليه وبث روح الايمان بالله ورسوله فى نفوس الناس والانتصار للخير فى صراعه مع الشر ، وما الى ذلك من الأغراض الجليلة النبيلة .

ويرفض المفهوم الاسلامى قولة الرمزيين بأن اللغة ليست وسيلة لنقل المعانى الواضحة وعرض الصور البينة وانما هى وسيلة لنقل العـــدوى من الكاتب الى القارىء .

والأديب الاسلامى يدين بأن القرآن الكريم هـــو كتاب العربية الاكبر وأن الحديث الشريف يحتل منزلة وسطا بين كلام الخالق وكلام المخلوقات وان هـــذين المصدرين الكبيرين ليسا وسيلتين لنقل العـــدوى الى القارىء وانما هما وسيلتانالى ارشاده وتوجيهه واداتان لوضع قواعد حياته الخاصة والعامة .

الوجودية تحت ضوء الاسلام

يقـــوم مفهوم الفلسفة الوجودية على أن الحقيقية الوحيدة تنحصر فى تفكير الانسان ، الذاتى الذى لايوجد شىء سابق له أو خارج عليه .

ومعنى هذا انكار : عبادة الله تبارك وتعالى وانكار المثل المتوارثة والقيم الأخلاقية التى لها صفة اليقين فهو يرى أن كل ما يتناقله الناس كابرا عن كابر وما يتوارثونه من قيم لا يعدو ان يكون تراثا باليا يجدر بالانسانية ان تتخلص منه وان تنعتق من اساره حتى يتمكن الانسان من الانطلاق فى دروب الحياة حرا قادرا على أن يحقق ذاته ويمارس وجوده ويغدو سيد نفسه وبناء على ذلك يقرر الوجوديون وعلى راسهم سارتر : أن الاله ليس خرافة فحسب انما خرافة ضارة ، كما انهم آمنوا بما ذهب اليه نيتشهمن ان الاخلاق ليستالا خرافات اخترعها الضعفاء ليتقوا بها سطوة الاقوياء فى معركة الحياة .

وبذلك قررتالوجودية : رفض المبادىء التىوضعتها الرسالات السماوية للحياة ورفض التراث الاخـــلاقى المتوارث .

واعلنت ان وجودها يقوم على الحرية والمسؤولية

والالتزام وقد نتج عن هذه العناصر الثلاثة : مشكلات ثلاث : هى القلق والهجران واليأس .

أما القلق فهو أمر طبيعى بالنسبة لانسان لا يستند فى حياته ومشكلاته الى (اله) يرجع اليه ويعتمد عليه ولا يؤمن بقضاء وقدر يترك لهما التصرف فى شـــؤونه ولا يدين بضرب من القيم الاخلاقية والسلوكية التى ورثها عن آبائه واجداده . وأما الهجران فهو ناجم عن احساسه بانه وحيد لاعون له غير نفسه ولا سند يعتمد عليه غير ذاته ، وان عليه ان يتحمل بسبب ذلك افدح المسؤوليات وان ينقذ نفسه من الغرق بعد ان القاها فى هذا البحر اللجى ، أما اليأس فقد كان نتيجة طبيعية للقلق والهجران واثرا حتميا من آثارهما .

ويقرر الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا فى بحثه الضافى عن المذاهب الأدبية : أنه ليس بين المذاهب قاطبة أشد عداوة للاديان وأقوى عنفا فى مكافحتها من الوجودية فالوجودية مذهب هدام وآية هدمة انه يدعو الانسان الى القضاء على الجهود التى بذلتها البشرية غبر تاريخها الطويل للارتقاء بالشخصية الانسانية من طور الاباحية والحيوانية الى مرحلة الكائن الســــوى الذى تنشده الرسالات السماوية بعامة والاسلام بخاصة ، ثم ان اتباع هذا المذهب يرون ان الوجود الحقيقى للانسان لا يتم الا اذا أطلق العنان لرغباته وافسح المجال أمام شهواته غير متقيد بدين أو عرف أو سلوك ، والأديان السماوية وعلى راسها الاسلام تحض الانسان على السيطرة على رغباته وشهواته واطماعه وتوجهها وجهة تنفع الفرد وتنهض بالمجتمع فهى لم تغلق فى وجهـــه بابا من ابواب المحرمات الا فتحت له بابا من ابواب المباحات ، فهى حين حرمت عليه الربا اباحت له الكسب الحلال عن طريق التجارة وغيرها وحين حرمت عليه غصب أموال الناس وأكلها بالباطل اباحت له التملك وحين حرمت الزنا اباحت له الزواج ودعت اليه وحضته عليه .

مقولة خاطئة

ومقولة الوجوديين بانه لا جبر للاشخاص ولا الزام لهم ولا دين يحكمهم ولا سلطة يخضعون لها سوى سلطة (الضمير) هى مقولة خاطئة فقـــد فاتهم ان الضمائر تختلف؟ من انسان الى انسان وتتبدل من حين الى آخر ، وأن العقول قد تحرى الخير شرا والمنكر معروفا وان الحكم فى ذلك كله انما هو الله سبحانه ، كذلك فان من اخطاء الوجودية دعـــوتها معتنقيها الى التخلص من القيم المتوارثة البالية وابداع قيم جديدة يختارها الانسان لنفسه بنفسه ويلتزم بها .

وبذلك سيبتدع الوجوديون آلاف القيم التى تمزقهم كل ممزق أما الاسلام فهو يلزم المسلمين بأحكام ربانية راسخة لا تتغير اسسها ولا تتبدل وكل ما يضاف اليها هو ما يجد فى الحياة من أمور يعتمد المسلم فى معالجتها على القياس وغيره كالمصالح المرسلة بضوابطها المقررة فى أصول الفقه .

ولعل أخطر ما فى (الوجودية) هو ان كثيرا من الشباب المنحلين وجـــدوا فيها سندا فلسفيا يسوغ انحلالهم وبفلسفة فانطلقوا فى دروب الرذيلة مجاهرين غير مستحين

وقد كان من شأنهم ان يخجلوا من النـــاس لولا احتماؤهم بهذه الفلسفة والذى يرى مجونهم فى (سان جرمان) فى باريس وهم يسكرون ويخمرون ويأتون الفواحش تحت حماية الدولة وعلى ملأ من الناس يأخذه العجب العجاب .

أما الاسلام فهو يحرص على الشباب والرسول صلوات الله عليه وسلامه يحضهم فى طائفة من احاديثه على ما فيه سعادتهم فى الدارين .

كذلك فان الوجودية تقصر وجود الانسان على المرحلة التى تبدأ بساعة الميلاد وتنتهى بضجعة القبر ، ولذا كان عليه أن يقبل على متع الحياة الدنيا أشد الاقبال وان يعب منها عبا . والمسلم يدين بأن الدنيا لا تعدو أن تكون سبيلا الى الآخرة : « وما الحياة الدنيا الا متـــاع الغرور » .

وهناك تفصيل واضح عن مذاهب الالتزام فى ضوء الاسلام نقدمه فى بحث قادم باذن الله .

* * *

الفصل السابع
تعميق الصحوة وترشيدهـــا

اولا ـــ مرحلة الانتقال ومسئولية الدعوة الاسلامية خلالها :

ان مرحلة الانتقال الحالية من (الدفاع) الى بناء قواعد الفكر الاسلامى منجديد ـــ فى ضوء التحديات المعاصرة على اصوله ومن خلال منابعه الاولى ـــ هى تطور طبيعى فى حركة اليقظة الاسلامية فقد كان من ابرز ملامح القرن الرابع عشر الهجرى : ظاهـــــرة الدفاع والرد على التحديات التىحمل لوائها مجموعة من المستشرقين ودعاة التغريب بقصد صرف المسلمين عن وجهتهم الحقيقية ، حتى بدا وكاننا فى خندق الدفاع ازاء مجموعـــــة من التلفيقات والحيل الخداعية والنصـــوص المنتزعة من اصولها ، والتمويه ، واسلوب المغالطة مما كشف لنا حقيقة (المنهجية الغربية) التى طالما تغنوا بها وهم يتحدثون عن أسلوبهم العـــــربى فى الكتابة ، بينما ان الحقيقةهى انهم يقيمون محاولاتهم على (الظن وما تهوى الانفس) فقد كان واضحا ان الغرب قد احس بالخطر من عظمة وسمو وسماحة تعاليم الاسلام فخشيها ، وخشى منها فاراد ان يفسد الوجهة فى بلاد الاسلام ويزيف هذه المفاهيم حتى لاتكون منطلقا ليقظة جديدة ، وعمد فى نفس الوقت الى اثارة الشبهات حتى لا يختلب الاسلام لسبب أهل الغرب الذين تكشف لهم (١) فساد المصادر القديمة (٢) عجز زالحضارة الحديثة عن العطاء ، ومن ثم ولوا وجوههم نحو مختلف المذاهب والدعوات والنحل شرقا وغربا ، فلم يجدوا فيها نفعا ، واخـــــيرا اتجهوا الى الاسلام الذى صوروه لهم بأنه دين لا قيمة له ولا جدوى من دراسته .

هذه هى المرحلة التى انتهى اليها القرن الرابع عشر الهجرى ، سهام مسمومة ترتد الى نحور اصحابها الاسلام يكشف عن جوهره ، دعوة عريضة للعودة الى المنابع وتصحيح واضح لمفهوم الاسلام الذى وصفه جب بانه قد تراجع الى المساجد بالاعلان عن انه منهج حياة ونظام مجتمع وانه يقدم للبشرية (ايدلوجية) كاملة فى الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية الخ .

واعتقد اننا اليوم نقوم بالعملين معا فليس مفر من الرد على الشبهات والسموم التى تتجدد اثارتها مرة ومرة وفى كل جيل جديد .

وفىنفس الوقت نقوم ببناءالمنهج الاسلامىالمقننوالمنظر على أسلوب العصر ، دون تجاوز المفهوم الاصيل للاسلام بانه دين ربانى خاتم ، لا يخضع للمقارنة مع الايدلوجيات ولاهى مساوية له وانكان لها فيهابعض مشابهمنمفهومه فى العدل الاجتمـــــاعى والشورى تحت اسماء غريبة كالاشتراكية والديمقراطية ولكن مع الفارق البعيد بين المنهج البشرى القاصر المحدود وبين منهج الله تبارك وتعالى الواسع الافاق المرن المنهج القادر على العطاء فى كل بيئة وكل عصر والى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

ثانيا : سمات الصحوة ومعالمها ومستقبلها

أما ان الصحوة حقيقة واقعة فهذا أمر شهد به العدو والصديق ذلك لانها تطور طبيعى لحركة اليقظة منذ بدأها الامام محمد عبد الوهاب ودعاة الاسلام فى جوانب ارض الاسلام بالعودة الى المنابع وتصحيح مفهوم التوحيد الخالص وتحرير الاسلام من الوثنية والجبرية والفلسفات والمذاهب الوافدة .

والقضية واضحة فان دعاة التغريب خدعوا هذه الأمة حين نصحوها بأن تتخذ من المنهج الغربى طريقا لحياتها معلنين ان ذلك هو الطريق الذى يجعلها قادرة على التخاص من نفوذ الغرب وامتلاك ارادتها . وقـــد

صدق الناس ذلك واعانهم عليه صناديد النفوذ الاستعماري فتركوا منهجهم الاصيل وظنوا انهم قد وجدوا المخرج .

ولكن التجربة بعد أكثر من سبعين عاما كشفت عن زيف هذه النصيحة ، وان الذين دعوا اليها ان لم يكونوا خائنين لهذه الامة فحسب بل لايفهمون قواميس الأمم وقوانين قيام الحضارات والخروج من الازمات ذلك أن المسلمين لديهم قانون اساسي واضح قوامه ان النصر لايأتيهم الا من خلال مفاهيمهم وقيمهم وقانونهم الذى قدمه لهم القرآن الكريم ، فاذا انحرفوا عن التطبيق وذلوا ودخلوا مرحلة الازمة فان مخرجهم هو شيء واحد : العودة الى المنابع فاذا التمسوا منهجا آخر فقد وكلهم الله تبارك وتعالى الى انفسهم وتركهم وتخلى عنهم ، وهذا ما حدث حين ضاعت فلسطين ثم ضاعت القدس ثم انشب النفـــوذ الشيوعي انيابه فى افغانسان وتبين للمسامين يوما ما فى نكسة ١٩٦٧ ان وجودهم ذاته قد أصبح معرضا للزوال عند ذلك كانت الصحوة تعنى العودة الى المنابع الى منهج القرآن والسنة الاصيل ففيه وحدة المخرج فقـد سقطت تجارب الايدلوجيين الليبرالية والماركسية واثبتت عجزها عن العطاء فى أمة لها عمق اربعة عشر قرنا فى التوحيد .

إن الايدلوجيات المعاصرة قد عجزت فى بيئاتها الاصاية فكيف لا تعجز فى بيئة القرآن مهما حجب النفوذ الأجنبى الشريعة الاسلامية بالقانون الوضعى والاقتصاد الاسلامى بالمصرف الربوى والتربية الاسلامية بمنهـج ديوى .

ان ابرز معالم الصحوة الاسلامية هـــو افلاس الحضـــارة الغربية وتطلع قادتها ومفكريها الى منهج الاسلام كمنقذ للانسانية والحضارة .

كذلك فقد تراجعت كل المذاهب التى طرحها النفوذ الغربى فى أمة الاسلام : ظاهرة العلمانية ، ظاهـــرة القومية ، ظاهرة حجب الجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وكان معنى هذا كله تفريغ الاسلام من جوهره ومضامينه وقد كانت الكشوف الاثرية مؤيدة للاســلام ولمنهجه ، محطمة لمذهب دارون ، ومكذبة لدعاوى يهود ، وناسفة لفك السامية بديلة عن الحنيفـــة ، وكاشفة لفساد مفهوم احياء الحضارات القديمة فقد اعلن كبار المتخصصين فى الاثار والتاريخ نظـــرية (الانقطاع الحضارى) بين الاسلام وما سبقه من حضارات ونظريات وقد تبين ان عصر ما قبل الاسلام كان مقدمة لهذا الدين الخاتم الذى جاء لاخراج البشرية كلها من الظلمات الى النور وتحريرها من الوثنية والتعدد ومن عبودية الاصنام ومن عبودية القيصر والفرعون .

٣ ــ المؤامرة ضد الصحوة

ولا ريب ان الصحوة الاسلامية انما صدرت من المنابع الأولى ، التمس مفهوم الاسلام الصحيح :مفهوم الاسلام الجامع وليست من مصدر آخر ، فهناك المحاولات اليوم تحاك لصرفها عن هذا المصدر القرآنى الاصيل ، وهناك دعوات الى تزييف حقيقتها بالدعوة الى احياء الفرق والنحل القديمة ، والى التركيز على الماسونية وخليفاتها ، واحياء البهائية والقاديانية ، والدعوة الى التحرر من الاتصال بالاسلام تاريخا ، وأمة ، ومنهجا ، وهذه هى مهمة التغريب والغو الثقافى التى تجرى اليوم فى محاولات تقوم بها اقلام زائفة مغربة معروف ولائها لتدعـــو الى هـــدم الســـنة) حسين احمد امين) وفرج فـــودة ، فـــؤاد زكريا) والتشكيك فى الوحى واثارة خـــلافات الصحابة من جـــديد كما نرى فى كتابات توفيق الحكيم وزكى نجيب محمود وفرج فودة ، وكل ما يكتبه هؤلاء غثاء كغثاء السيل ، ذلك ان كل نهضة غير متصلة بالمصادر الأولى هى نهضة زائفة تقوم على شفا جرف هار ، ان أساس نهضتنا الميراث العظيم (القرآن والسنة) وصالح التراث القائم على ما قدمه النوابغ الافذاذ فى مختلف المحاولات العلمية والفقهيـــة وهذه الجذور هى الاسس التى ستوسد عليها نهضـــة الاسلام الجديدة .

لا تخدعنا كلمات الجمـــود والسليفة والرجعية ولا تغرينا كلمات العصرانية والحداثة والتجديد .

وأمامنا الان نتاج جديد يجب ان ينمو ويمتد الى مختلف المجالات : علم النفس الاسلامى ، علم الاجتماع الاسلامى ، علم الاقتصاد الاسلامى ، النظرية الاسلامية للادب .

واذا كان الاسلام يقتحم الوجدان الغربى اليوم فاننا أجدر بان نقيم مجتمعنا الاســـلامى على أسسه ومقوماته .

ان سمات الصحوة الاسلامية واضحة والمستقبل امامها مفتوح باذن الله بعد ان تهدمت القيم التى آمن بها

الناس سنوات طويلة ولكن الحذر كل الحذر من الاندفاع أو استعجال الوقت حتى تنمو البذرة ، كما ندعو الى الحذر من التوقف والاستسلام للاحلام فان العدو يعمل ويحاول فى كل مجال : وخاصة مجال التبشير العربى فى ان يغذى لفتنة المسلمين عن دينهم ، ومجال الاستشراق يعمل فى استقطاب بعض طلاب الدنيا بالهبات والعطايا .

ونحن نؤمن ان الاسلام قادر على أن يقدم الحلول لكل مشاكل العالم المعاصر والازمات البشرية القائمة بدعوته الى التماس المفهوم الصحيح : مفهوم الربانية وامتلاك الله تبارك وتعالى لميراث السموات والأرض ومفهوم مسئولية الانسان الفردية والتزامه الاخلاقى وايمانه بالبعث والجزاء .

٤ ــ دور الدعوة الاسلامية

اذا كان لا بد من القاء الضوء الكاشف على الصحوة فان قاعدتها الاساسية هى الانتقال من مجال الدراسة والتخطيط والتعرف على اسباب تخلف المسلمين وعوامل نهضتهم (على النحو الذى قام به جمال الدين ومحمد عبده وشكيب ارسلان ورشيد رضا وغيرهم) الى مجال التربية وبناء الاجيال وتكوين الجيل الرائد الذى حمل لواء العمل فى بناء الأمة ذلك هو الدور الذى قام به الامام الشهيد حسن البنا ولم يسبقه سابق الى هذه الوجهة ، وقد كان فيها على مستوى عصره بعد سقوط الخلافة الاسلامية وتفرق شمل الأمة الاسلامية واستعلاء الاقلية والتبشير ، وقد استرشد فى وجهه هذه بالدعوة الاسلامية الأولى وبالمنهج الذى سار عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بناء الرعيل الاول الذى حمل رسالة الاسلام الى العالمية ، فهذه حقيقة لا يمكن تجاهلها ومن هنا هاجم النفوذ الغربى وجهة الدعوة الاسلامية لانه وجدها على غير ما اراد بل وجدها تدمر كل ما رسم من خطط لحصر الاسلام فى المساجد وحفلات الموالد وحلقات الذكر ، واليوم لا نجد كاتبا اسلاميا واحدا يستطيع ان يتجاهل مفهوم الاسلام الاصيل (دينا ودولة) ومنهجا ونظام مجتمع ، على النحو الذى كشف عنه الاستاذ البنا رضوان الله عليه ولا بد ان تكون كل الحركات الاسلامية المعاصرة منذ المودودى وغيره ، مستمدة من منهجه الذى يتسم اساسا بالحكمة والموعظة الحسنة ويبعد عن المغالاة والتطرف والتعصب والذى يؤمن بأن الطريق الأصيل هو ايمان الطلائع ووصولها الى أماكن القيادة من منطلق شرعى صحيح وهو منهج لا يقر الانقلابات ولا الاغتيالات ولا يرى سبيلا الا عن طريق بناء الامة بالايمان والعلم .

٥ ــ فشل التجربة الغربية

كل مايقال بالنسبة للتجربة الغربية فى بلادالمسلمين انها تجربة لم تحقق شيئا ايجابيا واضحا ، سواء اكانت التجربة الليبرالية أو الماركسية اما بالنسبة للحضارة الغربية فانها قدمت حتى الان (ادوات) مادية نافعة ليس على المسلمين حرج فى استخدامها لانها منفصلة تماما عن فكر الغرب ، فنحن لنا اسلوب العيش الخاص بنا ولنا مفهومنا فالاسلام هو الذى أعطى البشرية :

١ ــ التحرر من العبودية والوثنية .

٢ ــ بناء منهج الاخوة الاسلامية خارجا عن العنصرية .

٣ ــ الانتقال من الفردية الى الغيرية .

وهو فى هذا يختلف مع مفهوم الغرب فى الاستعلاء بالعنصر ، واعتبار العنصر الابيض سيد العالم ، وقيام مجتمعه على اساس استغلال الأمم التى تملك مصادر الثروة وتسليط مشروعات تحديد النسل والافتقار عليها حتى لا تملك ارادتها .

مهمة المراة المسلمة :

المراة المسلمة قد اكتشفت اخيرا ان ما يسمى تحرير المراة هو مؤامرة يراد بها هدم الأسرة واخراجها من مسئوليتها الاساسية فى بناء الاجيال وقد بدات المراة تعود الى بيتها وتلتزم بمسئوليتها التى قررها لها الاسلام بعد أن كشف ذلك كتاب الغرب انفسهم أمثال اليكس كارسل وغيره .

٧ ــ عودة روح الجهاد الى العالم الاسلامى

يجب ان تعود روح الجهاد الى المجتمعات الاسلامية من جديد ، على النحو الذى فرضه الاسلام هو (الاعداد والمرابطة) ولن يحل مشاكل المسلمين فى مواجهة مطامع الغزو الا القدرة على الردع وهذه هى التى أوصى بها الاسلام فى آية (واعدوا) ومن هنا فان حل مشكلة فلسطين واستعادة القدس يتطلب :

اولا : الجهاد واستخلاص الحق بالقوة الحربية .

ثانيا : مواجهة قضية فلسطين على مستوى اسلامى اساسى لا على مستوى عربى ولا مستوى قومى وكذلك الامر بالنسبة للاحتلال الشيوعى لافغانستان .

كانت القضية التى تشغلنى تماما وهو العمل على تحرير العقلية الاسلامية من استبعاد الثقافات الغربية بعد تكشف لى أمران :

الاول : ضحالة العطاء فى الثقافات الخارجية .

الثانى : غلبة الاهواء والاحقاد والاباحيات على معطياتها ولذلك فان المهمة الكبرى هى العمل على كشف الشبهات وتصحيح مادسته الشعوبية فى تاريخ الاسلام والعرب من سموم .

الفصل الثامن

اقيموا صلاة الظهر فى المدرسة
من اجل وضع التربية الاسلامية موضع التنفيذ

فى مواجهة الصيحات التغريبية المتجددة التى ترمى الى اقتلاع جذور التربية الاسلامية من نفوس شبابنا ندعو الى بناء النفس المسلمة الحائرة القلقة الان على اساس الايمان فهو المنطلق الحقيقى لسلامة هذه الأمة من الاخطار والمحاذير التى تتعرض لها اليوم من جراء تفشى عوامل كثيرة عن طريق وسائل الترفيه والاضحاك وقصص الجنس والجريمة وقد اثبتت الاحداث الخطيرة التى وقعت فى العامين الاخيرين حقيقة واقعة انزعج لها رجال علم النفس ورجال التربية والاجتماع جميعا وهى الاحساس بانزلاق المجتمع الى مرحلة خطرة باغراء الافلام الاجنبية والمسلسلات وغيرها اذ لم تعد الحضانة الطبيعية كافية لحماية هذا الجيل من الخطر فضلا عن تقصير الآباء والأمهات الذين انشأو اجيالا اطلق عليها (اطفال المفاتيح) حيث يضطر الاباء والامهات الى اعطاء اطفالهم مفاتيح البيوت بعد عودتهم من المدارس حتى يعود الاباء والامهات ، هؤلاء الاطفال المظلومين من ناحيتين من ناحية تقصير آبائهم وامهاتهم فى رعايتهم واعطائهم دفقة الحنان الأبوى والاموى ، ومن ناحية تسليمهم للخادمات ولدور الحضانة التى ينقصها حمايتهم أو رعايتهم حتى لقد بدت تظهر فى أفق الاطفال ظاهرة الانتحار نتيجة (اليأس) والضيق ومن اجل هذا الاتجاه الخطير الذى تتجه اليه وسائل الترفيه بالاضافة الى التقصير فى الحماية الاسرية واضطراب التوجيه والرعاية والقدوة المدرسية نجد ان الخطر يحدق بشبابنا وابنائنا (هذا بالاضافة الى مشاريع جديدة يجرى اعدادها) فهناك الآن الف مدرسة من مدارس اللغات ، هذه المدارس تحاول صياغة الشباب فى جو من التبشير واخراج الدين من حياتهم وتقديم النموذج الغربى لهم فى العقيدة وفى التاريخ وفى البطولة ، ولاشك ان دفع ابنائنا اليوم فى هذا السن الغض الى تعلم لغة أجنبية هو من الخطورة بمكان لانه سيقتلع اللغة العربية والقرآن والسنة وكل المقومات الاسلامية التى يجب ان يشكل المزاج النفسى الاسلامى عليها ولذلك فاننا نسارع ونبادر وندعو الى اقامة صلاة الظهر فى المدرسة كعامل من عوامل حماية ابنائنا .

ونحن اذا نظرنا الى مناهج المدارس الاعدادية والثانوية رأينا خطرا حدقا فهناك مناهج منحرفة ونظريات وافدة تدرس على انها حقائق وعلوم منها نظرية دارون وكتب التاريخ التى تقدم عظمة أوربا على المسلمين وعظمة الفرعونية ، وهناك كتب الفلسفات التى تقدم نظرية الفيض والعقول السبعة وتقدم الفكر الغربى الوثنى القديم على أنه فكر اساسى ثم يجيء الفكر الاسلامى فى سطور تتخلل هذا كان المسلمين ليس لهم فكر اساسى وليس لهم مفهوم خاص للفلسفة والنظرة الى الكون والوجود والخلق ، اما كتب العقيدة فهى كتب جافة ليس فيها أى شحنة روحية حقيقية ، اما كتب التاريخ الاسلامى فانها تدرس على انه صراع بين الخلفاء والامراء ومجموعة من المؤامرات .

ولذلك فنحن ندعو الى اعادة النظر فى هذه المناهج التى ورثناها من عهود الاستعمار والنفوذ الأجنبى ولابد من تطهير هذه المقررات المدرسية من التأثيرات ذات الطابع الوافد والتغريبى وكذلك نحن نطالب بمناهج دراسية لحماية الشباب من الانحراف والانحلال ، ولا بد من حماية شبابنا من اخطار المدارس الاجنبية التى تتزايد اعدادها وقد بلغت نسبة المدارس الخاصة التى تدرس العلوم بلغة اجنبية فى مدينتى القاهرة والاسكندرية اكثر من (٤٠ فى المائة) من اجمالى المدارس الموجودة ، وخطر هذه المدارس يمتد الى اضعاف اللغة العربية واحلال اللغات الاجنبية

محلها ، واللغة اساس الثقافة ومن هنا فان مجموعة كبيرة من شبابنا سوف تفقد ولائها العربى والاسلامى لانها ستتبع ثقافة ووجهة أصحاب هذه اللغة الاجنبية بكل مغرياتهم فى فرض هـــذا الشباب على المؤسسات الاجنبية .

ويتعرض شبابنا المسلم للوقوع تحت تاثير مفاهيم التربية الغربية وخاصة نظرية ديوى التى تقوم عليها الدراسات التربوية وهى مناهج تفرض فصل الدين عن الثقافة فى حياة الاطفال واعطاء الاطفال حرية الاختيار (وفق نظرية فرويد) دون رقابة أو توجيه من جهات اساسية وقد تبين ان هذه المناهج قد فشلت فى البلاد التى انشأتها وان نتائجها الخطيرة دفعت المصلحين الى تعديلها وتغييرها فكيف نأخذها نحن المسلمين ولدينـــا منهجنا التربوى الاسلامى الاصيل ان هدف هذه التحولات كلها هى القضاء على الطابع الاسلامى الاصيل فى نفوس وعقول شبابنا الغض وتفريغه من الايمان بالله ومن الايمان بالمنهج الاسلامى لبناء المجتمع حتى يصبح جيلا منهزما طريا ، واقعا تحت تأثير المغريات والاباحيات والانحلال

ولقد حملت الانباء اخيرا تلك الدعوة الخطيرة التى دعا بها الخبير اليهودى اللورد سوان حين دعا الى تلك الفكرة الخطيرة :

***

(علموا اولاد المسلمين الرقص)

ولقد كنت اتابع ما يجرى فى أجهزة التليفزيون وفى حفلات المدارس وفى الاندية فأجد ظاهرة الرقص تنتشى بشكل غير عادى تحت اسماء كثيرة منها الرياضة ومنها أشياء اخرى وهى فى مجموعها ترمى الى قتل عاطفة الخجل والحيـــــاء الاسلامى الأصيل فى النفس المسلمة والسخرية بها وكنت اتصور أن وراء تفشى هذه الظاهرة خطة مرسومة حتى جاءت برقيات الانباء تحمل ملخصا للتقرير الذى اعده هذا اليهودى البريطانى الخبير فى شئون التعليم حيث يوصى بتعليم التلاميـــذ المسلمين (رجالا ونساء مبادىء الرقص باعتبار ان الرقص لون من الوان الرياضة البدنية وقد الحق توصيته بعبارة قاسية هى قوله (ورفض اى اعتذاريبديها الشباب المسلم للتهرب من الرقص) .

هكذا فى الوقت الذى تخلو فيه البرامج الدراسية من التربية الاسلامية وبناء العقيدة ايمانا بمذهب (ديوى) يحاول بعض الخبراء فرض الرقص على ابناء المسلمين حتى تهتز اعطافهم وتفسد قلوبهم ويصبحوا اداة لتقبل الصورة المنحلة للحضارة العصرية ، فضلا عن عـــــدم التفرقة بين الفتيان والفتيات فى مختلف مراحل الدراسة

من أجل هذا دعونا الى تحرير المناهج الدراسية من التبعية وادخال مادة الثقافة الاسلامية اليها على جميع المستويات حيث ان مادة الدين التى تدرس الان لا تكفى ولا تحقق الغاية من بناء الاجيال الجديدة المتحررة من التبعية ومن التطرف فى نفس الوقت .

ولا بد من ملء الفراغ النفسى فى نفوس الشباب بتقديم العقيدة الاسلامية بمفهومها الجامع والصحيح من جميع فروعه فيما يتصل (اولا) باللغة العربية واهمية الفصحى ومقاومة العاميـــــات التى تزحف عن طــريق الفلكلور والشعر العامى ولغة الصحافة (ثانيا) بتقديم اللغات الاجنبية على انها فى درجة ثالثة للغة العربية ولان ما تقدمه من مادة فكرية يتصل بعقائد الغرب من الامور التى يجب النظرفيها وخاصة من القصص والروايات (ثالثا) بتقديم المترجمات الاجنبية على نحو فيه أصالة الفكر الاسلامى وذلك بأن نعرف خلفيات هــذه الكتب المترجمة ومؤلفيها والظروف التى كتبت فيه فى بلادها ومدى اتصالها بثقافتنا ومدى تعارضها أو تلاقيها مع مفاهيم الاسلام وعقيدته (رابعا) بالنسبة للتراث الاسلامى وارتباطه بالعقيدة الاسلامية (خامسا) بالنسبة للتاريخ الاسلامى بوصفه التطبيق البشرى لعقيدة الاسلام بما يحمل من سلبيات وايجابيات .

واذا كنا نواجه الان اخطارا متزايدة ترمى الى احتواء التعليم لصبغه بصبغة غربية تخرجه عن اطاره الاسلامى والعربى فاننا مطالبون بأن نقدم لشبابنا الجوانب الناقصة التى عجزت عنها المناهج وان نصحح الجوانب الشائبة التى تقدم مفاهيم منحرفة : هذا وبالله التوفيق .

***

الفصل التاسع

حماية شبابنا المسلم من مؤامرة حصاره واحتوائه

ان أهم ما واجه الامة الاسلامية اليوم فى مواجهة التحديات المتصلة بالفكر الوافد وبمحاولات الفكر الماركسى والصهيونى والغربى الرامى الى ابتلاع القيم الاسلامية هو العمل على حماية الشخصية الاسلامية من الاحتواء وبناء الشخصية فى نفس الوقت على روح النضـــال والمقاومة والرباط فى ثغور فكر الامة التى تبدو اليوم شبه خالية وذلك من اجل حماية عزة هذه الامة وكرامتها من ان تكون تابعة أو ذيلا أو ان تقبل منهجا وافدا من اجل متاع الدنيا القليل الزائل ، ذلك أنه قد وضح تماما أن اعداء الاسلام والراغبون فى احتواء هذه الامة والسيطرة عليها يعلمون مدى خطر الفهم الصحيح للاسلام (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) ولذلك فهم حريصون كل الحرص على الترويج للمفاهيم الباطنية والمادية والعلمانية واحياء مفاهيم الفرق والدعوات الهدامة واعادة كتابة افكارها المضللة المسمومة بأسلوب شائق يخدع الشباب المسلم القليل الخبرة ، الذى ليست له اليوم — ارضية واسعة فى فهم المؤامرة على الاسلام منذ بدأت على يد (عبد الله ابن سبأ) وكيف اتسع نطاقها من بعد بمفاهيم وحركات القرامطة والزنج والباطنية وغيرهم فهم يجددون الحديث عن هذه الحركات والدعوات ويوسعون آفاق الحديث عنها ويغرون الشباب بما تفتحه امامهم من مغريات تتعلق باسقاط التكليف والاندفاع وراء الشهوات والمغريات التى تتيحها هذه الدعوات لاستقطاب الشباب وصرفه عن دينه ويكون المنطلق من باب الحرية وتكون المراة والحب هى الادوات ، وقد صبغت الماسونية على النحو الذى يحقق اهداف هذه الدعوات الهدامة والفرق الضالة ، فلمــا تكشفت اهدافها انصهرت من جديد فى دعوات اخــرى كالقاديانية والبهائية ثم جاءت دعوات وحدة الاديان وادعاء النبوة .

ان المنطلق الوحيد هو سذاجة الشباب وبساطته وتصديقه لكل ما يلقى اليه وانخداعه ، وتاثره بالبريق الخادع ، وذلك ناتج عن قصور وعجز فى فهم الاسلام نفسه وفى الجهل بالمخاطر والمحاذير والمؤامرات التى تدبر للاسلام والكيد الذى يتمثل فى عشرات الصور والدعوات.

نحن نطالب الشباب بالحذر واليقظة وتعميق فهم الاسلام ، وما يدبر له من قوى كبرى متحالفة ، وان تكون هناك حصانة نفسية من الايمان بالله تحول دون الاستسلام للبريق ، والثقة الكاملة بان هذا زيف خادع مهما بدا لامعا وتجمع حوله الناس .

اننا مطالبون ببناء الشخصية الاسلامية فى نفوس الشباب كمقدمة للوقوف فى وجـــه موجات التغريب ، والتحلل ، والاباحية فالمسلم الصحيح الايمان قادر على ان لا يحتويه فكر وافد ، وان لا يستسلم امام مظاهر تختلف عن مفهومه الصحيح ، وان يكون متمثلا يقول الله تبارك وتعالى :

(وان تطع اكثر من فى الارض يضلون عن سبيل الله) .

ومهما اتسعت دائرة البريق الخادع فانها لا تخدع المؤمن ابدا ، فان اعماق قلبه المؤمن يحس بالخطـــر (والاثم ما حاك فى النفس وكرهت ان يطلع النـــاس عليه) .

ولنكن على وعى كامل بان هناك مخطط العمل على تحطيم الشباب المسلم وتدمير القيم الاخلاقية كوسيلة الى هدم الأمة وذلك ببث وسائل التحلل والاباحة والفساد التى ترمى الى تفكيك وحدة الاسرة والمجتمع الاسلامى وتغليب الفردية على الجماعية ، وازاحة الضوابط امام عوامل المعاملات الاقتصادية والمالية وخلق روح الفتور والانعزال عن المجتمع وخلق روح السلبية واســقاط فريضة الجهاد والأمر بالمعروف ، والفصل بين الوسائل والغايات ، وبين المعاملات والاخلاق وتوهين المسئولية

الفردية والالتزام الاخلاقى وفهم الاسلام فهمــا عباديا منفصلا عن تكامله كدين ونظام مجتمع معا .

ولا ريب ان هناك مسئولية للامة ازاء شــبابها وواجب الحماية ومن هنا فان علينا ان نسد الفجوات التى تدخــل منها الدعوات الهدامة والفلسفات المــادية الى النفس المسلمة والعقل المسلم .

والتفهم الصحيح العميق لسعة الاسلام وعطائه الوافر الذى لا يحتاج المسلم معه الى قبول الايدولوجيات التى صنعتها شعوب وامم ليس لدينها مثل منهج الاسلام ولا بد من تصحيح كثير من المفاهيم الموجودة فى المناهج الجامعية والتعليمية مثل نظرية دارون (وقضية الخلق الزائفة) التى تقدمها ، ونظرية فرويد وربطه تصرفات الانسان كلها بالجنس ونظرية سارتر باسقاط المسئولية الفردية ونظرية ماركس بتغليب التفسير المادى والصراع الطبقى وايعلم شبابنا أن هذه النظريات ليست حقائق علمية أولا وانما هى وجهات نظر لفلاسفة قدموها فى بلادهم من أجل الرد على تحديات قائمة ، فهى ليست علما خالصا نافعا للبشرية كلها ، وهى فى نفس الوقت سقطت فى بلادنا وجاءت نظريات اخرى تنقضها وتدتوالت الحقائق الحفرية (عن طريق الحفــريات) التى تكذب دارون والنظريات العلمية التى تكذب فرويد وسارتر كمــا انكسرت النظرية الماركسية وتحطمت فى كثير من بلاد العالم التى اعتنقها من قبل وفى مقدمتها الصين .

كذلك فنحن مطالبون بأن لا نقبل مفهوم الفلسفة الغربى (ولنا مفهومنا) ولا نقر الصورة التى يقدم بها تاريخ أوربا لابنائنا حيث يتنكر لدور المسلمين فى بنــاء المنهج التجريبى ومداخل العلوم الحــديثة كالتاريخ والاقتصاد ان هذا التاريخ الاسلامى والعالمى والذى يدرس لابنائنا فيه زيف كثير ، لانه يركز على الخلافات وعلى تاريخ الامراء ويغفل الدور الخطير الذى تقوم به الجماعة الاسلامية فى قوتها وتماسكها .

ان هناك محاولة خطيرة لاطفاء نور التــاريخ الاسلامى بوضعه تحت مجاهر النظرية المادية للتاريخ والغض من شأن التراث واعلاء العاميات على الفصحى وتقديم النظريات والايدلوجيات الغربية الصــادرة عن الفلسفة المادية ذات الاصل المسيحى واليهودى والوثنى على انها حقائق علمية بينما هى فروض ونظريات فيهــا الصحيح وفيها الخطأ ، والاسلام لديه منهجا اكثر اتساعا وعمقا وربانية .

اننا فى أشد الحاجة الى تدريس مادة الثقافــة الاسلامية فى جامعاتنا من أجل حماية ابنائنا من خطرين كبيرين . : الاول : الفراغ النفسى الثانى : التعصب والتطرف فالاسلام فى حقيقته يعلم السماحة ويملأ النفس بالاخوة الانسانية وهو حين يدرس تدريسا صحيحا يعطى صاحبه مناعة وحصانة كاملتين تجــاه الافكار والعقائد والاتجاهات الدخيلة والمغايرة .

كذلك فانه يوجه المسلم الى معرفة مهمته فى الحياة وهدفه فيبنى فيه المسلم القوى الصالح الذى يعمر هذا الكون مؤمنا بربه خاضعا له ، عاملا على تكوين المجتمع الصالح الذى تتكاتف قواه لاعــلاء كلمة الله وتحقيق شريعته .

ومن ناحية أخرى فانه ينمى شعور الولاء للامــة الاسلامية والالحاح على مكانتها واهمية رسالتها العظيمة للانسانية وما يمكى ان تكونه لنفسها وللناس .

بل ان مادة الثقافة الاسلامية فى الجامعات تكون عونا كبيرا على تصحيح الفكرة الخاطئة التى اشاعها الاسلام فى نسبة انحطاط المسلمين التى تمسكهم بالاسلام وبيان ان العكس هو الصحيح وان تخلف الشعوب التى تؤمن بالاسلام كان بسبب تخليهم عن مبادىء هذا الدين القويم وعدم تطبيقها تطبيقا واعياسليما فى حياتهم الفردية والاجتماعية كذلك فان دراسة هذه المادة تحقق التربية الاسلامية الحقيقية فى مجال الســلوك حيث ينصرف الشباب على شمائل الرسول صلى الله عليه وســلم وسيرته واخلاق الصحابة بما يطبع نفسه على النموذج الامثل ويقدم له القدوة التى قد يعتقدها فى البيت أو دور العلم .

ان شبابنا امانة فى عنق الامة واعناق مفــكريها وقادتها وهو عدتنا فى المرحلة القادمة، وان هناك مؤامرة تحوطه وتحاصره ونحن يجب ان نكون على يقظة تامة لهذه المؤامرة وان نعمل على تحطيم القيود التى تحاول ان تكبله وان تستكمل عن طريق الثقافة الاسلامية الحرة كل ما تقتضيه فى مناهج التعليم .

الفصل العاشر
أمـــة الهــــلال

هذه الامة الاسلامية التى صنعها القرآن الكريم وانشأها محمد بن عبد الله خاتم رسل الله والتى تقع فى وسط العالم قارة كاملة بين افريقيا وآسيا بما حباها الله تبارك وتعالى به من وضع استراتيجى ومن ثروات هائلة ومن تفوق بشرى يتضاعف اليوم ويزداد وهى الأمة التى جعلت حسابها بالهلال تميزا لها عن الامم الغربية التى تقيم حسابها على السنة الشمسية والتى بدأ تاريخها بالهجرة: اعظم حدث فى تاريخ الاسلام، هذه الامة مطالبة بأن تدعمطابعها هذا بأن تقيم حياتها على الشهر الهجرى وان تحسب احداثها بالعام الهجرى وان تربط انتصاراتها بالتاريخ الهجرى ، نقول هذا ونحن نرى كيف تجـرى المحاولات لصرفها عن الهلال والتاريخ الهجرى واغراقها فى التاريخ الميلادى فتتحول من رمضـــان الى اكتوبر ، وتتحول من طوابعها الاسلامية الى اقليمية واضحة او الى العروبة من أجل حجب اللون الاسلامى ، فقد جرى النفوذ الاستعمارى على اخفات صوت الاسلام فى كل مجالات النشاط الفكرى والثقافى والاجتماعى بالانتقال من الاسلام الى العروبة ومن ثم ظهـــرت كتابات تقول بالحضارة العربية والفكر العربى والثقافة العربية وهى مسميات مضللة لان الحضارة والفكر والثقافة انما ترتبط اساسا بالعقيدة وما من أمة كانت لها حضارة ونهضة الا ارتبطت بدينها وعقيدتها حتى فى البلاد التى فصلت بين الـدين والدولة ما زالت تقول : الحزب الديمقراطى المسيحى ، والحضارة المسيحية ، والفكر المسيحى والثقافةالمسيحية بينما نحن نغفل ذلك ونتجـاوزه فى نفس الوقت الذى لا يستطيع باحث منصف من أى دين من الأديان ان ينكر ان هذه الثروة الفكرية والثقافية التى تغمر مختلفجوانب المجتمعات الاسلامية هى اسلامية الاصـل والاساس والمسار ، وان الاسلام حين دخل هذه المنطقة وآمن به أهل الاديان الاخرى سلما واقتناعا ، انما كانوا يؤمنون بانه هو الذى صاغ لهم مختلف القيم الاساسية سواء فى حرية الفكر او العبادة او التعامل او الحركة ، وانه لاتوجد الانفىعالم الاسلامثقافة مستقلة يمكن أن تسمى ثقافة مسيحية أو يهودية لها طابع خاص فقد صهـر الاسلام كل قيم الاديان القديمة فى منظومته ومن ثم برزت الاخلاق والمعاملات والتقاليد والقيم القائمة الان فىالمجتمع الاسلامى من خلال الاسلامواعتنقتها كل النحل والاجناس ولم يكن أحد يستطيع أن يفرق بين مسلم وغير مسلم فى التعامل الاجتماعى أبدا ولكن جاء النفوذ الاجنبى واخذ فى اثارة الخلافات حتى يؤلب الفرق والعناصر لانهلايستطيع ان يحكم أو يسيطر الا عن طريق هذه اللعبة .

ولقد كان الاسلام واضحا طوال العصور بسماحته وحسنمعاملته للعناصر المختلفة وحمايتها وحمايةعباداتها ومعابدها ، على النحو الذى رسمه الاسلام نفسه وشدد فيه ، ولكن كان لا بد من ان يعى المسلمون الفـــوارق الدقيقة بين هذه السماحة وبين أن يحتفلوا بعيد رأس السنة الميلادية أو باعياد الأديان الاخرى ، أو تقليدهم فى عاداتهم ، فان معنى ذلك هـــو اضعاف روح الانية الاجتماعية ، القائمة على المحافظة على الذاتية الاسلامية وحمايتها وفى محيط هـــذا التخفف من التمسك بالتميز الاسلامى استطاع النفوذ الأجنبى ان يفرض هـــذه المصطلحات التى أعطاها اسم العربية ، لينسبها الى القوم ويحجبها عن الاسلام نفسه وفى ذلك تجاهـــل الحقائق الامور فان الحضارة فى الحقيقة قد صنعها مفهوم الاسلام نفسه وكذلك الشأن فى الثقافة والفكر ومن هنا كانت تلك الصيحة المضللة التى تقول ان اللغة العربية لغتنا ومن حقنا ان نتصرف فيها كيف نشاء وهو قـول مضلل لان اللغة العربية منذ أن نزل بها القرآن وهى لم تعد لغة قوم بقدر ما هى لغة عقيدة وفكر وأمة اسلامية عريضة .

لقد كان الاستشراق والغزو الفكرى والتغريب حقيا بأن يضـــع فى رأس قاعـدة حربه ، كلمـــة الاسلام بحجبها وراء اسماء اخرى من القوميات او الاقليمياتحتى يظل الاسلام محصورا فى دائرة ضيقة هى دائرة العبادات

حتى أسماء الشوارع واسماء المؤسسات واسماء النوادى كان الحرص على أن تكون فرعونية أو قديمة أو وثنية .

وكانت المحاولة دائما هى اخفاء الدور الذى قام به الاسلام فى مقاومة النفوذ الاستعمارى ، على مدى أكثر من مائة عام تقريبا فهذه الحركات التى قام بهـا المسلمون موضوعة دائما فى كتب التـاريخ تحت اسم حركات المقاومة الوطنية ، وابطالها رجال ايبراليون أو علمانيون لا ينتسبون أبدا الى الاسلام .

مع أن الحقيقة التى كشفت زيف هذه المؤامرة والتى اعلنها رجال أغلبهم من الغرب هى أن ما من حركة وطنية أو حركة مقاومة فى هذا العالم الاسلامى الممتد من ارخبيل الملايو حتى رباط الفتح على المحيط الاطلسى الا كانت مستمدة من مفهوم الاسلام المغروس فى أعماق نفوس المسلمين بالمقاومة والجهاد فى تحرير الارض وانه ما من حركة من هذه الحركات الا مصدرها الاسلام مهما حاول النفوذ الاجنبى حجب هذه الوجهة وتغطيتها .

وقد جاء كتاب غربيون يكرهون الاسلام فنسبوا ذلك الى القوميات ووصلوا فى ذلك الى مبالغات لا حد لها حين سحبوا مفهوم العروبة الى الحروب الصليبية فادعوا انها كانت حروب عربية بين الغرب والعرب وانها كانت من أجل التجارة واغفلوا الحقيقة الصحيحة وهى انها كانت حروبا تستهدف الاسلام اساسا وترمى الى تدميره وسحقه تماما ، وانها كانت دينية ولم تكن اقتصادية وآية ذلك اللباس الذى كانوا يلبسـونه والنداء الذى كانوا ينادون به .

بل ان الامر فى حجب اللون الاسلامى الاصيل عن الوقائع الحاسمة فى تاريخ الأمة الاسلامية وصل الى ثلاث قضايا كبرى :

احداها معركة التحرير الجزائرية التى قامت باسم الاسلام أساسا وثانيها : حركة فتح لتحرير فلسطين والثالثة معركة العاشر من رمضان وقد زيفت هــذه المعارك الاسلامية الاساسية ووضع عليها اسم العروبة كذبا وتضليلا .

ولقد سمعنا ان المستشرق ماسينيون عندما اندلعت ثورة الجزائر تحت لواء الاسلام سارع الى ديجول يطالبه بانهاء هذه الحرب حتى لا يستشرى اسم الجهاد المقدس والقرآن ، ومفهوم الاسلام ، وكذلك اخفت صوت الاسلام فى كل معركة قامت باسمه .

يقول احمد بن بيلا : لقد قام الاســلام بالدور الاساسى فى استقلال بلادى عن فرنسا ، وكان وقود كل الحركات الوطنية التى قامت ضدها ولولاه لذابت الجزائر فى فرنسا خاصة بعد فرض اللغة الفرنسية عليها .

ومن يتابع حركات الاصلاح والتغيير فى قارة الاسلام جميعها من حركة اندونسيا الى غيرها يرى أن القاعدة كانت اسلامية ثم ضربت ليسيطر عليها عنصر آخر يتنكر للاسلام كذلك فان هذه الخطة قد استخدمت على أوسع نطاق من أجل ازالة الهوية الاسلامية من كل البلاد التى احتلها النفوذ الاجنبى ، ازالة الهــوية الاسلامية من فلسطين اليوم ومن المناطق الاسلامية فى الهند ، ومن مختلف المناطق الاسلامية فى افريقيا فقــد حملت اثار الاسلام وتراثه من مختلف هذه المناطق فى افريقيا حتى تفرض على المسلمين لغات تختلف عن العربية وثقافات تختلف عن ثقافة الاسلام .

ويتحدث بعض دعاة التغريب عما اسموه الصراع بين الولاء العربى والولاء الاســلامى ، أو بين الولاء الافريقى والولاء الاسلامى والحقيقة ان الانتماء اساسا فى كل أمة تشهد ان لا اله الا الله هو ولاء اسلامى تندرج تحته الحلقة الوطنية والحلقة القومية على التتابع ويبقى الاسلام (دينا وفكرا وجنسية) هو الاساس وهو المنطلق الحقيقى ذلك أن هذه الامة لم تكن الا أمة واحدة ، قبل ان يمزقها المستعمر الذى كان حريصا على أن يحطم هويتها الاساسية .

وان يخلق من الاقليمية أو القومية هوية ، والاسلام يقرر قبول الوطنية وقبول العروبة ولكنه يجعلهما فى أطار الوحدة الاسلامية الجامعة .

ونحن نعرف ان التغريب والغزو الفكرى قــد جعل من تمزيق الوحدة الاسلامية قاعــدته الاساسية للوثوب والسيطرة .

ان الوجه الاسلامى لهذه الامة هو الجدير بالبروز والظهور والعلاء تاريخا ومواقفا ، أن محاولة اعــلاء العاميات والفلكلور الذى هو (فكر طفولة البشرية) وسيطرة اللغات الاجنبية على الامة الاسلامية انما ترمى الى تغيير هوية هذه الامة واحتوائها .

فلا بد من الوقوف فى وجه هذه المؤامرة من أجل ترشيد الوجهة : نحو أمة الهلال : أمة القرآن .

الفصل الحادى عشر
مسئوليـــة الكاتـــــب

ان الرائد لا يكذب اهله

يجب أن يكون المسلمون قد عرفوا الحقيقة : وهى ان الرائد لا يكذب أهله ، فاذا كذبهم فقد حق عليهم أن ينحوه ولا يستمعوا اليه فاذا عرفوا انه خدعهم اكثر من مرة فقد كان خليقا بهم ان يعرفوا انه عدو وانه لا يريد الخير بهم .

لقد خدعنا الرواد الغربيون والشرقيون واتباعهم على السواء حين جاءوا الى بلادنا ينصحوننا ويهددوننا الى الطريق الذى نستطيع به أن نمتلك ارادتنا ، وان نحقق ذاتنا .

وخلال اكثر من قرن من الزمان اليوم تكشف لنا من خلال عشرات التجارب غشهم وضلالهم ، وانهم كانوا ولا يزالون يخدعوننا ليبقوننا فى دائرة الاحتواء والحصار والتبعية تلك هى القضية التى نحن فى حاجـــة الى استيعابها وفهمها وتحديد موقفنا منها تماما .

وفى عشرات من القضايا كانت نصيحتهم هى التى اوردتنا مورد التهلكة وحاولت أن تقضى على وجودنا تماما انهم لا يطمعون الا فى شىء واحد اساسى هو أن تذوب فى الحضارة العالمية فنفد وجودنا المستقل وشخصيتنا المتميزة وذاتنا الاسلامية المختلفة تماما عن الأممية .

لقد كانت دعوتهم الاولى الى (منهج الغرب) : بوصفه منهج الأمم الراقية الحاكمة المسيطرة على العالم فقبلنا ذلك ومضينا وراءهم فلم ننل الا البوار والخسران فان هذا المنهج لا يناسبنا ولا يتفق مع طبيعتنا ويختلف عن قيمنا ومفاهيمنا فهم ادعوا بأن الديمقراطيـــة هى الشورى ، وما كان لأمة تمتلك منهجا ربانيا ان تتركه وتستعير منهجا بشريا ، ومثلنا كمثل من يلقى بالجوهر الى الارض ويتطلع الى الخرز الذى فى أيدى الاخرين .

ولقد كانت دعوتهم الثانية الى (القوميةوالاقليمية): باغراء من صور التاريخ القديم وما فيه من امجـــاد كالفرعونية والفينيقية والاشـــورية والبابلية فخدعونا بالتاريخ الوثنى القديم عن تاريخنا الاسلامى المتصل منذ أربع عشر قرنا فقبلنا منهم وتمزق وجـــودنا الاسلامى المترابط بالمنهج الموحد والاخـــــوة الاسلامية وتعمقت الخلافات بين العناصر المتكاملة .

ولقد كانت دعوتهم الثالثة الى اخراج المراة المسلمة من مهمتها الاولى والحقيقية والاصلية أملا فى تدمير المجتمع وهدم الاسرة تحت اسم مضلل هو (تحرير المـــراة) فنشأت الاجيال الجديدة من الشباب فى رعاية الخادمات ودور الحضانة خالية من العاطفة والحنان فكانت شرا على أهلها ومجتمعها .

وكانت دعوتهم الرابعة الى التحـــــرر من القيم الاخلاقية بقبول الغناء الرخيص والمسرحية المكشـــوفة والقصة الاباحية والصورة العارية ، فافسدت العلاقات بين الرجل والمراة والاباء والابناء .

واحاطت بذلك تدعيما لها فلسفات ومناهج من تراث الوثنية والتلمودية تتحدث عن حرية الفكر ، وحرية الجنس ، والدعوة الى الانطلاق .

وكانت دعوتهم الخامسة الى التراخى فى الامـــر بالمعروف والنهى عن المنكر وتزييف مفهوم الجهاد ، بهدف احلال روح الاستسلام والترف وقبول الحرام وتدمير قيم المقاومة والعزائم .

هكذا مضى الرائد الذى قدم للمسلمين النصيحة

والخطة الصالحة للنهضة فى تدمير قيم المسمين وافساد عقيدتهم وتزييف وجهتهم ومضوا ورائه مخدوعين حتى تبين لهم أخيرا ذلك الخطر المخيف الذى وصلوا اليه ، وناداهم مناد من قبل الله تبارك وتعالى للعودة الى المنابع والتماس الاصالة وتصحيح الطريق قبل ان يتلقفهم التيه الذى أخذ الامم والحضارات من قبل .

فهل تنبه المسلمون حقيقة ، واجمعوا امرهم أن يعودوا الى منابعهم من القرآن والسنة ليواجهوا الحياة من جديد .

ان المخطط اليوم يرمى الى خطة ماكرة تواجه الصحوة الاسلامية بهدف اجهاضها وضربها تلك هى الدعوة الى تقديم بدائل للاسلام الصحيح ، بتزييف مفهوم أهل السنة والجماعة اننا نواجه اليوم اسماء جديدة تدعى انها تكتب فى ظل الاسلام لتكسب ثقة الشباب الغض ، ولكنها فى الحقيقة تعمل على هدم مقومات الصحوة ، هناك من ينتقص الوحى ويحاول أن يساويه بالالهام فى الديانات الاخرى ، وهناك من ينتقص قدر الصحابة ويصور مواقفهم على نحو يجعلهم أشبه بالسياسيين المحترفين وهناك من يشكك فى السنة النبوية ، وهناك من يدعو الى وحدة الاديان ، وهناك من يقول ان الخلاف بين الاسلام والأديان الأخرى خلاف فرعى ويتجاهل الفارق العميق بين مفهوم التوحيد الخالص فى الاسلام ومفاهيم اخرى ، ولقد تعالت اليوم صيحات الدعاة الى النحل الجديدة كالقاديانية والبهائية والماسونية والروتارى .

وهناك من يدعى ان الجهاد هو جهاد النفس استنادا الى حديث لم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهناك من يدعو الى ما يسمونه (ابناء ابراهيم) فى محاولة لخداع المسلمين عن الفوارق بين ما ذهب اليه اليهود وما ذهب اليه النصارى وهناك من يدعونا الى ان نأخذ الحضارة الغربية بفكرها العلمانى والمادى والوثنى ، وهناك من يدعونا الى أن نمزج بين التراث الاسلامى والفكر الغربى وهناك من يهاجم اللغة العربية والتراث الاسلامى والشريعة الاسلامية ويعلى شأن مفاهيم الاعتزال (العقلانية) والتصوف الفلسفى ، ويحاول أن يجدد الفكر الباطنى والفرق القديمة والفلسفة المادية ، ومنهم من يستمع الى ذلك ويخدعه البريق ، فالى متى .

ان الشباب المسلم اليوم يجب ان يكون قد وعى الدرس تماما وانكشف امامه المؤامرة تماما ، ولم يعد يخدع ، لقد اتضح تماما ان هؤلاء جميعا بنفوذهم فى مجال الاستشراق والتبشير والتغريب والغزو الثقافى وعن طريق مختلف ادواتهم فى الصحافة والتعليم والثقافة انما يخفون غاية واحدة ، هى الآن واضحة وظاهرة ومكشوفة ، هى ابعاد الاسلام عن مكانه الطبيعى فى توجيه الحياة والمجتمعات والنفس الانسانية وسلبه هذه القيمة الاساسية له وبذلك يحال بينه وبين الغطاء الاوسع فى مساحة العالم كله .

لقد سقطت ريادة هؤلاء لأمتنا لانهم غشوا هذه الأمة وخدعوها ودفعوها الى مرحلة أشد خطرا كادت ان تضيع معها شخصيتهم الواضحة وذاتيتهم الخاصة وطابعهم المستقل .

ان كل المحاولات التى يجرى بها اقلام دعاة الغزو والتبعية قد كشفت واتضح زيفها ، فليس الاسلام متعصبا ولا داعيا الى استبداد ولا سيطرة ، ولكنه دعوة الرحمة والاخاء والعدل والسماحة لاهله ولكل من استظل به ، وهو مطمح البشرية اليوم بعد أن فسدت المناهج وتمزقت النفس الانسانية فهو النور الذى تحتاج اليه والبلسم الذى يشفى جراحاتها فلا تخدعنكم الظواهر الكاذبة لحضارة تهوى ولمناهج عجزت عن العطاء .

يا قوم : لقد كذبكم هؤلاء الرواد فاستمعوا الى الرائد الحق الذى لا يكذب أهله .

***

الفصل الثانى عشر

موقف الإسلام من المذاهب الأدبية الغربية

الكلاسيكية - الرومانسية - والواقعية الأوربية

من الخطوات الواسعة التى قطعها الفكر الاسلامى فى طريقه الى المنابع ، تلك البذور التى أينعت نحو انشاء مذهب اسلامى لعلم الاجتماع ولعلم النفس ولعلم الاخلاق وقد خطا الأدب خطوة جديدة نحو مذهب اسلامى فى الادب والنقد ، هذا المذهب الذى عرضه الدكتور عبدالرحمن رافت باشا فى دراسته المستوعبة فى هذا الشأن وما هو موقف الاسلام من هذه المذاهب الادبية التى تدرس فى جامعاتنا على طول العالم الاسلامى وعرضه وهى ليست أساسا من نبع الاسلام ولا لغته العربية ولا تمثل مفاهيمه وقيمه وانما هى مفاهيم وافدة تجترها جامعاتنا دون أن تكشف حكم الاسلام فيها ، ولقد كانت نشأة هذه المذاهب فى الغرب نتيجة لتحوله عن الكنيسة ومفاهيم النصرانية الغربية الى النظرية المادية ، وقد تبين أن المذاهب الأدبية هذه ليست مذاهب أدبية فى الاصل وانما هى فلسفات وجد انها لا تصل الى الناس الا عن طريق الأدب لانه اقرب الى النفوس وهى مناقضة لمفهوم الاسلام أساسا . ومن هنا فان علينا أن نكون واعين بها وراء هذا الفكر من حيث أن المذاهب الغربية جميعا تقوم على الجدلية والتفسير المادى للتاريخ .

وقد تبين من الدراسات ، أن هذه المذاهب تخالف ديننا وحين نقرؤها يجب أن نكون وعاة للذى بين أيدينا فالمذاهب الأدبية مرتبطة بالبيئة والعقيدة ، ولما كانت الكلاسيكية فلسفة تمجد العقل ، والرومانسية هى بمثابة ثورة على العقل وتمجيد للعاطفة ، وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادىء والأخلاق فان الاسلام يتصادم مع هذه المبادىء من حيث انها تستند الى فلسفات متعارضة مع المفاهيم الاسلامية فالمذهب الاول وثنى والثانى نصرانى وكلاهما مادى ، ونحن لا نرفض العقل ولا نرفض العاطفة ، والاسلام يجمع بين العقل والعاطفة فى مضمون انسانى غير مادى ولا وثنى .

وقد تحدد موقفنا الاسلامى من هذه المذاهب على هذا النحو فـ (الكلاسيكية) استنبطت من أدب اليونان والرومان بوثنيتهما التى جاء الاسلام لاجتثاث جذورها والقضاء عليها ، والاسلام يرفض كل ما يحاد الله ورسوله ويحارب الاسلام ، واذا كان الكلاسيكيون يقصرون اعمالهم على الجوانب المادية فى حيان الانسان ولا تحظى الجوانب الروحية وما فيها من تألق وصفاء بشىء من اهتمامهم ، فان الادب الاسلامى يختلف تماما مع هذا المذهب لانه يعطى كلا الحياتين المادية والروحية حقهما من الحياة .

واذا كانت الكلاسيكية تدعو الى سيطرة العقل على الأدب فان هذا قد جعل أدب الكلاسيكيين ضعيف الخيال شديد الانقياد الى أحكام المنطق وبذلك بعد عن المجاز الذى يعد عنصرا اصيلا من عناصر الأدب وضاقت السبل فى وجهه .

الاسلام والمذهب الكلاسيكى

وفى نظرة الاسلام الى المذهب الكلاسيكى نجد انه أدب وثنى يدين بتعدد الالهة ويؤمن بالصراع القائم بينها من جهة وبين الانسان من جهة اخرى وقد بلغ هؤلاء الالهة عندهم حدا لا يكاد يحصى . وعندهم الى جوار الالهة الهات (ديانا وفينوس .. الخ) .

وقد دارت كثير من الأساطير اليونانية حول هؤلاء الآلهة ، ولا يخفى على مسلم ما فى هذا الأدب من عبادة الأوثان التى جاء الاسلام لاجتثاثها والقضاء عليها الى غير رجعة ، ولما كانت الكلاسيكية قد استمدت أصول مذهبها من القواعد التى وصفها أرسطو للشعر ، وقواعده هذه تنطلق من تصوره للحياة والكون فهو تصور يختلف

من تصورنا نحن المسلمين اختلافا عميقا ، كذلك كان الكلاسيكيون يقصرون اعمالهم بينما يعطى الاسلام الحياة المادية حقها كما يعطى الروح حقها بل ان حقوق الروح عند الأديب المسلم نال الحظ الاوفى من الاهتمام ، ويختلف الأدب الاسلامى مع نظرية الكلاسيكية فى موقفـــه من النماذج البشرية والأحداث التى يصورها الكلاسيكيون بخيرها وشرها بينما يصور الأدب الاسلامى الخير والشر ولكنه يعمل على الترغيب بالخير والحض عليه وتزيينه فى النفوس ، والتنديد بالشر واجتثاثه من القلوب ، كذلك فالأدب الاسلامى يختلف من حيث أنه لا يعنى بالاناقة والصنعة والزخرف ارضاء للطبقة العليا من الناس بل هو للناس كل الناس يصور افراحهم واتراحهم ويعالج قضاياهم ومشاكلهم .

موقف الاسلام من الرومانسية

واذا كان بين الادب الاسلامى والكلاسيكية تناقض وتباين كثير ، فان التناقض بينه وبين الرومانسية اكبر وأعمق ، ودعاة الأدب الاســلامى الذين يستنكرون الكلاســيكية الوثنية لا يريدون أن ينتقلوا منهـــا الى الرومانسية التى تنبض بالروح النصرانية وذلك على الرغم من الفرق الكبير بين الوثنية المناقضــة للاديان السماوية وبين النصرانية .

واذا كان الادب الرومانسى بنى على تحرير الاديب من قيود العقل والواقعية والانطلاق فى رحاب الخيــال المجنح فان الادب الاسلامى أدب واقعى يجره جوادان اثنان لا يستغنى بأحدهما عن الآخر ، هما جواد العاطفة وجواد العقل ، ثم ان الرومانسية تدين بأن الغاية من الادب : المتعة اما الادب الاسلامى فلا بد ان تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية بحيث يكون نافعا وممتعا فى وقت معا ، ولما كان الرومانسيون يرون ان الموضوع ليس بذى بال وانما المهم فى نظرهم طريقة المبدأ فالأهمية الاساسية عند الاديب المسلم تنصب على الموضوع ، كما يرفض الادب الاسلامى موقفهم من الاخلاق وقولهم بأن الاديب لا يكون عبدا خاضعا لقوانين الاخلاق فالأديب الاسلامى يدين بسمو اخلاق المسلم ويعمل على ترفعه عن الدنايا ويسعى لهذه المنقبة اكمــل السعى ، ذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (أكمل المسلمين ايمانا أحسنهم خلقا) ، وهم يقولون ان العقل الجيــد صفة جيدة ولكن ليس لنا أن نبالغ فى قيمته فان مالا يتفق مع العقل ليس رديئا بالضرورة والاديب المسلم الذى يعيش فى رحاب القرآن ويبنى أدبه عليه ، لا يعزب عن باله أن كلمة العقل وما يشتق منها قد وردت فى الكتاب العزيز نحواً من أربعين مرة وان الله سبحانه وتعالى قد دعا الانسان الى ايقاظ عقله ، والاعتماد عليه فى فهم مبادىء عقيدته ، وصفاء سوكه .

ومما يؤخذ على الأدب الرومانسى قيامه على فلسفة تقديس الألم واعتباره مطهرا للنفس ، لكن الألم ما لبث ان غدا عند كثير من الرومانسيين دعاوى كاذبة وتصنعا بغيضا يراد منه اظهار النفس بمظهر البطولة ووضعها فى مقام الاستشهاد الرخيص أو مبررا للانحلال الخلقى وارتكاب الرذائل ، والاسلام الذى هو دين الفطرة يكره التصنع والتعمل ويحارب الانحلال الخلقى ويكافح ارتكاب الرذائل .

ثم ان الرومانسية ، تقوم على التحلل من جميــع القواعد والقيود ، وتطلق للاديب الحبــل على غاربه بينما الأدب الاسلامى يقوم على الالتزام ويدعــــو اليه ويتمسك به ولا يخرج عليه .

موقف الاسلام من الواقعية الأوربية

كذلك فان نظرية الواقعية ، تختلف مع مفهــوم الادب الاسلامى، ذلك أن الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه : (لا اله والحياة مادة) ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة والاديب الاســلامى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدين بأن الطبيعة وما فيها ومن فيها انما هى مخلوقات الله سبحانه وانه رب السموات والارض ورب العرش العظيم .

ثم ان الواقعيين يدينون بالنظرية الفلسفية التى تقول : ان الحياة قد بنيت على الشر وان ما فيها من مظاهر الخير ليس الا طلاء زائفا يموه واقعها ويخفى حقيقتها ، والمسلم يرفض هــذه النظرية أيضا ففى الحياة الخير الجزيل الاصيل الذى يفيض عليها الطمأنينة والرضى والرحمة ، وفى الحياة الشر المستطير الذى يقاوم هذا ويناضله وان الاسلام بخاصة والاديان السماوية بعامة انما جاءت لتكافح الشر وتناضله وتعزز الخير وتؤازره . ثم ان أرباب هذا المذهب قد حولوا مبادءهم هذه الى اعمال أدبية شوهت صورة الانسان والانسانية ، وعبثت بالقيم والمثل والحت فى دعوة الشباب والشابات الى التحلل من الاخلاق اذا ارادوا التفوق والنجاح ثم زعموا أنهم انما دعوا الى ذلك ليفتحوا عيون الشباب المغمضة والمسلم يرفض تلك اشد الرفض ، ولا غرو فمتى كانت الخسة ذكاء وعبقرية ، والدناءة هدفا ومطمحا وكيف يحق للاديب ـــ مهما كانت مقاصده ـــ ان يدعو الشباب ، وهم

فى عمر الورد ـــ الى تلويث أيديهم بالخسة اذا ارادوا الثراء واقناعهم بأنه لا فائدة ترجى من العفة ولا منفعة تتحقق من النبالة والشرف .

موقف الاسلام من المذهب الطبيعى

يعل المذهب الطبيعى على المذهب الفلسفى الذى لا يؤمن بما تراه الطبيعة ويقف فى وجه الاديان السماوية التى تدعو الى الايمان بالله الواحد الأحد الذى له ملك السموات والارض ، ويعتقد أصحاب هذا المــذهب ان الانسان جزء من هذه الطبيعة وأنه اله نفسه .

ويرفض الاسلام المذهب الطبيعى فالمسلم لايتحقق اسلامهالا اذا آمن بالله فاطر السموات والارض وبرسوله خاتم الرســل . والمذهب الطبيعى يرى أن الحيـــاة النفسية لا تزيد على كونها ظاهرة طفيلية تسلقت على جسم الانسان ، والاسلام يدين بالحياة النفسية ويعدها الركيزة الأولى فى بناء هذا الكائن المكرم حيث يقول الله تبارك وتعالى : (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقد جعل الاسلام النفس اصنافا ثلاثة: النفس المطمئنة والنفس اللوامة ، والنفس الامارة ، وقد أطلق (اميلزوالا) على الانسان اسم (الحيوان البشرى) واعتمد فى تقويمه على التجارب العملية ، والاسلام رفع من شأن الانسان واعلى من قدره وكرمه على غيره من المخلوقات (ولقد كرمنا بنى آدم) وكتب (اميلزوالا) يردسلوك الانسان الى عوامل عضوية وأخضعه لقانون الوراثة ، والاسلام ينادى بأن كل مولود يولد على الفطرة ويعنى بالفطرة الصفاء والنقاء الخالصين من كل شـــوائب الشر الموجهين الى سائر ضروب الخير .

وان هذه النظريات الفلسفية التى تبناها الطبيعيون قد أفسدت الأدب وضيقت الخناق عليــه ، أما الادب الاسلامى فقد فتح الابواب رحبة أمام الاديب وعبد له المسالك ووسع له الآفاق وفى استطاعة الادب الاسلامى أن يتناول الانسان بعواطفه وأشواقه وآماله وآلامـه وليس هناك من قيد يقيده الا أن يكون هدفا بعيدا عما يجافى الاسلام ويناقضه .

وبعد : فما موقف الاسلام من الفن للفن والرمزية والوجودية والالتزام وما هى خصائص الادب الاسلامى ذلك أمر يجب كشف النقاب عنه .

* * *

الفصل الثالث عشر

قضايا فى الميزان

التراث الاسلامى فى قضايا ثلاث

• مؤامرة سرقته • حجبه عن المسلمين • ابراز جوانب الضغط فيه

يواجه التراث الاسلامى فى العصر الحاضر حملة ضارية متنوعة الاتجاهات بهدف تصغيره فى نفوس أصحابه المسلمين ، وانتقاصه والغض من قدره ، واثاره الشبهات حوله ، وخلق روح اليأس من التعامل معه بدعوى انه مصدر التأخر وان الامم الناهضة تركت تراثها وراء ظهرها كوسيلة للتقدم .

هذه الحملة الضارية التى توجه الى تراث الاسلام لها هدف واضح هو قطع حبل العلاقة المتسددة بين المسلمين وبين منابعهم الاصيلة ، وابتداء أوضاع مغرية ترمى الى وصل حاضر المسلمين بالحضارة الغربية بوصفها مصدرا جديدا للمعاصرة والتقدم .

وقد نشأت فعلا فى بلاد الاسلام أجيال من الشباب المفرغ من الداخل ، من تراثه وقيمه وعقيدته ، تحاول المدرسة العصرية ومعاهد الارساليات والبعثات ان تخلق فيه روح الاحتقار لتاريخه وتراثه ، والاعلاء والاعجاب بتراث الغرب وتاريخه وابطاله .

وهذه واحدة من المؤامرات العديدة التى تحاك للمسلمين اليوم بهدف تغريبهم واقتلاع جذورهم وصرفهم عن الطريق الصحيح الذى هو وحده الذى يحقق لهم امتلاك ارادتهم واقامة مجتمعهم الاسلامى وتبليغ رسالة ربهم للعالمين .

ولقد يبدو لبعض شبابنا أن مسالة (التراث) مسالة ثانوية بعد التحديات التى تواجه اللغة والعقيدة والشريعة والقيم والاخلاق ولكن الأمر حين تعرض ابعاده الحقيقية يكشف من خطر خطير وهدف مسموم .

وذلك ان المسلمين يملكون امرين هامين :

الاول : هو ميراث النبوة (القرآن والسنة المطهرة) وهو مصدر عقيدتهم ومنهج حياتهم الذى تنهار حياتهم تماما عندما يتخلفون عنه وتأكلهم الوحوش الضارية التى تبيت لهم الخصومة من قديم .

الثانى : هو التراث الذى كتبه رجالنا الافذاذ الاعلام على طول اربعة عشر قرنا يستمدون نهجه من ميراث النبوة ، تفسيرا وتوضيحا وبيانا بما يناسب العصور والبيئات من خلال التفسير والفقه وعلوم القرآن والسنة والتاريخ وما قدمه المسلمون فى مجال العلم التجريبى ومنهج المعرفة وعلوم السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية .

وقد توقف هذا التيار ثمة ، عندما بلغت دورة الحضارة الاسلامية غايتها بعد الف سنة كاملة من العطاء الذى اضاء العالم كله وانتقل الى الغرب عن طريق الاندلس ، فانشأ الحضارة الحديثة .

ومن هنا نعرف كيف يكون الموقف للمسلمين اليوم وهم ينتقلون من اليقظة ، الى الصحوة الى النهضة ليستأنفون اعادة بناء مجتمعهم على منهج الاسلام واعطاء حضارتهم الدفعة الكبرى للعطاء الانسانى من جديد .

* * *

هذا العمل فى حقيقته لا يمكن أن يبدأ الا من خلال يقظة التوقف ، ومن هنا فلا بد أن يكون المسلمون مالكين تماما لتراثهم الموزع الان فى منختلف مكتبات الغرب والذى هو محجوب عنهم فى مؤامرة خطيرة لها طرفين :
الاول : مؤامرة سرقة هذا التراث ونقله الى الغرب .
والثانى : مسالة احياء هذا التراث واعادته من جديد .

وحتى نكون على بينة من ابعاد هذه المؤامرة فان علينا أن نبدأ القصة من اولها .

ان المتخصصين يقدرون عدد المخطوطات العربية الوجودة فى العالم اليوم بأكثر من ثلاثة ملايين مخطوط (هذا غير ما هو مطبوع وهو لا يقل عن ذلك مما هو بين أيدينا) هذه الملايين الثلاثة ما تزال مبعثرة فى مكتبات العالم الاسلامى من الدار البيضاء حتى باكستان الى تركيا الى الصومال اما ما يوجد منها فى مكتبات اوربا وأمريكا وروسيا والفاتيكان فحدث عنه ولا حرج ، ومن مثال واحد يمكن تصور الحقيقة الهائلة .

فى مكتبة ليدن وحدها فهرس للمخطوطات الاسلامية فى عشر مجلدات ضخمة فلنفرض ان المجلد ٥٠٠ صفحة وان فى الصفحة الواحدة ٥٠ اسما فكم يمكن أن يكون فى ليدن وحدها بالاضافة الى مكتبات بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا وهولندا ، اما مكتبة الاسكوريال ففيها ٦٠٠ الف مجلد ، هذه الثروة التى عبرت الى الغرب منذ ايام الاستعمار والتى لم نستطيع حتى اليوم استعادتها ، ولم نتمكن الا من تصوير ونسخ ٣٠ الف كتاب منها ، هذا ما بقى ، اما ما كان فهو اعجب .

يقول جيبون فى كتابه عن الدولة الرومانية : انه كان فى طرابلس المشرق وحدها فى عهد الفاتحين مكتبة تحوى ثلاثة ملايين مجلد احرقها الفرنجة عام ٥٠٢ هـ/ ١١٠٠ م ، أما فى الاندلس فقد كانت هناك سبعون مكتبة وكانت بمكتبة غرناطة ٦٠٠ الف مجلد وكانت دواوين الشعر تملأ ٨٨٠ صفحة من فهارسها .

وقد أحرق الكردينال كمينس مطـــران طليطلة فى ساحة المدينة ٨٠ الف مجلد فى يوم واحد ، ولم يستثن سوى ٣٠٠ كتاب من كتب الطب كما أحرق الفرنسيون كل ما وجـــــدوه من مخطوطات ومطبوعات بمكتبـــات قسنطينة عندما احتلوا الجزائر عام ١٩٣٠ .

هذه محاولة لرسم صورة جد موجزة لهذا (التراث الاسلامى) الذى كان من كنوز الاسلام الغالية التى هى غائبة عنا الآن (والتى لا يمكن كتابة تاريخ هذه الامة ولاتقدير دورها العلمى والثقافى الا فى ضوئها ذلك لان علماء المسلمين قدموا فى هذا التراث عطاء باذخا كسبته الحضارة المعاصرة واعتبرته من نتاج اهلها ولم تعترف للمسلمين بالاثر الحقيقى لهم الا منذ سنوات قليلة ، وما زالت هذه الكنوز فى الاغلب محجوبة عنهم (هذه الكنوز لم يتوقف عطاؤها عند العلوم التجريبية وحدها بل امتدت الى علوم الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية جميعا) .

وليس ما نعرفه من ثمار الفكر الاسلامى الا جزءا صغيرا مما بقى من تراث المسلمين ، وليس هذا الجزء الباقى الا قسما ضئيلا مما اثمرته قرائحهم وليس ما اثبتناه الا نقطة من تراثهم .

ولقد كانت هذه الثروة محفوظة فى المساجد فى مختلف بلاد المسلمين وقراهم وقد تعقبها قناصل الدول الاجنبية واشتروها بأبخس الاثمان ونقلوها الى بلادهم ولم ينج منها الا القليل الذى حفظه اهل المغرب وراء الحوائط المسدودة عند ما هاجم الاستعمار بلادهم .

* * *

ان القضية البالغة الأهمية هى ما استفاده الغرب من هذا التراث وما تجاهل الاعتراف به فى ما اطلق عليه مؤامرة الصمت .

يقول دكتور ديفيد كنج الباحث الفلكى الذى تقدم باطروحة فى الدكتوراه عن الفلكى المصرى (ابن يونس) الذى يعد من أشهر الفلكيين فى العصور الوسطى ، تقدم هذا الباحث باجراء مسح شامل للمخطوطات التى تتعلق بتاريخ الفلك والعلوم الرياضية .

أتدرون ما عدد ما وصل اليه مما هو موجود فى بلادنا : خمسة آلاف مخطوط فى الفلك الاسلامى وحده فكم فى العلوم الاخرى ، الجغرافيا والطب والعلوم التجريبية والعلوم الطبيعية .

يقول دكتور دافيد كنج : ان هناك ثلاثمائة مخطوطة فى مكتبات العالم تمثل نوعا فريدا من الدراسة : هو تاريخ علم الميقات وتتضمن جداول شاملة لمواقيت الصلوات الخمس التى استخدمت فى القاهرة والقيروان ودمشق وبغداد وغيرها من العواصم العربية .

فاذا ذهبنا نتحدث عن عطاء التراث الاسلامى للفكر العالمى لوجدنا عجبا . لقد قدم علماء الاسلام فى مجال الفلك والجغرافيا والطب والكيمياء مداخل حقيقية لكل تقدم علمى جاء بعد ذلك ، وقـــدموا المصطلح الشريف اللوغاريتمات ، والجغرافيا وعلمى التاريخ والاجتماع وكتابات المكفوفين وكتب المسلمون الاحكام السلطانية وهى السياسة الشرعية وقدموا مفهومهم للعمارة وعرفوا الدورة الدموية وقدموا خرائط الابحار بالسفن فى مختلف أنحاء العالم بل ان المنهج التجريبى الذى اصطنعه روجر بيكـــــون وفرنسيس بيكون ، مستمد منها ، وان لم يعترف بذلك صراحـــــــة شأنه فى هـــــذا شأن

الجيل الذى اعتمد على الاصول الاسلامية فى مهاجمة منهج أرسطو التأملى اليونانى الذى حبس أوربا ألف سنة فى مجال الرهبانية الى التجريب الاسلامى الذى نقلها الى الصواريخ العابرة للقارات فاذا اضفنا الى هذا اعتراف رجال القانون الدولى بالشريعة الاسلامية شريعة مستقلة تختلف عن القانون الرومانى قائمة بذاتها صالحة لتطور المجتمعات والبيئات عرفنا الى اى مدى يمكن ان يطويه التراث الاسلامى من كنوز وذخائر .

فقد قدم الغربيون عشرات القوانين التى ثبت ان اصولها من الفقة الاسلامى ، والى ما قبل مائة سنة (فقط) كانت كتب المسلمين فى الطب والفلك يدرس فى الجامعات الغربية .

وهكذا نجد الاجابة على السؤال : لماذا يحجبون التراث الاسلامى الاصيل عن أهله . ونقول : حتى لا يعرف المسلمون مصادر علم الغرب الذى أخذ منها وحتى لا ينتفع المسلمون بتراثهم فى تجديد حياتهم فلا يظهروهم الا على الجوانب السلبية وفيها المتشابه والمختلط والمضطرب ، ويستخلصون هم من هذا التراث ما يروقهم ويعلنونه فى نظريات لهم ينتحلونها وبحوث يفخرون بها وينتهون بها على الناس ثم يعرضون علينا نحن الجانب السلبى من تراثنا لننظر اليه بعين السخط ونحتقر انفسنا وماضينا .

ولا ريب ان المسلمين من غير تراثهم كالمحاورة التى فقدت غطائها الصدفى الذى يؤمن لها الحماية الضرورية.

انهم يذكرون رحلات فاسكودى جاما وينسبون الفضل فيها الى ما وصل اليه من كشوف ولكن التراث الاسلامى يصرخ بصوت عال :

ان الفضل الاكبر فى نجاح فاسكودى جاما يرجع الى ما افاده من المراجع الجغرافية العربية التى ترجمت فى اسبانيا وفى مدرسة الخرائط التى أقيمت فى جزيرة ميورقة معتمدة على جهود العرب السابقة وفوق ذلك فقد كان دليله وان الذى قاده من شرق افريقيا واوصله آمنا الى الهند هو الملاح العربى المسلم (أحمد بن ماجد) الذى يوصف بأنه أسد البحر الهائج والذى الف فى علوم البحار ومعرفة الطرق فى الليل بواسطة النجوم وعشرات من الاعمال الادبية يفاخر بها الغربيون ، وتثبت الدلائل ان تراثنا هو الذى هدى اليها ، فقد اثبت المستشرق أسين بلاسيوس بان كتاب الفتوحات المكية لابن عربى وقبل كتابه (الكوميديا الالهية) ، كما اثبتت ابحاث مؤكدة ان الرد على ابن القارح للمعرى هو الذى أوحى الى دانتى وان ابن خلدون سبق آدم سميث وهيجل واوجست كونت فى نظرياتهم وسبق فلاسفة الغرب فى وضع أسس علمى الاجتماع والاقتصاد السياسى بأربعة قرون كاملة .

وان ابن مسكويه سبق دارون فى نظرية أصل الانواع والتطور ، وان ابا بكر محمد الطرطوشى ، سبق ميكافيلى فى التأليف فى سياسة الملوك واخلاق الامراء وان كتابه (سراج الملوك) كان مصدرا اساسيا (لكتاب الامير) وسابق له بخمسة قرون (مع اختلاف الوجهة) .

وقد سجل (ديكارت) على النسخة الفرنسية التى وجدت فى مكتبته من كتاب الامام الغزالى (المنقذ من الضلال) اشارة الى نص نقله الى كتابه المعروف عن المنهج وهو ان الشك يكون منطلقا الى اليقين وجاء أناس بعد ان تعلموا فى الغرب يحملون الشارات يدعون الى ديكارت وقد نسوا وهم من ابناء الازهر ان حجة الاسلام سبق ديكارت وقدم مفهوما اسلاميا اصيلا .

وقد شهد بعض متعصبيه المستشرقين بان المسلمين هم أول من الف فى الاديان والنحل وكانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الاخرى فقد حاولوا ان يفهموها وان يدحضوها بالحجة والبرهان ثم انهم اعترفوا بما كان قبل الاسلام من ديانات توحيدية ، هكذا شهد هاملتون جب .

والان نتساءل ماذا فعل الغرب بالتراث الاسلامى بعد أن سرقه ثم سرق مادته واضافها الى علومه ، انه لم يكتف بهذا بل حاول ان يحجب عنا جوانبه السليمة ويقدم لنا تراث الزنادقة والباطنية ودعاة الحلول ووحدة الوجود ليدمر بها مفهوم التوحيد الخالص فى نفوس شبابنا .

حجب الغرب مصادر تراثنا حتى لا نعرف ماذا اخذوا منه وحتى لا ننتفع به فى تجديد حياتنا ووصل ما انقطع وحتى يظهروننا على تراث الزنادقة منه ليفسدوا عقيدتنا وذلك فى محاولة للقول بأن هناك وحدة عالمية للتراث ، يريدون تراث الفكر البشرى أيام طفولة البشرية بما جمعته الفلسفات الضالة ومن مترجمات الفكر اليونانى والفارسى والهندى ، وقد قام علماء الاسلام

فى الفترة السابقة بالكشف عن زيف الوثنية والمادية والاباحية فى هذه الفلسفات وهذا الفكر الذى احتوى الفكر اليهودى والفكر المسيحى وحرروا الفكر الاسلامى من احتواء الفلسفات ، وما زال موقف الاسلام واضحا من تراث الفلسفات القديمة التى جددتها الماسونية فى العصر الحديث وحاولت ان تجعل منها نظريات علمية براقة من نحو ما كشف عنه الدكتور صبرى جرجس الذى توصل الى ان نظريات فرويد مستمدة من التلمود وقد جرت فى العصر الحديث وصف حركة مقاومة هذا الفكر الوثنى والباطنى بانها سلفية ، هذه السلفية التى اعادت الفكر الاسلامى الى مفهوم السنة والجماعة مما وضع قواعده وارسى مفاهيمه ابن تيمية وابن القيم وابن حزم بدءا من موقف الامام الشافعى امام ارجانون اليونان ورفض اللغة العربية له وموقف الامام ابن حنبل امام الاعتزال وفتنة خلق القرآن والقوم حين يحاولون احياء التراث الاسلامى يركزون على أمرين : على الفكر المعتزلى وما يتعلق بعلم الكلام وغيره من ناحية وبالتصوف الفلسفى من نتاج ابن عربى والحلاج والسهروردى وابن سبعين وغيره ، وكلا التراثين مرفوض لانه ليس من التراث الاصيل المستمد من القرآن والسنة ، وانما هو امتداد للفكر اليونانى المسمى عندهم بعلم الاصنام مضافا اليه وثنيات المجوسية والباطنية وغيرها ، هذا الفكر الذى ولد أخيرا دعوتين مسمومتين هما : البهائية والقاديانية ومن هنا كان الهجوم على السلفية لانها تحاول ان تجمع المسلمين على وحدة الفكر تحت ضوء التوحيد الخالص وهم يهدفون الى تحطيم تعارض الوحدة الجامعة التى اقامها الاسلام فى حلقاتها الثلاث المتكاملة (وطنية ـ عروبة ـ اسلام) داخل اطار واحد يهدف اساسا الى الجامعة الاسلامية وذلك هو وجهة المسلمين اليوم بعد ان سقطت دعوات الديمقراطية والاشتراكية والقومية والعلمانية ، ولا ريب اننا مطالبون بالحفاظ على مفهوم التوحيد بوصفه المنطلق الحقيقى الذى يحقق اصالتنا ويحفظ طابعنا المميز حتى لا ننصهر فى الأممية ، ولا نكون هجناء امعات ، وقد دعانا الاسلام دائما الى المحافظة على طوابع الذاتية المؤمنة بالوحدة الاسلامية فوق نوازع العنصر أو الجنس أو اللون مبرأة من التعصب متسامحة مع الاجناس والملل ، عادلة مع الأقرباء والبعداء ، مفتوحة على الامم تأخذ خير ماعندها وترفض ما يتعارض مع التوحيد الخالص وتصهر ما تأخذه فى بوتقتها .

لقد ركزت حركة احياء التراث التى قادها المستشرقون والتغريبيون الى تغريب مسيرة الاحياء فركزت على احياء التراث الفرعونى والاغريقى والجاهلى والغنوصى والمجوسى وبعث الاساطير البابلية القديمة واعادة صياغة الوثنيات والفلسفات المجوسية والسريانية والباطنية واحياء عشتروت وزيوس وباخوس وهناك من هو اقرب من هذه كلها الينا ، واكثر صلة بنا ، ذلك هو تراث التوحيد الخالص والبطولة الاسلامية الباهرة والامجاد القائمة على الكرامة والرحمة وانكار التراث والاخلاق ابتغاء وجه الله وحده .

وقامت محاولات التشكيك حول هذا التراث وحده لاخضاعه واحتوائه واخضاع بطولات الاسلام لمقاييس ومفاهيم الفلسفة المادية ، وتحت ضغط النفوذ الغربى الذى فرض على حركة الفكر الاسلامى جرت محاولات متعددة لاخراج خطة احياء التراث الاسلامى عن هدفها الصحيح ، فقد اتجه التغريب بجيشه (مستشرقون ومبشرون واتباعهم وخريجيهم) أول ما اتجه الى فنون الاداب ذات الطابع الاباحى والشعر المكشوف ثم الى الفلسفات والتصوف الفلسفى وكتابات العصور التى انحسر فيها المفهوم الاسلامى الصحيح .

فكانت محاولة احياء (الأغانى) و (الف ليلة) وأبى نواس وبشار وشعراء الغزل الاباحى والغلمة ؛ الوليد بن يزيد ومطيع بن اياس وحماد عجرد والحسين بن الضحاك على النحو الذى عمد اليه وقاده الدكتور طه حسين عميد الادب العربى الذى كان يختار فتاه لتلقى شعر أبى نواس ثم يسألها عن بعض العبارات الشاذة فى شعره .

ومن ناحية أخرى كان الاهتمام بانتقاص الامام الغزالى والعلامة ابن خلدون فى رسالتين معروفتين ، كتب الأولى زكى مبارك (الأخلاق عند الغزالى) حيث اتهم الغزالى بما اتهمه به المبشر زويمر بانه تلميذ الاخلاق المسيحية ، وكتب الثانية الدكتور طه حسين الذى وصف ابن خلدون بانه رجل مدع وليس فى كتابه الخطير (مقدمة ابن خلدون) التى انحنى لها عشرات العلماء ، ليس فيه أى فكر ايجابى لأن تلك نظرية استاذه اليهودى دوركايم

هذه بالنسبة للتراث فى نفس الوقت الذى قدم فيه (فريد رفاعى) أطروحته عن (عصر المأمون) حيث اثنى على مجالس المأمون التى كان يدعو فيها الزنادقة لنقد الاسلام والتى كانت مدخلا لدعوته التى حمل اليها العلماء بالقتل والتعذيب : محنة (خلق القرآن)

واستطاع طه حسين ورجاله ان يفرضوا كتاب (الاغانى) مرجعا اساسيا فى الدراسات الادبية وكتاب (الف ليلة) مرجعا اساسيا

فى دراسة المجتمع الاسلامى مع أن مؤلف الاول زنديق مرفوض تماما لمجوسيته ووضاعة خلقه ، وان الكتاب الثانى لقيط لامؤلف له وهو جماع صور الفساد فى المجتمع الفارسى المجوسى قبل الاسلام مع اضافة بعض القصص من بغداد والقاهرة لخداع الناس .

ثم كانت محاولة استنتاج نتائج خاطئة من ظواهر غير صحيحة كالقول بأن القرن الثانى الهجرى كان (عصر شك ومجون) كما ادعى الدكتور العميد اعتمادا على بعض قصائد شعراء الاباحة وكتابات المنحرفين (الذين كانوا منبوذين من المجتمع) ومع تجاهل علماء الاسلام الابرار الاغيار وهم عشرات كانوا يضيئون المجتمع الاسلامى فى العصر كله كذلك توجه الاهتمام الى الكتاب والشعراء الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية فخاضوا فى أمور جلاها الاسلام ، ومن ذلك اهتمامهم بالمعرى وابن عربى والحلاج وابن سبعين وابن الراوندى والسهروردى وكلهم خرجوا عن مفهوم الاسلام الصحيح وتبنوا نظريات العقل الفعال والفكر اليونانى والافلوطينى ، وتابعوا ابن سينا والفارابى الذين رفض علماء المسلمين الاعتراف بهم وعدوهم من المشائين اليونان ، وفى القريب تكشفت صلتهم بالحركة الباطنية التى قادها القرامطة .

وكذلك أحيوا كتاب (رسائل اخوان الصفا) وهو كتاب يراد به اعداد انقضاض على الدولة الاسلامية قام به الزنج والقرامطة من بعد وتكشف ان الحلاج كان معهم وكان داعيهم .

وقد عنى دعاة التغريب بتوجيه من حركة الاستشراق الاهتمام بتراث هؤلاء جميعا لاشاعة مفاهيم وحدة الوجود والحلول والتناسخ وغيرها من مفاهيم الفلسفات الهلينية والمجوسية الى درجة ان مستشرقا مثل (ماسنيون) امضى اربعين عاما فى دراسة آثار الحلاج ليعيد طرح هذه المفاهيم فى افق الفكر الاسلامى لبلبلة اذهان الشباب المسلم ممن ليست له خلفية اسلامية قوية وليهز مفهوم التوحيد الخالص ومفهوم اهل السنة .

ومن ذلك ايضا تلك المؤامرة التى قام بها (فيتز جران) الشاعر البريطانى الاستعمارى الذى جمع عشرات المقطوعات من الشعر الفارسى الوثنى عن الخمر واللذات ويساهم فى علوم الاسلام ، ويجىء الاستاذ احمد امين معروفا بانه صاحب مرصد اسلامى يرصد فيه الكواكب ويساهم فى علوم الاسلام ، ويجىء الاستاذ أحمد أمين ليبكى على المعتزلة ويقول انهم هم الذين ينهض بهم الاسلام

هذا فى نفس الوقت الذى يغض فيه الاستشراق من شأن علماء افذاذ ابرار امثال ابن تيمية وابن القيم واحمد بن حنبل والشافعى وأبو حنيفة فاذا عرضوا لهم حاولوا أن يلتمسوا لهم العورات لتقليل شأنهم فى نظر المسلمين الذين يعرفون كذب الاستشراق وضلاله ومن ذلك استهانتهم بأبى هريرة رضى الله عنه وانتقاصهم لصلاح الدين وبيبرس لانهم قضوا على نفوذ الصليبيين .

بل ان محاولة تزييف التراث امتدت الى أبعد من ذلك كثيرا حين حاول طه حسين وغيره اعادة كتابة السيرة وتاريخ الصحابة حيث صورت حياة الصحابة رضوان الله عليهم فى كتاب (الفتنة الكبرى) بجزأيه على أنهم جماعة من السياسيين المحترفين، الذين يتآمرون كما كان يتآمر زعماء الاحزاب السياسية قديما ، ومن ثم مضى على هذا الطريق عبد الرحمن الشرقاوى وفرج فودة ، بينما يكشف التاريخ الصحيح عن ان هذه المؤامرة كانت من تدبير (ابن السوداء اليهودى : عبد الله ابن سبأ الذى دخل الاسلام ليشوهه من الداخل ومن يريد أن يتوسع فى فهم ذلك فليقرأ كتاب القاضى أبى العربى (العواصم من القواصم) .

ان قضية انتقال كتابات المسلمين فى الغرب غدت قصة معروفة كشف عنها الدكتور فؤاد سزسكين وكان أعظم ما توصلنا اليه عن طريق الدكتور سالم اليافعى هو ما قام به (باراسلوب) باحراق كتب ابن سينا علامة على ما اسموه (تحررهم من فضل المسلمين) ، هذا الفضل الذى تجاهلوه تماما حتى كشف عنه كتاب منصفون مثل جوستاف لوبون ، درابر ، سجريد هونكة ، جارودى (وهم ليسوا من المستشرقين) .

أما نحن المسلمون فقد كان منهجنا فى التحقيق العلمى الاعتراف بفضل صاحب الفضل ايا كان دينه أو عنصره ، كذلك علمنا الاسلام ، واذا كنا ندعو اليوم الى التحرر من التبعية لمؤامرة الغرب المكعبة (فى هدم التراث وتزييف التاريخ واعلاء العاميات واخراج المسلمين من وحدة الفكر التى جمعهم عليها القرآن) فاننا لسنا متآمرين على الغرب ولسنا ظالمين له ولكننا نود ان نحرر انفسنا من التبعية وان نصوغ مجتمعنا وفكرنا وفق مناهج قرآننا وسنتنا .

ومن هنا فنحن نطالب انفسنا باحياء التراث الاصيل وان نتجاوز عن التراث الذى انشأه الشعوبيون والباطنية فى ظل مرحلة معينة وان نصل حاضره بماضيه من خلال العودة الى المنابع منفتحين على الفكر الانسانى

بتحفظاتنا الاساسية وهي أن نقبل منه ما يتفق مع التوحيد وان ما نقبله يكون بمثابة مواد خام نصهرها في بوتقة فكرنا وتحركها في اطار قيمنا .

* * *

علينا تنقية تراثنا من مفاهم الباطنية والشعوبية ومن الاسرائيليات وان نولي الاهتمام بالتراث الفكري والثقافي والعلمي وان نجعله ضوءا هاديا ونورا كاشفا يضعنا على طريق الاسلام بالحق ويحمينا من التبعية والانصهار في بوتقة الأممية ، وأن نجعل منه سياجا لحماية أمتنا وارضنا من عدوان المعتدي في رباط دائم ، وفي بناء شخصية المسلم القادر على المقاومة والذي لا يستسلم أمام العدوان فاهل هذه القارة الاسلامية على تعبئة دائمة لحماية العقيدة وارض العقيدة واعلان مفهوم الجهاد : تلك الفريضة الماضية الى يوم القيامة .

* * *

الفصل الرابع عشر

مؤامرة جديدة
الدعوة إلى الإبراهيمية
وحوار المسيحية واليهودية والإسلام

تتردد فى الايام الاخيرة فكرة قديمة جديدة ، هى فكرة الدعوة الى العودة الى دين ابراهيم او تحت عنوان الايمان الابراهيمى فى محاولة لاحياء فكرة الدعوة الى وحدة اليهودية والمسيحية والاسلام بوصفها خرجت على أيدى ابناء ابراهيم عليه السلام .

وتتحرك هذه الدعوة اليوم على السنة وكتابات من يرغبون فى خلق حوار بين اليهودية والاسلام على نحو الحوار الذى يدور منذ وقت بين المسيحية والاسلام

وقد عرفت هذه الدعوة باسماء الذين دعوا اليها فى الماضى وفى مقدمتهم اليهودى المير بيرجر الذى انشأ جماعة اصدقاء الشرق الاوسط واعلن انه يهودى وليس صهيونيا وان هذه الدعوة بدأت فى نفس الوقت الذى قام فيه الكيان الاسرائيلى على ارض فلسطين عام ١٩٤٨ .

وهى فى أصلها محاولة لخداع المسلمين بما يسمى الرابطة التى تربطهم بالمسيحية واليهودية عن طريق (ابراهيم عليه السلام) أبى الانبياء اسحق واسماعيل، دون أن يكتشف المخدوعون كيف تغيرت خطة الاديان السابقة للاسلام وخرجت عن الخط الحقيقى الذى رسم لها على اساس النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) .

كذلك فقد تعددت الشكوك لهذه الدعوة لارتباطها بدعاة الصهيونية فقبل ان يطرحها الاستاذ جارودى على علماء مصر فى الفترة الاخيرة اغسطس ١٩٨٦ باكثر من عام كامل ظهر فى باريس كتاب تحت عنوان :

* * *

(نحن جميعا بنو ابراهيم)

واعلن انه من صنع السكرتارية الكاثوليكية للاتصال بالمسلمين بالتعاون مع المركز الوطنى للتعليم الدينى : وقال الذين عرضوه انه يعتمد فى مادته على الكتاب الذى أصدره الفاتيكان عام ١٩٧٠ تحت عنوان (توجيهات لاقامة الحوار بين المسيحيين والمسلمين) وعلى كتاب ميشال لولونج (نعمة الله عليك) وكتابه (ولاءان ورجاء واحد) ومقال الكاتب روبرت كاسبار الذى نشرته الكنيسة (ديسمبر ١٩٧٩) وعنوانه ثلاثة عشر قرنا من تعايش النصارى والمسلمين وقد كان هذا كله طبيعيا وعاديا فى نطاق الدعوة المبثوثة منذ اكثر من عشرة اعوام عن الحوار المسيحى الاسلامى ولكننا سرعان ما سمعنا أصواتا جديدة تدعو الى فتح حوار يهودى اسلامى على غرار الحوار المسيحى الاسلامى .

وسرعان ما سمعنا بمن يدعو الى احياء الابراهيمية بعد الدعوة الى الحوار بين الحضارات والحوار بين الاديان ، بدعوى أن دين الله واحد وان على المؤمنين ان يلتقوا مهما كانت طبيعة ايمانهم فى نفس الوقت الذى ترتفع فيه أصوات أخرى تدعو الى اسقاط الايمان والاديان لان الدين فى زعمهم اداة للتعصب وانه هو مفرق الشعوب والامم وذلك هو ما اعلنته مبادىء الماسونية وما دعت اليه البهائية وليدتا التلمودية والصهيونية .

وقد بدا ان الدعوة الى احياء الابراهيمية هى بديل للماسونية او هى الماسونية بثوبها الجديد فهى محاولة اقتحام ترمى الى الحوار بين الاديان الثلاث : اليهودية والنصرانية والاسلام .

ومن العجيب ان يشترط المحاورون من الطرف الاخر أن يقبل المسلمون منهم مفاهيمهم فى العقيدة وخاصة فيما يتعلق بنبوة عيسى عليه السلام التى يرى النصارى فيها مفهوما مختلفا عن مفهوم الاسلام وما يتعلق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم التى لم تستطيع حلقات الحوار التى انعقدت خلال السنوات الطويلة ان تصل الى الاعتراف من قبل النصارى بنبوته . (صلى الله عليه وسلم) .

وقد كشف المحاورون المسلمون اهداف هذه الدعوة الى الحوار بانها محاولة من الكنيسة فى الحصول على اعترافات صريحة من علماء المسلمين بالمسيحية وبالسيد المسيح فى غير مقابل مماثل ، وان هذه الاعترافات تقدم للمسيحيين الغربيين لاثنائهم عن الدخول فى الاسلام بدعوى انه لا توجد بين المسيحية والاسلام فوارق اساسية وهذه خدعة شديدة الخطورة اذ ان مفهوم التوحيد الخالص الذى يتميز به الاسلام له اثاره البعيدة فى النفس الانسانية وفى الايمان وفى سكينة النفس ، تختلف تماما عن الصلب والتثليث والخطيئة التى هى من ابرز وجوه الاختلاف بين النصرانية والاسلام .

ومن هنا فان حرية الحوار غير مكفولة وان المحاورين المسيحيين يرغبون فى عدم اثارة المسلمين أوجوه الخلاف وقبول التعامل مع الواقع والحقيقة التى يكشف عنها تاريخ الحوار الطويل أنه كان فى أول امره يستهدف ان يلتقى أهل الأديان المنزلة على خطة يواجهون بها الالحاد والمادية والمذاهب الهدامة اساسا (وهذا ما اختفى الان تماما) وان يكون هناك عربون اساسى هو أن يكف الجانب النصرانى عن عملية التبشير (والتنصير) كلية فى البلاد الاسلامية كمقدمة لهذا الحوار .

ولكن هذه الرغبة لم تتحقق ، بل تبين أن هنـــاك محاولات شرسة لتوسيع دائرة التبشير عن طريق هذا الحوار نفسه .

والغرب يعرف وجوه القصور فى دعاويه ، ولكنه يحرص على أن لا يمسها المسلمون بينما يذهب هو الى ابعد الحدود فى اثارة الشبهات حول حقائق الاسلام وقيمه وتاريخه ولغته وخاصة بالنسبة للقرآن الكريم ولك عن طريق دوائر المعارف وخاصة دائرة المعارف الاسلامية وهو غير مستعد لان يتنازل عن قيد شبر واحد فى هذا الحوار لحساب الالتقاء على قاعدة أو أساس ، وانما هى فى الحقيقة محاولة تعرض الاسلام للذوبان وتقديم التنازلات عن طريق اسئلة ماكرة ومحاورين غاية فى الدهاء وحسن الظن من الطرف الاخر وما لم تتغير النظـــــرة القديمة أساسا الى الاسلام والى المسلمين وتذهب الى غير رجعة فكرة الاستعلاء الغربى بالعنصر والدم والجنس الابيض صانع الحضارة فان الامر كله يظل باطلا .

بل لقد ذهب البعض فعلا من الخبراء فى هذا الامر أمثال الدكتور عمر فروخ وغيره الى ان : الحوار هـــو وسيلة جديدة من وسائل التبشير الدينى والسياسى معا وان غاية الحوار هو زعزعة العقائد على السنة اشخاص معروفين فى قومهم ، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان اقوى يدا وارفع صوتا .

نقول هذا كله فى مواجهة هذا التحرك الجديد الذى بداه عدد من رهاقنة الصهيونية وتورط فيه أخيرا (وجاء جارودى) الذى استطاع الان أن يحصل على قلعة من قلاع قرطبة لاقامة مقر لهذه الدعوى يجمع فيه قسسا واحبارا وبعض المسلمين ، وهكذا يمكن أن تتحقق رغبة الصهيونية العالمية لاول مرة فى الجلوس على موائد الحوار مع المسلمين وخاصة وهى تبدأ من منطلق خطير هو (الابراهيمية) اى اتخاذ دين ابراهيم مدخلا الى هذا الحوار بينما نرى أن هناك محاور خطيرة فى هذا الامر بعد أن تجاوز المسيحيون واليهود دعوة ابراهيم الحنفية التى تنكر التعدد والاله الخاص وتربط بين حلقات الاسلام (هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا) .

أولا : يجب أن يكون واضحا ان الدين عند الله هو الاسلام منذ انزل على نوح عليه السلام الى خاتمه محمد صلى الله عليه وسلم وان رؤساء الاديان هم الذين حرقوا السلسلة وخرجوا عنها ليجعلوا من دينهم رسالة قومية مستقلة ، والمعروف ان ابراهيم عليه السلام هو أبى الانبياء وان اسحق واسماعيل هما جدا اليهود والمسيحيين والمسلمين وقد حملت هذه الأديان ببشارات مؤكدة بالنبى الخاتم ثم حرفت هذه البشارات على النحو الذى اشار اليه القرآن الكريم :

(قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) .

فقد حاول اليهود أن يعتبروا انفسهم شعب الله المختار ورسموا لدينهم خطة قامت على حقـــدهم على البشرية وغلوائهم ، ثم جاء النصارى فغيروا طريقهم ، فقد كانت رسالة المسيح عليه السلام هى خاتمة رسالات الله تبارك وتعالى الى بنى اسرائيل :

(واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيـــل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا

برسول ياتى من بعدى اسمه احمد) سورة الصف .

غير ان رؤساء الأديان فصلوا رسالة عيسى عليه السلام عن منطلقها الحقيقى كآخر رسالات السماء الى بنى اسرائيل وادعوا انه دين عالمى ، وبذلك انفصلت كلتا الرسالتين : رسالة موسى عليه السلام ورسالة عيسى عليه السلام عن سياقهما المتصل بالدعوة الابراهيمية الحنفية ، اساسا والى الدعوة الخاتمة لمحمد صلى الله عليه وسلم نهاية .

ومن هنا فان اى موقف فى الحوار بين الاديان او التقارب بينها يجب أن يكون على بينة حقيقية من هـذا التحول بمعنى أن الدين قد انحرف عن مساره وهدفه بما ادخل عليه من مفاهيم تختلف عن الدين المنزل ، وبما جرى من تحريف فى الكتب المنزلة على رسله ، وقد كشفت الابحاث العلمية التى قام بها علمـــاء متخصصون فى اللاهوت فى السنوات الاخيرة عن هذه الانحرافات .

ومن هنا فان قبول الحوار مع هذه الاديان دون تقدير الموقف الخاص بهذه الانحرافات يكون عملا غـير علمى ، خاصة وان الجانب الآخر سيصر على موقفه ويطالب بقبول الامر الواقع .

فهل معنى هذا ان يعترف الاسلام بالامر الواقع وبالأديان القائمة الان على انها هى الأديان المنزلة وان كتبها هى الكتب المنزلة .

ثانيا : فكرة وعد الله تبارك وتعالى لابراهيم عليه السلام

وهذه الفكرة قد حرفت فى التوراة حيث اقتصر وعد الله تبارك وتعالى لابراهيم على اسحق لتعتبره مدخلا الى العنصرية التى سميت من بعد (شعب الله المختار) ولكن القرآن الكريم فصل فى هذا الأمر وجعل وعد الله لابراهيم والصالحين من ابنائه وان هجرة ابراهيم الى مكة مـع ابنه اسماعيل من أجل التوحيد وان الله أعطى ميثاقا بانه تعالى قد اختاره اماما لانه والمؤمنين من قومه سيقوم بأمانة الرسالة وان الله قد آتاه وآل ابراهيم ملكا عظيما هو الملك الذى تحقق بالاسلام .

وكانت هذه الحقائق واضحة فى التوراة المنزلة ولكن اليهود حرفوها فجعلوا منها كيانا عنصريا حتى اسم الاله بدل ، فالموقف هنا مختلف بين مفهوم الاسلام للرابطة بين ابراهيم عليه السلام وبين اليهودية والنصرانية حيث يقول سبحانه وتعالى وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، فكيف يمكن الاحتجاج اليـوم بالابراهيمية بالنسبة لقوم حرفوا صلتهم به وغيروا دينهم من الاساس .

الحقيقة ان محاولة احياء (الابراهيمية) او الايمان الابراهيمى على النحو الذى بدأه الصهيونيون واليهود ويحاول ان يسير فيه اليوم رجاء جارودى هو أمر خطير للغاية وغير محسوبة عواقبه (١) .

وقد واجه علماء الازهر جارودى فى القاهرة ورفضوا فكرته تماما كما أن كثيرا من علماء المسلمين فى الملتقى الاسلامى بالجزائر عارضوا الفكرة ورفضوها، وقد أشار بعض الكتاب الى انه من المخـوف أن تكـون لهـذه الدعوة صلة بما نادى به (صن مون) الملليونير الكورى المقيم فى امريكا والذى ادعى النبوة وكون مجلسا عالميا للاديان .

وتلتقى أهداف هذا المجلس مع اهداف الماسونية العالمية التى تجعل من اهم مراميها الخفية **(تذويب العقيدة فى نفس كل مؤمن)** تمهيدا لمحوها ومن ثم فرض عقيدتهم الجديدة التى تارة تأخذ اسم الماسونية وتارة تأخذ اسم البهائية للوصول الى مرحلة (اللادين) .

وكان مون قد انشأ الكنيسة الموحدة فى كوريا ولها الان فروع فى كثير من انحاء العالم .

بالاضافة الى هذا فقد حدث أن عقد مؤتمر اسلامى فى تركيا (١٩ سبتمبر الماضى) تحت شعار نحو فهم ووحدة العالم الاسلامى قام على تنظيمه مون وجماعته واشترك فيه ١٦ من كبار العلماء المسلمين .

وقد تبين للباحثين الى ان المجلس يريد أن يطرح بعض الافكار الماسونية التى أعدها بدقة مجموعة من علماء اللاهوت الكاثوليك واليهود وهى ترمى الى القول بان هناك وحدة تجمع بين اليهودى والبوذى والهندوكى ومع الاديان السماوية .

ثم لم يلبث (كوفمان) اليهودى ان اعلن أن (مون)

---

(١) كشف الدكتور عبد الصبور شاهين فى مقدمة ترجمة كتاب جارودى (فلسطين أرض الرسالات) هذه المحاولات بوضوح .

تلقى الوحى من المسيح عام ١٩٣٦ وانه درس الاديان والقادة بوذا وموسى فى دعوة الى الجمع بين الاديان والامم حتى تعيش فى سلام .

وهكذا تجرى الدعوة الى خداع وتضليل المسلمين بالافكار البراقة والكلمات المنمقة ، تحت اسم وحدة الانسانية واحترام تراث الانسانية (الذى هو ركام الباطنية والوثنية فى عصر طفولة البشرية) . والدعوة الى حقوق الانسان وحرية المعتقدات الدينية .

وكل هذا يرمى الى تفريغ المؤمن من عقيدته ثم الوصول به الى مرحلة اللادين (كما يقول الاستاذمحسن فهمى عبد المالك) .

وكل هذا يتكامل فى اطار واحد يتمثل فى حملة خطيرة ضارية على الاسلام .

ان الخطر الحقيقى فى فكرة الحوار أو التقريب بين الاديان انها لا تعنى الا اعتراف المسلمين بهذه الاديان بوضعها الحالى الذى يختلف عن حقيقتها حتى يظن الناس اليوم أن هذه الأديان صحيحة ويسلم المسلمون بصحتها وهذا معناه أو ما يمكن الحصولَ عليه هو ان الاسلام لم يأت بجديد بعد اليهودية والنصرانية ولا ريب ان الخلط بين الاسلام والأديان الاخرى يلحق الضرر بالمسلمين .

والحقيقة التى لا تقبل الجدل ان الاسلام جاء ليصحح اخطاء الاديان السابقة ويكشف عن انحرافها عن الطريق الذى رسم لها وان الاسلام قد اعاد البشرية مرة اخرى الى الصراط المستقيم ومن هنا فان الحوار المفتوح يعتبر اعترافا بالوجود القائم الان لهذه الاديان وبذلك تكسب من حوار المسلمين معها قوة على الحياة بعد أن تكشف لاهلها انحرافها واضطرابها واختلاف ماهو وراء كل منها مع ما كشفت عنه الابحاث العلمية .

واذا كنا نقدر هذه الصحوة الاسلامية وخطواتها السريعة التى أذهلت الغرب ، والتى دفعت البابا الى عشرات الرحلات فى أنحاء العالم لمقاومة هذا الزحف الاسلامى فاننا لا نستطيع أن نتجاهل ان الحوار فى ذاته هو محاولة لتغطية الفشل الذريع الذى أخذ يلاحق الكنيسة فى الغرب بدخول الناس فى دين الله أفواجا .

فالغرب الان بهذه الاعداد الضخمة التى يقتحم الاسلام وجدانها اليوم يحس بأنه فى حاجة الى محاولات مضللة لمقاومة هذا التحدى ونحن نعرف ان الكنيسة الغربية اليوم محتواه بالنفوذ اليهودى الصهيونى الذى يسيطر عليها واننا يجب أن يكون واضحا أمامنا أننا نملك الدين الصحيح الذى لا يتأتى لكتابه الموثق أى تحريف أو باطل وانه هو المنطلق الوحيد للبشرية الى بناء مجتمع الامن والسكينة والعدل والرحمة ، هذا وبالله التوفيق .

* * *

الفصل الخامس عشر

أبرز معالم الحوار
الذى دار فى الملتقى الإسلامى فى الجزائر
بين جارودى وعلماء المسلمين

علماء المسلمين يحاورون جارودي
حول آرائه فى تطوير الشريعة والتصوف
وسارتر وماركس ويكشفون تجاوزاته وأخطاءه

كان اول ما يفاجىء به جارودى سامعيه تلك الحملة الواسعة على تراث الاسلام وتاريخ الاسلام وانتقاص عصر الامويين وعصر العباسيين على نحو يكشف عن غاية اكبر هى محاولة تجاوز تاريخ الاسلام وتراثه جميعا من اجل التطلع الى آفاق عصرية يراها لا تحتاج ابدا الى النظر الى ذلك التراث ، او الاهتمام به ، فجاء تناوله هذا يحمل طابع الاستخفاف والتجاهل ، ويمكن ان يفهم هذا فى ظل ما حاول أن يدعو المسلمين اليه من الانتفاع بميراث ماركس وسارتر حين حاول أن يحسنه ويدعو المسلمين اليه كمصدر من مصادر النهضة حيث كان الحديث عن موقف المسلمين من العلوم الانسانية الغربية

وكان من قبل فى كلمة المساء الاول قد قال ان العلوم الانسانية الغربية يمكن الانتفاع بها فكأنه كان يمهد لكلمته التى جاءت فى اليوم التالى والتى هزت دوائر الملتقى حتى طلب الكلمة فى الرد عليه سبعة وثلاثين باحثا واستطاع بعضهم أن يكشف (قصور) جارودى فى فهم الاسلام نفسه وعجزه عن التفرقة بين الشريعة والفقه وعن كبواته فى مجالات عديدة .

لقد عرض جارودى لخمسة نقاط خطيرة :

(١) ضرورة تطوير التشريع الاسلامى حتى يتلائم مع العصر مستندا الى أن المتقدمين عملوا لعصرهم . وهى نفس الدعـــوى التى يحمل لوائها العلمانيون والماركسيون والتى يضعها التغريب والاستشراق على السنة أعوانه المنبثين فى العالم الاسلامى والذى تفتح لهم صفحات الصحف الكبرى ثم لا تسمح لمن يحاورهم بالتى هى أحسن بان يجد فرصة الرد عليهم .

(٢) مهاجمة العصر الاموى والعباسى فى دعوى عريضة بالانفصال عن التاريخ والماضى والتراث وهى نفس الدعوى التى يرددها التغريبيون ، ومن العجب أن يكون جارودى بالونة اختبار لكل دعاة التقدمية فما ان يتحدثوا أمامه عن ظاهرة من هذه الظواهر حتى يسبقهم الى الدعوة اليها مما يدل على انه صاحب عقل رجراج ، اشبه بانبوبة الزئبق التى يجرى ارتفاعا وانخفاضا ولعله تأثر فى هذه النقطة بالدكتور نور الدين فرحات الذى التقى به واعجبه هجومه على التاريخ الاسلامى وعلى العصور الاسلامية الخصبة العامرة التى وسدت للثقافة الاسلامية وارست دعائم الفقه والعلوم حتى ان فرحات نشر فى المصور على لسان جارودى عبارته المضللة .

(ليس فى الاسلام منهج سياسى) .

(ليس فى الاسلام منهج اقتصادى) .

(ليس فى الاسلام منهج اجتماعى) .

وكيف ينخدع جارودى لكلمات رجل اعلن عدائه منذ اليوم الاول التراث الاسلامى والتاريخ الاسلامى ، وكان عليه قبل ان ينزلق هذا المنزلق الخطير ان يرجع الى مستشاره وصديقه الدكتور محمود ابو السعود .

(٣) ما اذاعه فى محاضرته عن سارتر والوجودية مع ان تصريحات سابقة محفوظة لدينا ان هذا الفكر الوجودى عمل مدمر وتخبط فاضح فكيف بعد أن اعلن جارودى اسلامه يرتد فى فهم هذا الفكر الذى ينكر وجود الله تبارك وتعالى على نحو لم يصل اليه اشد فلاسفة المادة من امثال نيتشه وقرباخ وغيرهم .

وكيف يقف فى ملتقى اسلامى كبير ويدعو لتحسين هذا الفكر ويدعو الى الاخذ منه فى بناء منهج اسلامى للعلوم الانسانية وكان اشد خطورة من ذلك كله ردته الى ماركس وحديثه عنه وتحسينه لافكاره ، هلا استطاع جارودى ان يعرف بان ما قدمه الاسلام لا يمكن ان يرقى اليه اى فكر اجتماعى أو اقتصادى بشرى .

(٤) وكانت كبوته الكبرى فى تحسين التصوف الفلسفى واشادته بابن العربى وهو فى مجتمع يقوم على مفهوم اهل السنة والجماعة وينكر مفاهيم الحلول ووحدة الوجود وله موقف تاريخى مع الصوفية الذين ناصروا الاستعمار الفرنسى ضد الحركات الوطنية والاسلامية وكانت اشد الامور دليلا على الخلط وعدم التوفيق دعوته الى الموسيقى وهو يعلم أن الموسيقى الغربية الراقية التى احبها طه حسين وغيره هى موسيقى الكنائس والتراتيل وان ابرز هؤلاء الموسيقيون الغربيون امثال موزارت وانما هم ربائب الكنائس والتراتيل والمزامير فكيف يدعى المسلمون الى هذا .

الحقيقة أن جارودى فى محاضرته هذه ولاول مرة ينكشف على أنه لم يحصل بعد الا على القليل فى فهم الاسلام ، وان العطاء الاسلامى الوافر فى مجال العلوم الانسانية لم يصل اليه ، وان الدور الذى قام به علماء المسلمين من امثال الغزالى وابن تيمية وابن القيم وابن حزم وعشرات غيرهم لم يعرف عنه شيئا وما زال محصورا فى الدائرة الضيقة التى تقوم على تخبطات فلاسفة الغرب فى مجال الفكر البشرى .

ولقد كان على جارودى أن يتكلم فيما يعرف ، وخاصة فى مجال نقد الحضارة الغربية اما التاريخ الاسلامى فى عصر الامويين والعباسيين والدور الضخم الذى قام به علماء المسلمين فى تدوين العلوم وبناء علوم التاريخ والفقه والنحو قبل ترجمة الفلسفات اليونانية وغيرها ، فانه لا يعرف عنه شيئا ولذلك فهو ينظر اليه فى غير قليل من اللامبالاة .

اما حديثه عن الشريعة فهو تجاوز كبير قائم على العجز عن فهم الفوارق العميقة بين الثوابت والمتغيرات فالشريعة من عند الله ثابتة لا تتغير أما الفقه فهو التفسير الذى قام به العلماء والذى يضىء لنا الطريق فى النظر الى قضايا عصرنا .

وهذا كله من عمل المختصين لا من عمل المفكرين والفلاسفة وان هناك كما اشار الدكتور يوسف القرضاوى فى رده على جارودى ، اجتهاد ابداع وهو مالا نجد فى التراث مما يحتاج اليه العصر ، واجتهاد انتقاء عما ورثناه من الميراث الفقهى الكبير حيث تختار منه ما هو اقرب الى روح الشرع ويحقق مصالح الناس

فنحن نستفيد من تراثنا ولكنا لسنا سجناء لهذا التراث ولسنا اسرى مدرسة واحدة فى الكلام أو الفقه أو التصوف وانما نأخذ من كل المدارس الاسلامية ، وابن تيمية قدوتنا فى هذا فقد أخذ من كل المذاهب .

* * *

سارتر وماركس

كذلك فقد حاول الاساتذة اسماعيل العربى والبوطى والغزالى (بالاضافة الى القرضاوى) تصحيح تجاوزات جارودى .

وقد أشار اسماعيل العربى الى جمع جارودى بين ماركس وسارتر فقال ان نكران ماركس لفردية الانسان ليس اقل تطرفا من نكران سارتر للمجتمع والرأى فى الاسلام هو المنهج الوسط الذى يؤيده العلم وبقدر ماركز الاسلام على كلمة الامة ، ركز بالقدر نفسه على ما يريد الفرد مع اعطائه ذاتيته واستقلاله ومقومات وجوده الذاتى وذلك انطلاقا من قاعدة اسلامية اساسية هى أن المجتمع هو الفرد المتكرر فالعناية الحقيقية بالفرد لابد ان تنتهى الى مجتمع اسلامى سليم .

(٢) العصران الاموى والعباسى

كذلك فقد كشف الباحثون عن الدور الرائد الذى قام به علماء المسلمين فى العصرين الاموى والعباسى فى مختلف مجالات النهضـــــة ، حيث قام المنهج العلمى التجـــريبى واتسعت افاق الدولة الاسلامية ودخـــل المسلمون فى دين الله افواجا وعربت الدواوين . وان الدولة الاموية هى التى وضعت خريطة عالم الاسلام من حدود الصين الى حدود الاندلس وارض ما وراء النهر وجنوب وغرب فرنسا .

ولكن ليس معنى هذا ان المسلمين فى العصر الحاضر يتوقعون فى افكار وآراء هذا العصر او ذاك وليس معنى ان هـذا العصر كان ذهبيــا أن نطالب بالعــودة اليــه فالاسلام يقر قاعدة الثوابت والمتغيرات ويأخذ من التاريخ والماضى والتراث ايجابياته التى تصلح للعصر ، وخاصة فيما يتعلق بالاحكام المرتبطة بالمتغير من أوضـــاعنا الاجتماعية وقد اعطانا الاســلام قانون التطوير حتى لا نخلط بين التطور والانزلاق .

أما ان ترفض ميراثنا جملة على النحو الذى يدعو اليه جارودى او ننبذ المذاهب الاربعة (كما يدعو الى ذلك) التى اتخذت من الكتاب والسنة مصدرا لكل حكم من احكامها فهذا تجاوز خطير (وهو عملية الزئبقة) التى تأثر بها من هذا الكاتب أو ذاك ، ان هذه الاحكام لم تكن تعالج فى الحقيقة احداث الساعة ومشاكل العصر العباسى فحسب ، ولكنها تشتمل على مئات بل آلاف من الفروض النظرية لما يمكن ان يحدث فى المستقبل .

وهنا تحدث الذين ردوا على جارودى طويلا عن الفرق بين التقدم والدعوة الى التطوير وكشفوا عن الموقف من الثبات والاصالة وشروط المجتهد عن عدد من علماء السنة من أهل القرون الثلاثة الأخيرة .

ومما يتصل بهذا موقف جارودى من التركيز على القرآن الكريم دون السنة وما ذكره الدكتور محمــود أبو السعود من اعتراضه على بعض الاحكام أو بعض الآيات وخاصة موقفه من الحدود !!

وقال الدكتور يوسف القرضاوى فى هـــذا نحن نقبل من جارودى كل ما يتعلق بالحضارة الغربية ولكن ما يتعلق بالاحكام الشرعية (من ادلة الاحكام المتغيرة) لا تقبل الا من راسخ فى العلم وفيما يتعلق بالنواحى الشرعية يرجع الى أصحاب الاختصاص .

* * *

مسالة التصوف الفلسفى

وقــد عورضت آراء جارودى عن الاعجــــاب بالتصوف الفلسفى (الحلاج وابن عربى) وهى آراء مع الاسف مبثوثة فى كل كتبه ويبدو ان لها من يعجب بها من الغربيين وغيرهم وقد أوضح الباحثون ان التصوف تصوفان : تصوف يؤخذ لبابه وحقيقته ومضمونه من شرع الله عز وجل .

وهذا التصوف النابع من القرآن ليس اكثر من الاحسان : كما وصفه الرسول الكريم : (ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) .

وقال اسماعيل العربى : كيف يقال عن التصوف ما قال جارودى فى معقل ابن ادريس ، فان حـــركة الاصلاح الاسلامى ليست كحركة لوثر ، وانما هى حركة شاملة تســـتهدف النهوض بالانسان المســلم ثقافيا وسياسيا ودينيا فى المقام الاول .

وقال الدكتور يوسف القرضاوى نأخذ من التصوف خير ما عندهم نأخذ منه جانب التركية ، ربانية لارهبانية ونبتعد عن خرافات التصـــوف ، والتصـــوف الفلسفى (الحلول ووحدة الوجـــــود نحن نرفض) نحن نريد الوصفة الاسلامية (الا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن بالقسط) نعطى للعقل حقه ، وللجسم حقــه ، وللروح حقه ، وللدنيا حقها ، هذا التوازن الذى نريده يقــوم اساس :

(كل يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم) .

والواضح : ان الغرب يريد أن يغطى الفــراغ الموجــود عنده بمفهوم منحرف من التصـــوف وأن يأخذ مسائل التمايل والدفوف والغناء الذى يجيزه بعض الفرق الصوفية الغالية بديلا للرقص الايقاعى ، وكله تهويم وتمايل ، ولكن نحن نرجو ان يعلم المسلمون فى الغرب أن الطريق الصحيح ليس هذا وان مفهوم أهل السنة والجماعة وحده هو القادر على هدايتهم وشفاء نفوسهم

واعطائهم السكينة والايمان العميق ، اما استبدال ضلال بضلال فهذا من مؤامرات اعداء الصحوة الاسلاية

ونحن نسأل الله الهداية والتوفيق لكل من يريد أن يتصدر فى مجال الدعوة الاسلامية .

(١) قال الدكتور حسين فوزى النجار : فى اثناء قيامى بالترجمة بين جارودى ومجموعة المفكرين فى مصر تسربت الى لسانه عبارة (الميربرجر) فعدت فى أوراقى منذ ١٩٥٢ عندما كنت مدير الاعلام فى الجامعة العربية ففهمت انه تلقى منه فكرة وحدة الاديان التى تدعو لها الفاتيكان منذ ١٦ سنة وقد نجح جارودى فيما فشل فيه غيره فجمع مساعدات من الفاتيكان واليهود وبعض البلاد العربية ووضع جارودى مركز قرطبة لحساب هذه العملية . وهو يعلم انه لا يستطيع ان يكسب هذه الجولة بدون مصر والازهر وهذا سبب مجيئه الى مصر وتأييد مصر يعنى تأييد جميع مسلمى آسيا .

***

الفصل السادس عشر

لنقف في وجه هذه المحاولة الخطيرة

تطوير الشريعة فكرة مسمومة يجب أن تسقط

ان المراجعة الدقيقة للمحاولات التى تجرى على اقلام والسنة الكتاب المتصدرين اليوم فى ساحة الفكر الاسلامى بازاء الصحوة الاسلامية التى تحمل لواءالدعوة الى تطبيق الشريعة تجد أن هذه الكتابات ـــ سواء كانت من دعاة التغريب ام من أصحاب اقلام محسوبة على ساحة الاسلام ، وان كانت لها مصالحها وولائها فى دوائر الحكم والسلطان ـــ تصدر عن مخطط مرسوم فى الغرب تتحالف فيـــه القوى الثلاث : الليبرالية والماركسية والصهيونيةلايقاف هذا الزحف وصد هذا التياروإجهاضه قبل أن يصل الى غايته ، ذلك لانه يمثل بالنسبة للنفوذ الغربى (جميعا) سواء فى دوائر اللاهوت أو السياسة أو الاقتصاد خطرا على المخطط الذى رسمته الحضارة الغربية فى السيطرة على عالم الاسلام أو ما يسمى العالم الثالث أو الملون ، أو ما يوازى أفريقيـــا وآسيا بالنهب المتصاعد لثرواته واستنزاف مخزونه من النفط والكوبلت والمنجنيز ومادة صناعة الصواريخ والذرة ، من خلال منهج فكرى اساسه التغريب لتحويل العقل الاسلامى والوجدان الاسلامى الى تبعية كاملة للفـــكر الغربى الوثنى المادى الاباحى من أجل قيام امبراطورية الربا وقد قامت هذه الخطة على تفريغ الاســـــلام من مضمونه الاصيل بوصفه منهج حياة ونظام مجتمـــع واستبقاء مظاهره العبادية وحدها .

وعلى كل الاقلام منذ بدأت حركة التغريب تصدر عن كتاب يكتبون بالعربية تسمع هذه النغمة : نغمـــة التطوير ، طه حسين ، محمود عزمى ، على عبد الرازق حسين فوزى ، ســـلامه موسى ، لويس عوض ثم تأتى المرحلة الاخيرة التى نحن فيها الآن والتى بدأت منذ عشر سنوات بصيحة توفيق الحكيم الى تطوير الشريعة ثم تأتى فى الوقت الحاضر وعلى مراحل . وفى مختلف صحف ومجلات البلاد العربية : حسين احمد أمين ، فرج فودة، زكى نجيب محمود ، نور الدين فرحات ، يوسف ادريس هذه النغمة هى : تطوير الشريعة .

لقدتوالت المراحل فى التشكيك فى الشريعةالاسلامية واصالتها وربانيتها ثم خلقت الاشكالات لضرب الشريعة بالفقه ، والفقه بالشريعة ، ثم جرى الحديث حول مقولة باطلة هى أن الأنظمة الوضعية لا تختلف كثيرا ، ثم توالت محاولات للخداع والتضليل فيه لايقاف المد حتى جاء من يطعن فى تاريخ الاسلام ويحاول أن يدعى أن الشريعة لم تطبق الا فترة قليلة ومنهم من أخذيصور الخلفاء والأمراء المسلمين بصورة الظلم والعسف ومنهم من حاول أن يراوغ فى تفسير الآيات ويدعى ان لكل عصر ظروفه حتى الببغاء الزئبقى فنقل كل ذلك على لسانه بعد أن اعلن اسلامه ليكون لسانا لهم وزعيما ففى محاضرة جارودى المطبوعة تحت عنوان الاسلام هو الحل الوحيد يقول : أن الشرع الهى المصدر وأن هذا القول لا يبرر مطلقا أن تخرج من التاريخ وأن يجمد فى كل أمر ورد عن الله بل على العكس من ذلك تماما فاننا نجد فى القـــرآن مـــن الحركة والحياة . ان كل وحى ورد فى القرآن ونقله النبى هو جواب الهى لقضية محدودة .

ويقول : نحن لا نثير صيغة الواضع الالهى لهـــذا الوحى اذا وضعناه فى موقعه التاريخى والثقافى فى حياة شعب كالاسلام امتد الى عصور اخرى من الحضارات .

وهو بهذا ينكر خلود الوحى والشرع وامتداده الى كل العصور والبيئات ، وتلك فكرة ما تزال من رواسب الفكر الغربى الذى ما زال يعيش فى اعماقه .

وفى الملتقى الاسلامى فى الجزائر تعرض جارودى

لهذه الدعوة المدعاة مرة اخرى فتحدث عن ما سماه ضرورة تطور التشريع الأسلامى حتى يتلائم مع العصر مستندا الى أن المتقدمين عملوا لعصرهم وهى نفس الدعوة التى حمل لوائها العلمانيون والماركسيون والتى تأتى على لسان جارودى نتيجة قصور فى الفهم ، وعجز عن معرفة الفرق بين الشريعة والفقه ، وان الشريعة الربانية ثابتة وهى تمثل قاعدة الثوابت فى الاسلام اما الفقه فيتعلق بالمتغيرات والمسائل الفرعية التى لم يرد فيها نص والتى يجوز مقايستها على مثيلاتها فى ذلك التراث الزاخر .

ومن اجل الدفاع عن هذه المقولة هاجم جارودى العصران الأموى والعباسى لانه لم يلم بالدور العظيم الذى قام به علماء المسلمين فى العصرين فى مختلف مجالات النهضة ، حيث قام المنهج العلمى التجريبى واتسعت آفاق الدولة ودخل الناس فى دين الله افواجا وعربت الدواوين والمسلمون اليوم حين يجددون حياتهم ويلتمسون من ميراثهم المصدر ومن تراثهم القدوة لا يتقوقعون فى الماضى أو القديم ولكنهم يستضيئون بهذا العطاء العامى الضخم الذى اعترف به أساطين القانون فى الغرب وليس معنى تقديرنا لهذه العصور وثمارها أن نطالب بالعودة اليها فالاسلام يقر قاعدة الثوابت والمتغيرات وينفتح دائما على العصر والمستقبل ، وفق قاعدة اساسية تأخذ الايجابيات التى قدمها السابقون وتبنى عليها ، اما هذا الهجوم الذى يحمل الكراهية المقيتة لماضى المسلمين فذلك أمر يومىء الى خطر خطير ، فالمسلمون لا يقطعون صلتهم بماضيهم تلقاء مرضاة أصحاب الحضارة الغربية التى تدخل مرحلة الانهيار ولا يأخذون نظامهم الاجتماعى مطلقا من نظم أخرى قامت على غير عقيدة التوحيد ولكنهم يدرسون ذلك ويقبلون منه ويرفضون وما يقبلونه كأساليب وتنظيمات وليس كنظام يسيغونه فى اطار فكرهم ومجتمعهم لان لهم نظرية فى المجتمع والحضارة تختلف فى اسلوبها وفى أهدافها عن نظرية الغرب الاجتماعية والحضارية .

اما ان نرفض ميراثنا جملة على النحو الذى يدعونا اليه حملة لواء مؤامرة تطوير الشريعة وجارودى اخيرا فهذا تجاوز خطير اذ ان تلك الاحكام التى ذخرت بها ثروة الفقه الاسلامى لم تكن تعالج فى الحقيقة احداث الساعة ومشاكل العصور السابقة فحسب ولكنها تشتمل على فئات بل آلاف من الفروض النظرية الصالحة لما يمكن أن يحدث فى المستقبل .

وفارق كبير بين الدعوة الى التقدم وبين التطوير

واذا كان دعاة التطوير غارقون فى مفاهيم الغرب اللاهوتية وقضايا الصراع بين العلماء ورجال الدين وبين موقف الايدلوجيات والأديان البشرية من المتغيرات وعجزها عن مطاولة الازمان فان ذلك لا ينطبق مطلقا على الاسلام ولا على شريعته التى هى وحدها اليوم فى العالم كله : التى تحمل هذا الطابع الفريد من القدرة على الجمع بين الثوابت والمتغيرات والتى تحمل من سعة الأفق ومرونة الاطر (وأحكامها الربانى) ويجعلها قادرة على مواجهة كل المتغيرات وعلى مسايرة كل المجتمعات والعصور ومن هنا فان اقتراض نظرية التطوير من الفكر الغربى المسيحى أو الماركسى أو الليبرالى أمر لا ضرورة لاننا لا حاجة لنا به أصلا .

ومن نافلة القول أن نقول أن الشريعة الإسلامية تنقسم الى قسمين : ماهو ثابت (الفضائل ، المحرمات ، الاركان الخمسة (شئون الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص) وما هو متغير وهو ما يتعلق بجزئيات الاحكام وفروعها العملية وخصوصا فى مجال السياسة الشرعية (التعازير) .

ويتعرض المجتمع الأسلامى (كما يقول الدكتور يوسف القرضاوى الذى ننقل عنه هذا النص) للخطر اذا اخضع للتطور والتغير ما من شأنه الثبات والدوام والأستقرار) .

ومن هنا فان الدعوة الى التطوير بعامة ليست دعوة شريفة ، ومن وراءها مقاصد ، ومؤامرات واهواء تحت اسم لامع خادع لبعض من لا يعرفون خفايا الامور ، ان فتح باب التطور بصفة عامة معناه القضاء على ثوابت الشريعة وانصهار الاسلام فى اهواء المجتمعات وفساد الحضارات ، ومن هنا فقد كان الاسلام حاسما وحكيما ومرنا فى نفس الوقت بوضع قاعدة (الثوابت والمتغيرات) حيث يتجلى الثبات فى المصادر الاصلية النصية القطعية للتشريع من كتاب الله وسنة رسوله . وتتجلى المرونة فى ميدان الاجتهاد وفى عناصر المصادر التى اختلف فقهاء الأمة فى مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق ومقل ومكثر ، مثل الاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة .

ويتميز المجتمع الاسلامى بظاهرة التوازن الجامع بين عناصر الثبات والتطور معا وظاهره (الوسطية) حيث ثبات الكليات والجوهر وتغير الجزئيات والمظهر فالثبات يحول دون المجتمع وعوامل الانهيار والفناء ، والتطور يجعله يكيف نفسه حسب تغير الزمن وتغير

الأوضاع دون ان يفقد مقوماته الذاتية وخصائصه الأساسية فاذا كانت النية حسنة فى أمر تطوير الشريعة فيجب ان نفهم على هذا الوضع أما ما يقدم لنا الآن فهى محاولة خبيثة : اذ يظن البعض تحت ضوء الاسماء اللامعة التى خدعوا بها الناس ان الاسلام عجينة لينة قابلة لما تشاء اهواء البشر ، او انه يمكن ان يستخدم كمبرر لانهيار الحضارات وفساد المجتمعات .

* * *

ان هذه المحاولة الخطيرة يجب أن تسقط .

هذه المحاولة الخطيرة التى تنكشف الآن باوضح بيان هى :

التآمر على الشريعة الاسلامية واتهامها بالجمود والتخلف وانها ثمرة عهود سبقت تختلف فى كل هذا وما اثير حول تطبيق الشريعة فى العهود المختلفة ، وما يتصل بالفوارق بين الشريعة والفقه ، كل هذا يرمى الى غاية خطيرة .

هذه الخطة التى تنكشف الان بوضوح على ألسنة كل اصحاب دعاوى التقدم والعصرية وغيرها من عبارات .

المراد بها هو امر واحد لا ثانى له :
هو حماية امبراطورية الربا التى يقوم عليها اليوم الاقتصاد العالمى والمصارف الربوية والذى هو عماد مخطط يهود والصهيونية العالمية والذى جاء الاسلام لهدمه وتدميره والقضاء عليه ولا ريب ان هذه الحضارة العالمية القائمة الان على الربا وعلى نهب ثروات الأمم جميعا ، انما تقوم على الأستهلاك وتستهدف استنزاف الثروات فى القارة الاسلامية اساسا وبيع المنتجات ومن ناحية اخرى فان اى دعوة الى ترشيد موقف المسلمين من الحضارة ومن الاستهلاك ومن الربا ككل هذا من شأنه أن يؤثر فى دورة هذه الحضارة ويضر بها فى الصميم .

ولذلك فان المحاولة الآن تجرى على هذا النحو من الدعوة الى استغلال بعض العقول التى لمعت اخيرا فى محيط المسلمين للعمل على تذليل الاسلام بالتأويل لقبول الربا (بصورة أو بأخرى) وقبول مبدأ الأستهلاك والتبعية للغرب .

* * *

ولن يستطيع احد فى العالم كله أن يزيف مفهوم الاسلام أو أن يخضع الأسلام لأهواء الحضارات والمجتمعات أو أن يصدر فتوى بقبول الربا مهما بلغ من المكانة العالمية ولذلك فان المحاولة تدور فى اطار خادع هو التقدم والرجعية والغض من شأن الصورة الاسلامية التاريخية أو البحث عن خيوط لوضعها موضع الازدراء فى مقولة الانفتاح على العصر ولقد كان المسلمون فى كل عصر يرون فى الحفاظ على ذاتيتهم الاسلامية التى رسمها لهم ونشأوا فى اطارها ، الجهاد كل الجهاد والكفاح كل الكفاح حتى لا ينصهروا فى حضارات الأمم أو يذوبوا فى الأممية او العالمية فى حضارة تغرب وتنهار وتتهادى .

* * *

الفصل السابع عشر

الإسلام والعلوم الإنسانية تحفظات على مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع الوافدة

مدخل الى البحث :

تقوم مفاهيم العلوم الانسانية فى العصر الحديث على اساس دراسة الانسان واستمدادا من تكوينه ووجوده وحركته فى الحياة ، فهى تعتمد اساسا على مفهوم الانسان نفسه فما هو الانسان فى مفهوم العلوم الحديثة فهل ما هية صحيحة أم قاصرة ومنشطرة .

لقد نشأت العلوم الانسانية فى الغرب بعد أن تشكلت فى الفكر الغربى قاعدة الفكر المادى على نظرية تقول بأن الانسان حيوان تحكمه المعدة والشهوة وانه خاطىءوان عليه أن يسرع الى اقتناص اللذات والشهوات قبل ان يموت وانه ليس بعد هذه الحياة حياة أخرى وانه ليس مسئولا مسئوليية فردية فان المسئولية هى مسئولية المجتمع وان الدين خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها وان الحياة مادة وان الحياة تتطور الى مالا نهاية وكل شىء فيها نسبى وان الانسان وما يتصل به من عواطف ومشاعر وأدب يمكن أن يحاكم محاكمة المادة والحيوان .

ومن هذه القاعدة التى اقامتها الفلسفة المادية تشكلت كل العلوم الانسانية ومن ثم فانها فى مجموعها تختلف مع مفهوم الاسلام جملة وتفصيلا وان تطبيق مفهوم العلوم الانسانية الغربى الوافد من شأنه انيسلم المسلمين الى مادية وثنية اباحية خطيرة .

ولذلك فقد ارتفعت اصوات المصلحين المسلمين منذ اليوم الأول لظهور هذه المفاهيم بكشف اخطائها ودحض زيفها والتعريف بمفهوم الاسلام الجامع المانع فى مجال الاجتماع والنفس والاخلاق وهى مفاهيم تقوم على النظرة الصحيحة لطبيعة الانسان نفسه الذىتشكل اساسا من قبضة الطين ونفخة الروح والذى يجمع بين المادة والروح وبين العقل والقلب وبين أشواق الروح ومطامح المادة والذى يصاب بالتمزق اذا فصل بين جانبيه المتكاملين سواء اكان ذلك فى الخضوع للفكر الفلسفى المادى الغربى الذى لا يعترف الا بجانبه المادى أو بالفكر الشرقى الغنوصى الذى تعتنقه فلسفات الهندوكية والبوذية وغيرها والذى لا يعترف الا بالجانب الروحى للانسان .

ولسنا فى حاجة الى عرض مفصل للتطورات التى مر بها الفكر الغربى منذ انفصاله عن مفهوم المسيحية الغربية وهى ليست المسيحية المنزلة ، ثم تحوله الى الفلسفة المدرسة فالفلسفة المثالية وانتهائه باعتناق النظرية المادية .

وقد ولدت مفاهيم العلوم الانسانية التى تمثلها فلسفات النفس والأخلاق والاجتماع ومنها الفرويدية والوجودية وغيرها فى هذا الاطار التى قام اساسا على مفهوم منهار هو مفهوم داروين فى الظن بان الانسان والحيوانات العليا من اصل واحد (وهى نظرية اثبتت الأبحاث والحفريات فى العقدين الماضيين فسادها أصلا بعد أن كشف عن ان داروين جعلها فرضية اساسا ولم يجعلها حقيقة علمية ، وبعد أن قال أن هناك (فجوة) أو حلقة مفقودة حين عجز عن تقديم مفهوم كامل .

ومع الاسف فان هذه النظريات التى هى فى حد ذاتها فرضيات لم تصل يوما الى درجة الحقيقة العامية قد قبلت فى بلادنا وقرر تدريسها فى جامعاتنا ومدارسنا مع تعارضها الكامل مع الفطرة وحقائق العلم وحقائق

الاسلام نفسه ، حتى فى الوقت الذى بدأ علمـــاء منهم يراجعون هذه الفرضيات ويكشفون قصورها ويعلنون انها اعتمدت على معطيات لها طابع العـلم فى القرون الماضية ثم أصاب هذه المعطيات التغيير الذى أودى بالنظريات التى اعتمدت على أساسها .

وما من علم (اذا قيل تجاوزا) من هذه العلوم الا كشف الغرب نفسه عن اضطرابه وتصدعه وقـد أعلنت هذه الحقائق فى مؤتمرات علمية ذات قيمة ومهابة فى عـــواصم عديدة من الأقطار الغربية فى نفس الوقت الذى رفضها المسلمون اساسا ، فعلم النفس ونظرية فرويد بالذات واجهت كثيرا من أسباب النقد الذى زلزل وجودها الذى لم يكن فى حقيقته علميا ولكن كان لان قوى معينة كانت وراء فرضها واغراء الناس بها ، ونظرية الاجتماع الغربى الذى رسمها دوركايم ومدرسة العلوم الاجتماعية واجهت منذ اللحظة الأولى ردود فعل تكشف اهواء الدعاة اليها وتردها الى مطامح الصـــهيونية فى تدمير الجيش البشرى وتشير الى نصــــوص واردة فى التلمود وفى بروتوكولات صهيون فى هذا الشأن ونظرية الاخلاق الغربية ايضا ونظرية التطور ونظرية النسبية والتفسير المادى للتاريخ كل ذلك كشف علماء منصفون فى الغرب عن فساده ، وانه ليس علميا وليس صالحا ليكون نظرية عامة وانه ربما كان رد فعل اقليمى ضيق لمجتمع معين فى ظرف معين ، ولكنه ليس حقيقة علمية أو نظرية علمية عامة تصلح للبشر جميعا أو الامم جميعا

واذا كان الغرب قد وضع ايدلوجيات أو نظريات فى هذا الشأن فذلك أمر يخصه فى دين لم يكن يحمل معه منهج حياة أو نظام مجتمع بعد أن انفصلت المسيحية عن منطقها الحقيقى بوصفها آخر رسالات الســماء لبنى اسرائيل وان نظامها فى التوراة ، اذا كان الغرب قد فعل ذلك وقاوم مفهوم الدين والاخلاق على النحـــو الذى اصطدم به رجال العلم فى الغرب نتيجة تعنت الكنيسة فان ذلك أمر يخص الغرب نفسه وليس له فى افق الفكر الاسلامى مكان ما لاختلاف واسع بين الاسلام الذى جاء دينا عالميا والذى قدم للمسلمين منهجا جامعا ، سواء فى أمور العيش ، ام فى الغيبيات (ما وراء المادة) أو فى المعرفة ام فى العلم التجريبى ، ولذلك فقد كان من حقنا منذ وقت بعيد أن تكون لنا وقفـــة واضحة حاسمة مع العلوم الانسانية الغربية .

ان اخطر ما يواجهنا ونحن ندرس العلوم الانسانية الغربية هو اخضاع هذه المفاهيم (ولا نقول العلوم — النفس والاخلاق والاجتماع) للمناهـــج التجريبية التى تخضع لها العلوم المادية ذلك ان المناهج المادية تعجز فى الحصول على نتائج صحيحة بالنسبة لمشاعر الانسان وعواطفه واخلاقه وتصرفاته .

ذلك لأن طبيعة العلوم الانسانية مختلفة متباينة ومن ثم لزم أن يعالج كل منها مفهوما خاصا ، اذا كانت هناك قوانين لقياس الطبيعيات والرياضيات فان هــــــذه القوانين تعجز عن قياس العواطف والمشاعر والاحاسيس ويرجع ذلك الى أن حرية الارادة البشرية تتدخل فى الظواهر الانسانية وتغير مجراها تغييرا يجعل من العسير اخضاعها لقانون علمى ثابت وانه اذا كانت القـــوانين الطبيعية عامة صادقة فى كل زمان ومكان — كما يقول العلماء — فان مقررات العلوم الانسانية ترتبط بظروف شخصية وتاريخية متغيرة ، كذلك فان الباحث فى مجالات العلوم الانسانية لا يستطيع أن يتجرد من اهوائه وميوله ومصالحه وهو ينظر الى موضوعه الذى يتصل بالانسان من خلال عقيدته وثقافته وتقاليد وطنه ونحو ذلك من عوامل تؤثر على نزاهته وتجعله ذاتيا أو متأثرا بالعوامل الذاتية على عكس الحال فى العلوم الطبيعية والرياضية.

هذا من ناحية ومن ناحية فانا نرى أن مفهـــــوم مدرسة العلوم الاجتماعية والانسانية ينكر حقيقة ثابتة فى الاسلام هى اصالة قيام الاسرة منذ العهـــود البشرية الاولى .

والقصد هو تضحية الاسرة من اجل قيام شيوعية المجتمع وفى المفهوم الاصيل ان الاسرة تكونت فى بداية البشرية ولم يتخل جيل من الاجيال عنها .

والقرآن الكريم يقرر ان الاسرة نظـــام بشرى أصيل :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) صدق الله العظيم

كذلك لا يعترف الاسلام باى نظرية عن تطـــور العائلة على اساس القول بان المراة كانت مشاعة فى عصر البشرية الاولى ، ثم تكونت العائلة بمرور الزمن بفعل عامل اقتصادى وذلك ما تحاول بعض دراسات الانثروبلوجيا دسه وهو غير صحيح علميا أو تاريخيا .

وهكذا تجرى النظرية الاجتماعية المادية فى محاولة التشكيك فى أصل هذا النظام توطئة للدعوة الى القضاء عليه ، والنظرة الصحيحة ترى انه ربما غلبت هـــذه الدعوة مرة ومرات على مدى التاريخ الطويل بحـــكم

الاستثناء الذى يحدث لاستعلاء الباطل والشر ولكن الواقع ان هذه المحاولات كانت تتحطم بسرعة وتفشل فشلا ذريعا لانها تعارض الفطرة وتيار التاريخ .

وبعبارة واحدة انه قد عجزت كل المحاولات التى مرت على مدى التاريخ للقضاء على الاسرة وسيظل نظام الأسرة ثابتا مكينا ، ذلك لان الاصول الانسانية التى يقوم عليها ليست من صنع الافراد ولا هى خاضعة لما يريد الفلاسفة أو صناع الايدلوجيات ، كذلك يكشف الاسلام زيف المفهوم الذى طرحه ما يسمى علم الانتروبولوجيا والقائل بأن البشرية بدات وثنية ثم عرفت التوحيد ، أو القول بأن الدين نظام اجتماعى قابل للتطور مثل الجماعة نفسها فى تاريخها من تشريع واخلاق ، ذلك لأن الحقيقة العلمية هى أن البشرية عرفت التوحيد بأول انسان وهو آدم عليه السلام ومع أول نبى وهو نواح عليه السلام وانها ظلت تتداول التوحيد والوثنية عصرا بعد عصر ولم يكن هناك عصر واحد خال من دعوة التوحيد .

كذلك فان الاسلام ليس دينا وضعيا يخضع لما تخضع له الأيدلوجيات من تحرير وتعديل وتطوير ، انما هو دين موحى به من السماء وقد احكمت آياته على نحو يجعله صالحا لكل الازمان والعصور والبيئات ، وانه جاء على نحو من المرونة واتساع الاطر وملامسة الفطرة البشرية .

ولذلك فهو لا يخضع لما تخضع له الاديان الوضعية .

* * *

الاخلاق :

تقول النظرية الغربية فى الاخلاق ، ان مبادىء الاخلاق ما هى الا ظواهر اجتماعية تملى على الافراد دون ان يكون لهم دخل بنائها أو فضل فى الايمان بها .

وتقول : ان الاخلاق تختلف عن الدين وانه لا صلة بين الدين والاخلاق وان الاخلاق هى استجابة النفس الى الوسط فاذا ما تغير الوسط تغيرت الاخلاق وأن هذا الوسط يتسع ويضيق باختلاف الزمان والمكان .

كذلك تقول النظرية ان الامم ليست فى حاجة الى الاديان ولكنها فى حاجة الى الأخلاق وانه يمكن الاستغناء عن الاديان اكتفاء بالضمير الانسانى اما الماركسية فترى ان الاخلاق مثل السياسة ، والقوانين تخضع للاحوال الاقتصادية والظروف المعيشية لكل مجتمع ، ومجمل قول الفكر الغربى بشقيه : ان الاخلاق نتاج البيئة وانها تختلف باختلاف الأمم والعصور وتغييرات المجتمعات ولا ريب ان هذه النظرية مرفوضة تماما فى ضوء الفكر الاسلامى فضلا عن سذاجتها وقصورها وانشطارها فى فهم النفس البشرية ومضادة لحقائق التاريخ وسير الابطال وحيوات الأمم وانها ضد الفطرة ولا يقرها العلم ومفهوم الاسلام ، ان طبيعة الانسان ثابتة لاتختلف وان الأخلاق جزء من الاسلام فالاسلام عقيدة وشريعة واخلاق ، وأن هناك فارقا عميقا بين الأخلاق الثابتة المتصلة بالدين نفسه ، وبين التقاليد التى تتصل بالمجتمع وتتغير بالاسباب الطارئة فالأسلام يفرق بين الاخلاق والتقاليد ، والدين والاخلاق فى الاسلام لا ينفصلان .

والقرآن الكريم هو اصل الاخلاق الاسلامية : والاسلام يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك والأخلاق فى الاسلام قاسم مشترك على مختلف اوجه الحياة : سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية ، وغاية الاخلاق فى الأسلام بناء مفهوم (التقوى) الذى يجعل اداء العمل الطيب واجبا حتميا ويجعل تجنب العمل الضار واجبا محتما ، ويجعل الخوف من الله اقوى من الخوف من القانون والعقوبات الوضعية . ويقرر الأسلام ان القيم الاساسية ثابتة لا تتغير لانها صالحة لكل زمان ومكان وان الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الانسان ولذلك فهى قائمة على الزمان ما بقى الزمان وعلى اختلاف البيئات والعصور وان الحق سيظل هو الحق لا يتغير .

ولذلك فان ابرز قواعد الاسلام هو (ثبات القيم) وبالتالى ثبات الاخلاق وان (الالتزام الخلقى) هو قانون اساسى يمثل المحور الذى تدور حوله القيم الاخلاقية فاذا زالت فكرة الالتزام قضى على جوهر الهدف الاخلاقى ذلك انه اذا انعدم الالتزام انعدمت المسئولية ضاع كل امل فى وضع الحق فى نصابه .

وفى الغرب اخلاق بلا التزام وفى الاسلام اخلاق ملتزمة وثبات القيم فى العقيدة والشريعة يجعل (ثبات الاخلاق) قيمة اساسية قائمة على اساس القاعدة التى تتمثل فى ان طبيعة الانسان ثابتة لا تتخلف وقد جاء الاسلام ليقدم لها الضوء الكاشف والهدى الصحيح الذى يحفظها من القلق والتمزق والتشاؤم والحيرة واليأس ،

وهو بغير هذا العطاء لا يستطيع ان يواجه الحياة ولقد ذهب العلم الحديث فى منجزاته الى آفاق بعيدة من المتاع المادى والرفاهية ولكنه ظل عاجزا عن ان يعطى الانسان لمحة سكينة أو نفحة طمأنينة ، ان الطبيعة الانسانية لا يمكن ان تجد طريقها الحق الى الامن والامان الا فى الاتصال بالله وفى التماس منهجه .

ومن هنا قرر الاسلام ان هناك قيمة ثابتة ليست من صنع الانسان هى الاخلاق ، وقيما متغيرة لانهـا مرتبطة بالناس والمجتمعات فى العادات والتقاليد ومن الخطأ الخلط بين الثوابت والمتغيرات من القيم الاصلية الربانية وبين القيم التى صنعها المجتمع ، ثم تصل بعد الى نهاية المطاف والى اخطر ما يطرحه المذهب الغربى الوافد فى مجال النفس .

* * *

النفس :

وهو مذهب فرويد الذى لم يكن الا خيطا واحدا من عدة خيوط طرحها علماء آخرون ربما كانوا اكثر عمقا وفهما للنفس الانسانية من فرويد ، ولكن مذهب فرويد لأنه صنع من مفاهيم التلمود أو فى سبيل تحقيق هدف الصهيونية فى تدمير البشرية ، اعطى اكثر مما يستحق وركز عليه تركيزا شديدا واذيع وفرض فى الجامعات فى مختلف انحاء البلاد الاسلامية وسيطر على مناهـج الادب والقصة وعلى دراسات التربية والاخلاق وبذلك حمل الينا اخطر المفاهيم وابعدها عن الفطرة وكانت له ولا تزال اثاره البعيدة المدى على التحلل والانحـراف والفساد الذى تموج به المجتمعات . والحقيقة ان نظرية فرويد فى التحليل النفسى لم تكن الا مجموعة من الفروض التى استقاها من تجربته من المرضى والشواذ والمصابين وليس من الاصحاء والاسوياء وهى وجهة نظر مطروحة للنظر وقابلة للصواب والخطأ وهى فرضية تشكلت من احاسيس الحقد الكامن فى نفس يهودى يعيش فى مجتمع النمسا المتعصب للمسيحية ضد اليهود ومن خـلال مخططات اتفق عليها مع هرتزل وغيره من اجل التوسيد لسيطرة الصهيونية على العالم على النحو الذى اوردته بروتوكولات صهيون ، وفى الحقيقة ان الاهواء غلبت غيها على العام فلم تثبت امام التجربة وقال كثير من الباحثين المتعمقين : ان فرويد اقرب الى المتنبئين منه الى العلماء وهو يرمى بنظرياته وآرائه دون ان يقدم لها البرهان العملى أو السند الواقعى ، وانها تقوم فى اغلبها على الافتراض ثم تصديق ما يفترض ، فيبنى عليه وكانه حقيقة علمية لا يأتيها الباطل ، وقد اثبتت الدراسات العامة بما لا يقبل الجدل ان الدافع الجنسى ـــ الـذى اعتبره فرويد أساس الرغبات الانسانية ـــ انما يأتى فى مرتبة أدنى من كثير من الدوافع الاخرى ، ومحاولة الاقرار بعجز الانسان عن تغيير المجتمع وضرورة خضوعه له . وقوله ان العامل الفعال الذى يؤثر فى المجتمع هو البيئة الاجتماعية وهو الغاء كامل لدور الفرد .

ولا ريب أن انكار مسئولية الفرد ودوره فى سبيل تغيير المجتمع هو اخطر أوجه الخلاف ، فدوركايم يرى أن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية وانما القيم كلها للمجتمع ، وان الدين خرج من الارض كما خرجت الجماعة نفسها فضلا عن فكرة التطور المطلق والاسلام يعارض هذه المقررات كلها ويرفضها تماما فهو يقر المسئوالية الفردية ، ودور الفرد ، وقيمه ، وربانية الدين المنزل ، كما يذهب مقررات الاجتمـــاع والنفس والأخلاق الى تفسير الانسان وفق مذهب المادة وعالم الحيوان فى مواجهة مفهوم الاسلام الذى يكرم الانسان **(ولقد كرمنا بنى آدم)** فضلا عن تكامل المنهـج الربانى بين المادة والروح ومن اكبر اخطاء دوركايم دعواه الباطلة بان الجريمة هى الفطرة وان الدين والاسرة ليسا من الفطرة .

وهكذا نصل الى نفس الغاية التى كشفت عنها فى المرحلة السابقة من البحث وهى ان هذه العلوم ـ لا تملك مقررات العلم الصـحيح ، وانما هى ايدلوجيات ذات هدف أساسى هو تبرير النظام الغربى واحكام سيطرته على العالم الاسلامى وهى مفاهيم تســوق الانسان لا محالة الى دماره المادى والمعنوى .

* * *

واذا رجعنا الى أحدث الابحاث فى مجال العلوم والعلوم الانسانية وهو كتاب (حدود العلم) للعلامة الكبير سوليفان نجده يصور مفاهيم النفس الغربية على انها مجموعة من الاكاذيب : يقول :

ان علم النفس لا يمكن اعتباره علمـا حتى الان والمعارف الاخرى ومثل علم الاجتماع والاقتصاد وما الى ذلك بعض النواحى التى لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمى والعلم اقوى ما يكون عليه عندما يتناول العلم يأخذ الكائن البشرى كاملا ولا يفصل بين نفسه وجسمه أو بين عواطفه وعقله أو بين ماديته وروحانيته ، ويؤمن بأن الانسان ثابت الجوهر متغير الصورة ، وأنه لاسبيل

الى تفريغ كيانه من مضمونه أو النظر اليه على انه الهيكل البشرى خاليا من الروح والوجدان .

ولذلك كله فالاسلام يعمد الى ايجاد التوازن فى نفس الوقت بين قواه المختلفة مما يؤدى الى (التوازن) فى المجتمع نفسه ، فيحاول ان يحفظه من التمزق دون أن يعتزل الحياة بالرهبانية أو يصرع نفسه فيها بالاباحة فالتوازن الدائم هو الذى يحقق للانسان قدرته على اداء رسالته وممارسته تجربته دون أن يفقد المسئولية باعتزالها ودون ان يعجز عن احتمال الامانة والانحدار عنها .

والاسلام يعترف بالكائن البشرى كما هو ويحقق له رغبات جسده وعقله وروحه ، كما يعترف بالنشاط الحيوى للانسان ويقر حق الفرد فى مزاولة هذا النشاط فى حدود الطبيعية ـ هذا الاعتراف بالطبيعة البشرية وحق ممارستها ، يحول دون كل ما يسمى بكبت أو تمزق أو ضياع وانما يقع التمزق والضياع والكبت نتيجة الفصل بين القيم واعلاء شأن احداها ، اعلاء الروحانيات بالزهاد المطلقة أو اعلاء الماديات بالاباحة المطلقة ، ومن حيث تكون النظرة الى الحياة متكاملة جامعة فان الانحراف لا يقع ، ذلك ان النظرية المادية الخالصة هى وحدها التى تخلق التشاؤم والتشكيك والقلق الذى يحس معه الانسان انه وحيد وغريب وشقى ، هذا هو معنى التمزق والضياع فى المفاهيم الاجتماعية والانسانية الغربية وهو طارىء عليهم ، ولا يوجد فى مجتمعنا الاسلامى الذى يقوم على تكامل القيم فان الايمان بالله وحده يؤدى الى الثقة والطمأنينة (**الا بذكر الله تطمئن القلوب**) ويحل معه التفاؤل والرضا بقضاء الله ذلك أن الايمان بالله قوة دافعة تحول دون اليأس وتزرع الامل وتبعث الثقة وتدعو الى المعاودة فى حالة الاخفاق

ومن هنا فليس فى الاسلام طوابع الانهزام أو اليأس أو التشاؤم الذى يغمر كتابات الغرب كذلك فان مفهوم الاسلام يقوم على الغيرية والنصيحة والتقوى بينما يقوم الفكر الغربى على فكرة الرفاهية والترف وهى تتعارض مع مفهوم البذل والعطاء كذلك فان دراسة معطيات الفكر الاسلامى فى عوالم النفس والاخلاق والاجتماع تكشف بوضوح عن سبق علماء المسلمين فى هذا المجال ويعزز هذا فضل الاشعرى والغزالى والجنيد وابن خلدون وقد كشفوا قبل الباحثين الغربيين حقيقة النفس والجنس وقالوا ان النفس لها جوهر روحانى بما يرى من شرف طباعها ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب وأشاروا الى أن الغريزة الجنسية ركبت فى الانسان لفائدتين : اللذة وابقاء النسل وقالوا ان لهذه مراحل ثلاث افراط وتفريط واعتدال ، أما الافراط فهوما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء ، والجوارى ، فيبعدهم عن سلوك سبل الاخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وان التفريط فى هذه الشهوة هو الضعف ، وهو مذموم ، وتمتزج مفاهيم النفس الاسلامية بالاخلاق والدين وترمى من وراء ذلك الى أن يكون سبيلا الى اصلاحها والى تهذيب الاخلاق والوصول بالمسلم الى شاطىء النجاة فى رضاء الله .

وبمراجعة مفاهيم الاخلاق والنفس والاجتماع فى تراث الاسلام يتبين ان للمسلمين أولية شامخة كريمة فيه قد تجوهلت واختفت ويجب استعادتها وان كتابات الدكتور محمد عبد الله دراز عن قانون الاخلاق فى اطروحته الكريمة وما كتب فى السنوات الاخيرة عن علم النفس الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى ليعطى علامة حقيقية على طريق الاصالة والعودة الى المنابع ، وهذا اجمال له تفصيل

***

الفصل الثامن عشر

العلوم الاجتماعية والإنسانية بين نظرة الغرب ونظرة الإسلام

تختلف نظرة الفكر الغربى عن نظرة الفكر الاسلامى فى مسائل كثيرة واهمها : الانسان ومن خلال مفهوم الانسان يتحدد دور النظريات الاخلاقية والنفسية والاجتماعية فى كل من المنهجين حيث يقوم المنهج الغربى على مصادر ثلاثة هى : الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى ووصايا المسيحية ، ولقد كان لاضطراب مفهوم (الدين) فى الغرب اثره فى قيام نظريته عن الانسان وهى نظرية تختلف فى مفهوم الفلسفة اليونانية التى تقوم على عبادة الجسد وعن نظرية الرومان التى تقوم على شرعية الرقيق الى مفهوم المسيحية الغربية التى تقوم على أساس الانسان الخاطىء نتيجة الخطيئة الأولى.

ومن هنا فقد تكونت مفاهيم الاجتماع والاخلاق والنفس بهذه الاثار ، وكان لسيطرة اليهود التلموديين على مناهج الدراسة فى الجامعات أثرها فى فرض مفاهيمهم التى رسموا خطة نشرها فى الجوييم (وهم من غير اليهود) لابادة الجنس البشرى وتدميره قبل سيطرتهم على حكم العالم .

واذا كان أساس الفلسفة المادية هو انكار الجانب الروحى والمعنوى بما فيه الدين انكارا تاما فان ذلك قد فرض طابعه على هذه النظريات التى ادعى اصحابها انها علم ، بينما قامت الادلة الاكيدة على أن هناك فوارق عميقة بين الفلسفة والعلم التجريبى من ناحية وبين العلوم التجريبية والعلوم الانسانية من ناحية أخرى ، فاذا كان هذا الاضطراب قائما فى مجال الفكر الغربى نفسه فان هناك اضطرابا اشد قوة بين هذا الفكر بحملته وبين الفكر الاسلامى وذلك بعد أن طرحت مفاهيم الفلسفة المادية ومفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع فى معاهدنا حيث تتسع شقة الخلاف بين فكر ربانى جامع يقوم على اساس التكامل بين مادة الانسان وروحيته وبين فكر انشطارى لا يعترف بعالم الغيب او الوحى أو الروح أو المعنويات ويفسرها تفسيرا ماديا .

وهناك أيضا عاملان هامان فى هذا المجال :

أولا : عامل البيئة المختلفة ، البيئة الغربية بكل تحدياتها واختلافها مع الكنيسة ومن ثم مع مقررات المسيحية وبين البيئة الاسلامية التى تصدر عن يقين كامل عن الاسلام الذى لا توجد بينه وبين العلم عداوة بل ان الاسلام هو الذى اعطى العلم منهجه الذى مكنه من بناء قاعدة التجريب .

ثانيا : عامل العصر : الذى يختلف بين علوم صدرت عن حضارة متقدمة وعن تطورات واسعة وعن مفاهيم متغايرة خلال خمسة قرون من النهضة الاوربية وبين عصر اليقظة الذى تجرى بخطوات وئيدة نحو تصحيح مفاهيمه واستعادة ذاتيته الخاصة بعد أن حاصرته رياح السموم والتغريب والغزو الثقافى فكيف يصح فى الاذهان أن يتقبل المجتمع الاسلامى هذه النظريات وهو ما زال يحتفظ بقيمه ومفاهيمه واخلاقه وأسلوب عيشه الخاص (مفرقا بين الحضارة والمدنية أو بين القيم الانسانية والتقدم المادى فى الآلة والصناعة)

خضوع العلم للسياسة :

ومن خلال الاختلاف الواضح العميق بين مفهوم الاسلام للانسان والنفس والأخلاق والأجتماع وبين

مفهوم الغرب ان العلم فى الغرب ليس محايدا ولكنه منحازفهناك مفهوم اجتماع للايدلوجية الغربيةالرسمالية الليبرالة وبين الايدلوجية الماركسية ، وهو بهذا ليس علما بمفهومه الصحيح ، ولكنه منهج يعمل فىخدمة هذا النظام أو ذاك وما يتصل به من تثبيت سلطانه ونفوذه فى عالم المستعمرات أو البلاد الخاضعة له اقتصاديا ومن هنا فقد أشار كثير الى ان علم الاجتماع الامريكى مثلا لم يقف عند حدود مجتمعه وانما تعداه الى بحوث استهدفت مقاومة التغيير فى العالم الثالث وضرب الحركات التحررية .

واثبت علماء آخرون ارتباط البحث الاجتماعى فى الغرب بالسياسة والقوة العسكرية وان بحوث علم الاجتماع يستخدم كوسيلة فى النزاع العالمى وتثبيت تبعية العالم الثالث للنظام الراسمالى فكرا وتوجيها كذلك ففى الاتحاد السوفيتى نجد ان جانبا كبيرا من الفكر الاجتماعى يوجه نحو كشف ماسى وتناقضات المجتمع الراسمالى على وجه العموم وان الباحثين السوفيات يدرسون قضايا المجتمعات النامية بهدف كشف أثر الرسمالية والاستعمار على اوضاعها وتغييراتها ومعنى هذا ان علم الاجتماع فى الغرب ليس علما اصيلا وانما هو علم موجه فهو فى داخل المجتمعات الغربية لخدمة اهداف النفوذ والسيطرة وفى داخل المعسكرات الماركسية لكشف عوامل أو اخطار السيطرة الغربية ومعنى هذا ان علم الاجتماع بصورته الحالية هو علم (تبرير الواقع) وانه ملتزم بتوجيهات الايدلوجية والحزب ويقول دكتور عبد الباسط عبد المعطى فى كتابه (اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع) ان دوركايم وفيبر ومن قبلهما (اوجست كونت) أرادوا جميعا التنظير لصعود الراسمالية الاوربية والمحافظة على منجزاتها وتبنى توجه ليبرالى مغال فى الفردية التى هى جوهر المشروع الراسمالى وعن الرواد لعلم الاجتماع لم يكونوا قادرين على وضع نظرية شاملة ، وانهم خضعوا لمجتمعاتهم ولتحديات عصرهم وبيئتهم فىحدود فرنسا والمانيا وبذلك جاءت ملاحظاتهم متعايشة مع الواقع متحددة به .

كما ان هؤلاءجميعا كانوا منظرين للطبقات الحاكمة والمسيطرة ، فتحول العلم عندهم الى تحكم ذى بعد واحد قضى على واحدة من خصائص العمومية ، اى تيسير البناء الاجتماعى بطبقاته وجماعاته وقطاعاته وانهم اتخذوا جميعهم موقفا تبريرا من اوضاعهم الاجتماعية وتلك اقوى مقاتل علم الاجتماع الذى نقله المسلمون فى مدارسهم وجامعاتهم وحاولوا أن يصوغوا مجتمعاتهم على ضوئه الكئيب .

ومن هنا قد أنكر علماء منصفون قدرة علم الاجتماع فى الوصول الى قواعد عامة للتطور الاجتماعى

٢ — وهذا الذى يقال عنخضوع العلوم الانسانية يقال بالنسبة لما يسمى علم الانسان (الانثربولوجيا) التى تخدع الكثيرين اليوم ويعلنون انها علما خالصا ، فقد تكشف عن خلال عديد من أبحاث جادة ان هذا العلم ينطوى فى تطبيقه فى بلاد الاسلام على مؤامرة خطيرة تمسك الصهيونية التلمودية خيوطها من اجل تحقيق اهداف خطيرة فقد اخذ عالم النفس الاجتماعى (بيلز) الذىيؤكد وجود تعارض بين قضايا البحث الانثربولوجى والاخلاق فقد حكم على الانثربولوجيا بالاستقراطية العلمية اللاخلاقية للاسباب التى يوضحها ومنها أن الطريقة فى البحث الانثروبولجى القائم على الملاحظة الشخصية يعتمد على الانطباعات الذاتية وكل ما هو ذاتى ليس موضوعى ، علما بان الانثربولوجيا — كما يقول دكتور زيدان عبد الباقى — قد نشأت بتشجيع ورعاية الاستعمار لكى يتمكن من قهر الشعوب المختلفة وامتصاص ثرواتها تحت زعم العمل على الرضى بها ، وهذه الانثروبولوجية لا يقرها قانون الاخلاق كما يؤكد ذلك علم الاجتماع : ان حركة التحرر والاستقلال جعلت من الاستعمار عملية غير مربحة ومن ثم كف الاستعمار عن تحويل البحوث الانثروبولوجية وبالتالى فلا يجوز للجاد أن تحل محل الاستعمار فى تمويل الانثروبولوجية ان وظيفة انثروبولوجى لا توجد الا فى البلاد الاستعمارية .

ومن هذين الوثقتين يتبين بكل وضوح ان العلوم الانسانية الواردة تستخدم فى بلاد المسلمين فى سبيل تحقيق غايات ترسخ النفوذ الأجنبى وتدمر استعمار الارادة الخاصة . وهذا جانب خطير يجب ان لا يغفل عنه الباحثون فى هذا المجال .

ومنناحية اخرىنجد التعارض الواضح بين مفاهيم بين مفاهيم الاسلام ومفاهيم العلوم الاجتماعية . وفى مراجعة لفكر الاربعة الكبار فى علم الاجتماع :

(أوجست كونت ، دوركايم ، ماكس فيبر ، ليفى بريل) نجد ان القاعدة الاساسية لهذا العلم ولعلم النفس والاخلاق هو نظرية داروين التى تقول انالانسان حيوان ناطق وتدرجه فى نظام الحيوان وتفرض عليه

احكامه متجاهلةجوانبه الروحية والمعنوية وهى احساس النظرية المادية بالاضافة الى التفسير المادى للتاريخ .

وقد حرص هؤلاء العلماء على ان يكون علم (١) علم الاجتماع اداة للمحافظة على الواقع القائم وتأكيد السلطة القائمة (٢) ان يكون كالعلوم الطبيعية (٣) ويرى هؤلاء ان على الانسان ان يتوائم مع ما هو قائم وليس له من الارادة ولايجب أن تكون له ارادة .

وهذه كلها مفاهيم لا يقرها المنظور الاسلامى الذى يرى فى علم الاجتماع اداة تغيير واصلاح ، وانه علم انسانى له منهجه الخاص المختلف مع العلوم الطبيعية وان للانسان ارادة حرة وانه قادر على التغيير .

وهذا هو العنصر الخطير الذى تختلف فيه مفاهيم الاسلام للعلوم الانسانية مع مفاهيم الفكر الغربى ، وهو عنصر الجبرية المطلقة للفرد فى اطار المجتمع كالهواء والشراب والطعام ، ثم ان هذا الدافع الجنسى يخضع للتربية بمعنى اننا نستطيع تربية الانسان على العفة بحيث يضبط دافعه الجنسى ويتحكم فيه ، وبذلك تكون العفة امرا ليس ممكنا فحسب بل ضروريا ، ويرى الباحثون ان نقطة الضعف الاساسية فى فرويد كعالم ، انه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم والوصول الى قوانين عامة .

وقد ترك فرويد من كتاباته عن نفسه وعن حياته ما يثبت انه كان يتخذ من تحليل اخلاقه وهواجسه ومشاكل صباه قاعدة كل تعميماته ، والفلسفة الفرويدية تتميز بانها ميكانيكية جبرية ، (اى انها تعارض ابرز مفاهيم الاسلام وهى ارادة الفرد التى هى مناط مسئوليته) كذلك فقد كشفت الابحاث التى اجراها الاطباء النفسيون عن فساد نظرية فرويد بأن اقبال رجال التربية على لوم الآباء هو المسلك المدمر فى تربية الابناء ويقول العلماء انهم درسوا احوال ١٥٨ طفلا غير منحرفين فيهم الفقراء والاغنياء وقد نشأ الاولاد اصحاء مستقيمين بالرغم من قيود التربية القاسية ويدلل على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل وليس بالبيئة والوسط والحالة الاجتماعية وحدها ودعا الدكتور ناثان كلاين من كبار الباحثين الى نبذ نظرية فرويد وقال انها ليست سوى معول هادم لعقول الشباب ومخدر مميت للنفوس ابناء الشعب ويقرر بعض الباحثين ان فكرة فرويد فى ان غرائز الانسان هى التى تحكمه وتسيطر على نشاطاته وان الجانب المسمى بالروح لا وجود له مطلقا انما هى مؤامرة ترمى الى هدم وتحطيم القيم الاساسية التى جاءت بها الاديان .

وهكذا نرى ان مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والاخلاق كلها مضطربة وليس لها سناد علمى واقعى وانما هى تقوم على اهواء البشرية وترمى الى تدمير المجتمعات أما موقف الاسلام من هذه المفاهيم فهو واضح مضىء كفلق الصبح ، حيث يقف الاسلام موقفا واضحا صريحا من النفس والسلوك الانسانى فهو المادى ، اما مقولاته فى الموضوعات تعتبر نسبيا ضعيفة ومتلجلجة .

وقد وجه سوليفان نقودا عديدة الى النظرية تبين النظرية انها لا يمكن ان تعد بحال مسلمةنهائية تحل اللغز المتعلق بعمل العقل ، لقد ركز فرويد على الرغبات الجنسية المكبوتة ، بينما ركز علماء آخرون على دوافع ورغبات اخرى ، ومن هنا فان معطيات التحليل النفسى لم تلق اقرارا عاما من قبل علماء النفس ، ان النظرية فى حقيقة الامر ، تركيب شديد التعقيد وقد قللت وفرة الفرضيات التى انطوت عليها هذه النظرية الكثير من قيمتها بدرجة الثقة بها فى أعين الكثيرين وينتهى سوليفان (الى ليس فى نظريات علم النفس كافة شىء من شأنه أن يغير جذيا من قناعتنا بأن هذا العلم لا يمكن اعتباره علما حتى الآن) .

والعلم هو اقوى ما يكون عندما يتناول العالم المادى أما مقولاته فى المواضع الاخرى فتعتبر نسبيا ضعيفة ومتلجلجة ، وهى نفس النتيجة التى انتهى اليها (اليكس كاريل) فى كتابه (الانسان ذلك المجهول) ان السيطرة على عينة من العالم المادى لغرض فهمها ممكنة الى حد ما ، أما السيطرة على عينة يدخل فيها الانسان والعقل والحياة طرفا فتكاد تكون مستحيلة .

وصدق الله العظيم حيث يقول **(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)** .

نخلص من هذا كله الى أمرين : أن هذه المقررات المسماة علوما هى أدوات ثقافية لتثبيت التبعية والسيطرة للفكر الغربى على قيمنا ومجتمعنا والثانى : أن اى علم لا يمكن ان تقوم له قائمة الا اذا كان له اساس من الدين الحق والأيمان بالله ، سواء كان من العلوم الطبيعية أو العلوم الانسانية وان الزعم الخاطىء بفصل هذه العلوم عن الدين هى محاولة لتدمير مقومات الامة الاسلامية وقد كشفت الابحاث الاخيرة عن عجز المجتمعات الغربية عن العطاء لامرين لتجاهلها البعد الالهى فى الحضارة والبعد الأخلاقى فى الاجتماع .

هذا وبالله التوفيق .

الفصل التاسع عشر

أصول الإسلام أساسية لعلوم الإنسانية يمكن أن تكون مدخلاً كمفهوم إسلامى للعلوم الإنسانية

١ ــ الانسان فى مفهوم الاسلام جامع بين الروح والمادة ولذلك فان اى منهج يحاول دراسة الانسان لابد ان يقوم على التكامل الجامع من هذين العنصرين .

٢ ــ لا يقر الاسلام مفهوم الجبرية الاجتماعية ويقدم بديلا منها مفهوم المسئولية الفردية .

٣ ــ لا يقر الاسلام نظرية نسبية الاخلاق ويقدم به كل منها مفهوم الالتزام الاجتماعى .

٤ ــ لا يقر الاسلام مفهوم محاكم العلوم الانسانية الى مقاييس العلوم التجريبية .

٥ ــ لا يقر الاسلام مفهوم الفصل بين النظرية واتطبيق وبين القول والعمل .

٦ ــ لا يقر الاسلام النظرية الانتقائية فى الجمع بين مفاهيم العلوم الانسانية الوافدة وبين مفاهيم الاسلام .

٧ ــ لا يقر الاسلام مفهوم ان القيم كلها للمجتمع ويقرر الاسلام بناء الفرد أساسا ومسئولية الفرد .

٨ ــ يقرر الاسلام الجانب الغيبى ويقر الوحى والنبوة .

٩ ــ لا يقر الاسلام نظرية ان الدين خرج من الارض كما خرجت الجماعة معه .

١٠ ــ لايقر الاسلام تغير الاخلاق بتغير المجتمعات والبنيات .

١١ ــ لا يقر الاسلام نظرية التطور المطلق ويقدم مفهوم الثوابت والمتغيرات .

١٢ ــ لا يقر الاسلام مفهوم الانثربولوجيا فى فهم الانسان على مفاهيم عصور البشرية الاولى وهى عصر طفولة البشرية .

١٣ ــ يقرر الاسلام اقامة التوازن بين قوى الانسان المختلفة مما يؤدى الى التوازن فى المجتمع نفسه فيعمل على حفظه من التمزق .

١٤ ، يقرر الاسلام اصالة قيام نظام الاسرة .

١٥ ــ يرفض الاسلام مفهوم ان البشرية بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد .

١٦ ــ يرفض الاسلام مفهوم ان الاسلام قابل للتطور فى مجال التشريع والاخلاق لان الاسلام ليس دينا وضعيا يخضع لما تخضع له الايدلوجيات .

١٧ ــ يرفض الاسلام مفهوم ان الاخلاق ما هى الا ظواهر اجتماعية وانها استجابة للوسط ويقرر ان الاخلاق جزء من العقيدة ــ ويفرق بين الاخلاق دين التقاليد ويقرر ان الاخلاق لا تخضع للاحوال الاقتصادية والظروف المعيشية لكل مجتمع .

١٨ ــ يقرر الاسلام ان طبيعة الانسان ثابتة لا تختلف وان الاخلاق جزء من الاسلام .

١٩ ــ يقرر الاسلام ان القيم الاساسية ثابتة

لا تتغير لانها صالحة كل زمان ومكان وان الاخـــلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الانسان .

٢٠ — يقرر الاسلام ثبات القيم وبالتالى ثبات الاخلاق وأن الالتزام الاخلاقى هـــو قانون اساسى يمثل المحور الذى تدور حوله القيم الاخلاقية فاذا انعـــــدم الالتزام انعدمت المسئولية وان طبيعة الانسان ثابتـــة لا تختلف .

٢١ — يقرر الاسلام ان الطبيعة الانسانية لايمكن ان تجد طريقها الحق الى الامن والامان الا فى الاتصال بالله والتماس منهجه .

٢٢ — يعترف الاسلام بالكائن البشرى كمـــا هو ويحقق له رغبات جسده وعقله وروحه ، كما يعترف بالنشاط الحيوى للانسان ويقرر حق الفـــرد فى مزاولة هذا النشاط فى حدوده الطبيعية مما يحول دون الكبت والتمزق .

٢٣ — يقرر الاسلام النظرة المتكاملة الى الحياة ليست النظرية المادية الخالصة أو الروحية الخالصة.

٢٤ — يقرر الاسلام ان الايمان بالله وحده يؤدى الى الثقة والطمأنينة ويحل معه التفاؤل والرضا بقضاء الله .

* * *

الفصل العشرون

الفقه الإسلامى وما يوجه إليه من شبهات

١ ـ تقديم العقل على النقل .

٢ ـ تغير الاحكام بتغير الزمان .

٣ ـ تقديم المصلحة على النص .

لقد كان الفقه الاسلامى معجزة الفكر الاسلامى الكبرى حتى لفت انظار كبار رجال القانون فى الغرب لفتا شديدا بل يمكن ان يقال بانه هز نفوسهم هزا فقد وجدوا فى تراثه الواسع العميق ثروة ضخمة عجيبة ، غطت على كل محاولاتهم واجتهاداتهم الشخصية وكشفت عن مصدر عظمة هذا الفقه بل لقد لهثوا ازاء ماتكشف منه بين ايديهم، فقدكانوا كلما حاولوا الوصول الى قانون فى موضوع وبعد الجهد الجهيد وجدوا ان الاسلام قد سبقهم اليه وعلى نحو باهر معجز وبدت صياغتهم للقانون ساذجة وقد وصل هذا بعمالقة القانون المنصفين فى أوربا الى عدة امور اهمها :

١ ـ ان هذا الفقه لا صلة له مطلقا بالقانون الرومانى كما ادعى المستشرقون وانما الحقيقة ان القانون الغربى الحديث ماخوذ منه .

٢ ـ العجب فى ان يكون لدى المسلمين هذا الفقه الواسع ويستجدون قوانين الغرب (والحقيقة انهم لم يستجدونها ولكنها فرضت عليهم) .

٣ ـ انه ما من قضية من القضايا المثارة الان فى هذا العصر الا وقد تعرض لها الفقه الاسلامى فى مختلف مجالاته وفروضه وقدم فيها على الاقل ضوءا كاشفا .

وقد بهر هذا الفقه كثير من العلماء والباحثين حتى تمنى (برناردشو) ان تسعد أوربا به ولو بعد مائة عام ولو تحت أى اسم آخر .

ومن هنا تأتى تلك الحملة الضارية التى تشنها قوى النفوذ الاجنبى لاثارة الشبهات حوله وتزييف قيمه والادعاء بأنه غير صالح للعصر والدعوة المثارة على السنة خصوم الاسلام وبعض الغافلين من المسلمين فى ان ندير ظهرنا لهذا التراث .

(ان هذه المحاولة التغريبية لا تقف عند حد الفقه الاسلامى او التراث الاسلامى أو اللغة العربية الفصحى أو الفن المعمارى أو أصول التربية) ولكنها تحاول ان تجتاحها جميعا تحت دعاوى ما يريدون تسميته الفكر العربى ، أو الحضارة العربية ، أو الفلسفة العربية تجاهلا وحجبا للاصل الاصيل لكل فكر وحضارة وفلسفة ومنهج حياة عرفه المسلمون وهو القرآن : أصل الاصول ومصدر المنهاج التجريبى والمعرفى والذى صحح اخطاء الفكر البشرى وكشف زيفه ورد البشرية مرة اخرى الى التوحيد والفطرة .

وفى نفس الوقت الذى كان علماء القانون فى الغرب يوجهون الى الشريعة الاسلامية عبارات التقدير والاعجاب فى مؤتمرات متوالية عقدت فى عواصم الغرب ١٩٣٥/ ١٩٣٧/ ١٩٥٠/ ١٩٥٢ كانت سياط التغريب تلهب ظهور المسلمين بالدعوة الى ترك فقههم المتخلف الجامد وشريعتهم الصحراوية التى فات أوانها .

ولقد ظن دعاة التغريب امثال سعد زغلول ومصطفى كمال اتاتورك وسوكارنو وغيرهم من العلمانيين انهم قادرون على حجب المنهج الاسلامى الربانى المصدر عن المسلمين تحت تأثير النفوذ الغربى او الولاء التغريبى

وقد سجلت الدراسات مدى الأثر العميق الذى تركته الشريعة الاسلامية فى القانون الدولى والعالمى ، كما كشفت الابحاث الحديثة عن جوانب كثيرة من الشريعة الاسلامية التى اصبحت مادة خصبة للقوانين الغربية ومن ذلك :

١ — ما توصل اليه الامام ابن القيم مما يسمى نظرية المنفعة فى اعمال الفضولى ومبدأ حرية التعاقد ومبدأ تقرير قيمة الشهادات وعدم تجزئة الاقرار وفسخ عقود الديون المضرة ومبدأ تغير الفتوى بتغير الزمان والامكنة والاحوال وكلها قوانين جديدة لم يعرفها الغرب الا فى السنوات المائة الاخيرة بينما كشف عنها الامام ابن القيم قبل ذلك بخمسمائة عام .

٢ — ما كشفه عمر لطفى فى دراسته عن حرمة المنازل التى استمدها من القرآن الكريم (سورة النور): **(يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم)** (الآية) وكان الفرنسيون قد استمدوا من التشريع الاسلامى دون الاشارة اليه قانون حرمة المنازل فقال الدكتور فرنان داجين :

يكاد يكون الاعتقاد السائد فى فرنسا ان احترام المسكن لا يشغل فى تقنين العالم الاسلامى الا مكانا جزئيا فقد ثبت ان الشريعة الأسلامية تحرم مثل هذا الانتهاك تحريما مطلقا : فقد ذكر عمر لطفى ان القرآن يحرم مع كل شخص ان يدخل بيت الآخر بغير رضاه الا فى اربع حالات : (١) اذا كان مرخصا له فى الدخول عادة (٢) اذا دعى فى حالة حريق أو فيضان أو ارتكاب جريمة (٤) اذا كان البيت مفتوحا للافراد كالحانوت والحمام .

(ثالثا) : ما توصل اليه الامام الشاطبى مما يسمى فى القوانين الحديثة : نظرية التعسف فى استعمال الحقوق فاثبت بعد تحليل وتفصيل دقيقين : انه يجب منع الفعل الماذون به شرعا ، اذا لم يتصد به فاعله الا الاضرار بالغير ، وفى هذا الموضوع قدم الدكتور محمد فتحى اطروحته الدكتوراه فى فرنسا عام ١٩٠٧ عن مذهب الاعتساف فى استعمال الحق وقد علق العلامة كيلر القانونى الالمانى الكبير على الرسالة فقال: لقد كان العلماء الألمان يتيهون عجبا على غيرهم فى ابتكار نظرية الاعتساف والتشريع لها فى القانون المدنى الالمانى عام ١٧٨٧ أما وقد ظهر بحث الدكتور فتحى وافاض فى شرح هذا المذهب عن رجال التشريع الاسلامى وبما أن رجال الفقه الاسلامى تكلموا طويلا ابتداء من القرن الثامن الميلادى فانه يجدر بالعالم القانونى الالمانى ان يرد مجد العمل بهذا المبدأ لاهله الذين عرفوه قبل ان يعرفه الالمان بعشرة قرون واهله هم حملة الشريعة الاسلامية .

هذا فيض من فيض عن عظمة الفقه الاسلامى فى مختلف المجالات مما أوردناه فى موسوعة (مقدمات العلوم والمناهج) ندفع به فى وجوه الذين ادعوا — وفى مقدمتهم طه حسين انه ليس للسلمين فقه سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى .

وهناك الثروة الحافلة التى تضمها مؤلفات الماوردى والشافعى والغزالى والجوينى وابن حزم فى مختلف هذه المجالات ، نضع هذا بين يدى الرد على تلك الشبهات التى تثيرها اليوم قوى التغريب والغزو الفكرى لانتقاص الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى .

(أولا) أولى هذه الشبهات : **مسالة تغير الاحكام بتغير الزمان** وهذه مسألة رددها فى سذاجة ومكر العلمانيون وكان لابد أن يعرف هؤلاء انه ليست الاحكام هى التى تتغير بتغير الزمان ولكنها الفتوى فالفتوى موقوتة بزمانها وحكامها واشخاصها اما الحكم فثابت ودائم لكل زمان ولذلك عبر الفقهاء ومنهم ابن القيم وابن تيمية حين تحدثوا عن الاجتهاد واجتهادات عمر بالذات بقولهم : هذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان ولا يجوز القول بتغير الاحكام فالاحكام ثابتة بالقرآن والسنة ولا تتغير كما هو الشأن فى حد السرقة وحد الزنا وحد الخمر واحكام المعاملات الاخرى وانما تتغير الفتوى بتغير الظروف والاوضاع اذا لم تتوفر الشروط والموجبات لتطبيق هذه الأحكام .

وهذا يرجع بنا الى قاعدة الثوابت والمتغيرات والى الفارق الذى يجب ان يكون واضحا بين الشريعة المنزلة فى أصولها الاساسية وبين الفقه فى اجتهاداته من اجل المسائل الفرعية والمتغيرة .

وليكن معلوما للذين يخوضون هذه الامور بمكر او بحسن نية ان الحدود المقررة بالشرع على الجرائم لا تتغير ولا سبيل الى التحدث عن موقفها من العصر او العصر منها ، فقد ثبت أن التغيير فى الفروع وقد جعل الله تبارك وتعالى منحة التغيير فيها (أى الفروع) كما يقول الامام ابن القيم دليل عدل ورحمة حيث لاتوجب

الشريعة الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه .

اما تحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فهذا مالا يتطرق اليه تغير ولا اجتهاد ويخالف ما وضع فيه .

ومن هنـــا فان التركيز الذى يركزه التغريبيون والعلمانيون ينصب على الاصول ، الحدود ، الثوابت ، ويرمى الى خلخلتها حتى يكون الربا والزنا والخمر مباحا هذا هو مطمعهم الذى لا يكشفونه تماما ولكنهم يدورون وراء الالفاظ من اجل القول بالتعامل مع الامم والتبادل التجارى والاقتصادى وهو فى مجمله وغايته محاولة لتبرير الربا الذى هو عماد الاقتصاد العالمى الان والذى ينكره الاسلام تماما بكل فروعه وانواعه حتى المستحدثة منها والتى يظن البعض انها ليست من ربا الفضـــل أوربا النسيئة ومن هنا نجد ان المتغيرات تتصل اساسا بما تقتضيه المصلحة واهم ذلك التعزيرات التى يمكن تغيير احكامها حسب الظروف .

ان الاستشهاد ببعض العبارات التى وردت هنا او هناك لا يعنى ان الاسلام يستطيع ان يبرز الواقع او يجد له من التأويل ما يسمح به ، بل ان الاسلام ليطلب من المجتمعات ان تعدل من نظمها بحيث تتلائم مع أحكام الله وشريعته .

(ثانيا) كذلك فقد حاول العلمانيون التقاط بعض النقاط الاخرى كقضية : **تقـــديم العقل على النقل عند التعارض** وقالوا ان الشيخ محمد عبده كان ينادى بذلك وهذا مردود تماما وقد اثبت الشيخ عبده ان للعقل حدودا يجب الا يتخطاها وان هناك مناطق كونية لا يستطيع العقل ان يستكشف حقائقها ويصل الى أسرارها ومن هنا كان من الواجب الاعتراف بقصوره بالنسبة لها ، وكيف يمكن تقديم العقل (الذى تطارده الأهواء) على النص : ان النص هنا يعنى القرآن والسنة الصحيحة ولا يمكن أن يخالف النص ما يقره العقل ، فاذا اختلفا فالنص هو الاصل الثابت الذى يتحتم الوقوف عنده ، والتشكيك فى هذا من دعاوى أصحاب الفلسفات اليونانية والباطنية وغيرها وقد حسم الامام ابن تيمية هـــــذه القضية تماما على النحو التالى :

ان صحيح المنقـــول (أى الثابت الحـــكم) من النصوص وهو كل ما فى كتاب الله تعالى وما ثبت رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم لا يمكن ابدا أن يعارض صريح المنقول ، وان التعارض اذا وقع فانه لا يمكن أن يمثل أزمة فكر ، أو أزمة دين ولا يخرج ان يكون واحدا من ثلاثة :

١ ـــ اما أن يكون تعارضا ظاهرا وهو ما يحتاج كشفه الى اعادة تفسير النص الدينى او الحقيقـــة العلمية .

٢ ـــ وأما أن تكون الحقيقة العلمية ليست الا واقع حال عارض فى مسيرة العلم تمثل حلقـــــة من حلقات السعى للمعرفة دون ان يمثل الحاقة النهائية الحاسمة من تلك المعرفة .

٣ ـــ او أن يكون النص المنقول غـــير صحيح فى نسبته الى النبى صلى الله عليه وسلم أو أن يكـــون النص القرآنى محتمل التاويل يحمل من المعانى مايخالف المتبادر الى الذهن آن ظاهره .

ثالثا : قضية تقديم المصلحة على النص :

أثار التغريبيون والعلمانيون تقـــديم المصلحة على النص عند التعارض وهذا المبدأ مرفوض على اطلاقه ذلك انه لا يوجد تقديم المصلحة على الحدود والقواعد والمبادىء الاساسية للشريعة الاسلامية (وهى المسماة بالنص) .

يقول الاستاذ احمد محمد جمـــال : ان الله تبارك وتعالى الخبير العليم الحكيم هو الذى شرع الشريعة وهو ادرى بمصالح عباده ومفاسدهم وبخبرته وحكمته اللتين هما فوق كل خبرة وحكمة بشرية ـــ دون جدال ـــ قد وضع لكل حادثة حديثا ولكل قضية حكما ولـــــكل مشكلة حلا ، وانزل بذلك كله القرآن الكـــريم وبعث الرسول العظيم ، وقد رد الله تبارك وتعالى على هؤلاء المعترضين على أحكامه قديما فى قوله ـــ بعـــد تقسيمه فى القرآن المواريث بين الاباء والامهـــــات والازواج والزوجات والبنين والبنات بقوله :

(اباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا)
(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) ولو تركنا الحبل على الغارب لكل معترض على شريعة الله وقلنا بتقديم المصلحة على النص الحاكم (قرآنا كان أو حديثا نبويا) لوجد المنادون بالغاء القصاص فى القتلى وحد السرقـــة وحد الرجم للزانى المحض وتحريم الربا ، وامثال هذه الاحكام والحدود التى تبدو للسطحيين قاسية وظالمة ، لما يدللون الان على أن المصلحة فى هذا الزمان المتحضر تقتضى

بتطوير هذه النصوص الحكيمة الى ما هو الطف واجمل، لوجد هؤلاء المنادون بالغاء الحدود الاسلامية مندوحة لهم وحجة لدعوتهم الباطلة والله حكمة عليا فى تقسيم المواريث وخاصة فى جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الانثى ، كما رد على المعترضين فى قضية القصاص بقوله تعالى **(ولكم فى القصاص حياة)** اذ يمنع المجرمون من الاقدام على انتزاع أرواح الابرياء لانهم يعلمون يقينا أنهم سيقتلون كما قتلوا وبذلك يأمن المجتمع الاسلامى على أرواح افراده كما يأمن على أموالهم وأعراضهم باقامة حد السرقة وحد الزنا **(الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)** .

وعلى ذلك فلا اجتهاد مع النص ولا تقديم لمصلحة متوهمة أو محتملة الا فى القضايا التى لم يرد فيها نص من الكتاب والسنة وذلك ما عرف بالمصالح المرسلة الى جانب مبدأ الاستحسان فى بعض المـــذاهب الفقهية الاسلامية ولنذكر قول الامام على :

(لو كان الدين بالعقل لكان المسح لباطن القدم أولى من ظاهرها) .

ان الشريعة مبادئها اصيلة كاركان الاسلام واركان الايمان وقواعد الشريعة ونظام الحكم دائما يكـــون التجديد فى الاساليب والوسائل .

ان هناك فارقا عميقا بين الاجتهاد فى أصوله واطاره الصحيح وبين هذه المحاولات التى يراد بها تقديم أفكار مسبقة خاطئة ثم البحث عن نصوص لتبريرها لقد اتخذ التأويل مدخلا الى القرآن لتحليل الربا فى المعامـــلات المصرفية بهدف تبرير نظام عالمى فاسد ، أو من اجـــل حماية اوضاع فى الغرب منها (١) يجب ان يكون القرآن اصلا تحمل عليه المذاهب والاراء فى الدين لا ان تكون المذاهب هى الاصل والقرآن هو الذى يحمل عليهاويرجع بالتأويل أو التحريف عليه (٢) لن يكـــون الاســـلام هو الراسمالية أو الشيوعية او الاشتراكية أو مبررا لها أو مؤديا اليها وليكف الذين يتوهمون ان بوســـعهم خـــلال القانون الوضعى محـــل الشريعة الاسلامية عن طريق الاجتهاد أو التأويل أو بالقول بأن هناك خلافات يسيرة وما الخلافات اليسيرة التى يقولون عنهـــا هى (الربا والزنا) وهما خطران يهزان المجتمعات الاسلامية هزا ويسعيان الى تدميرها .

فليتق الله الذين يدعـــون الى تطوير الشريعة أو استغلال مداخل الاجتهاد الخاطئة .

* * *

الفصل الحادى والعشرون

الملتقى الإسلامى فى الجزائر حول الإسلام والعلوم الإنسانية يثير قضايا شائكة ومسجلات واسعة حول التصوف والفلسفة والشريعة والفقه

كان موضوع الملتقى الاسلامى العشرون فى الجزائر هذا العام الذى عقد فى مدينة سطيف (١٩٨٦) من اخطر الموضوعات التى تحتاج الى المراجعة والدراسة بعد ان عقد فى العام الماضى حول (الغزو الفكرى) أما هذا العام فكان حول (الاسلام والعلوم الانسانية) وقد حضر الملتقى جله من العلماء من مختلف اقطار العالم الاسلامى والغرب فى مقدمتهم السادة أبو الحسن الندوى ومحمد الغزالى ويوسف القرضاوى ومحمد سعيد البوطى وعبد الله التركى وعبد الهادى أبو ريده ومحمود أبو السعود وكثير من العلماء المتخصصين خاصة فى العلوم التجريبية واللسانيات والفلسفة وغيرها من اساتذة الجزائر فى الجامعات وعدد من المشاركين من طشقند وفرنسا وبلاد أوربا كما حضره عدد من العلماء الذين دخلوا الاسلام ومنهم رجاء جارودى وشارك كاتب السطور ببحث عن تحفظات الفكر الاسلامى ازاء علوم النفس والاخلاق والاجتماع .

وقد كشفت الابحاث عن حقائق أساسية مقررة اهمها :

أولا : اختلاف مفهوم العلوم الانسانية بين الاسلام والغرب ، من ناحية النظرة الى الانسان ومن ناحية النظرة الى خالق الكون (جل شأنه) ومن ناحية النظرة الى الاخلاق والمسئولية الفردية واننا فى هذا الموقف نقدر موقف الغرب من انشاء ايداوجيات خاصة به بالنظر الى ان المسيحية الغربية قد انفصلت عن الشريعة اليهودية التى هى آخر أديانها فكان لها أن تقيم فكرا بشريا ولما كان ذلك قد حدث بعد أن انفصلت عن العلم وارتبطت بالفلسفة المادية فمن هنا كان موقفها من الانسان وعجزها عن فهمه فهما صحيحا بوصفه قبضة الطين ونفخة الروح ، وهذا هو الخلاف الاساسى بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى فى هذه النقطة .

ثانيا : نأخذ من الغرب العلوم التجريبية وحدها (لانها تقوم على خبرة المعامل) ولأن لنا سابقة بها من حيث ان المسلمون هم الذين وضعوا اسس المنهج التجريبى الذى تقوم عليه الحضارة الغربية اليوم ، ولكننا حين نأخذ العلوم التجريبية من الغرب نأخذها بشروطنا (وهى ان نصهرها فى دائرة فكرنا ونخضعها لمفهوم التوحيد الخالص والاخاء الانسانى .

ولكننا لا نأخذ العلوم الانسانية لاختلاف وجهات النظر :

أولا : لتعارضها الصريح الواضح مع مفهوم التوحيد الخالص والوحى والنبوة والايمان بالغيب والبعث والجزاء .

ثانيا : مضادتها للفطرة لانها تنظر الى الانسان من حيث هو حيوان والقول بانه مادة وخاضع للشهوات .

ثالثا : اعتقد اننا (نحن المسلمون) وقد اقتحمنا ميدان الاصالة والعودة الى المنابع جديرون بان ننشىء اليوم علم تصحيح المفاهيم ، فاننا فى حاجة ماسة الى اعادة النظر فى مذهب التفسير المادى للتاريخ ونظرية داروين ومفهوم فرويد للجنس ومفاهيم دوركايم ونسبية الاخلاق .

رابعا : ضرورة الفصل بين العلوم التجريبية والعلوم الانسانية وعدم محاكمة العلوم الانسانية الى المنهج التجريبى المادى .

خامسا : ضرورة تصحيح دوائر المعارف الاسلامية والعالمية والمنجد والموسوعة الميسرة لانها جميعها فاسدة الأداء وخاصة فى مواد الله والانسان والرسول والقرآن والاسلام والشريعة والعرب وفلسطين .

سادسا : ضرورة وضع مقدمات لكل ما يترجم عن الغرب من علوم وابحاث تقدم دور المسلمين وتكشف وجهة هذه الكتب المترجمة وغايتها واهدافها والا تقبل المنهج الانتقائى فى الخلط بين مفهوم العلوم الانسانية الاسلامية ومفهوم العلوم الانسانية الغربية .

سابعا : الوقوف بحسم ازاء الفلسفة اليونانية التى دخلت الفكر الاسلامى ومفاهيم التصوف الفلسفى والفكر الباطنى .

ثامنا : الايمان الكامل بأن الاسلام انما جاء بعثا جديدا للانسانية وان كل ما كان قبله كان مقدمة له وتمهيدا ، وانه منذ جاء فقد وقع (انقطاع حضارى كامل) بين ما كان قبل الاسلام وما بعده حيث انهارت كل المقومات التى يمكن ان تكون اساسا لعودة الدعوات الفرعونية والفينيقية وغيرها .

وقد كان هذا الملتقى باثارة هذا الموضوع الخطير سابقا لخطوات الاصالة والعودة الى المنابع فى العالم الاسلامى ومعلنا بان العالم الاسلامى كله ينتقل اليوم من اليقظة الى الصحوة فى طريقه الى عصر النهضة ومن مرحلة الرد على الشبهات والكشف عن زيف المناهج الوافدة الى مرحلة جديدة هى مرحلة البناء الرائدة للمناهج الجديدة فهذا القرن الخامس عشر وبحق هو قرن التحول من الدفاع الى البناء واقامة القواعد لاقامة المجتمع الربانى فى أرض الاسلام انطلاقا لتبليغ كلمة الله الى العالمين ومن هنا برزت صيحة (اسلمة المناهج) التى تخطو خطوات واسعة نحو تقديم مفهوم الاسلام فى مختلف المجالات .

وقد كشفت الابحاث الرائدة عن ان للمسلمين أولية فى هذا المجال وان علماء المسلمين قد تناولوا العلوم الانسانية والاجتماعية فى عديد من ابحاثهم ودراساتهم وخاصة ما كتبه الامام الغزالى والشيخ ابن خلدون ولقد تبين بالنصوص ان من يقرأ كتابات الغزالى وابن خلدون يجد ملامح مجتمعات اليوم ومشاكل عصرنا .

ولقد حاول البعض من أمثال جارودى وغيره دعوة المسلمين الى عدم رفض علوم الغرب الانسانية بدعوى ان بها بعض الايجابيات وقد وجدت هذه الدعوة رفضا تاما ومعارضة وكشف الباحثون ان حاجة المسلمين الحقيقية من علوم الغرب اليوم تنحصر فى العلوم الرياضية والتجريبية وحدها أما العلوم الانسانية والاجتماعية الغربية فهى ليست علوما بالمعنى الحقيقى للكلمة ولكنها تصورات وفروض بشرية قابلة للخطأ والصواب واكبر اخطائها انها قائمة على الفلسفة المادية فى عصر معين وفى أمم معينة (وانها ليست انسانية عالمية بحال) وتساءل البعض ماذا فى العلوم الانسانية يمكن ان نستبقيه ، أو ينتفع به ، هل هو مذهب التفسير المادى للتاريخ ، ام نظرية داروين ، ام مفهوم فرويد الجنس ، أو مفاهم دوركايم فى اعتبار الجريمة فطرة واعتبار الزواج والاسرة خارجين عن الفطرة أم النظريات القائمة على الطعام والمعدة وحدهما .

ان ابرز اخطاء العلوم الانسانية الغربية هى تصورها ان الانسان حيوان وانها تسلكه فى مسالك المادة وحدها وتتصور أن الانسان الغربى هو سيد الحضارة كما تقوم على الفشل بين السياسة والاخلاق وبين الاجتماع والاخلاق .

كما كشف العلماء عن اكذوبة تبعية المسلمين للفكر اليونانى ، وابانوا بما لا يقبل الشك ان العلوم الاسلامية تكونت قبل ترجمة الفلسفة اليونانية وان المسلمين وقفوا من الفلسفة اليونانية منذ اليوم الاول موقف المعارضة واعتبروا أمثال الكندى والفارابى وابن سينا من المشائين اليونان وذلك لاختلاف الارجانون اليونانى عن المنهج الاسلامى فى أبرز مفاهيمه وقيمه وهو التوحيد وتحرير الانسان فى مواجهة علم الاصنام اليونانى وعبودية الانسان الجسدية والفكرية ، فقد

كان الرق فى تقدير ارسطو وافلاطون ضرورة اساسية للمجتمعات وكانت الديمقراطية اليونانية خاصةبالسادة وحدهم الذين يجلسون فى القمة وكان هذا هو مفهوم مختلف الحضارات التى سبقت الاسلام كحضـــارات اليونان والرومان والفرس والهنود والفراعنة جميعـا ومن هنا جاء الاسلام مغايرا مغايرة تامة لهذه المفاهيم مقيما لمفهوم حضارى جديد قائم على اساس أن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب وانه لا فضل لعربى على اعجمى ولا لابيض على اسود الا بالتقوى .

ولقد انطوت هذه العهود وانطوى بقــائها كمـا انطوى ترابها الى غير رجعة وان كل محاولة لاعادتها هى محاولة باطلة مضللة وخاصة فيما يتصل بالفاكلور والانثروبلوجيا .

وقد اثارت ابحاث المؤتمر مساءلات عديدة ومعارك مستعرة كان ابرزها ما اثاره جارودى حين تحدث عن الشريعة الاسلامية ودعا الى تجديدها والخروج بها مما اسماه الجمود فى محاولة واضحة لانتقــاص التراث الاسلامى ونقد أسلوب المسلمين فى الربط بين حاضرهم وماضيهم بدعوى العصرية وكذلك ما اثاره بدعوته الى تحسين التصوف الفلسفى وثنائه على ابن عربى ودعوته كذلك الى اباحة الموسيقى والفنون .

وقد اثار ذلك استعادة الحـديث الذى نشره فى المصور الدكتور محمد نور فرحات وجعل عنوانه من قول جارودى (ان الاسلام ليس له نظام سياسى او اجتماعى أو اقتصادى) وقد دفـع هذا الكثيرين الى الـرد على جارودى وكشفوا عن عجزه عن التفرقة بين الشريعة والفقه ، اذا كان حقا يريد أن يتحدث عن الاجتهاد فى الفروع وفيما لم يرد منه نص ، ومعروف أن جارودى كان قد أبدى امتعاضة من قضية الحدود ووقوفه موقف المتردد فى تقبل كثير من الاحكام كما روى صديقه الدكتور محمود أبو السعود .

وفى الحديث عن التصوف كانت هناك جماعة من الراغبين فى الدخول فى الاسلام ترى أن التصوف بالمفهوم الباطنى القائم على الرقص والموسيقى والتراتيل هـو مدخل الى الاسلام فى الغرب والواقع ان هذه قضية يجب أن تدرس بدقة من حيث أن بعض الغـربيين يرون من السهل استبدال الرقص الغربى برقص المتصوفة وقد فتحت هذه الدعايات الباب واسعا حول التركيز الشديد التصوف الفلسفى وجرى التساؤل حول التركيز الشديد الذى قام به ماسنيون ووليم مارسيه وجـورج مارسيه وبراون ونيكلسون وسافلكس وكورمان على دراســة الأدب الفارسى والتصوف الفارسى والاهتمام بنقل افكار فريد العطار والرومى والشيرازى والحلاج والسهرودى واخوان الصفا .

وقد تحدث أحـد المستشرقين الفرنسيين تلاميذ كورمان عن التصـوف والاسلام كما يفهمــه الشيرازى وانفتح الباب واسعا أمام الحديث عن التصوف السنى والتصوف الفلسفى وكل ما يتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وهى مفاهيم لا يقرها الاسلام ، كذلك فقد انفتح الباب أمام الفلسفات وحول المذاهب المضللة التى تتصل بنظرية الفيض ونظرية العقول العشرة ، وكلها من ركام الفكر اليونانى المتصل بعلم الأصنام والذى نقل الى أفق الفكر الاسلامى وما يزال يدرس فى جامعاتنا ومدارسنا مما رد عليه الامام الغزالى ودحضه وكشف زيفه ، ولكن الذى يجب أن يكـون واضحا أن علوم الاسلام اكتملت أصـــولها قبل عصر الترجمـــة وان المتكلمين والمعتزلة فى المـرحلة اولى قاومـــوا تيارات المتكلمين فى المسيحية واليهودية ودحضوا سمومهم ، ولكن المعتزلة لم تلبث ان تعالت فخرجت عن اطار مفهوم الاسلام الجامع ومن ثم وقف علماء المسلمين موقفا واضحا أمام الفكر اليونانى كله ، ومن هذا فقد كان من أكاذيب المستشرقين واتباعهم الادعاء بأن الفلسفة اليونانية كونت الفكر الاسلامى الذى رفضها منذ اليوم الأول ورد عليها الغزالى ثم جاء ابن تيميــة فأنشأ (منطـــق القرآن) فى مواجهـــة (منطـق ارسطو) .

وقد نصح علمـــاء المسلمين لجارودى ان يتجنب الخوض فيما لا يعرف وان دوره الحقيقى يجب أن يقف عند فضح فساد الحضارة الغربية والفكر الغربى اما أن يتداخل فى مفاهيم الشريعة وهو لم يستوعبها بعد — ولم يقبلها كلية — فعليه ان يتوقف عند ذلك حتى يحافظ بمكانته وقال له العلماء انهم يفخرون بانضمامه للاسلام ولذلك فهم يحافظون عليه من الخطأ وقد وجه اليه اثر من سبعة وثلاثين سؤالا واستجوابا فلما قام يرد على ذلك كله لم يكن بالصورة التى تطلب من المسلم حين يعرف الحق فيجب أن يعود اليه ، ولكنه راوغ على طـريقة الجدلية المعروفة ثم حاول بعد ذلك أن يجرى اتصالات خاصة فى الغرف مع بعض الاساتذة وقد قيل له ان خالد ابن الوليد عندما دخل الآسلامفانه بدا جنديا ولم يبدأ قائدا وكان عليه أن لا يتطأ من الى مكان من الصدارة هو ليس قادرا على شغله ، هذا وبالله التوفيق . .

* * *

الفصل الثاني والعشرون

مسئوليـــــــــــة المسلم

كان السؤال الأهم المثار فى ندوة الاعتصام عن : مسئولية المسلم فى هذه المرحلة من حياة امتنا الاسلامية

هذه المسئولية تستدعى عدم الاذعان للتيارات التى تحاول ان تصرفه عن مراقبة الله تبارك وتعالى والتماس رضاه ســـواء بالنسبة لنفسه او بالنسبة لاهـــــله أو بالنسبة لعقيدته ، فان هناك محاولات كثيرة ترمى الى أن تضعه فى موضع الاستسلام لقيم وافدة كثيرة ليست من اصالة مجتمعنا (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) فنحن مطالبون دائما بأن يكون القرآن الكريم مفتوحا أمام اعيننا والسنة المباركة ، لاتغفل عن طـــــريق الله الحق ، وان ننمى وجودنا الخاص بالعبادة والصلاة وعبادة الله فى خلقــــه بالتعامل الطيب مع الاهل والمجتمع ورعاية مصالحهم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كل امرىء يغذو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) .

نحن أمة التوحيد يجب ان نظل دائما قادرين على الحفاظ على هويتنا وطابعنا القرآنى ومنهجنا الربانى لاننا مطالبون بان نحفظ الطريق ونجعله مفتوحا لتبليغ رسالة الله للعالمين .

واوصى شـــــبابنا المسلم بأن يكونوا على مستوى المسئولية التى يقررها ديننا ويطالبنا بها ربنا ، ان نكون قادرين على بناء المجتمع الاســـــلامى فى نفوسنا وبيوتنا وحياتنا كلها .

وان نتعرف الى اصول فكرنا الاسلامى الاصيل وان نحمى اللغة العربية التى تحمل امانة القرآن الكريم ، وأن نحمى تاريخنا ونرعى تراثنا ونكون غيارى على هذا التاريخ وهذا التراث وهذه اللغة من خلال مفهوم أصيل هو مفهوم التوحيد الخالص الذى لا تشوبه شائبة ولذلك فان علينا أن نزود عنه وان نواجه الحملات التى تشن عليه من هنا أو هناك فندحض أكاذيبها ونهدم شبهاتها (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم) ان الحق يعلو ولا يعلى عليه ومهما علا الباطل الذى تروجه جمــــــاعات الاستشراق والتبشير بهدف اخراجنا من قيمنا فاننا لانقبل منهم فهم خصوم أساسا لهـــذا الدين لا يريدون له أن يبلغ الليل والنهار **(يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)** .

ونحذر شبابنا من مفاهيم كثيرة ملتبسة سواء حول الفلسفة أو التصوف الفلسفى أو المعتزلة أو العقلانية او البهائية والقاديانية ، فكل هذه مهما بدا بريقها يخطف الأبصار فان المسلم الحق الذى تحصن بالايمان العميق والفهم الدقيق لا يستطيع أن يخدعه أحـــــد وعليكم ان تقرأوا بحذر كتابات الغرب فان اغلبها يقوم على الهوى والظن ، واغلب نظرياتهم هى فروض تقبـــــل الخطأ والصواب وتتصل بمجتمعات غير مجتمعاتنا لها ظروفها واوضاعها فلا تقبل من الغرب الا العلوم التجريبية التى يجب أيضا ان نصهرها فى بوتقة فكرنا .

ان اغلب اخطاء مناهج الغرب هى تعارضـــــــها الواضح مع التوحيد الخالص ومفهــوم النبــوة والوحى ومضادتها للفطرة وخطأها فى مفهوم الانسان الذى كرمه الاسلام والقول بأنه مادة وانه خاضع الشهوات ، كذلك فان الفكر الغربى يقوم على أساس الفكرة المسبقة التى يعدها المستشرقون أساسا ثم يبحثون عن نصـــــوص مقطوعة عن أصولها للاستبدال بها ، ذلك لان المنهـج الغربى يقوم أساسا على الهوى والظن .

(أن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقـــد جاءهم من ربهم الهدى) .

كذلك فان من اكبر اخطائهم الفصـــل بين المنهج

والتطبيق وبين القول والعمل وقد نهانا الله تبارك وتعالى عن ذلك :

(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) .

ذلك كله مرجعه الخوف من اثر الاسلام الصحيح ازاء نفوس عاطشة متطلعة الى الامل والخير والنور بعد ان ضاقت بها مسالك الفكر الغربى بوثنيته وماديته .

اننا فى حاجة الى التحفظ من قراءة كتب الفلسفة والتصوف الفلسفى وكل ما يتصل بركام الزيف الذى كان قبل الاسلام ثم حاولت قوى كثيرة اعادة بثه مرة اخرى تحت اسماء أخرى لخداع المسلمين عن مفهومهم الاصيل وما حاجة المسلمين الى هذه الافكار المختلطة وقد اعطاهم ربهم منهجا اصيلا جامعا :

منهجا تتكامل فيه القيم بين العقيدة والشريعة والاخلاق وبين الروح والمادة ، وبين الدنيا والاخرة .

اعطاهم منهج المعرفة ذى الجناحين ، واعطاهم منهج التجريب الذى صنع الحضارة المعاصرة واعطاهم منهج الميتافيزيقيا (الغيب) حتى لا يحتاج المسلمون الى ترهات فلاسفة اليونان أو غيرهم كذلك فقد اعطاهم منهج بناء الحضارة — لا المدنية — القائم على تحرير العقل من من عبادة الاوثان وتحرير الانسان من عبادة الانسان فنسف بذلك افكار وتاريخ حضارات ما قبل الاسلام كلها اليونانية والرومانية والفارسية والهندية والفرعونيةالتى قامت على العبودية والوثنية ، لقد اقام الاسلام منهجا مختلفا عن (الارجانون اليونانى) وعن عبادة الامبراطور الاله ، وأقام مفهوم التوحيد فى وجه علم الاصنام وحطم الرق ، فقد كان الرق عند ارسطو وافلاطون أساسا ضروريا للمجتمعات ، وكانت الديمقراطية اليونانية خاصة بالسادة وحدهم الذين يجلسون على القمة .

ومن هنا قد كان الاسلام بمثابة بعث جديد للانسان وكان كل ما قبله هو مقدمة له وقد اعلن العلماء منذ وقت بعيد قاعدة حقيقية علمية هى قاعدة الانقطاع الحضارى بين ما قبل الاسلام وما بعده حيث انهارت اللغات القديمة وانطوت أمثالها واسسها وتراثها مما اصبح يمثل طفولة البشرية . وقد تبين فساد نظرية الفلكلور ونظرية الانثربولوجيا التى ترمى الى العودة الى هذا التراث مرة اخرى .

اننا فى حاجة الى تحرير مفاهيمنا واعادتها الى منابع الاسلام الاولى ان حاجتنا فى علوم الغرب انما تتركز فى الحاجة الى تقنيناته وتنظيماته ، هذه التى يجب أن نصهرها فى بوتقة فكرنا الاسلامى الاصيل .

أما مفهومه للحضارة والانسان فهذا يجب ان نرفضه لان لنا مفهوما مختلفا يقوم على أساس الاخاء البشرى وحماية الثروة البشرية وعدم تبديدها وتوجيهها الى المنفعة لا الى الترف وأن تكون للناس جميعا لا لفئة معينة وان يكون الناس جميعا على مستوى واحد فى الاصل والفرع لا تفرقهم العنصرية ولا العروق وانما تجمعهم كلمة الله .

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وفى هذا يقول الرسول الكريم : لا فضل لعربى على عجمى ولا لاسو على أبيض الا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب .

هذا المفهوم الحضارى الانسانى هو الذى يجب أن يسود منهجنا فى تطبيق بناء الحضارة والانسان وتلك الاجابة موجهة الى الشباب المسلم الذى سأل فى سطيف (الجزائر) هذا وبالله التوفيق .

* * *

محتويات الكتاب

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع الصفحة

البـــاب الثامن

الموضـــــــوع	الص

دار العلوم للطباعة

القاهرة ٨ شارع حسين حجازى . قصر العينى .

ت. ٣٥٥١٧٤٨٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٣٠٧٤

الترقيم الدولى ١ ــ ١٥٨ ــ ١٤٢ ــ ٩٧٧